(عبيد بلا أغلال)

مختصر

الحرية وأزمة الهوية

في الخليج والجزيرة العربية

بقلم د. حاكم المطيري

Ommah2000@yahoo.com

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للخلق أجمعين، وبعد..

فهذا كتاب (عبيد بلا أغلال)، وهو مختصر من كتاب (الحرية وأزمة الهوية)، حيث تم اختصاره ونشره على ثلاثين حلقة في موقعي، واقتصرت على ما يهم عامة القراء، وتركت التفاصيل للمتخصصين إلى حين صدور الكتاب الأصل كاملا..

(عبيد بلا أغلال)

(**1**)

الحرية وأزمة الهوية

في الخليج والجزيرة العربية

الافتتاحية :

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، وبعد..

يواجه شعب الخليج والجزيرة العربية اليوم تحديات كبيرة، وإشكالات خطيرة، تنذر بأن الأزمة قد تتفجر في أي لحظة ما لم يتم تداركها، وهي أزمة عميقة تضرب جذورها في صميم الهوية لشعب الخليجوالجزيرة العربية، وحقه في المواطنة والحرية على أرضه وأرض آبائه وأجداده، حيث بات العرب في جزيرتهم وخليجهم يعيشون أزمة (الهنود الحمر)، تحت ظل الاستعمار الأمريكي، وقبله البريطاني لأرضهم، وتصرفه في شئونهم، وفرضه حلفاءه على المنطقة وشعوبها بقوة الحديد والنار، منذ سنة **1900**م، وما زال المشهد كما هو منذ ذلك التاريخ إلى اليوم، حيث تفاجأ الخليجيون حين استفاقوا بأنهم (عبيد بلا أغلال)، فهم مواطنون بلا حرية، وشعب بلا هوية، وهو ما يوجب فتح ملف هذه القضية:

فما هي هوية شعب الخليج والجزيرة العربية؟

ومن الذي يشكّل هذه الهوية اليوم؟

وما مظاهر الأزمة والإشكالية التي يعيشها؟

وما أثر أزمة الهوية على الحرية السياسية وحقوق المواطنة؟

وما طبيعة العلاقة بين شعب الخليج والجزيرة العربية والأنظمة الحاكمة؟

وكيف قامت هذه العلاقة؟ ومتى قامت؟ ومن الذي أقامها؟ ومن الذي يحميها؟

ولم قامت على أساس التبعية والرعوية للحاكم، لا على أساس المواطنة للدولة؟

وعلى أي أساس كسبت الحكومات في دول الخليج العربي مشروعيتها؟

وهل هي تمثل الشعوب أم تمثل الأسر الحاكمة؟

وبأي حق دستوري أو شرعي يتمتع الآلاف من أفراد هـذه الأسـر والعشـائر الحاكمة بكل الامتيازات بينما تحرم منها شعوبها؟

وعلى أي أساس يتم ارتهان حاضر شعب الجزيرة والخليج ومسـتقبله ومصـالحه وثرواته وأوطانه للقوى الاستعمارية بقرار فردي، دون أن يكون لشعبها أي حق في تقرير مصيره؟

ومن الذي يسوس شئون المنطقة منذ سنة **1900**م إلى اليوم؟

وما هو دور الحكومات الخليجية في تنفيذ ما يرسم لها؟

ولم تجمد الحراك السياسي في الخليج والجزيرة العربية حتى كاد يحتضر؟

ولم تعطل النمو الاقتصادي والنشاط المالي حتى كاد يختنق؟

ومن الذي يتحكم في الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي؟

وكيف استطاعت بعض دول الخليج وضع دساتير صورية، وبرلمانـات شـكلية، وصناعة معارضة وهمية، لإضفاء الشرعية الدسـتورية علـى الحكـم الأسـري العشائري باسم الديمقراطية؟!

هذه بعض الأسئلة التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، بعد أن عالجت في كتابي (الحرية أو الطوفان)، وكتابي(تحرير الإنسان)، إشكالية الخطاب السياسي التاريخية والعقائدية، والأزمة التي تعيشها الأمة اليوم فكريا وثقافيا ودينيا حتى صارت من

أكثر الأمم قابلية للاستعمار الخارجي، وخضوعا للاستبداد الداخلي، فرأيت أن الواقع السياسي أيضا يحتاج هو إلى دراسة تحليلية، إذ الخطاب السياسي الديني والثقافي السائد في المنطقة اليوم ما هو إلا استجابة ونتاج لهذا الواقع السياسي، فللأنظمة الحاكمة اليد الطولى في تشكيله وصناعته وتسويقه وترويجه، لترسيخ هذا الواقع باسم الدين، وليتم إضفاء الشرعية عليه، من خلال تحالفها مع حركات دينية باتت جزءا من هذه الأنظمة، تعمل لحسابها، وبدعمها المالي والسياسي، على حساب الشعوب وحقوقها وحريتها واستقلالها التي ما تزال ترزح تحت أبشع صور العبودية والطغيان السياسي الخارجي والداخلي؟

فكان هذا الكتاب الذي يكشف أبعاد أزمة الهوية، وأثرها على الحرية السياسية، وغياب حقوق المواطنة، ويعالج هذه الإشكالية، التي تتجلى في أوضح صورها في العبودية المطلقة التي يعيشها ويخضع لها الملايين من العرب الأقحاح على أرضهم وأرض أجدادهم في الخليج والجزيرة العربية، وفي الأغلال التي وضعت في أعناقهم منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم، وفي التغيير الديمغرافي السكاني الذي تعرضت وتتعرض له جزيرتهم لتكريس هذا الواقع السياسي، ليكتشفوا بعد ثمانين سنة أنهم ليسوا مواطنين في دولهم، وليسوا شعوبا كباقي شعوب العالم، بل هم رقيق يعيشون في إقطاعيات أقامها الاستعمار الغربي، يعيشون فيها عبيدا على أرضهم، ويتم بيعهم وشراؤهم والتصرف فيهم في أسواق النخاسة العالمية، دون الرجوع إليهم، حتى غدا أفقر شعوب العالم العربي وأضعفها أقدر على التأثير في واقعه السياسي، وأقدر على المدافعة والممانعة للتدخل الأجنبي في شئونه، من ثلاثين مليون عربي خليجي، في جزيرة العرب، ليس لهم في تقرير مصيرهم أدنى رأي!

فكانوا كما قال الأول:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهو شهود !

فهم عبيد من حيث لا يشعرون، بعد أن اعتادوا على العبودية وأشربوها، وهم الشعوب الوحيدة في العالم كله التي لا تشارك – بل ولا يُرى لها حق – في اختيار

حكوماتها ولو اختيارا صوريا، لأنه لا حق أصلا لها – في نظر الأنظمة الحاكمة – في الأرض فضلا عن السلطة والثروة والحرية وكافة حقوق المواطنة؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي ما تزال تُحكم بأنظمة أسرية حكما شموليا مطلقا، في بلدان هي أشبه بالإقطاعيات والعبيد منها بالدول والشعوب؟

وهي الشعوب الوحيدة التي تُمنح وتُحرم من حقوق المواطنة بجرة قلم دون أي ضمانات دستورية وقانونية – ولا حتى حق اللجوء للقضاء –تحمي هذه الشعوب من طغيان الأنظمة الحاكمة؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي ترتبط بالأنظمة الحاكمة، لا بالأرض والدول التي تعيش عليه؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم كله التي تشكل الأسر الحاكمة ثلث أو نصف الوزراء في حكوماتها، وتستأثر بكل وزارات السيادة دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي تستأثر الأنظمة الحاكمة لها بما يقارب ثلث دخل النفط كحق طبيعي، دون أن يجرؤ أحد على محاسبتها، حتى بلغت ثرواتها الخاصة أكثر من (2تروليون) ألفي مليار دولار في الداخل والخارج؟

وهي الدول الوحيدة في العالم التي يحصل فيها أبناء العشائر الحاكمة – ويبلغون الآلاف – على مخصصات مالية منذ الولادة إلى الوفاة كحق مشروع من الثروة دون أي عمل أو جهد؟

هذا مع العلم بأن عامة الخليجيين مدينون للبنوك بالقروض الربوية المملوك أكثرها للأسر الحاكمة نفسها، حيث بلغت نسبة المدينين من الشعب الكويتي وحده 97 % كما تؤكده الإحصائيات والدراسات!

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي لم تعرف في تاريخها مشكلة الاستعمار ولا مفهوم التحرير والاستقلال؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي احتلها الاستعمار البريطاني مدة قرن كامل وحكمها بخمسة موظفين، وخرج منها دون أن يواجه حرب تحرير شعبية أو ثورة استقلالية، ولا تختزن ذاكرتها الجماعية أي بطولات أو أبطال للتحرير والاستقلال؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي تخضع اليوم للاستعمار العسكري الأمريكي المباشر، والذي يتخذ منها قاعدة لاحتلال الدول الأخرى والسيطرة عليها، دون أن تشعر هذه الشعوب بمشكلة أو تعيش إشكالية؟

كل هذه الأسئلة المطروحة لا يمكن معرفة أجوبتها، ولا اكتشاف أسبابها وعللها، إلا بقراءة واعية لتاريخ المنطقة وتاريخ شعوبها، لمعرفة كيف قامت دولها، وما دور الحملة الصليبية الغربية الثامنة منذ الحرب العالمية الأولى في تشكيلها، ورسم حدودها، وفرض هذا الواقع عليها، وكيف نجحت حكوماتها بتوجيه من القوى الاستعمارية في خلق ثقافة دينية إسلامية تدافع عنها وتتعايش معها، وتقبل هذا الواقع بكل ما فيه من إشكاليات وتناقضات لتقف حاجزا منيعا أمام كل قوى التغيير الوطني والقومي والإسلامي لصالح الاستعمار الأجنبي والاستبداد الداخلي، ولتظل شعوب المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم تعيش حالة (فقدان الذاكرة)،وتتداولها أيدي الدول الغربية الصليبية الاستعمارية وحملاتها العسكرية البريطانية ثم الأمريكية بمباركة من الثقافة الدينية؟!

هذا وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى :

1- الباب الأول: إطلالة تاريخية ومقدمات ضرورية عن إشكالية الهوية ومفهوم الحرية.

الفصل الأول: تاريخ الخليج والجزيرة منذ ظهور الإسلام إلى العهد العثماني.

الفصل الثاني: قيام الدويلات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثالث: الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية والإدارية للخليج والجزيرة العربية في الدولة العثمانية.

الفصل الخامس: المكونات الاجتماعية الرئيسية ونفوذها ومناطق وجودها.

2- الباب الثاني: تاريخ دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية:

الفصل الأول: ظهور دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثاني: الحرب العالمية الأولى مقدماتها وتداعياتها.

الفصل الثالث: مشروع الثورة العربية والمملكة العربية المتحدة.

الفصل الرابع: مؤتمر القاهرة سنة 1920م وتأسيس دويلات الطوائف.

الفصل الخامس: تجليات أزمة الهوية.

وقد التزمت في هذا الدراسة أن لا أورد فيها من الأحداث إلا ما ثبت وقوعه ثبوتا قطعيا بالأدلة التاريخية الموثوقة كتابيا، وأن أتجنب التحليل والاستنتاج، قدر الإمكان، وأن أقتصر على الربط بين الحوادث كما هي، وذلك بالرجوع إلى عشرات المصادر التي ذكرتها، خاصة الوثائق البريطانية والعثمانية ووثائق حكومة الهند البريطانية، وحيث تواتر ذكر الحادثة في أكثر من وثيقة مختلفة المصدر والجهة، فلا أطمئن لذكر حادثة ما لم تؤكدها جهات عدة مختلفة، كالوثائق العثمانية والبريطانية إذا ذكرتا أو أشارتا إلى حادثة معينة.

ولا يتصور واهمٌ أن حجية الوثائق البريطانية مطعون فيها، إذ تلك الوثائق إنما كان يكتبها المسئولون البريطانيون لحكومتهم، ويرصدون فيها أحداث المنطقة التي احتلوها وأصبحوا يديرونها مدة قرن تقريبا، وكانوا يرونها جزءا من مستعمراتهم التابعة لهم، فهم أدرى بمجريات حوادثها، ولا يوجد ما يحملهم على تزييف الحقائق، إذ سبب نجاحهم في السيطرة عليها هو عنايتهم بتدوين كل حدث يجري بموضوعية وعلمية ليساعدهم ذلك على اتخاذ القرار الصحيح لبسط نفوذهم على المنطقة، فهم حين كتبوا تاريخ المنطقة لم يكتبوه كمؤرخين، وإنما كتبوه لرؤسائهم كمسئولين يديرون شؤون مناطق خاضعة لهم، وأكثرها ظلت وثائق سرية لديهم حتى مضى زمنها الذي يخشى من الإعلان عنها فيه!

وإنما المقصود عندي هو عرض تاريخ المنطقة كما هو، لا كما زيفته الثقافة الرسمية التي اصطنعها الاستعمار الغربي للمنطقة، في حملته الصليبية الثامنة على العالم الإسلامي منذ الحرب العالمية الأولى، وقد ترتب على هذا التزييف تداعيات سياسية خطيرة ما زالت شعوب المنطقة تدفع ثمنها إلى اليوم، ولعل من أشدها خطرا أزمة الهوية التي يعيشها (الهنود السمر) اليوم في جزيرة العرب، ليصبحوا اليوم غرباء على أرضهم وأرض أجدادهم وموطنهم منذ عدنان وقحطان، لا لشيء إلا لأنهم فقدوا الذاكرة الجماعية، بعد عقود من الطغيان والتضليل الثقافي والإعلامي الذي مارسه كبار دهاقنة السياسة والثقافة المأجورين باسم الوطنية تارة، والديمقراطية تارة أخرى، والدين تارة ثالثة!

هذا وأسأل الله أن يعجل بفرجه لهذه الأمة المنكوبة، والشعوب المنهوبة، وحقوقها المسلوبة، كما أسأله سبحانه التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وهو سبحانه ولي التوفيق.

ملحوظة : هذه المقالات مختصرة من كتابي (عبيد بلا أغلال) بما يناسب عامة القراء، أما تفصيل الأحداث فإلى حين صدور الكتاب مطبوعا كاملا، وإلى صدور أيضا كتابي الموسوعي الوثائقي (دويلات الحملة الصليبية في الخليج والجزيرة العربية)!

عبيد بلا أغلال

(2)

(تزييف الوعي الخليجي)

ولعل أبرز مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون تتمثل في :

- طمس الهوية :

وهو مظهر خطير من مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون، فالتاريخ والثقافة والعلم والمعرفة كلها عوامل رئيسة في صياغة هوية المجتمع، وهذه العوامل تتعرض منذ عقود للتزييف والاختزال والنحت والعبث من خلال مؤسسات الدولة القطرية التعليمية والإعلامية والثقافية، حيث تقوم تلك المؤسسات بممارسة دور خطير في تضليل النشء وتزييف الوعي الجمعي، لخلق هوية وطنية جديدة يكون الولاء فيها للأنظمة الحاكمة، لا للدولة بمفهومها الشامل الذي يعني الأرض والشعب والسلطة، ولتكريس الطبقية والفئوية باسم الوطنية المزعومة، لإضفاء الشرعية على كل ممارساتها غير المشروعة!

فتاريخ دول الخليج العربي اليوم لا يمت لتاريخ شعب الخليج وجزيـرة العـرب بصلة، فهو يحكي فقط تاريخ الأسر الحاكمة – ودون مصداقية أيضا – أكثر ممـا يحكي تاريخ شعوبها، حتى أصبحت شعوب الخليج تعيش حالـة أشـبه بفقـدان الذاكرة، فتاريخها يبدأ من تاريخ الأسر الحاكمة وتدور أحداثه كلها حولها، فهي التاريخ والشعب والوطن والدولة، وهي قطب الرحى ولا شيء غيرها!

و كل ذلك من أجل ترسيخ هوية ترضى بالخضوع المطلق لسلطة هـذه الأسـر، والاعتراف بمشروعية استفرادها بالسلطة والثروة، بناء علـى حقهـا التـاريخي المزعوم في الأرض كما تروجه الثقافة الوطنية الجديدة!

وقد عبر عن هذه الأزمة الثقافية السياسي الكـويتي المخضـرم الـدكتور أحمـد الخطيب بقوله (فتاريخ الكويت تعرض للتزوير والتدجيل وألغـي دور الشـعب الكويتي كليا، وأصبحت الكويت كلها وتاريخها تاريخ عائلة الصباح).[1]

وما ذكره الأستاذ الخطيب هو نصف الحقيقة أيضا وليس كل الحقيقة التي غـاب نصفها في كتاب الخطيب نفسه، إذ تحدث في كتابه عن تاريخ الكويـت المدينـة فقط، لا تاريخ الكويت الدولة التي اتسعت لتشمل مناطق واسعة من الصـحراء وقبائلها التي كان لها أكبر الأثر السياسي في أحداث المنطقة وفي تشـكل كيـان دويلاتها المعاصرة، كما سيأتي معنا في الوثائق التاريخية، ومن يقرأ مـثلا تـاريخ

[1] الكويت من الإمارة إلى الدولة للخطيب ص 16.

الكويت الذي يدرس في المدارس والمعاهد بل وفي الجامعة يجد أنه يقتصر فقط على تاريخ مدينة الكويت التي يحيطها السور، التي لم تكن مساحتها تتجاوز ميل في ميل إلى ما قبل الاستقلال بمدة قصيرة، بينما يتم – عن قصد – طمس تاريخ سكانها الذين كانوا فيها منذ مئات السنين وما زالوا يعيشون على أرضها حسب حدودها الدولية التي تبلغ نحو 18000ك م، أي ثمانية عشر ألف ضعف مساحة المدينة!

فالقبائل التي تجوب صحراءها، وتاريخها، ومنازلها، وآبارها، وحروبها، كل ذلك ليس من تاريخ الكويت الرسمي، فعندما نتحدث عن شخصية تاريخية مشهورة كراكان بن حثلين مثلا وعن تاريخه – وهو الذي خاض أشهر معاركه على أرض الكويت وفي صحرائها كملح والمطلاع والوفرة والصبيحية– نجد أن كل ذلك ليس جزءا من تاريخ الكويت الدولة!

بينما يحدثنا التاريخ عن أحداث سياسية كبرى جرت في صحراء الكويت ومنها :

(وقد نزل العجمان بقيادة راكان بن حثلين على الوفرة، ثم على الصبيحيةقرب الكويت سنة 1261هـ ــ 1845م، ودارت بينهم وبين عبد الله بن فيصل بن تركي بن سعود، ومعه مطير، عدة حروب).[2]

وقد أغار عبد الله بن فيصل سنة 1276هـ ــ 1859م، على العجمان وكانوا قد(نزلوا الصبيحية، الماء المعروف بقرب الكويت، فوجد عبد الله بن فيصل

[2] عقد الدر 27 .

العجمان متفرقين على الصبيحية، والجهراء، والوفرة، فأغار على من كان نازلا على الوفرة ليلا فاكتسحهم، ثم أغار على من كان نازلا على الصبيحية وأخذ أموالهم، وكان راكانبن فلاح رئيس العجمان نازلا على ملح، ولم يعلم بما كان على قومه إلا بعد الغارة عليهم، والتحم الفريقان وانهزم راكان ببقية العجمان)[3].

وكان شيخ الكويت آنذاك صباح الثاني بن جابر الأول، فلجأ العجمان إلى مدينة الكويت[4]، ولما رجع عبد الله بن فيصل خرج رؤساء العجمان من مدينة الكويت وتوجهوا إلى كاظمة – قرب الجهراء – حيث كانت تنزل قبيلة الظفير وقبيلة المنتفق ونزلوا معهم، وتحالفوا على التعاون ضد كل من يقصدهم بسوء، وأخذوا يغيرون على نجد والبصرة وحدثت بينهم وبين والي البصرة حرب شديدة كانت الهزيمة فيها على العجمان والمنتفق.[5]

وقد نزل العجمان والمنتفق بعدها على الجهراء بعد أن تحالفوا، وتوجه إليهم عبد الله بن فيصل بجيوشه والتقوا في المطلاع وحصل بين الفريقين قتال شديد وغرق منهم في البحر خلق كثير، وأقام عبد الله بن فيصل في الجهراء مدة ثم ارتحل[6]، وقد

---

[3]تحفة المشتاق 338 ، وتحفة المستفيد 158 .

[4]تاريخ الكويت للرشيد 127 .

[5]تاريخ الكويت السياسي 124/1 .

[6]تحفة المشتاق 339 ، وتاريخ الكويت لخزعل 124/1 .

قيل بأنه أطلق على المطلاع – اسم مكان مشهور قرب الجهراء – هـــذا الاســـم لطلوع ابن حثلين منه حين حوصر، وقال أبياته المشهورة:

يالله يا وين المطير جمعين والثالث بحر

وفي السنة التي بعدها نزل العجمان على ماء كبد، وعلى الجهراء، ومعهم المـــرة، ونزلت مطير، وبني هاجر، وبني خالد، وقحطان، وسبيع، على ماء الوفرة، وقدم عبد الله بن فيصل، وأغار على العجمان، وذلك في سنة **1277**هـــــ **1860**م، وأقام عبد الله على الجهراء يقسم الغنائم[7].

وفي هذه المعركة يقول العلامة أحمد بن مشرف الإحسائي يمـــدح عبـــد الله بـــن فيصل:

فوافق في (الجهرا) جموعا توافرت

من البدو أمثال البحار الزواخر

(سبيعا) وجيشا من (مطير) عرمرم

ومن آل قحطان جموع الهواجر

ولا تنس جمع (الخالدي) ففيهـــم

قبائل شتى من عقيل وعامـــر

---

[7]تاريخ الفاخري **222** ، وعقد الدرر **33-35** .

فصبح قوما(بالصبيحية)اعتدوا

بسمر القنا والمرهفات البواتر

بكاظمة حيث التقى جيش خالد

بهرمز نقلا جاءنا بالـــتواتر

فلما أتى الجهراء ضاقت بجيشه

وجالت به الفرسان بين العساكر

وقد كان مع العجمان بعض من قبيلة المرة في إحدى معاركهم مع عبـــد الله بـــن فيصل على ماء الصبيحية، وفيها يقول العلامة أحمد بن مشرف الإحسائي :

فصبح قوما في الصبيحية اعتدوا

وقادهم والبغي من شأنه غدر

قبائل عجمان ومنهم شـــوامـــر

ومن لحسين ينتمون وما بروا

وطائفة (مريـــة) غير عـــذبة

خلائقها بل كل أفـــعالها مر

كما لجأ عبد الله بن فيصل بعد خروج أخيه سعود عليــه في الريــاض إلى قبيلــة قحطان(الهواجر)، وكانوا علــى آبــار الصــبيحية بقــرب الكويــت، وذلــك سنة1290هـــ1873م[8]!

فهذه بعض الحوادث التاريخية – وسيأتي تفصيلها لاحقا – التي وقعت في صحراء الكويت وسكانها الموجودين فيها قبل وجود مدينة الكويت نفسها!

بل وتم تصوير الحروب التي حدثت بين المدينة والقبائل المجاورة لها الموجودة على أرض الكويت ضمن حدودها الدولية – فيما بعد – على أنها حروب بين الكويت الدولة وأعدائها الخارجيين، لا على أنها حروب أهلية داخلية بين سكان المدينــة وسكان الصحراء الذين يعيشون جميعا ضمن حدود الكويت الدولة، عندما كانت المنطقة كلها تتبع دولة واحدة وشعبا واحدا ووطنا واحدا هي الخلافة العثمانية!

ووصل الأمر بالتضليل الإعلامي وتزييف الوعي وتحريف التاريخ بأن يقوم بعض كبار أساتذة علم الاجتماع بإضفاء الشرعية الأكاديميــة علــى هــذا التضــليل والتزييف، بادعاء أن القبائل التي تمثل اليوم أكثر من نصف المجتمع هي عنصــر دخيل على سكان الكويت، وأنها تشكل خطرا على قيمه وثقافته المدنية الحضرية بقيمها الصحراوية القبلية، دون تفريق بين الكويت المدينة بسورها، والكويــت الدولة بحدودها، التي أصبحت تضم ضمن حدودها أراضــي القبائــل العربيــة

[8]عقد الدرر 75 .

الموجودة في صحرائها قبل قيام المدينة نفسها، وقبل هجرة آل صباح، كما سيأتي بالوثائق، وقد أدى هذا الاختزال والتزييف والطمس المقصود إلى نتائج خطيرة تمثلت في مصادرة حقوق هذه الفئات وانتقاص حريتها وعدها عنصرا دخيلا طارئا لا يحق له ما يحق لغيره من المشاركة في السلطة والثروة والوظائف العامة بدعوى أنهم مواطنون من درجة ثانية وثالثة، مع أنهم هم السكان الأصليون للأرض، لتنشأ أزمة شبيهة بأزمة الهنود الحمر، الذي جاءهم الأوربيون المهاجرون، ليصبحوا السكان الأصليين، والهنود غرباء على أرضهم وأرض أجدادهم!

هذا في الوقت الذي تؤكد كل الوثائق – وسيأتي كشفها بالتفصيل – أن من أقدم القبائل التي استقرت في كاظمة قبيلة مطير فقد جاء إلى كاظمة – كما يؤكد ذلك والي بغداد مدحت باشا في مذكراته – (قبل خمسمائة سنة جماعة من قبيلة مطير) وقد كان مدحت والي بغداد سنة **1870**م[9].

ويتألف سكان مدينة الكويت الأصليون من القبائل العربية، كبني خالد، والدواسر، والعجمان، وعنزة، وبعض البحارنة، أما المنطقة الداخلية – أي الصحراوية – للكويت فكان يسكنها البدو كالرشايدة، والعوازم[10].

---

[9]مذكرات والي بغداد مدحت باشا ص **238**، وتاريخ الكويت للرشيد ص**31** .

[10]بريطانيا والخليج العربي لجون كيلي **1/57** .

إنه لا يذكر اليوم في تاريخ الكويت للطلبة في المدارس والجامعات إلا غزو قبيلة مطير للجهراء – وكأن القبيلة تحارب دولة وشعبا ووطنا لا مدينة ومشيخة معها على الأرض نفسها، وكلهم يتبع الخلافة والدولة العثمانية – بينما لا يذكر التاريخ المعاصر أن القبيلة نفسها هي التي استنجد بها محمد الصباح سنة **1892**م لحمايته من ابن رشيد، حيث ارتحلت بعض عشائرها بقيادة ماجد بن الحميدي الدويش، ونزلت قرب مدينة الكويت، وحالت – كما سيأتي معنا –دون احتلال ابن رشيد لها؟!

وما يحدث من طمس وتزييف لتاريخ الكويت يحدث مثله في تاريخ شعوب دول الخليج الأخرى، حتى باتت الهوية الوطنية هوية ممسوخة لا تحفظ في ذاكرتها سوى تاريخ الأسر الحاكمة، ولمدة تاريخية لا تتجاوز سنة **1900**م، أي منذ بداية المشروع الاستعماري البريطاني للمنطقة، والذي كان وراء إسقاط الخلافة العثمانية وتقسيم أقاليمها، وإقامة دويلات الطوائف الحديثة عليها، وتحديد حدودها في سنة **1922**م، وإقامة حكوماتها، وحمايتها، وترسيخها.

لقد تم اختزال تاريخ شعب الجزيرة والخليج العربي الذي هو من أقدم شعوب العالم، وأكثرها تجانسا، وأعمقها أثرا في التاريخ الإنساني، خاصة منذ ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، الذي ظل جزء لا يتجزأ من تاريخ الدولة والخلافة الإسلامية التي حكمت المنطقة كجزء من العالم الإسلامي، بل أهم أجزائه على الإطلاق حيث الحرمين الشريفين، إلى أن سقطت الدولة العثمانية في الحرب

العالمية الأولى، إن هذا التاريخ الطويل لشعب المنطقة بأحداثه وأبطالــه وقبائلــه ومدنه طول **1300**عام من تاريخ العرب المسلمين، كل ذلك تم اختزاله في تاريخ الدويلات الست التي لم يكن لها وجود كدول قبل الحرب العالمية الأولى!

- تشظي الهوية وتشرذمها :

كما تكمن أهمية الهوية وخطورتها في أنها تمثل أقوى عوامل الوحدة، فهي الــرابط المشترك الموحد الذي يصهر في بوتقته كل من يعيشون في إطارها، ولعل من أبرز مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون - كحال كل الشعوب العربية - هــو عجز الهوية الوطنية عن إثبات مبررات وجودها، فالكويتي حين يسافر من وطنــه ويقف على الحدود ساعات طويلة فيدخل الســعودية أو قطــر أو البحــرين أو الإمارات أو عمان يكتشف أنه مازال في وطنه وبين أهله لم يغادرهم، ولا يجد أي فرق بين هذه الدول، كما لا يشعر أنه أجنبي فيها، بل إن كل أسرة في الكويــت وكل قبيلة فيها تمتد في كل دول الخليج بلا استثناء، إذ هــي منطقــة جغرافيــة واحدة، وشعب واحد، ولغة واحدة، ودين واحد، وتــاريخ واحــد، وعــادات واحدة، ولا يوجد أي مبرر منطقي لتقسيمها إلى ستة شعوب، وست دول، وست حكومات، اللهم إلا إرادة القوى الاستعمارية التي اقتضــت مصــالحها تقســيم المنطقة على هذا النحو العبثي الفوضوي الذي يناقض كــل حقــائق الجغرافيــا، والتاريخ، والديمغرافيا، لا لسبب إلا لتحقيق السيطرة الاستعمارية عليها!

لقد فشلت كل الحكومات الخليجية فشلا ذريعا في أن تعبر عن هوية شعوبها تعبيرا حقيقيا صادقا، كما فشلت الهوية الوطنية القطرية في أن تكون بديلا عن الهوية القومية العربية والإسلامية حين تتقاطع معها، لكون الهوية الوطنية لا تمثل إلا فئة اجتماعية محدودة جدا من مكونات شعوب الخليج العربي وهي الفئة الحاكمة وحاشيتها ولا تعبر عن هوية جميع مكونات المجتمع.

لقد أصبحت الهوية الوطنية أشبه بالمولود الخداج الذي يولد مشوها غير قادر على الحياة مهما حاولت الحكومات الخليجية بكل وسائل الإعلام والتعليم نفخ روح الحياة فيه، لأنها هوية تعيش إشكالية الاستلاب وإشكالية الانتقاص وإمكانية مصادرتها بجرة قلم ليصبح الكويتي ليس كويتيا، والقطر ليس قطريا، والسعودي ليس سعوديا، إنها هوية مسخ تمنح وتسلب، وتنتقص وتستكمل، وتطرأ عليها عوامل النحت والتعرية والتزييف، بخلاف الهوية القومية، فما يميز الهوية العربية أنها تولد مع الإنسان العربي وتعيش معه دون أن يستطيع أي نظام سياسي أن يتحكم فيها أو يمنحها أو يسلبها، بل إن العربي لا يستطيع أن ينفك عن هويته القومية ولا خيار له فيها، فالعربي يظل عربيا في أي مكان وزمان، سواء في الوطن أو في المهجر، وسواء في ظل هذا النظام أو ذاك النظام، وسواء ظلت الخريطة البريطانية التي قسمت العالم العربي، أو تم تغييرها وتوحيدها في المستقبل، بخلاف الهوية القطرية التي قد تزول في أي لحظة، وقد لا نجد في المستقبل بلدا اسمه السعودية أو الكويت أو الإمارات أو البحرين، ولا هوية سعودية ولا كويتية ولا إماراتية، إلا إنه لن تزول جزيرة العرب، أو العرب كأمة، وسيظل العرب الذين

يعيشون في الخليج والجزيرة عربا أقحاحا كما كانوا منذ أقدم عصور التـــاريخ، ومنذ عهد آبائهم عدنان وقحطان وإسماعيل وإبراهيم، وستظل هويتهم العربيـــة والإسلامية هي الهوية التي تجمعهم وتعبر عن كيانهم كشعب وأمة واحدة، بخـــلاف الهويات الوطنية التي جعلت منهم رعايا وتابعين في دويلات الطوائف الـــتي هـــي أشبه بالإقطاعيات منها بالدول، وليصبح العرب الخليجيون فيها أشـــبه بالعبيـــد منهم بالأحرار، مما يجعل الحديث عن تعزيز الحرية والديمقراطية في المنطقة حديث خرافة وترف ثقافي في ظل أزمة الهوية وإشكالية المواطنة الـــتي تعيشـــها شـــعوب الخليج العربي في ظل دويلات الطوائف الحالية .

(عبيد بلا أغلال)

(3)

(الخليجيون بين احتلالين)

يتردد سؤال خطير في جنبات الساحة الثقافية والسياسية الخليجية ما سبب هـذه السلبية التي تعيشها شعوب المنطقة؟ وما هذه الروح الممسوخة التي تعيق شعوبها عن الحراك كما يجري في كل بلدان العالم العربي؟

وهو سؤال مشروع يحتاج إلى فهم عميق لتاريخ المنطقة والتشـوهات الفكريـة والدينية والثقافية التي تعرض لها الإنسان العربي الخليجي!

لقد كان للاستعمار البريطاني منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى اليد الطـولى في رسم خريطة المنطقة على هذا النحو الحالي، وتقسيم الخليج العربي إلى دويـلات تخدم مصالحه الاستعمارية، وبعد الحرب العالمية الثانية، وبعـد ضـعف النفـوذ البريطاني وازدياد النفوذ الأمريكي حلت أمريكا محل بريطانيا في المنطقة، بعد أن سلمت بريطانيا العهدة للولايات المتحدة التي أصبحت تعـد الخلـيج والجزيـرة العربية منطقة استراتيجية حيوية بالنسبة لها، وقد تزامن دخولها مع ازدياد موجة التحرر والاستقلال في العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية، غير أنها اسـتطاعت بالعمل الدبلوماسي، والضغط السياسي، والنفوذ الاقتصادي، السـيطرة علـى المنطقة من جديد بشكل غير مباشر، وقد كانت اتفاقية (كامب ديفد) مع مصـر أول خطوة على طريق عودة الاستعمار المباشر للمنطقة، ثم كانت حرب الخلـيج الأولى، ثم الثانية، سببا رئيسا في لجوء دول المنطقة إلى عقد معاهدات الحماية مع أمريكا التي ظلت تتحين الفرصة للسيطرة على العراق، فلم تجد إلا اللجـوء إلى الحرب والاحتلال العسكري المباشر، تماما كما فعلت بريطانيا التي بدأت سيطرتها على المنطقة بمصر سنة **1882**، ثم بالخليج العربي عن طريق معاهدات الحمايـة، وانتهت بالسيطرة على العراق بالقوة العسكرية بعد ثلاثين سنة، من **1882** إلى **1916**م، وهي تقريبا نفس المدة التي احتاجتها أمريكا لإكمال سـيطرتها علـى

المنطقة منذ كامب ديفد مع مصر سنة **1978**م، إلى احتلال العراق سنة **2003**؟!

لقد باتت الجزيرة العربية اليوم تحت سيطرة الاستعمار الأمريكي الجديد بشكل جلي مباشر سياسيا وعسكريا من خلال القواعد العسكرية التي تحيط بالجزيرة والخليج العربي وتوجد في جميعدوله، وهو ما يعني فقدان السيادة والاستقلال لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين الحامي والمحمي، وهو ما دعا الرئيس الأمريكي السابق نيكسون إلى تأكيد أهمية السيطرة على المنطقة عسكريا بقوله(سيتحتم على أمريكا أن تتولى مسئولية ضمان أمن الخليج بقوتها العسكرية، وأن نواصل تكديس المواد مسبقا، ويفرض الواجب علينا تعزيز تسهيلات الإنزال البحري والجوي للقوات الأمريكية في منطقة الخليج العربي)[11].

وتعود الأسباب التي أدت إلى قابلية شعوب الخليج والجزيرة للاستعمار الأجنبي الأول البريطاني والثاني الأمريكي إلى:

1- حكم الفرد الذي رسخته بريطانيا في المنطقة، وغياب الحرية، والاستبداد السياسي الذي صادر حق الأمة في المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية، وتهميش حق الشعوب في الرقابة على السلطة وممارساتها السياسية واتفاقياتها الدولية، وتخلي الأمة عن القيام بما أوجب الله عليها في مجال اختيار السلطة، ومشاركتها المسؤولية والرأي، ومراقبتها، ومحاسبتها في كل ما تأتي وتذر وهو أول وهن دخل على الأمة سهل للاستعمار التنفذ تدريجيا في شؤون المنطقة.

2- قابلية شعوب المنطقة للخضوع للاستبداد الداخلي جعلها أكثر قابلية للخضوع للاستعمار الخارجي وأكثر تأقلما معه، ولهذا لم تعرف المنطقة حركة تحرر وطني من الاستعمار البريطاني الذي سيطر على المنطقة كلها مدة قرن كامل، ولم تجد الشعوب والحكومات خلالها مشكلة في وجوده والتعامل معه وخدمته، كما تؤكد ذلك وثائق الخارجية البريطانية، على خلاف الوضع في أكثر دول العالم

[11]ما وراء السلام ص **155** .

آنذاك التي رفضت شعوبها الاستعمار وتصدت له حتى تحررت وحصلت على استقلالها!

لقد تأقلمت شعوب المنطقة سريعا مع الاستعمار البريطاني آنذاك نفسيا وثقافيا، واستطاع المندوب البريطاني أن يدير وحده شئون الخليج والجزيرة والعراق دون كبير عناء؟!

ولعل أخطر ما في الأمر نجاح الاستعمار في توظيف بعض علماء الدين المسلمين في خدمته وخدمة مخططاته الاستعمارية، وإضفاء الشرعية عليها، والتعامل معه كمعاهد لا كمستعمر؟

لقد كانت الروح القومية في ستينات القرن الماضي هي التي كان لها أكبر الأثر في استثارة الشعوب في الجزيرة العربية ضد الوجود الاستعماري في المنطقة في الوقت الذي استطاع الاستعمار والحكومات الحليفة له تدجين الدين وعلمائه وتحطيم الروح الإسلامية التي ترفض رفضا قاطعا الخضوع للأجنبي وترى الدخول تحت حكمه وسيطرته كفرا يخرج من الإسلام ويصطدم بأصوله القطعية؟

لقد تحدث دكسونالمسئول البريطاني في الخليج عن أثر المد القومي على شعوب المنطقة فقال:(والمؤسف في ذلك كله أنه في الوقت الذي يتزايد فيه شعور الشبان المتطرفين القوميين ضد الأجانب وضد البريطانيين بصورة خاصة، فإن عرب الصحراء القدامى وكبار تجار المدينة النافذين الذين مازالوا يحبون ويحترمون الإنجليز بدءوا يتحولون ببطء ضد الغربيين لأسباب تختلف تماما، فهؤلاء وهم مؤمنون متدينون يرون في التأثير الغربي بماديته خطرا يهدد عاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم وديانتهم.... وهكذا نجد أن العربي المرح! الذي ينتمي للمدرسة القديمة أصبح ضد الأجنبي على الرغم من أن الأسباب الموجبة لهذا الشعور ليست مماثلة للأسباب الدافعة لأبناء الجيل الجديد؟!)[12].

ويظهر جليا من كلام دكسون قابلية المجتمعات الخليجية المحافظة للاستعمار والخضوع للأجنبي التي تكنّ له مشاعر الحب والاحترام! وأن تحول هذه المشاعر لم يكن بسبب رفضها للاستعمار أو تطلعها للحرية والاستقلال، بل السبب خوفها

[12] الكويت وجاراتها (273/2).

من قيم الغرب المادية على عاداتها ودينها لكونها مجتمعات مؤمنة متدينة؟! وأنـــه لولا المد القومي في العالم العربي آنذاك الذي ألقى بظلاله على المنطقة كلها ودفع الشباب في المجتمعات الخليجية للتطلع للحرية والاستقلال لمـــا تغـــيرت أوضـــاع المنطقة عما هي عليه قبل ذلك، إذ كان عرب الصحراء وكبار التجار المؤمنـــون المتدينون يكنون للمستعمر مشاعر الحب والاحترام، ولم تحل ثقافتهم الإســـلامية، ولا تدينهم دون الخضوع للأجنبي واحترامه ومحبته مدة قرن كامل بعـــد تـــدجين الحكومات دين المجتمع وثقافته على يد بعض رجال الـــدين أنفســـهم، لتصـــبح المجتمعات أكثر قابلية واستعدادا للخضوع للاستبداد من جهة والاســـتعمار مـــن جهة أخرى وإضفاء الشرعية على ذلك الواقع باسم الدين؟!

وما زالت هذه العقدة هي المتحكم في الوعي الجمعي وبالخطاب ديني، فالخليجيون بعلمائهم ودعاتهم وشيوخ دينهم لا يهمهم كثيرا أن تبقى القواعـــد الأجنبيـــة في المنطقة، ولا يهمهم أصلا أن تكون حكوماتهم تحت النفوذ الأجـــنبي، ولا يهمهـــم كثيرا أن تنهب ثروات المنطقة، بقدر ما يهمهم المحافظة على تقاليدهم وعاداتهم!

فهم يخشون أن تؤثر الحضارة الغربية فيهم وفي سلوك شبابهم ونسائهم أشد مـــن خشيتهم على استقلال دولهم، لأنهم أصلا لا يشعرون فيها بالمواطنة، ومـــن ثم لا يهمهم استقلت أم اضمحلت!

وهذا ما يفسر لنا سبب تقبل المجتمعات الخليجية عـــودة الاســـتعمار الأمريكـــي وقواعده العسكرية وسيطرته السياسية من جديد على شؤون المنطقة كلها بعـــد ضعف التيار القومي وانحساره بعد الغزو العراقي للكويت سنة **1990**م ونجـــاح الاستعمار مرة ثانية في توظيف الدين الإسلامي في خدمته بصدور الفتاوى الـــتي تضفي الشرعية على وجوده وتحرم رفضه أو مقاومته ولو بالكلمة الحرة والوسائل السلمية، حتى خرج دعاة الفتنة باسم السنة وبإيعـــاز مـــن الســـلطة ليقولـــوا للخليجين (أمريكا لا تمثل خطرا على ديننا إنما جاءت للنفط فقط وهو لا يهمنـــا مادام دين محفوظ)؟!

3-عدم إدراك هذه الشعوب أوضاع دول المنطقة إدراكا حقيقيا وأنها ما زالـــت منذ وجدت صناعة استعمارية من الألف إلى اليـــاء، بـــل عـــدم معرفـــة ماهيـــة

الاستعمار وطبيعته، وعدم استشعار وجوده، وعدم معرفة أساليبه، وقد تحدث العلامة السيد محمود شاكر الحسيني عن وسائل الاستعمار البريطاني لمصر فقال(دخلت بريطانيا بلادنا غازية سنة **1882**م، وادعت أنها جاءت لكي توطد لنا أركان عرشنا، وتطفئ نار الفتنة العرابية – نسبة إلى قائدها أحمد عرابي – كما يسمونها، وزعمت أن بقاءها لن يطول، فلم تمض خمسة أيام حتى ألغت الجيش المصري، ومزقت البحرية المصرية، وأغلقت مصانع السلاح، وسرحت الجنود، وجردت الضباط الصغار من رتبه، وقدمت كبار الضباط للمحاكمة، ووضعت الشرطة كلها تحت سيطرتها المباشرة، وتتبعت الأحرار الذين اشتركوا في الثورة، فقبضت عليهم أو شردتهم..)[13].

إن وجود الحكومات الصورية في نظر الخليجيين كاف في نفي وجود الاستعمار في الثقافة الزائفة! دون إدراك أن الاستعمار أحرص منهم على بقاء مثل هذه الحكومات لتنفيذ مخططاته من خلالها، وأن الأمر كما يقول محمود شاكر(يجب أن نفرق بين الشعب والحكومة، فالحكومة في البلاد المنكوبة بالاحتلال جزء من نظام الاستعمار، ولو زعمت أنها مستقلة في تصريف سياستها، ومن خداع النفس أن يتصور إنسان أن الحكومة تمثل إرادة الشعب، وبخاصة إذا ثبت ثبوتا قاطعا أن جميع حكومات الاستعمار، لم تستنكف أن تعاونه مرات، وأن تخضع لما أراد أن يخضعها له، وأن تبقى في مناصب الحكم وهي تعمل بأمره وتخطب في هواه، فالحكومة والشعب شيئان مختلفان في عهد الاستعمار، وكل معاهدة بين الحكومة والاستعمار باطلة من أساسها، لأنها معاهدة بين المستعمر وصنيعته، لا تتعدى أن تكون معاهدة عقدها المستعمر بينه وبين نفسه)[14].

4- قدرة الاستعمار على توظيف الدين في خدمته بشكل مباشر أو من خلال توجيه الحكومات للمنابر العلمية، والتعليمية، بل وحتى المساجد، نحو ما يريده

---

[13]جمهرت مقالات محمود شاكر الجزء الثاني ص **916** ، وقد قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بعد احتلال العراق سنة **2003**م والسيطرة على الخليج العربي بالكامل، باتباع نفس السياسة القديمة، فتم حل الجيش العراقي، وتم إلغاء التجنيد الإجباري في الكويت، وتم تقليص عدد أفراد السلك العسكري في كل دول الخليج، وتم إلغاء قوات درع الجزيرة العربية!

[14]المصدر السابق ص **961**.

الاستعمار، وكما استطاع الاستعمار الفرنسي في الجزائر توظيف علماء الدين المسلمين والطرق الصوفية في خدمته، وتحويل المنابر العلمية إلى منافذ للاستعمار الثقافي تحرم مقاومته وتجيز الخضوع له باسم الدين، تارة بدعوى طاعة أولي الأمر[15]، وتارة بدعوى المصلحة، وتارة بدعوى عدم القدرة على مواجهته، ومن ثم سقوط الواجب، بل وحرمة المقاومة بدعوى وقوع المفاسد...الخ

ومثلما نجح البريطانيون في توظيف بعض المرجعيات الشيعية والسنية في العراق بعد احتلاله في الحرب العالمية الأولى، كما قالت (المس بيل) التي كانت المسئول الأول البريطاني لإدارة شئون العراق بعد احتلاله في الحرب العالمية الأولى(كما إن الذين اشتركوا منا بالدراما (المسرحية) سوف لن ينسوا العضد والمؤازرة اللذين قدمهما لنا كل من النقيب – السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب بغداد السني – والسيد محمد كاظم اليزدي –المرجع الشيعي الأعلى – على أن فائدة الدرويش – أي النقيب الصوفي – مثل فائدة المجتهد – أي المرجع الشيعي – في هذا الشأن لها حدودها، حيث لم يكن بوسع كل منهما أن يكون في المقدمة، أو أن يجازف بتحمل النقد)[16].

كذلك استطاع الاستعمار الأمريكي الجديد في الخليج العربي من خلال الحكومات توظيف الدين، والحركات الإسلامية، والقوى السياسية، والمدارس السلفية، والحوزات الشيعية، في خدمته، وإضفاء الشرعية على وجوده، وتحريم مقاومته، تارة بدعوى أن له حكم المعاهد! وتارة بدعوى طاعة ولي الأمر؟! وتارة بدعوى عدم القدرة على مقاومته!

لقد استطاع الاستعمار أن يوظف الدين في كل خطوة يخطوها في المنطقة ابتداء من الإفتاء بمشروعية الصلح مع إسرائيل، ثم الإفتاء بتحريم العمليات الاستشهادية في فلسطين، ثم الإفتاء بمشروعية المنع من الدعاء على الأعداء في المساجد، دون إدراك خطورة تدخل الاستعمار إلى هذا الحد في مساجد المسلمين

---

[15] انظر تفاصيل هذا الموضوع في كتاب (دور العلماء في ثورة الجزائر) للنعيمي.

[16] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص **471**. وراجع مذكرات بريمر الحاكم العسكري للعراق سنة **2003**م وغيره من المذكرات التي تتحدث عن خدمات مراجع الدين في العراق لمشروع الاحتلال!

وعباداتهم، وخطورة توجيه ثقافة المجتمع من خلال المساجد نحو ما يخدم وجـوده، ويزيل الحاجز النفسي الرافض له، ثم تبرير تطوير المناهج التعليمية لحذف كل ما يعزز روح المقاومة للوجود الأجنبي، ثم صدور الفتاوى في تجريم كل من يتعـرض لهذا الوجود واتهامه بالإرهاب - بينما لا يصدر في المقابل ما يدعو إلى إخراجـه ولو بالطرق السلمية، ولا ما يندد بجرائمه ضد المسلمين في كـل مكـان - ثم في صدور الفتاوى التي تبرر مشروعية ضرب أفغانستان، ثم الإفتاء بمشروعية إعانته على احتلال العراق[17]!

وهكذا استطاع الاستعمار توظيف الإسلام ذاته في إضفاء الشرعية على وجوده وممارساتهوتجريم مقاومته ولو بالطرقالسلمية!

5- ضعف الحس القومي والوطني لدى شعوب المنطقة وهـو مـا أدى إلى قبـول الوجود الأجنبي لغياب الروح القومية التي ترفض بطبيعتها أي وجود أجنبي على أرضها، وكذا ضعف الحس الوطني الذي يربط الأفراد بأرض الـوطن حيـث لا يشعر الخليجيون بارتباطهم بأوطانهم بسبب الثقافة القبلية الصحراوية من جهة، حيث الشعور بالانتماء إلى القبيلة مع امتدادها في عدة دول أقوى من الشـعور بالانتماء للوطن المصطنع الذي قسم القبيلة الواحدة ومـزق كيانهـا، وبسـبب شعورهم باكتساب جنسياتهم بالمنح لا بالاستحقاق، وأن حصولهم عليها ونزعهـا من حق الحكومات التي لم يكن له وجود ولا حدودإلا في ظل الاستعمار البريطاني، بينما وجود الشعوب على هذه الأرض يمتد إلى آلاف السنين وكلها تعود إلى أصل واحد، فأصبحت بعد الاستعمار وقيام الدول الحديثة لا تشعر بالمواطنة لها، إذ لا تمثل هذه الدول قوميات محددة، ولا تعبر عن هوية حقيقية لهذه القبائل التي توجد على أرض الجزيرة والخليج العربي منذ آلاف السنين؟!

---

[17] انظر فتوى عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت محمد الطبطبائي في صـحيفة الـوطن عـدد **9734** بتاريخ **2003/3/16** حول وجوب القتال مع الجيش الأمريكي في حرب احتلال العراق وأن القتـال معهم من الجهاد في سبيل الله، ثم فتواه بعد ذلك بأن ما تقوم به المقاومة العراقية ضد قوات الاحـتلال هو إرهاب!

وانظر فتاوى عبد المحسن العبيكان في القنوات الفضائية والصحف السعودية حول الموضوع ذاته!

ولم تستطع هذه الكيانات المصطنعة إيجاد هوية وطنيةبديلة تعزز الانتماء إليها، ومع ضعف الحس القومي من جهة، والحس الوطني لشعوب المنطقة من جهة أخرى، لم يستطع الحس الديني أن يحول دون قبول الوجود الأجنبي بسبب إمكانية تأويل الدين وتوظيفه، وهو ما لا يمكن مع الشعور القومي والوطني حال وجوده، ولهذا نجح الشيخ عمر المختار في ليبيا، والسيد عبد القادر الجزائري، والشيخ المجاهد عبد الكريم الخطابي والسيد المهدي، في قيادة القبائل في ليبيا والجزائر والمغرب والسودان في حرب تحرير ضد الاستعمار بالروح الدينية، والحمية الإسلامية، وهي الروح التي تم السيطرة عليها اليوم بالخطاب الديني في الجزيرة والخليج العربي، كما سبق للحكومات السيطرة على الروح القومية في الخمسينيات من القرن الماضي لصالح المشروع الاستعماري!

6-انعدام التاريخ النضالي لشعوب المنطقة في العصر الحديث، وعدم وجود القيادات التاريخية المعاصرة التي تلهم الأجيال الجديدة، وتلهب حماسها، وتكون نبراسا لها على طريق الحرية، فعدم قيام حركات تحرر ضد الاستعمار البريطاني جعل ذاكرة المجتمع الخليجي خلوا وصفرا تماما من ثقافة المقاومة، وثقافة الرفض للاستعمار التي يمكن استثمارها لصالح حركة تحرر ضد الاستعمار الجديد، ففي الوقت الذي تحفظ فيه ذاكرة الشعب الجزائري والمصري والمغربي والسوداني والليبي والسوري مئات الأبطال والقيادات التاريخية التي تصدت للاستعمار كعمر المختار، ومصطفى كامل، وأحمد عرابي، وعبد القادر الجزائري، وعبد الكريم الخطابي، ويوسف العظم، وعبد القادر الحسيني...الخبالإضافة إلى عشرات المواقف البطولية، والحروب الجهادية ضد الاستعمار، تخلو في المقابل ذاكرة شعوب الخليج والجزيرة العربية من كل ذلك، بل صار صنائع الاستعمار الصليبي هم الأبطال التاريخيين للمجتمعات الخليجية على نمط بطولة كرزاي في أفغانستان والجعفري والجلبي والمالكي في العراق؟!

7-غياب الوعي السياسي وعدم معرفة المنطقة بالأحزاب السياسية والعمل الجماعي المنظم، ورفض ثقافة المجتمع لها باسم الدين أيضا، مع أنه لا يمكن أن تقوم حركة تحرر ضد الاستعمار، ولو بالضغط السياسي السلمي إلا بتنظيمات سياسية تعمل على حشد الجماهير لتنتظم صفوفها خلفها، وتجعل هدفها إخراج

الاستعمار، والعمل على تحقيق استقلالها عن الوجود الأجنبي، ولو عن طريق المقاومة السلمية.

8- تشرذم المنطقة وشعبها الواحد إلى سبع دويلات في الجزيرة العربية التي هي مهد العروبة ومهبط الإسلام الذي جاء بالتوحيد، بعد أن كانت قبل الحرب العالمية إقليما واحدا تابعا للخلافة العثمانية!

وقد استطاع الاستعمار البريطاني، ترسيخ هذا الواقع ليسهل عليه السيطرة على المنطقة كلها وفق سياسة فرق تسد، وازداد الوضع تعقيدا بتقبل الشعوب هذا الواقع وتأقلمها معه، مع عدم شرعيته، ومع خطورته، فلم يعد لشعوب المنطقة التي تمثل شعبا واحدا وأرضا واحدة منذ آلاف السنين أي قدرة على تغيير واقعها إلى الأفضل، مع أن تعدادها مع اليمن يبلغ أكثر من خمسين مليون نسمة، وتحولت الجزيرة كلها إلى أكبر قاعدة عسكرية تنطلق منها أكبر الحملات الصليبية على العالم العربي والإسلامي دون أن يكون لشعوبها أي أثر في مجريات الأحداث؟!

فهذه الأسباب الثمانية ساهمت كلها في خلق أزمة الهوية ومن ثم شيوع الروح الانهزامية والسلبية السياسية والقابلية للاستعمار، والقابلية للاستبداد، وقد أدت كل هذه الأسباب إلى سهولة سقوط المنطقة مرة ثانية تحت سيطرة الاحتلال الأجنبي بشكل مباشرة، بعد أن استطاعت أن تتخلص منه إلى حد كبير منذ سبعينات القرن العشرين، تأثرا منها بالأوضاع الخارجية، كالمد القومي الذي اجتاح العالم العربي كله، وحركة تحرر الشعوب واستقلال الدول بعد الحرب العالمية الثانية، وهو ما يقتضي دراسة تاريخ شعوب المنطقة وأطوارها التي مرت بها حتى آلت بها الحال إلى ما هي عليه اليوم من سلبية سياسية، لفهم أبعاد هذه الإشكالية..

(عبيد بلا أغلال)

(4)

(دويلات الطوائف وبداية المشروع البريطاني)

ظلت الجزيرة العربية إقليما مهما للخلافة والدولة الإسلامية طول عصورها وعلى اختلاف عواصمها(المدينة – دمشق – بغداد – القاهرة –الأستانة)، إذ لا تثبت شرعية الخلافة والدولة الإسلامية إلا بحماية الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، فقد كانت الجزيرة العربية قاعدة الدولة الإسلامية وعاصمتها المدينة في العهد النبوي الشريف 1 ـ 11 هـ، ثم كانت المدينة أيضا عاصمة الخلافة طوال العهد الراشدي 11 ـ 40هـ، ثم انتقلت إلى دمشق في العهد الأموي سنة 40هـ إلى 132هـ، حيث أصبحت بعد ذلك بغداد العاصمة للخلافة العباسية سنة 132هـ طوال العهد العباسي حتى سقوطها على يد التتار سنة 656هـ، ثم أصحبت العاصمة هي القاهرة بعد انتقال الخلافة العباسية إليها تحت سلطان المماليك، إلى أن دخلها سليم الأول العثماني سنة 923هـ، وبايعه الخليفة العباسي، فأصبح أول خليفة مسلم غير عربي وغير قرشي، وانتقلت الخلافة وعاصمة الدولة الإسلامية إلى الأستانة – اسطنبول – وظلت عاصمة للدولة الإسلامية إلى هزيمة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، وإلغاء الخلافة بعد ذلك سنة 1923م، واحتلال بريطانيا وفرنسا أقاليم الخلافة العثمانية بما فيها الجزيرة العربية والشام والعراق.

لقد ظلت الجزيرة العربية طوال تلك العصور الإسلامية جزء مهما من أقاليم الدولة الإسلامية لوجود مكة والمدينة، ولم تقم فيها أي دولة مستقلة عن الخلافة، إلا ما كان يقع في أطرافها أحيانا من استقلال ذاتي لبعض الإمارات، لا يتجاوز حدود المنطقة التي قامت فيها، لفترة قصيرة – كالإمارات التي قامت في اليمن وعمان، والتي لا تلبث مدة حتى تعود كجزء تابع للخلافة الإسلامية أو تسقط تحت الاحتلال الأجنبي – كالبرتغالي ثم الهولندي ثم البريطاني كما سيأتي بيانه– كما قامت في شرق الجزيرة العربية وغربها ووسطها إمارات ظلت تابعة للخلافة في بغداد ثم القاهرة ثم الأستانة.

قيام الدويلاتالمذهبية في الخليج والجزيرة العربية:

وقد شهد الخليج والجزيرة العربية في العصور المتأخرة–تحت نفوذوسيادة الخلافة العثمانية – قيام ثلاث إمارات في ثلاثة أقاليم رئيسية على ثلاثة أسس دينية وسياسية واجتماعية (المذهب– الإمامة – القبيلة) وهذه الدويلات هي:

1ـ الإمارات الإباضية في عمان :

حيث قامت فيها الدولة اليعربية ثم السعيدية على أساس المذهب الإباضي، وارتكزت على قبائل عمان ونصرتها للدعوة، وقامت السلطة فيها على أساس الإمامة لا الملك، حيث كانت البيعة تعقد للأئمة للقيام بنصرة الدين وتنفيذ أحكامه!

(فالإباضيون– كما يقول المؤرخ كاريستينينبهور في زيارته لمسقط سنة **1765**م – لا يقرون نظرية الحاكم الدائم، وفي رأيهم أن الإمام المنتخب لابد أن يتولى الإمامة عن طريق الانتخاب في كل مرة، ولا يحق لأي أسرة أو طبقة أن تحتكر الحكم لنفسها بالوراثة، ومن حق أي فرد، مهما كانت طبقته أو وضعه الاجتماعي أن يتولى مسئولية الحكم، إذا توافرت فيها الاستقامة الدينية والأخلاقية، ومن واجب المسلمين الصادقين أن يقوموا بإقالة أو إعلان بطلان شرعية أي حاكم لا تتوفر فيه خصائص الإمامة الصحيحة، ومن حق المسلمين خلع إمامهم عن السلطة إذا لمسوا فيه انحرافا أو خروجا على تلك المبادئ، أما عملية الانتخاب فتتم عن طريق مجلس مشترك من زعماء القبائل ورجال الدين).[18]

وهذا أوضح دليل على معرفة شعوب المنطقة وممارستها للحكم الشوري الانتخابي، وحق الأمة في انتخاب السلطة، قبل الثورة الفرنسية ومبادئها، وقبل الاستعمار الصليبي البريطاني الذي فرض على المنطقة الحكم الوراثي ورسخه بحمايته له كما سيأتي تفصيله لكون النظام البريطاني كان ملكيا وراثيا!

---

[18] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **14ـ16** .

2ـ الإمارات الزيدية في اليمن:

وقد قامت فيه دويلات عدة على أساس المذهب الزيدي، وارتكزت على قبائل الجبال في صعدة ونصرتها للدعوة، وقامت السلطة فيها على أساس الإمامة لا الملك، وكان أشهرها دولة الأئمة الزيدية التي قامت سنة 912هـ 1507م على يد الإمام السيد شرف الدين يحيى الزيدي من ذرية يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي، إلى أن سقطت بقيام الجمهورية اليمنية في صنعاء سنة 1962م، وقد نجح العثمانيون في بسط نفوذهم عليها، منذ دخول الجزيرة العربية ومكة والمدينة تحت سيادة الخلافة العثمانية.

3ـ الإمارة الوهابية فينجد:

والتي قامت فيه أول إمامة على أساس الدعوة السلفية والمذهب الحنبلي على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وارتكزت على نصرة القبائل النجدية، وقد كانت السلطة فيها تقوم باسم الإمامة لنصرة الدين والدعوة لا على أساس الملك، ولم تخرج عن التبعية للخلافة العثمانية إلا في فترة قصيرة لم تلبث أن سقطت فيها أمام الجيش العثماني، كما سيأتي.

لقد اشتهر أمراءتلك الدويلات المذهبية التي قامت في عمان واليمن ونجد بالأئمة للدلالة على طبيعة تلك الدويلات، وأنها ذات طابع ديني إذ لا يمكن السيطرة على القبائل العربية، ولا استمالتها لنصرة الدولة إلا باسم الدين والمذهب، لا باسم الملك والسلطان، إذ ترفض هذه القبائل بطبيعتها الخضوع للسلطة إلا إذا كانت تقوم على أساس ديني، غير أن تلك الإمارات ما إن يتحقق لها الأمر حتى تتحول من إمامة – تختارها القبائل وتبايعها على أساس نصر الدين وإقامة أحكامه – إلى ملك وسلطان؟!

وهذا ما أدركه البريطانيون بعد ذلك فقد جاء في تقاريرهم عن القبائل العربية(إن قيمة القبائل هي قيمة دفاعية، ومجالها هو حرب العصابات، إنهم

فرديون للغاية، لا يطيقون إصدار الأوامر إليهم، ولا يقاتلون جماعة، ولا يساعد أحدهم الآخر، ويظن أنه يستحيل إنشاء قوة منظمة منهم)[19].

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا عن العرب – أي الأعراب والقبائل في البادية – وبعدهم عن سياسة الملك وأنه لا يحصل لهم ذلك إلا بصبغة دينية فقال:

(العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم، أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة، وبعد الهمة، والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس لقبول الحق)، وذكر عنهم أيضا أنهم (أكثر بداوة من سائر الأمم، وأغنى عن حاجات التلول، لاعتيادهم شظف العيش، فاستغنوا عن غيرهم، فصعب انقيادهم بعضهم لبعض، ورئيسهم يحتاج إليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة).[20]

لقد قامت إمارات أخرى في الجزيرة العربية، كإمارة ابن عرير في الإحساء، وإمارة آل الرشيد في حايل، غير أن كلا منها لم يدم طويلا، لأنها ارتكزت فقط على القبيلة –كما هو حال ابن عرير على بني خالد، وابن رشيد على شمر – وافتقدت الأساس الرئيسي وهو الدين والمذهب والدعوة التي توحد القبائل العربية لنصرتها، فلم يكتب لها من البقاء ما كتب للإمارات التي قامت على الإمامة والدين كما في عمان واليمن ونجد.

هذا مع العلم بأن كل تلك الإمارات ظلت في دائرة الخلافة الإسلامية أو تحت نفوذها بشكل مباشر أو غير مباشر، بحسب قوة دولة الخلافة وضعفها، ومركزيتها أو لا مركزيتها، وبحسب أهمية هذه المناطق للخلافة أو عدم أهميتها، كما سيأتي

[19] سلام ما بعده سلام (ولادة الشرق الأوسط) لدافيد فرومكين ص 250 .

[20] مقدمة ابن خلدون الفصل السابع والعشرون والثامن والعشرون.

بيانه ولهذا لا يصدق عليها أنها دول بل إمارات ودويلات محدودة النفوذ جغرافيا وديمغرافيا وسياسيا!

الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية:

لقد تعرض الخليج والجزيرة إلى حملات صليبية عدة تهدف إلى السيطرة على سواحله، وكان من أبرزها:

1- الحملة البرتغالية ومواجهة قبائل عمان لها:

فقد غزا البرتغاليون الخليج العربي وسيطروا على ساحل عمان منذ سنة **1507**م، فبايعت القبائل العمانية الإمام ناصر بن مرشد اليعربي سنة **1624**م واتخذ الرستاق في المناطق الداخلية للقبائل عاصمة له، ونجح في تخليص أكثر الساحل من أيديهم حتى لم يبق في أيديهم عند وفاته سنة **1649**م، غير بعض القلاع في مسقط، ومطرح، ثم بويع ابن عمه سلطان بن سيف إماما، وأكمل جهاده ضد البرتغاليين حتى حرر مسقط، واستمر في قتالهم وشن الحروب عليهم في منطقتي ديو، والدمام، وأصبحت البحرية العمانية أقوى قوة بحرية في الخليج العربي غير غربية.[21]

وبعد وفاة سيف سنة **1718**م دخلت عمان في دوامة الحرب الأهلية بين الغفارية العدنانية، والهناوية اليمانية، وأصابها الضعف حتى اتفقت على انتخاب أحمد بن سعيد إماما سنة **1747**م، وهو أول من بويع من أسرة آل بوسعيد إماما، ولم تكن السلطة في عمان مطلقة في يد الإمام، بل كان واحدا من رؤساء كثيرين للقبائل غير أنه كان أبرزهم، وقد توفي أحمد سنة **1783**م، ثم بايع زعماء القبائل وعلماء الدين ابنه هلال بن أحمد، ولم يطل عهده، ثم بويع أخوه سعيد بن أحمد، ثم صار الأمر بيد حمد بن سعيد بن أحمد، وصار يطلق عليه السيد، ثم انحل نظام الإمامة بتقاسم أبناء أحمد بن سعيد السلطة فيما بينهم، وكرسوا جهدهم في نشاطهم التجاري والبحري، وانتقلت العاصمة إلى مسقط على الساحل، وأصبح

---

[21] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 17- 18 .

الحكم سلطنة وحكما وراثيا، بعد أن كان إمامة وحكما شرعيا، مما أضعف العلاقة بينهم وبين القبائل، فضعفت عمان جراء ذلك، وأصبح لقب سلطان عمان هـو الشائع بين حكامها، وقد حكم سلطان بن أحمد الذي اتسع نفوذه إلى بر فـارس في أواخر القرن الثامن عشر.[22]

لقد كان الدين والمذهب هو السبب وراء وحدة عمان واتحاد قبائلـها لمواجهـة القوى الخارجية، وقد أدرك بيلي المسئول البريطاني آنذاك هذه الحقيقـة حيـث وصل إلى قناعة بأن (حركات التجمع الدينية قد جمعت عمان في وحدة كالوحدة التي تجمع بين أتباع محمد بن عبد الوهاب، ويمكـن أن يضـر هـذا بالسياسـة البريطانية).[23]

2-الحملة البريطانية ومواجهة الحركة الوهابية والقبائل النجدية والخليجية لها:

وقدتزامنت الحملة الصليبية البريطانية على الخليج العربي مع قيامالدعوة الوهابية في وسط الجزيرة العربية – من **1157**هـ **1744**م إلى **1233**هـ **1817**م – هذه الحركة التي امتدت حتى كادت تسيطر علىأكثر جزيـرة العـرب بشـكل كامل، ولم تستقل عن الخلافة العثمانية، بل كان الشيخ محمد بن عبـد الوهـاب وابن سعود يعترفان بسلطة الخليفة العثماني حيث كانت نجد آنذاك يتنازعها نفوذ أمراء الإحساء تارة، وأمراء الأشراف في الحجاز تارة أخـرى، وكلاهمـا يخضـع للخلافة العثمانية، وقد جاء في تاريخ ابن غنام وهو مؤرخ الدعوة الوهابية وأحد دعاقما :

(وفي هذه السنة **1185** هـ أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمـير عبـد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد هدايا، وكان قد كاتبهما وطلـب منـهما أن يرسلا إليه فقيها وعالما من جماعتهما يبين حقيقة ما يدعون إليـه مـن الـدين.. فأرسلوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين ومعه رسالة منهما هذا نصها : بسم الله

[22]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **18**-**26** .

[23]سياسة الأمن في الخليج العربي **144** .

الرحمن الرحيم : المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعز به دين جـده سـيد الـثقلين، إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة .. وهذا هو الواجب علـى ولاة الأمور، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل إليكم... يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخـدام ثم أنـتم في حفـظ الله وحسـن رعايته).[24]

وهذه الرسالة أوضح دليل على عدم خروج الحركة الوهابية على نفوذ وسـلطة الخلافة العثمانية، إذ كانت إلى هذا الوقت لا تتجاوز حركة إصـلاحية محليـة في منطقة صحراوية محدودة غير ذي أثر، خاضعة لنفوذ شريف مكة التابع للخلافة.

وقد سيطر الوهابيون – بعد السيطرة على نجد – على الإحسـاء عاصـمة ابـن عريعر سنة **1795**م،وبهذا بسطت الدعوة الوهابية سيطرتها على منطقة نفوذ ابن عريعر في الإحساء، الممتدة من عمان جنوبا، إلى أطراف العـراق شمـالا، ومـن ضمنها الكويت التي كانت تابعة لحكم ابن عريعر، وقد دفع أهل الكويت الزكاة بعد ذلك للإمارة الوهابية سنة **1803**م، وكذا دفعتها البحرين بعد أن اشـترط عبدالعزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية على آل خليفة دفع الزكاة للدرعيـة مقابل إرجاعهم إلى البحرين، بعد أن استولى عليها سلطان عمان، السيد سلطان بن أحمد آل بوسعيد سنة **1800**م، حيث نجح الوهابيون في إرجاع آل خليفة سنة **1802**م، كما دفع سلطان بن أحمد أيضا الزكاة للدرعية اعترافا بالتبعيـة لهـا، وكذا دفعها القواسم[25].

[24]تاريخ نجد ابن غنام ص **135** ط **3** سنة **1994** تحقيق ناصر الدين الأسد.

[25]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **164-166**.

وهكذا امتد نفوذ الدعوة الوهابية – تحت سيادة الخلافة العثمانية – شرقا ليشمل الزبير، والكويت، والإحساء، والبحرين، وقطر، وعمان، وساحلعمان، وكانوا يأخذون من الجميع الزكاة السنوية.[26]

وقد استمرت سيطرة الحركة الوهابية على الخليج العربي كله، بعد اغتيال عبدالعزيز بن محمد بن سعود سنة **1804**م ، حيث تولى ابنه سعود الإمامة بعده في الدرعية، فقد اعتنق القواسم من أهل رأس الخيمة، والشارقة، الدعوة الوهابية، وصاروا يدفعون الزكاة للدرعية، وانتشرت الدعوة الوهابية بين القواسم حتى على الضفة الأخرى من الخليج، في لنجة وما حولها سنة **1805**م، وقد حذرت الحكومة البريطانية موظفيها في الخليج من التعرض أو الاصطدام بالقواسم أو الوهابيين.[27]

وبعد ذلك قررت حكومة الهند البريطانية إيقاف المد الوهابي الذي بات يهددها في البحر بأسطول حلفائهم القواسم، مما دفع حكومة الهند إلى شن حملة بحرية لتدمير هذا الأسطول القاسمي، ونفذ الهجوم على رأس الخيمة في نوفمبر **1809**م حيث تم تدمير البلدة، بعد مواجهة عنيفة بين الطرفين، كما تم إحراق الأسطول.[28]

لقد رأت بريطانيا ضرورة توظيف الخلاف الطائفي بين الإباضية والوهابية لصالح سيطرتها على المنطقة، فقد توجهت بعدها القوات البحرية البريطانية بمعية سلطان مسقط سعيد بن سلطان إلى شناص لطرد القواسم منها، وفي مطلع يناير تم محاصرتها، ودارت معركة عنيفة، حيث بدأ الزحف على الحامية بعد الظهر بقوات مسقطية وبريطانية مشتركة، وقد تبع ذلك قتال شرس يدا بيد، واستخدمت في المعركة جميع أنواع الأسلحة، وكانت أقسى المعارك التي خاضتها الحملة منذ بدأت هجومها، وقد وصفها أحد الضباط البريطانيين فقال:(من المحال أن نتصور

---

[26]نبذة تاريخية لضاري الرشيد **28** .

[27]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **170- 171** .

[28]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **192**

مقاومة أشد عنادا وتحديا من المقاومة التي أبداها العدو في هذا الموقع، فقد كانت دفاعاته قد دمرت وتحولت إلى أنقاض، وعلى الرغم من ذلك الوضـع اليـائس واحتلال البريطانيين والعمانيين للقلعـة، ظـل القواسـم يطلقـون النـار مـن التحصينات التي لم يتم تدميرها تماما، وقد كان المسـاء قـد اقتـرب وكانـت الاعتبارات الإنسانية تقتضي وقف هذه المجزرة المخيفة، ودعي مـن بقـي مـن القواسم للاستسلام وإنقاذ أرواحهم، غير إنهم أجابوا بأنهم يفضلون الموت علـى الاستسلام في هذا الوقت، وأخذت في إطلاق النار بشكل مكثف من بعض المدافع من مكان قريب من القلعة لمساواتها في الأرض ولكن العدو ظل يرد النار بالمثل، وكما يبدوا فإنهم كانوا مصممين على أن يـدفنوا فيهـا أحيـاء، وعمـدنا إلى استخدام القنابل الكروية واليدوية، ولكن العدو أعادها إلينا قبـل أن تنفجـر، مؤكدا تصميمه على مواصلة القتال).[29]

وفي تلك الأثناء كان مطلق المطيري القائد العسكر الوهابي، قد تحرك بجيشه مـن البريمي نحو شناص للدفاع عنها، ولم يصلها إلا متأخرا، فهجم على قوات سعيد – بعد أن غادرت البحرية البريطانية – ومزقها، وأجبرهـا علـى الانسـحاب إلى مسقط.[30]

وقد طلب سلطان مسقط ثانية من حكومة الهند البريطانية مساعدته عسكريا ضد الوهابيين، غير أنهم رفضوا بعد أن رأوا خطورة التـدخل في الصـراع الـبري، واقترحوا عليه عقد سلام مع الوهابيين، غير أنه توجه إلى إيران وطلب مساعدتها، فأرسلوا له **1500**مقاتل، وتحرك مطلق المطيري قائد جيوش عمان، ومعه قبائـل النعيم، والظواهر، وغيرهـم، وتواجـه الجيشـان، وانهزمـت قـوات مسـقط وحلفائها.[31]

[29]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **195**.

[30]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **196** .

[31]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **205**.

وفي الجزء الغربي من الجزيرة العربية استكملت الحركة الوهابية سيطرتها على الحجاز بعد ضم المدينة النبوية سنة **1810**م، فاستشار ذلك الخليفة العثماني في اسطنبول السلطان محمود، فأمر محمد علي والي مصر بالتصدي للحركة والقضاء عليهاوتدمير عاصمتها الدرعية، وبعد أن بلغ سعود بن عبدالعزيز أخبار حملة محمد علي لشن الحرب على جيوش الدولة الوهابية في الحجاز سنة **1811**م، قام باتخاذ الاحتياط، وتعزيز الحاميات العسكرية في قطر، والبحرين، وأمر بحبس آل خليفة في الدرعية، ثم أفرج عنهم بعد تعهدهم بدفع الزكاة، وأخذ تعهدا من حكومة فارس بعدم الاعتداء عليه، كما توصل مع البريطانيين إلى تفاهم بعدم الاعتداء من كلا الطرفين على الآخر.[32]

وفي سنة **1813**م جهز مطلق المطيري جيشا تعداده أربعين ألف مقاتل، وتوجه من البريمي لفرض سيطرته على المناطق الداخلية من عمان، حتى وصل إلى صحار، ثم إلى مسقط، فاضطر سعيد إلى دفع الزكاة أربعين ألف ريال نمساوي، وكانت هذه آخر حملة لمطلق المطيري الذي قتل في آخر هذه السنة.[33]

الحملة المصرية على الجزيرة العربية:

ولم تدم سيطرة الحركة الوهابية على الحجاز حيث توجه الجيش المصري بأمر من الخليفة العثماني، بقيادة طوسون بن محمد علي سنة **1811**م إلى الحجاز، فاحتلت جيوشه المدينة سنة **1812**م، ومكة سنة **1813**م، وفي سنة **1814**م توفي سعود بن عبدالعزيز، وبويع ابنه عبدالله إماما، وفي هذه السنة قدم محمد علي إلى الحجاز، وقاد الجيوش بنفسه، وأكمل سيطرته على الحجاز سنة **1815**م، بعد سيطرته على الطائف، وفي هذه السنة وقع عبدالله بن سعود معاهدة مع طوسون تم فيها الاعتراف بعبدالله واليا على نجد بعد إعلانه الولاء للخليفة العثماني.[34]

---

[32] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 207** .

[33] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 210**.

[34] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 216**.

وفي سنة 1815م، توفي طوسون بعد رجوعه إلى مصر، فنقض والده محمد علي المعاهدة، واشترط للتوقيع عليها تخلي عبدالله بن سعود عن الإحساء – التي كانت تحت حكم ابن عريعر، حتى استولى عليها الوهابيون سنة 1795م – إلا أن عبدالله بن سعود لم يرد على الطلب، فجهز محمد علي جيشا آخر هدفه احتلال الدرعية نفسها، بقيادة ابنه إبراهيم سنة 1816م، فانطلق من المدينة نحو نجد، حتى استولى على الدرعية، ودمرها في أواخر سنة 1818م، وأرسل عبدالله بن سعود إلى الأستانة، حيث تم إعدامه، وتم أخذ أسرته إلى القاهرة.[35]

وقد قام إبراهيم باشا بعد سيطرته على الإحساء سنة 1819م بتولية ابن غرير شيخ بني خالد على الإقليم من جديد، غير أنه سرعان ما اضطربت القبائل في المنطقة على الجيش المصري، ولم يرض ابن غرير بقمعها، مما حدا إبراهيم بسحب جيوشه إلى معسكره شمال غرب الدرعية.[36]

المشروع البريطاني للسيطرة على الخليج العربي :

وقد بدأت حكومة الهند البريطانية في إبريل سنة 1819م تناقش في هذه الأثناء خطة تراعي كون ساحل الخليج العربي من رأس الخيمة غربا إلى الكويت تحت السلطة المصرية العثمانية – التي سيطرت على وسط الجزيرة العربية، واحتلت الدرعية، وكل المناطق التابعة لها – وأن تدعم بريطانيا سلطان مسقط ليفرض سيطرته على ساحل الخليج إلى رأس الخيمة شمالا، مع ضم البحرين له، وإخضاع القبائل المستقلة داخل عمان لسلطته، وإقامة قاعدة عسكرية بريطانية في جزيرة قشم، على أن تتحمل موارد البحرين – الغنية بصيد اللؤلؤ – تكاليف القاعدة العسكرية البريطانية! غير أن فرانسن واردن الأمين الأول لحكومة الهند أكد (أنه من الأفضل على أي حال السماح لتلك الدويلات – القبائل المستقلة – بالاحتفاظ باستقلالها، بل وسنقوم بتأييد ذلك الاستقلال، كما سيتعين على المبعوث البريطاني – إلى إبراهيم بن محمد علي – أن يوضح له بأنه في الوقت

[35] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 156–157، 225–230، 502 .

[36] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 241 .

الذي تعتبر بريطانيا أن تصفية القرصنة هو هدفها الوحيد، إلا إنها في الوقت ذاته تشاركه في ضمان حقوق مختلف الدول ــ القبائل ــ الواقعة على سواحل الخليج العربي، وأن أي مساعدة من بريطانيا له في حربه لحلفــاء الوهــابيين مشــروطة بموافقته على احترام حقوق تلك الدول).[37]

لقد كانت هذه أول مرة يطلق فيها مسئول بريطاني مصطلح(دويــلات أو دول) على القبائل الساحلية في عمان، والتي لم تكن تعد مدنا فضلا عن أن تعد دولا أو دويلات!

لقد كان الهدف البريطاني واضحا من هذه الفكرة، وهو إيجــاد كيانــات يمكــن التعامل معها بصفة مباشرة لاحتلالها بعد ذلك بحجة الحماية وهو ما لا يمكن مــع القبائل أو القرى والمدن، فكان لا بد من تسميتها بالدويلات والإمارات لتحقيق هذا الغرض الاستعماري!

لقد كان القواسم والوهابيون الذين ظلوا يسيطرون على سواحلالخليج العربي هم المشكلة الرئيسة التي كان يجب على بريطانيا العمل من أجــل القضــاء عليهــا، لتتحقق لها السيطرة على الخليج، غير أن حكومة الهند لم تكن تملك القوة اللازمة لمواجهة قوهم التي تبلغ **10000**بحار، ونحو**250** سفينة كبيرة وصــغيرة، والــتي كانت تنطلق من موانئ رأس الخيمة، وأم القوين، والجزيرة الحمراء، وعجمــان، والشارقة، ودبي، والزبارة، وخور حسن، والقطيف، والعقير، وأبوظبي، وأيضــا لنجة، وخرك على الجانب الفارسي، وكان لا بد من التنسيق مع إبــراهيم باشــا لمواجهتهم.[38]

وبعد أن ذهب سادلر– المبعــوث البريطــاني – إلى القطيــف ورأى الوضــع في الإحساء، وانسحاب الجيش المصري – بعد تسليمه السلطة لشيوخ بــني خالــد أمراء الإقليم سابقا –كتب تقريرا بذلك لحكومته التي أمرت بصرف النظر عــن مشروع التعاون مع إبراهيم باشا، حيث ثبت عجز الجيش المصري عــن بســط

[37] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 233ــ237** .

[38] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/229ــ233**.

سيطرته على القبائل من الكويت إلى ساحل عمان، وأنه يجب وضع خطة بديلة، وإعادة النظر في بسط نفوذ سلطان مسقط على الساحل، وإدخال البحرين تحت سلطته، ليتم الإنفاق على القاعدة البريطانية من مواردها المالية.[39]

وقد تم مناقشة هذه الخطة من قبل مسئولي الحكومة الهندية البريطانية الذي ارتأى بعضهم(بأنه لا بد من الحصول على معلومات دقيقة عن الأسس التي تقوم عليها ادعاءات مختلف القبائل فيما يتعلق باستقلالها، وهي الأسس التي يمكن بموجبها تحديد علاقتنا معها، على أساس مبادئ).[40]

غير أن هذه الخطط لم تجد إجماعا من رجال الحكومة الهندية، فتم إصدار الأوامر إلى قيادة البحرية البريطانية بشن هجوم عسكري بحري على موانئ القواسم وحلفائهم، وتدمير أسطولهم، بالتنسيق مع سلطان مسقط، وحكومة فارس.[41]

ونجحت بريطانيا في حملتها الصليبية على المنطقة أن توظف الخلاف الطائفي بين المسلمين لتحقيق أهدافها الاستعمارية، حيث شكل التحالف البريطاني، والإباضي العماني، والشيعي الإيراني، رأس حربة في مشروع السيطرة على الخليج العربي!

وفي ديسمبر سنة **1819**م تم الهجوم البريطاني العماني على موانئ القواسم، وأولها رأس الخيمة، ودارت حرب طاحنة، ولمدة خمسة أيام، استخدمت فيها البحرية البريطانية مدافعها لدك أسوارها، وقلاعها، حتى وصل القتال ذروته بالاشتباك بالسلاح الأبيض، وذهب فيه من القواسم ألف رجل بين قتيل وجريح، وانتهت الحملة بتوقيع معاهدة في يناير سنة **1820**م مع شيوخ هذه الموانئ، يسلمون بموجبها جميع سفنهم، وقد كان نص المعاهدة:

(أنه وبناء على ذلك يتفق الطرفان على توطيد السلم بين الحكومة البريطانية، والقبائل العربية الموقعة على هذا العقد على الشروط التالية)، والتي تضمن

[39]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/241ـ 242**.

[40]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 244** .

[41]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 247- 249** .

لبريطانيا حق تفتيش السفن، ومراقبتها، ومصادرها، وعدم الاعتداء بين القبائل الموقعة على المعاهدة، وحق بريطانيا في إهدار حياة من يشارك في أعمال القرصنة، ومصادرة ممتلكاته.[42]

لقد وضعت هذه الاتفاقية بين بريطانيا والقبائل الساحلية أسس تقسيم الإقليم الواحد إلى دويلات كما جاء في نص الاتفاقية(لقد تأسس سلم دائم بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية:

المادة الأولى : توقف أعمال السلب والقرصنة في البر والبحر من قبل العرب الذين هم فريق في هذه المعاهدة ....

المادة الرابعة: إن القبائل التي أخضعت ستداوم على علاقاتها السابقة وستظل في حالة سلم مع الحكومة البريطانية...

المادة السابعة:إذا لم تمتنع إحدى القبائل عن السلب والقرصنة فالعرب الأصدقاء يعملون ضدها بحسب مقدرتهم وحسب الظروف ...

المادة الحادية عشرة:إن الشروط المذكورة أعلاه عمومية لجميع القبائل والأشخاص التي يقبلونها فيما بعد بنفس الطريقة التي يقبلها الذين يوقعونها الآن.... وقد وقع عليها سنة **1820** شيخ رأس الخيمة، وشيخ أبو ظبي، وشيخ دبي، وشيخ البحرين، وشيخ الشارقة، وشيخ عجمان).[43]

لقد أرادت بريطانيا إضفاء صبغة قانونية على تعاملها مع تلك الموانئ الساحلية، من خلال الاعتراف بالقبائل الساحلية وشيوخها ككيانات شبه مستقلة، ولهذا(أطلقت بريطانيا على الرؤساء الذين اشتركوا في توقيع معاهدة **1820** اسم الرؤساء البحريين، وكانت تهدف من ورائها عزل الساحل عن الداخل في الوقت الذي كانت تعنى فيه بتدعيم سيطرتها البحرية، وإن كان من الطبيعي أن تتخلى عن هذه السياسة على أثر اكتشاف موارد النفط في الداخل، وقدرتها على

---

[42] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **253- 259** .

[43] انظر المصدر السابق، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل **2/108ـ113**.

السيطرة الداخلية بفضل سلاح الطيران الجوي وقد استخدم ذلك السلاح بفاعلية منذ الثلاثينيات من هذا القرن).[44]

كما يظهر جليا خطة بريطانيا في توقيع المعاهدات مع شيوخ الموانئ كل على حدة وأن هدفها ترسيخ تقسيم المنطقة وللحيلولة دون قيام أي اتحاد يشكل خطرا على النفوذ البريطاني في الخليج العربي، بعد أن دمرت قوة القواسم التي كانت تهدد الوجود البريطاني في المنطقة، وبعد أن قامت بتفتيتها والاعتراف بالشيوخ الصغار كحكام مستقلين.[45]

ولم تضمن هذه الحملة العسكرية، ولا المعاهدة التي وقعتها بريطانيا مع قبائل الساحل السيطرة البريطانية على الخليج العربي، إذ كان لقبائل الداخل القدرة على تهديد مصالحها في البحر، كما حصل من قبيلة آل بوعلي التي تقطن مقاطعة جعلان في عمان، وتمتد إلى الداخل، وقد كانت اعتنقت الدعوة الوهابية ووقفت معها، وثارت على السلطان سعيد سلطان مسقط، وقد قامت بريطانيا بحملة بحرية عسكرية من أجل إخضاعها بعد أن رأت أنها تمثل خطرا على مصالحها، وتحركت القوة البحرية البريطانية بحرا، والقوة العمانية بقيادة سلطان مسقط برا، وفي مطلع نوفمبر سنة **1820**م، بدأت قوات التحالف المشتركة زحفها على المنطقة، وقد اشترطت على قبيلة بوعلي شروطا، ومنها تسليم أسلحتها، فرفضت هذا الشرط بعد أن وافقت على الشروط الأخرى، ودارت حرب طاحنة بين الفريقين، فر عندها جنود السلطان والقوات الهندية البريطانية الزاحفة، ثم تبعهم الضباط ورجال المدفعية البريطانية، وأخذ رجال قبيلة بوعلي يطلقون عليهم النار، ويطعنونهم بالسيوف والخناجر، حتى أصيب السلطان سعيد بطعنة عندما حاول إنقاذ الضباط البريطانيين وكانت مواجهة دموية وقد وصف هذه المعركة أحد الضباط البريطانيين بقوله:

---

[44] تاريخ الخليج العربي لجمال زكريا **294/1** .

[45] تاريخ الخليج العربي لزكريا **1/ 287**.

(وعلى امتداد السهل كانت جثث القتلى من الجنـود العمـانيين، وثمانيـة مـن الضباط البريطانيين، ونحو أربعمائة عسكري، ملقاة على الأرض)، لقـد قاتلـت قبيلة بوعلي الوهابية قتالا مستميتا، ونجح رجالها في تـدمير الحملـة البريطانيـة وهزيمتها هزيمة منكرة، قضت على الهيبة الـتي اكتسـبتها البحريـة العسـكرية البريطانية بعد حملتها على القواسم، وهو ما حدا بريطانيا إلى تجهيز حملـة ثانيـة مشتركة مع سلطان مسقط ضد قبيلة بوعلي، وكانت تتكون من **1263** جنـديا بريطانيا، و**1686** جنديا هنديا، وكان من أهداف الحملة(تسليم سلطة المنطقـة المحررة إلى السيد سعيد، وإطلاق الأسرى، وتسليم الأسلحة التي وقعـت خـلال الحملة السابقة في يد قبائل بوعلي)، وما كادت قوات الحلفاء تعسكر قريبا مـن مشارف القبيلة بتاريخ **10** فبراير سنة **1821**م، حتى شن عليها رجال بـوعلي هجوما مفاجئا، فأربك قوات الحلفاء، فدب فيها الذعر، وقتل فيها عـدد مـن الضباط والجنود، وفي يوم **2**مارس اشتبك الجيشان في حرب دموية، ونجح رجـال القبيلة في شق طريقهم وسط القوات البريطانية، وكتب أحد الضباط البريطانيين المشهد المروع فقال:

(كانت المذبحة رهيبة على الجانبين، وإن قوات العدو الـتي كانـت في المـؤخرة اضطرت إلى شق طريقها وسط لوائنا في محاولة لاستعادة مزارعها، وكل الـذين شاهدوا ذالك الهجوم الفريد، قالوا بأنهم لم يشهدوا في حياتهم جيشا قاتل بتلـك البسالة التي لا نظير لها، ولم نستطع إيقاف تقدمهم رغم قصفنا المتكرر لمواقعهم، والذي كان يبيدهم بأعداد غفيرة متحدين الحراب المصوبة إليهم، وأبدوا صمودا في القتال، فكانوا ينقضون على سياراتنا، وينتزعون بنادقنا من أيدينا في محاولـة لشق صفوفنا وإبادتنا حتى بعد أن كانت حرابنا قد انغرست في أجسادهم)!

وبعد ذلك استسلم نحو **200** مقاتل من القبيلة مع عائلاتهم، بعد أن قتل منـهم **200** رجل، وجرح نحو **300** رجل ، وقد تم نقل **150**منهم بمـا فـيهم شـيخا القبيلة – اللذان يعانيان من جراح خطيرة – بالإضافة إلى خمسين صبيا، إلى بومبي كأسرى حرب، وسلم الباقون من الأسرى إلى سلطان مسـقط، وأمـر القائـد البريطاني بعد ذلك بدك القلاع، وإتلاف المزارع، وإشـعال النـار في مسـاكن القبيلة(ومنذ البداية حتى النهاية كانت الحملة – كما يقول كيلي – على رجال

بني بوعلي مخزية ومؤلمة، وقد ذهب ضحيتها من الرجال أكثر مما ذهب في معركتي 1809 و1818م معا، وأسفرت عن نتائج لا قيمة لها، وتحولت الحملة إلى حرب سافرة كل هدفها هو استعادة سلطة السيد سعيد على قبائل جعلان)!

وقد تمت محاكمة القائد العسكري بعد انتهاء الحملة على الأخطاء التي ارتكبـها والتي أظهرت وكأن الأسلحة البريطانيـة هـدفها إخضـاع القبائـل لسـلطان مسقط(وإذا كان ثمة طرف له الحق في الفخر برأي كيلي – بنتيجة الحملة فهـو قبائل بوعلي أنفسهم لدفاعهم الباسل عن أراضيهم ومواطنهم، وهذا هـو مـا اعترف به أعضاء مجلس شركة الهند الشرقية عنـدما اجتمعـوا لتقيـيم نتـائج الحملة)، واعترفوا بأنه لم تتخذ الإجراءات اللازمة للتحقق من طبيعـة أعمـال القرصنة التي كان متهما فيها رجال القبيلة، وأن حكومة الهنـد أخـذت بـرأي السيد سعيد الذي يهدف إلى السيطرة على منطقة القبيلة، دون التحـري عـن حقيقة الأمر، كما اعترفوا بأن إحراق المزارع، والمساكن، وأخـذ الأسـرى إلى بومبي حيث مات عدد منهم كان تصرفا مخجلا، وكذلك تسليم الأسرى للسـيد سعيد – حيث مات مجموعة منهم في سجونه جوعا – كان أكثر الأعمال خزيا.[46]

لقد كان أشد ما يخشاه المسئولون البريطانيون آنذاك من تبعات هذه الحملة(هـو ما سوف تتركه من انطباع في أوساط القبائل الخليجية عن السياسـة البريطانيـة التي كانت تنطلق من مبدأ القضاء على القرصنة إلا إن تعاون تومسون – قائـد الحملة – مع السيد سعيد سلطان عمان إنما يوحي بأنه محاولة منـا للتـدخل في الشئون الداخلية بدعوى حماية مصالحنا مـن الأخطـار الـتي تهـددها في ميـاه الخليج).[47]

لقد كانت هذه الحرب التي شنتها بريطانيا على القبائل العربية الخليجيـة حربـا استعمارية تحت ستار مكافحة الإرهاب والقرصنة البحرية، وكان الهـدف منـها السيطرة على المنطقة من خلال إخضاعها لمن يتحالف معها، وبدأت منـذ ذلـك التاريخ أزمة الهوية!

---

[46] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 284ـ296 .

[47] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/300 .

ملحوظة : هذه المقالات الأربعة هي اختصار لما يعادل **150** صفحة من كتـــاب (الحرية وأزمة الهوية)، مراعاة لقراء المقالات، إلى حين طباعة الكتاب، فالهـــدف إعادة صياغة العقل الخليجي باستعادة ذاكرته التاريخية، وتحريـــره مـــن أوهامـــه الزائفة التي كبلته، إذ ما زال هذا التاريخ الاستعماري هـــو الـــذي يـــتحكم في واقعنا السياسي إلى اليوم!

(5)

(مشروع حكومة الهند البريطانية للسيطرة على الجزيرة العربية)

وقد قامت الدولة الوهابية مرة ثانية – بعد ست سنوات من السيطرة المصـــرية العثمانية على نجد – على يد تركي بن عبد الله بـــن محمـــد بـــن ســـعود، ســـنة 1240هـــ 1824م، بعد أن خرج من سجنه في مصر – بترتيب مـــن القيـــادة المصرية ليضبط لها نجد – وخاض حروبا داخلية من ســـنة 1820 إلى 1824م، حيث استقر له الأمر، واتخذ الرياض عاصمة له بدل الدرعية، ولم تتجاوز سلطته حدود نجد، ودخل في حروب مع شيوخ بني خالد محمد وماجد العريعر، من أجل السيطرة على الإحساء، حيث نجح هو وابنه فيصل في احتلال الهفـــوف عاصـــمة الإحساء في ربيع سنة 1830م، وبدأ النفوذ الوهابي يعود مرة أخرى لســـواحل الخليج العربي، غير أن تركي آل سعود كان أقل حماسا لنشر الـــدعوة الوهابيـــة، وأحرص على الحكم منه على الدين(على العكس من الزعماء الوهابيين السابقين، الذين كان حماسهم ـــ كما يرى كيلي ـــ لنشر العقيدة الوهابية أكثر من حماسهم للحكم)!

وقد أرسل تركي بن سعود للحكومة الهندية البريطانية في بومبي رســـالة يؤكـــد فيها رغبته في إقامة علاقة ودية معها.[48]

وقد دعا تركي بن سعود بعد السيطرة على الإحساء عبدالله بـــن خليفـــة شـــيخ البحرين إلى الاعتراف بسلطته ودفع الزكاة له، وهي أربعين ألف ريال نمساوي،

[48] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/381ـــ383 .

وقد قام عبدالله بتنفيذ ما طلبه منه تركي، بعد أن سأل البريطـانيين مسـاعدته فآثروا عدم التدخل، وتم عقد اتفاق بينه وبين تركي اعترف بموجبـه بالسـلطة العليا للرياض على البحرين، وبدفع الزكاة السنوية، مقابـل ضـمان الريـاض لسيادة شيخ البحرين، كما أبدى السيد سعيد سـلطان عمـان سـنة 1831م موافقته على الدخول تحت سلطة تركي، بعد أن سيطرت قوات أمـير الإحسـاء الوهابي عمر بن عفيصان على البريمي ـ المدخل الإستراتيجي لعمان ـ بشـرط السماح له باحتلال البحرين، فرفض تركي هذا الشرط، كما جاءت وفود مـن شيوخ القبائل العمانية إلى الإحساء للدخول في الطاعة للدولة الجديدة، وعلـى رأسهم راشد بن حمد شيخ عجمان، وبعدها تحرك ابن عفيصان بجيشه إلى عمـان وسواحله، لفرض سلطة الدولة الوهابية الجديدة، وأخذ الزكـاة مـن القبائـل، فاستجاب شيخ أبوظبي، وبدأ ابن عفيصان الضغط على مسقط، وأخيرا استسـلم السلطان سعيد، والتزم بدفع الزكاة السنوية للرياض، بعد أن طلـب مسـاعدة البريطانيين الذين نصحوه بالتفاهم مع تركي، غير أنها تفاجأت بالاستسلام الكامل من سعيد.[49]

وقد كان سبب ضعفه تخلي القبائل عنه، بعد افتقاده لصفة الإمامة التي تم التخلي عنها في عمان من قبل آل بوسعيد، حيث أصبح الحكم بالوراثة، وهو ما يصطدم بالعقيدة الإباضية لقبائل عمان الداخلية، التي تراه بالانتخاب، وهو ما يفتقـده السلطان سعيد، مما أضعف قوته أمام جيوش ابن عفيصان.[50]

---

[49] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 385-389 .

[50] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 389-390 .

فالقبائل العمانية تؤمن منذ ألف ومائتي عام بحقها في انتخاب الإمام إيمانا منها بمبدأ الشورى الإسلامي، والـتي مارسته قرونا طويلة قبل أن يعرف العالم النظم الديمقراطية، غير أنها فقدت هذا الحق بعد الاستعمار البريطاني للمنطقـة، وتثبيتـه للحكم الوراثي، وهو ما يمارسه الاستعمار اليوم الذي يرفع شعار الديمقراطية ويكرس النظم الاستبدادية الوراثية!

وقد أدركت بريطانيا خطورة سيطرة الوهابيين على عمان، وتهديدهم مصالحها في الهند، ورأت ضرورة تحذير تركي من الاعتداء على أراضي السيد سعيد، وطلبت من محمد علي والي مصر الضغط على تركي ليكف عن سعيد، إذا كـــان تركـــي خاضعا فعلا للسلطة المصرية، كما أنها كانت تخشى من التدخل في شـــئون الـــبر، والتورط في مشاكل لا حصر لها، كما حصل من قبل[51].

وفي سنة **1834**م كان نفوذ تركي بن سعود قد بلغ أقصى مداه حيث سيطر على نجد، والإحساء، وشرق الخليج العربي، والجنوب الشرقي منه، ولم يكن خضـــوع بعض شيوخ الساحل للدولة الوهابية رغبة بقدر ما هو خشية مـــن مـــواطنيهم، الذين اعتنقوا الدعوة الوهابية، وفي هذه السنة اغتيل تركي في شهر مايو، وهـــو في المسجد، على يد ابن عمه مشاري، ونجح ولده فيصل بن تركي الـــذي كـــان يقود الجيوش في الإحساء، في العودة سرا، ودخول الرياض، وقتل مشـــاري، وتم اختياره مكان أبيه[52].

حيلولة بريطانيا دون قيام أي وحدة عربية أو إسلامية في المنطقة :

لقد بدأت حكومة الهند تناقش موضوع مشروع محمد علي الرامي إلى الســـيطرة على الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وخطورة ذلك، ومدى تأثيره على الدولة العثمانية، التي تمثل سدا أمام أطماع روسيا في المنطقة، خاصة الهند البريطانيـــة، ومدى إمكانية الاستفادة من قيام محمد علي بتحقيق مشروعه، غـــير أن هنـــري أليس وصل في تقريره لبحث هذا الموضوع إلى:

---

[51] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 396-397** .

[52] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/415-416** .

(إنه ليس من مصلحة الدولة الأوربية الحاكمة في الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة إسلامية قوية، إذ أن من المحتمل أن تتحد مع روسيا، كما قد تتحد مع فارس لمقاومة الأطماع الروسية، كما أن أي دولة تنشأ هنا سيمتد نفوذها بلا شك إلى جميع أقطار الجزيرة العربية، وقد تصبح في وقت قصير دولة بحرية هامة، إن منطقة أسيا الوسطى بأسرها يمكن اعتبارها منطقة إسلامية، وأنها تشكل حلفا إسلاميا هدفه طرد الدولة المسيحية، ولو توحدت كل ممالك الخليفة الإسلامي في دولة واحدة قوية، يتزعمها حاكم طموح، فإنها ستصبح خطرا على المصالح الأوربية، وعلى الرغم من أن الفرس ينتمون إلى المذهب الشيعي، وبقية السكان في الأقطار الأخرى التي يضمها هذا الحلف من المذهب السني، فإن هناك إحساسا دينيا مشتركا بينها يدفعها إلى الاتحاد مع بعضها في تلك المهمة المقدسة)!

ومن ثم رأى صرف النظر عن دعم مشروع محمد علي إذ أن دولة تضم مصر، والشام، والعراق، ستكون على حساب الوجود البريطاني في الهند[53].

وقد ذهب مسئولون بريطانيون آخرون إلى أن مشروع محمد علي يهدف إلى إقامة دولة تضم كل الأقطار التي يتحدث سكانها اللغة العربية، دون خروج عن الخلافة العثمانية، فلا ضرر على بريطانيا من قيام مثل هذه المملكة العربية[54].

وقد أمر محمد علي سنة **1836**م خالد بن سعود ــ بعد أن أفرج عنه ــ بقيادة جيش والتوجه إلى الرياض، ليتولى الأمر فيها، بدلا من ابن عمه فيصل بن تركي،

---

[53]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 469–470** .

تأمل مدى خشية الحملات الصليبية والدول الغربية الاستعمارية من الوحدة الإسلامية، وعملها على الحيلولة دون تحالف بين السنة والشيعة في المنطقة، لتدوم لها السيطرة على المنطقة في ظل تناحر طوائفها، وهو ما نجح الاستعمار اليوم باستثماره بتخويف كل طائفة من الأخرى، والوقوف مع هذه تارة، وهذه تارة، وقيام حلفائه بتعزيز روح العداء بين الطوائف، من أجل دوام حكمهم، كما جرى في احتلال العراق!

[54]بريطانيا والخليج لجون كيلي **472/1** .

وقد أمر محمد علي والي المدينة إسماعيل باشا بتزويد خالد بالقوات لتنفيذ مهمته، فعرض فيصل على محمد علي أن يكون واليا على نجد تابعا له، فرفض محمد علي هذا العرض، ونجح خالد في السيطرة على الرياض سنة **1837**م، وفر فيصل إلى الإحساء، وفي سنة **1838**م تحرك الجيش المصري في نجد بقيادة خورشيد باشا، ومعه جيش خالد بن سعود وانطلقوا من الرياض نحو الإحساء، وقد طلب خورشيد باشا من شيخي الكويت والبحرين الخاضعين للسيادة العثمانية بتقديم الدعم لقواته عند وصولها إلى الإحساء، وفي آخر سنة **1838**م تمت السيطرة المصرية على الإحساء، وتم أسر فيصل بن تركي، وإرساله لمصر، حيث حبس هناك[55].

وقد جرى بين قنصل بريطانيا ومحمد علي تباحث حول الأوضاع في الخليج العربي، فذكر محمد علي أن الهدف من تحركات جيوشه في الجزيرة العربية(حماية مكة والمدينة، وبأن البحرين كالكويت، ولاية من ولايات نجد، وأنها كانت تدفع الزكاة إلى ابن سعود لسنوات عديدة)[56].

كما سبق أن أكد محمد علي للقنصل البريطاني (بأن نجد كلها قد أصبحت خاضعة له، وبأن شبه الجزيرة العربية من مكة إلى المدينة، ثم إلى سواحل الخليج العربي قد أصبحت تحت نفوذه)[57].

كما حاول البريطانيون استخدام نفوذهم للحيلولة دون سيطرة خورشيد على البحرين، غير أنها باعترافهم كانت (واقعة فعلا تحت سيطرته)[58].

---

[55]بريطانيا والخليج لكيلي **1**/ **502**، و**524**-**530** ، وانظر تحفة المستفيد **145**-**150**.

[56]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **552** .

[57]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **507**.

[58]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **555** .

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تضغط على محمد علي بخصوص البحرين، كان خورشيد قد وقع اتفاقية مع عبدالله بن حمد بن خليفة بتاريخ **1839/5/7**م، اعترفت البحرين بموجبها بالسيادة المصرية العثمانية، والتزمت بدفع الزكاة السنوية، وقدرها **3000**ريال نمساوي، وتقديم كل ما يطلبه الوالي من مساعدات، وبهذا صارت البحرين تحت السيادة الرسمية والفعلية لمصر العثمانية، كولاية تابعة لنجد والجزيرة العربية، التي أصبحت من البحر الأحمر إلى الخليج العربي تحت سيادتها[59].

وكذا امتد نفوذ خورشيد باشا ليشمل ساحل عمان، حيث كان سعد بن مطلق المطيري قد قدم بقواته إلى الشارقة، كنائب لخالد بن سعود، وبتكليف من خورشيد باشا، وكممثل له[60].

كما أرسل سعد بن مطلق المطيري إلى السيد سعيد سلطان مسقط، يطلب منه دفع الزكاة السنوية للرياض التابعة لسلطة خورشيد باشا[61].

وقد نجح القائد خورشيد في بسط نفوذه الكامل، وتأمين الاستقرار في المنطقة، كما جاء وصفه في التقارير البريطانية بأنه(قائد موهوب، لأن جميع السكان العرب على امتداد المنطقة من شواطئ البحر الأحمر إلى سواحل الخليج العربي إلى البحرين متحدون ومنضبطون تحت حكم هذا الباشا، لدرجة أنهم يقومون بأنفسهم بحراسة المراكز العسكرية، وإبقاء الاتصالات مفتوحة مع مصر)[62].

---

[59]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **556** .

[60]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **546**و**561** .

[61]بريطانيا والخليج لجون كيلي **565/1** .

[62]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **530** .وفي هذا أوضح دليل على مدى التضليل والزيف الثقافي المعاصر الذي يصور أوضاع الجزيرة العربية بأنها كانت فوضى، ولا وجود لدولة وسلطة، وأن تاريخها ظلمات حتى قامت دويلات الطوائف الصليبية فيها!

وفي سنة 1840م أمر محمد علي خورشيد باشا بسحب قواته من وسط الجزيــرة العربية(نجد)، وشرقها(الإحساء)، وواكب ذلك ثورة القبائل في هذه المناطق على خورشيد باشا، وذلك بعد تمرد محمد علي على الخلافة العثمانية، ثم هزيمتة بعــد ذلك سنة 1840م، وتراجع محمد علي عن مشروعه في إقامة دولة عربية موحدة، حيث أصبحت الجزيرة العربية تتبع الباب العالي العثماني مباشرة، بحسب المعاهدة التي بينه وبين الخلافة العثمانية.

وفي سنة 1841م اعترف خالد بن سعود بالتبعية للباب العالي مباشرة بعــد أن كان تابعا لمصر، وتم تعيينه واليا على نجد[63].

وفي سنة 1843م أفرجت مصر عن فيصل بن تركي، وعاد إلى الرياض، وأصــبح واليا على نجد تابعا للباب العالي، حيث شرع في دفع الزكاة لشريف مكة محمــد بن عون، الذي كان يتبع الأستانةمباشرة[64].

وقد امتد نفوذ فيصل ليشمل في سنة 1845م نجدا، والإحساء، وساحل عمان، وقد أرسل مبعوثا إلى المقيم البريطاني يؤكد له استئناف حكمه في المنطقة، وقــد التزمت بريطانيا عدم التدخل في شئون الجزيرة العربية بعــد انســحاب الجــيش المصري منها، وقد أرسل فيصل إلى البريمي سعد بن مطلق المطيري نائبا عنه، الذي خرج بقواته إليها، واستقبلته القبائل الغفارية فيها بحماس شديد.[65]

وقد أعرب شيوخ ساحل عمان عن ولائهم لسعد بن مطلق، كما أرسل ســعد إلى السيد ثويني بن سعيد والي مسقط ـــ وكان والده السلطان سعيد في زنجبــار ـــ

[63]بريطانيا والخليج لجون كيلي 597/1 ، وتحفة المستفيد 155.

[64]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 671 ، وسياسة الأمن لحكومة الهند 120 .

[65]وفي هذا أوضح دليل على مدى تطلع قبائل وسكان الخليج العربي إلى الوحدة، التي حال بينهم وبينها الاستعمار وحلفــاؤه في المنطقة الذين جعلوا مصالحهم العشائرية الخاصة فوق كل اعتبار!

وإلى ابن أخيه حمود بن عزان والي صحار، يطلب منهما دفع الزكاة السنوية، فتم دفعها له، بعد أن أدركوا عدم قدرتهم على مواجهته، وبعـد رفـض بريطانيـا التدخل في شئون الجزيرة العربية الداخلية، كما قرر حمود بن عزان وبتأييد مـن القبائل تولي الحكم في مسقط بعد أن ضاق علماء الدين، وضاقت القبائل ذرعـا بإهمال سعيد لشئون عمان، وأيضا(بسبب علاقته بالأجانب والنصارى)[66].

وقد خشيت حكومة الهند البريطانية على مصالحها في الخليج، فحذرت فيصل بن تركي من تعريض الأمن في الخليج للخطر، فكتب أمير مكة الشـريف عـون ــ بطلب من فيصل ــ كتابا إلى المندوب البريطاني في بوشهر جاء فيه :

(أعرفكم بخصوص فيصل بن سعود، بأن هذا من رعايا السلطان العثماني، وغـير خاف عليكم أن هناك بعض القلاع التي تخصه في عمـان، وهـو يـدفع لخزينـة السلطان **17000**ريال، وأملي فيكم أن لا تتخذوا ضده أي إجراء).[67]

وقد أكدت بريطانيا أنها لا تتدخل فيما يحدث في داخل الجزيرة العربيـة علـى البر، لأنه ليس لها عليه سيادة، ما لم تصل المشاكل إلى البحر، وتعرض مصـالحها التجارية للخطر، كما امتد نفوذ فيصل ليشـمل قطـر، والبحـرين، كتوابـع للإحساء، حيث دفعتا الزكاة له سنة **1850**م، وفي سنة **1849**م، صـدر قـرار عثماني من الباب العالي بفصل ولاية البصرة عن بغداد، وإلحاق إقليم الإحسـاء والساحل الغربي من الخليج العربي بولاية البصرة[68].

وفي سنة **1850**م طلب فيصل من محمد الخليفة دفع الزكاة السنوية، وقـد قـام مواطنو الدوحة في قطر التابعة للبحرين بالانتفاضة عليه، وإعلان ولائهم لفيصل

---

[66]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 671-679** .

[67]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/686** .

[68]بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/ 692** .

بن تركي، مما حدا محمد الخليفة بطلب التدخل البريطاني، وقد أرسل فيصل مبعوثه إلى المقيم البريطاني ليبلغه بأنه (حائر من الاتجاه المعاكس الذي تسير فيه السياسة البريطانية تجاهه في الآونة الأخيرة، فعلى حين كانت الحكومة البريطانيـــة تحتـــرم أسس التفاهم القائمة بينها وبينه، والتي تقوم على أساس عدم التدخل في علاقاته بسكان الساحل الغربي، فإنها قامت في الفترة الأخيرة بمنع رعاياه في رأس الخيمـــة ودبي من تقديم المساعدة البحرية إليه لإخضاع رعاياه المتمـــردين في البحـــرين)، وقد رد عليه المقيم البريطاني، بأن بريطانيا لا تعترف بســـيادته علـــى البحـــرين وقبائل ساحل عمان(التي كانت ولا تزال تعتبرها وتعاملها كدولة مستقلة).[69]

وفي سنة 1853م توجه عبدالله بن فيصل بن تركي من الرياض بجيش إلى البريمي التي سيطر عليها، وطلب حضور شيوخ الساحل إليه، كما طلب من ثويني إرجاع صحار إلى قيس بن عزان، ودفع متأخرات الزكاة، وجميع تكاليف الحملة، وقـــد حاول المقيم البريطاني الحيلولة دون حضور الشيوخ إليه، غير أن عبـــدالله كتـــب إليه بأنهم (مرتبطون بنا ومحسوبون علينا)!

وأخيرا وقعت مسقط اتفاقا مع عبدالله بن فيصل بن تركـــي، التزمـــت مســـقط بموجبه بدفع الزكاة المتأخرة، والمستحقة عن مسقط وصحار[70].

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا ترفض وجود أي نفوذ أجنبي في الخليج العـــربي، إلا إنها لم تستطع الحد من النفوذ الوهابي التابع للخلافة العثمانية، لأنه واقع على

---

[69] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 693-696 .

تأمل في السياسة الاستعمارية الصليبية في تكريسها للتفرقة، وكيف جعلت من القبائل دولا، ليسهل لها السيطرة عليه والحيلولة دون وحدتها، وهي المشكلة التي ما تزال قائمة إلى اليوم وتنتظـــر مـــن يحقـــق طموح شعبها بالوحدة!

[70] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 701-702 .

داخل الجزيرة العربية من جهة البر، لا خارجها من جهة البحر، الذي هو محط اهتمامها[71].

وقد حاولت بريطانيا فرض وجودها البحري على مجريات الأحداث داخل البر، والحد من نفوذ فيصل بن تركي الذي يتبع الخلافة العثمانية، وحاولت تذكيره بالاتفاقيات التي بينها وبين قبائل الساحل فرد عليها برسالة سنة **1855**م جاء فيها: (بخصوص الاتفاقيات المعقودة بين شيوخ ساحل عمان والمقيم البريطاني إننا نعلم بذلك، وبأن الغرض منه منع المخالفات، وإني أوافق على هذه لتدابير موافقة تامة، لأنه يوجد بيننا وبين الحكومة البريطانية تفاهم مدته مائة عام، وذلك بقصد حماية التجار، والمسافرين في البحار، وإن سواحل عمان والمناطق التابعة لها هي على أية حال تابعة لشبه الجزيرة العربية التي نحكمها، وإن أهلها يدينون بالولاء لنا، وإن أهل المقاطعات الداخلية من عمان وفي قلب مواطن القبائل البدوية أقوى من الجميع، وهم يتحكمون في سكان الساحل، ويعتدون عليهم، وتعلمون أني عينت نائبا في عمان تحت تصرفه قوة عسكرية مهمته أن يمنع الاعتداءات والأضرار، وإن هؤلاء يتمتعون بحماية النائب المذكور، ووجوده هناك هو مرضاة لله ثم لأمير المؤمنين، وبما أنني تابع لحكومة تركيا (الدولة العثمانية) فإني أحمل تفويضا من السلطان بحكم جميع العرب نيابة عنه، نسأل الله أن يديم حكمهم ومجدهم).[72]

ومع إن سياسة بريطانيا كانت تقوم على أساس تعزيز استقلال قبائل الساحل ـ لأنها (ستكون الدولة الخاسرة فيما لو انهار استقلال الدويلات الساحلية)[73]ـ ومع ذلك لم تستطع بريطانيا الحيلولة دون دفع البحرين الزكاة لفيصل بن تركي

[71] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **705** .

[72] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/181- 182** ، وسياسة الأمن **117- 118** .

[73] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1**/ **177** .

الذي كان يقوم بدفعها إلى الباب العالي (فقد كانــت الســلطات البريطانيــة في الخليج تتحاشى الزج بنفسها في هذا الموضوع) على حد قول كامبل المنــدوب البريطاني في بوشهر، الذي أكد له فيصل بأن البحرين ومنذ عصور بعيــدة هــي تابعة له، وتدفع الزكاة السنوية، وقد كتب فيصل إلى كامبل رسالة يؤكد فيها:

(إن ثمة تفاهم بيني وبين الحكومة البريطانية بشأن المناطق التابعة لنجد، والتي تمتد من عمان إلى الكويت، والتي لا يحق لكم ممارسة أي سلطة عليها، أو التــدخل في شئونها).[74]

واستقر الوضع على ذلك، واستمر الهدوء إلى أواخر سنة **1859**م[75].

وقد كتب المقيم البريطاني الجديد في بوشهر فيلكس جونز تقريرا حول الوضــع، يحذر فيه من خطر امتداد النفوذ الوهابي الذي يبسط سيطرة الدولــة العثمانيــة على السواحل والموانئ الخليجية[76].

وبعد أن وقع نزاع في البحرين واضطراب، وحاول جونز منع فيصل من التدخل فيه، رد عليه بقوله:(إنكم تعلمون بأن البحــرين تابعــة للأمــير الوهــابي، وأن القوانين التي فيها صادرة عنه، وأن الزكاة هو الذي فرضها، وأن جونز يتــدخل فيما لا يعنيه)[77].

[74]بريطانيا والخليج لجون كيلي **179/2** .

[75]بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/ 186** .

[76]بريطانيا والخليج لجون كيلي **193/2** .وكل هذه المراسلات تكشف مدى الزيف والتضليل في الثقافة المعاصرة التي تتحدث عن استقلال الإمارة الوهابية عن الخلافة العثمانية والدولة الإسلامية، فقد ظلت تابعة لها منذ تأسيسها إلى سقوطها في المرة الأولى ثم المرة الثانية.

[77]بريطانيا والخليج لجون كيلي **194/2** .

ولما أدرك شيخ البحرين محمد بن خليفة عجز المقيم البريطاني، وخطورة الوضع، بادر بإرسال رسالة لوالي بغداد عمر باشا يعرض عليه وضع البحرين تحت سيادة الخليفة العثماني مباشرة، دون واسطة فيصل بن تركي، وقد أرســل والي بغــداد مندوبا عنه لترتيب الوضع، وفي إبريل سنة **1860**م تم الاتفاق بين والي بغــداد الجديد مصطفى باشا ومحمد الخليفة على دفع الزكاة لبغداد، واعتراف البحــرين بالتبعية للدولة العثمانية، وتم رفع العلم العثماني[78].

ولم تعترض بريطانيا على ما جرى(فطالما أن ولاء حاكم البحرين أو تبعيتــه لأي دولة لا يستتبعه احتلال عسكري من جانب تلك الدولة، فإن ذلك لا أهمية لــه، ويجب تجاهله) على حد قول المعتمد السياسي البريطاني في بغــداد رولنســون في رسالته لجونز، إذ أن ما يهم بريطانيا هو حماية البحر من أي قوة قد تشكل خطرا على مصالحها[79].

[78] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/197-200** .

[79] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/203** .

(6)

(السيطرة البريطانية على الجزيرة العربية وموقف الدعوة الوهابية)

وفي يناير سنة **1875**م توفي سعود بن فيصل بن تركي آل سعود في الرياض، وتم اختيار أخيه عبدالرحمن بن فيصل خلفا له، غير أن القبائل في الإحساء كانت ضده، وقد قام والي بغداد بضم الإحساء إلى لواء البصرة والمناطق السفلى التابعة له، وكانت تحت حكم ناصر السعدون[80].

وفي شهر يونيو سنة **1876**م أرسل السيد الفضل العلوي حاكم صلالة وإقليم ظفار إلى الباب العالي يؤكد تبعيته للخلافة العثمانية، بناء على رغبة سكان الإقليم، وطلب من الدولة العثمانية تزويده بالسفن والعتاد العسكري لتأمين المنطقة، وقد توطد نفوذ العلوي بتأييد قبائل ظفار له، ورفع العلم العثماني، وقد كتب المسئولون البريطانيون في حكومة الهند تقريرا عن العلوي وبأنه (شخص خطير حاقد على بريطانيا وأن دعوته أكثر تطرفا من الدعوة الوهابية)، مما دفع بريطانيا للتدخل والتخطيط للقضاء على العلوي الذي يهدد سيادتها البحرية ونفوذها في مسقط[81].

---

[80] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/656** .

[81] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/671- 673**.

ويلاحظ أن تهمة التطرف وتهديد الأمن هي الشماعة التي تستخدمها الحملات الصليبية الحديثة لاحتلال المنطقة، ولمواجهة كل من يتصدى لمقاومتها!

وقد وقعت اضطرابات على السواحل بين الإحساء وقطر سنة **1876**م قامت بها قبائل بني هاجر والمرة، وقد كتبت حكومة الهند إلى لندن بأنه (كثر التعدي من القبائل التابعة للعثمانيين كبني هاجر والمرة)[82].

وقد دفع ذلك المسئولين البريطانيين إلى اقتراح (تحديد المناطق التي للدولة العثمانية عليها سيادة، وأنه يتعين على بريطانيا الاعتراف للدولة العثمانية بالسيادة الإقليمية على الساحل العربي، ضمن حدود معينة، فالموانئ العثمانية على الخليج هي الكويت، والقطيف، والعقير، وعلى الجانب الساحلي من الخور ويعرف بساحل قطر، ويضم البدعة، والوكرة، والعديد، بالإضافة إلى مرفأين أو ثلاثة مرافئ صغيرة، ومن ثم فاستيلاء الدولة العثمانية على هذا الساحل لا يعطيها أي مزايا، غير أن السيادة الوهمية التي تمارسها على هذه المنطقة، والتي تتمثل في وجود قوة عسكرية صغيرة ترابط في البدعة، قد بدأت تشكل خطرا على بريطانيا، نظرا لتدخل المسئولين الأتراك في شئوننا التجارية المشروعة، التي نحقق من ورائها كثيرا من المكاسب، وباستثارتهم للمشاعر القومية للسكان العرب في هذه المناطق،ولو تم ذلك ـ أي تحديد المناطق وتنازل الدولة العثمانية

تأمل في التهمة البريطانية للسيد العلوي بأنه متطرف خطير لا لشيء إلا لأنه يقاوم الحملة الصليبية البريطانية الاستعمارية على الخليج والجزيرة العربية، فما أشبه الليلة بالبارحة!

[82] سياسة الأمن **225** .

عن سيادتها وديا على الساحل الممتد من جنوب العقير إلى مقابل ساحل البحرين ـــ فإن هذه المبادرة سوف تخدم بريطانيا إلى حد كبير، ويمكن وضع حـــد لـــروح القرصنة التي تسود القبائل)[83].

التطلع البريطاني للسيطرة على داخل الجزيرة العربية:

وقد بدأت حكومة الهند البريطانية تتطلع إلى تحديد الحدود البرية لشيوخ قبائـــل الساحل، مع ضمان الحماية البرية لهم، كما هو الحال في البحر، وهذه أول مـــرة تفكر فيها حكومة الهند بالتدخل في منطقة الظهير البري[84].

ولم يتحقق هذا الاقتراح إلا بعد ثلاثـــين ســـنة، أي في ســـنة **1913**م، في إطـــار الاتفاقية العثمانية البريطانية المعقودة في العقير بتاريخ **29** يوليو، التي تم بموجبها رسم حدود السيادة العثمانية في الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية، والتي تمتد من جنوب العقير إلى الربع الخالي جنوبا، والذي عرف فيمـــا بعـــد بـــالخط الأزرق[85].

وقد كان هناك اعتراف من المسئولين البريطانيين بحدود السيادة العثمانية الفعلية، وأن (المنطقة الممتدة من البصرة إلى العديد ـــ مرورا بالكويـــت والإحســـاء ـــ تشكل المنطقة الساحلية المعترف بالسلطة السياسية والإدارية للدولة العثمانيـــة

---

[83] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/662- 663** .

[84] سياسة الأمن **228** .

[85] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/663** .

عليها، وفي القطيف والعقير توجد لها حاميات وجهاز إداري، أما في البدعة على الساحل الشرقي من رأس قطر فإن السلطة العثمانية سلطة قوية، وإن لم تكن منتظمة)[86].

كما اعترف المسئولون البريطانيون بأن معاهداتهم مع مسقط وقبائل ساحل عمان لم تضمن لبريطانيا وحكومة الهند البريطانية ممارسة أي سيادة من أي نوع على تلك القبائل، وأنه لا بد من تغيير هذه السياسة التي أفقدت بريطانيا نفوذها في الخليج في مقابل ازدياد النفوذ العثماني في الجزيرة والخليج العربي، الذي أدى إلى تقليص النفوذ البريطاني البحري[87].

وفي شهر أغسطس/ **8** سنة **1879**م صدر مرسوم من الوالي العثماني في البصرة عبدالله باشا باعتبار مسقط، والبحرين، والشحر، والمكلا، وكل الموانئ على سواحل الجزيرة العربية الشرقية والغربية هي موانئ عثمانية، ما عدا ميناء عدن، وقد حاول البريطانيون الاعتراض والاحتجاج على هذا المرسوم، فلم يرد عليهم العثمانيون، ولم يلتفتوا إليهم[88].

وقد سمحت بريطانيا للمقيم السياسي البريطاني سنة **1879**م باستخدام اللازم ضد القراصنة في المياه الإقليمية العثمانية في شرق شبه الجزيرة العربية، الممتدة

---

[86] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/710- 711** .

[87] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/711- 715** ، وسياسة الأمن **228** .

[88] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/724- 725** .

من الكويت إلى قطر ضمن مرمى قذائف المدفعية البحرية البريطانية، غير أن الخارجية البريطانية تحفظت على هذا الإجراء(لأنه بالنظر إلى عدم وجود معاهدة تنص على مثل هذه الإجراءات، فإن مهمة السفن البريطانية تقتصر على مكافحة أعمال القرصنة في المياه الدولية، خارج المياه الإقليمية التركية، وقد صدرت تعليمات إلى قائد الأسطول تدعوه إلى الامتناع عن القيام بأية إجراءات عدائية ضد الأراضي التركية، أو المياه الإقليمية التركية، دون موافقة الأتراك وتعاونهم)[89].

وقد وصل المسئولون البريطانيون إلى قناعة بأن (الرقابة البحرية التي كانت تمارسها الحكومة البريطانية في الخليج رقابة محدودة، وكان الشيء الوحيد المطلوب من شيوخ المنطقة هو عدم اعتداء أحد منهم على الأطراف الأخرى المشتركة في معاهدة السلم البحرية لعام **1853**م، كما أن مجال التدخل البريطاني ضد أي اعتداء من ذلك النوع محدود)[90].

مما يستدعي من الحكومة البريطانية إعادة النظر في المعاهدات مع شيوخ القبائل، ومع الدولة العثمانية لتحديد المناطق التي تحت سيادتها.

وقد رفضت الدولة العثمانية اتخاذ أي إجراءات مشتركة مع بريطانيا يخول بريطانيا حق مطاردة القراصنة في مياهها الإقليمية في الخليج العربي، وهو ما زاد

---

[89] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/717-718** ، وسياسة الأمن **234** .

[90] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/718**.

من تعقيد وتقليص النفوذ البريطاني في الخليج، خاصة وأن السيادة العثمانية على داخل الجزيرة العربية وفي البر يجعل لها السيادة على مياهها الإقليمية في سواحل الخليج من البصرة إلى قطر حيث لا خلاف على سيادتها على هذه المنطقة.

وقد أكد الخبراء القانونيون البريطانيون الذين تمت استشارتهم في هذا الموضـــوع بأن بريطانيا لا تتمتع بحق انتهاك المياه الإقليمية العثمانية، ووافقوا بهذا الـــرأي، رأي الخارجية البريطانية، وهو ما لم يرتضه مكتب شئون الهند البريطانية[91].

ويلاحظ أن بريطانيا اتخذت من دعوى مكافحة قراصنة البحر الخليجيين، ذريعـــة لاحتلال المنطقة، كما تتخذ الولايات المتحدة اليوم مكافحـــة الإرهـــاب ذريعـــة لتكريس احتلالها للمنطقة!

المخطط البريطاني لمشروع الثورة العربية ضد الخلافة العثمانية سنة 1880م:

وقد وجد البريطانيون صعوبة في التوصل إلى اتفاق حول هذا الموضوع مع الدولة العثمانية، خاصة بعد ازدياد شك الخليفة العثماني السلطان عبدالحميـــد الثـــاني بالمؤامرة البريطانية ضد الخلافة العثمانية، والذي كان يصر على أن البريطـــانيين يخططونلثورة العرب في أقاليم الخلافة ضد الباب العالي، وأنهم يســـتغلون تـــذمر العرب لفصل أقاليمهم عن الدولة العثمانية، وفرض السيطرة البريطانية عليهـــا،

[91] بريطانيا والخليج لجون كيلي 728/2 .

حيث تلقى السلطان معلومات في فبراير سنة **1880**م من مصادر عدة، تفيد بأن بعض العرب في الجزيرة والعراق وسوريا مستعدون للثورة إذا وجدوا دعما مـــن بريطانيا أو أي دولة أخرى، وأن الحجاز هو مصدر تلك الحركة، ومن المحتمل أن يكون شريف مكة، الذي يطمح أن يكون خليفة للمســلمين، ضــالعا في هــذه المؤامرة، ولم تجد المحاولات التي بذلت مع السلطان عبدالحميد من أجل تبديد تلك المخاوف التي تسيطر على عقله[92].

ومما يؤكد شك السلطان عبدالحميد أن شريف مكة حسين بن محمد بن عون قــد عرض على الحكومة البريطانية تكليفه بإرسال رسول منه إلى ملــك أفغانســتان، ليدعوه إلى الدخول في علاقة مع بريطانيا، وقد تم فعلا الاتفاق بشكل سري بــين شريف مكة والقنصل البريطاني في جدة لعقد الاجتماع وإعداد الترتيبــات لهــذه المهمة، غير أنه وقبل الاجتماع بأيام تم اغتيال الشريف[93].

وقد اختار السلطان عبدالحميد الشريف عبدالمطلب أميرا على مكة لشدة عداوته لبريطانيا، كما تأكد للسلطان عبدالحميد منذ أواسط سنة **1880**م، عن طريــق مصادره من وجود مؤامرة بريطانية تستهدف نفوذه في نجد والإحســاء، وذلــك بتأييدها بعض آل سعود، وهو عبدالله بن ثنيان بن سعود، وقد تمت اللقاءات بين

---

[92]بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/731- 732** وقد أثبتت الأيام صحة رأي السلطان عبدالحميد حيث كانت بريطانيا وراء الثورة العربية التي حدثت بعد ثلاثين سنة!

[93]المصدر السابق .

ابن سعود وبين السفير البريطاني في اسطنبول لطلب دعم بريطانيا، وقد وعدها بالسيطرة على القبائل الساحلية، وأنه سيحقق بذلك مصالح بريطانيا[94].

المخطط الأوربي الصليبي للقضاء على الخلافة العثمانية وتقاسم أقاليمها:

وكانت بريطانيا قد طالبت الدول الأوربية في مؤتمر برلين سنة 1880م بإعادة تقسيم أقاليم الدولة العثمانية، وهو ما أثار سخط السلطان عبدالحميد على بريطانيا، التي كانت حليفة قبل ذلك للدولة العثمانية، وقد قامت بريطانيا بتنفيذ مخططها عمليا باحتلال مصر سنة 1882م[95].

وقد كان عذرها في احتلال مصر هو أنها تريد إعادة الأمن والاستقرار لها، مع أنها تعترف بسيادة الدولة العثمانية عليها، وتبعيتها لها!

وقد بدأت بريطانيا أيضا من طرفها بالحذر والخشية من أن يكون السلطان عبدالحميد وراء الاضطرابات وتأجيج مشاعر المسلمين في الهند، بدعوى أنه خليفة للمسلمين في كل مكان، وقد توصل ماليت سكرتير مكتب الشئون الهندية البريطانية إلى أن (الأمل ضعيف في التخلص من السلطان وتجريده من سلطته الدينية، كما حدث بالنسبة للبابا، فإن السلطان العثماني وحكومته يشكلان رمزا

[94] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/734-735 .

[95] سياسة الأمن 234 .

لأقطار عديدة أغلبية سكانها من الرجعيين والمتعصبين والمعادين لكل مظهـــر مـــن مظاهر المدنية الحديثة التي ميزت شعوب أقطار أوربا)[96].

معاهدات الاحتلال والحماية البريطانية مع شيوخ الخليج العربي:

وفي 22 ديسمبر سنة 1880م، وخشية من امتداد النفوذ العثماني إلى البحرين، وقعت بريطانيا معاهدة الحماية التي تنص على أن يلتزم شيخ البحرين وذريته من بعده بأن لا يتصرف في أراضي بلده، ولا يعقد أي اتفاق مع أي دولة، ولا يقيم علاقة دبلوماسية قبل الرجوع إلى بريطانيا (وقد عززت هذه المعاهدة من ارتباط البحرين بالحكومة البريطانية، وحولتها إلى دولة تابعة تبعية مطلقة لبريطانيا)[97].

وفي ديسمبر سنة 1887م وقعت بريطانيا اتفاقيات مماثلة مع شيوخ قبائل ساحل عمان المهادن– الإمارات العربية –[98].

ويلاحظ عبارة (شيوخ القبائل) فهي تعبر أوضح تعبير وأصدقه عن واقـــع هـــذه المشيخات الصغيرة حين وقعت بريطانيا معها اتفاقيات الحماية، وأنها لم تكن مدنا

---

[96] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/738 .

وتأمل في هذه العبارة والنظرة الصليبية للعالم الإسلامي وقارنها بتصريحات بـــوش الشـــانيورئيس وزراء إيطاليابرلسكونيـــ إبان الحرب على أفغانستان والعراقـــ عن الإسلام والمسلمين اليوم لتعـــرف أبعـــاد الحملة الاستعمارية الغربية الصليبية الجديدة على العالم العري والإسلامي، وأن الروح الصـــليبية مـــا زالت مؤثرة بشكل رئيسي في السياسة الغربية والأوربية في المنطقة الإسلامية والعربية!

[97] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/749– 751 .

[98] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/762 ، وسياسة الأمن 251.

فضلا عن دول، وهو ما يبطل قانونية كل تلك المعاهدات حسب القانون الدولي، إذ لم تكن بين دولتين بل بين دولة وموانئ تابعة لدولة أخرى هي الدولة العثمانية!

وما لبثت أن سقطت الرياض سنة **1888**م على يد محمد ابن رشيد أمير حائل، الذي ظل تابعا للخلافة العثمانية، وكذا ظل الحجاز تحت حكم الأشراف تابعا للخلافة العثمانية.

وفي مارس **3** سنة **1891**م، وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع سلطان مسقط.

وفي سنة **1892**م وقعت معاهدات حماية شبيهة لمعاهدة مسقط مع كل من البحرين، وشيوخ الإمارات الخليجية، في مايو **5** سنة **1896**م[99].

وبعد اغتيال مبارك الصباح أخاهمحمداسنة **1896**م – بتخطيط بريطاني بسبب رفض محمد للمعاهدة لأنه موظف عثماني كما سيأتي[100] – طلب مبارك الصباح من المقيم السياسي البريطاني في بوشهر توقيع معاهدة حماية معه، إلا أن بريطانيا تحفظت لكون الكويت تابعة بشكل رسمي للدولة العثمانية، وخشيت بريطانيا من إثارة المشاكل معها، وفي **21**يناير سنة **1899**م، وقعت بريطانيا اتفاقية حماية مع مبارك كمثل اتفاقية البحرين[101].

---

[99]سياسة الأمن **257** .

[100]انظر أوراق الزعيم المصري مصطفى كامل المقالات الجزء الثاني ص **232**.

[101]بريطانيا والخليج لجون كيلي **766/2** .

وقد ظلت اتفاقية الكويت سرية، لكون مبارك ما زال يحمل صفة قائممقام عثماني.

وقد كانت اتفاقيات بريطانيا مع شيوخ الساحل كلها غير قانونية إذ إنه لم يكن للشيوخ أي صفة قانونية ليوقعوا مثل هذه الاتفاقيات، حيث إن مدنهم كانت جزءا من دولة كبرى هي الدولة العثمانية بشكل رسمي، كما إن شيوخها كانوا موظفين رسميين فيها من قبل الخليفة العثماني، ويتقاضون مخصصاتهم من خزينة الدولة العثمانية، حين وقعوا تلك الاتفاقيات، وهذا ما دفع بريطانيا لتوقيعها بصورة سرية.

كما كانت بريطانيا تخشى أن تحدث اضطرابات أهلية إذا تم افتضاح أمر هذه المعاهدات، وهذا ما حدث بالفعل إذ أصدر علماء الوهابية في نجد فتاواهم في ردة من دخلوا في مثل تلك المعاهدات، حيث أفتى عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ فتوى في أهل الخليج جاء فيها(وانتقل الحال بهم حتى دخلوا في طاعتهم،واطمئنوا إليهم، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم، وهو بلا شك أعظم أنواع الردة .. وقد قال تعالى{ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}، وقال سبحانه{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء

بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم}...فكل من دخل في طاعتهم، وأظهر موالاهم، فقد حارب الله ورسوله، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته)[102].

كما كثر السؤال عن حكم مثل تلك المعاهدات فصدرت الفتاوى الجماعية من علماء نجد كعبدالله بن عبداللطيف وإبراهيم بن عبداللطيف وسليمان بن سحمان بأن الدخول تحت الحماية البريطانية ردة عن الإسلام[103].

وقد ظلت بريطانيا تعترف بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى قطر مرورا بالكويت، والإحساء، حتى سنة **1895**م، حيث أعلنت عن عدم اعترافها بالسيادة العثمانية على قطر التي ما زالت فيها حامية عثمانية[104].

وفي **3** نوفمبر سنة **1916**م، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى، وقعت قطر اتفاقية الحماية مع بريطانيا، بنفس شروط معاهدة البحرين، ليصبح الخليج العربي كله تابعا تبعية مطلقة لبريطانيا، فاقدا أي سيادة في ظل الاستعمار البريطاني للخليج العربي، الذي استمر منذ ذلك الحين، إلى الاستقلال الصوري في أواخر القرن العشرين، حيث حلت الولايات المتحدة محل بريطانيا، وما زالت الإشكالية!

---

[102]الدرر السنية **11/8** .

[103]الدرر السنية **435/10** .

[104]سياسة الأمن **237-239** .

(7)

(الرؤية البريطانية الاستعمارية لمستقبل الجزيرة العربية)

لقد أدرك البريطانيون الواقع الذي كانت عليه الأوضاع في الجزيرة والخليج العربي حيث لا وجود لدولة أو ما يمكن أن يصدق عليه اسم دولة، بل كان الإقليم كله جزء من الدولة والخلافة العثمانية، وقد عمل البريطانيون على توظيف ذلك الواقع لصالح المشروع الاستعماري البريطاني، الذي كان ينتظر الفرصة التاريخية السانحة للانقضاض على الدولة العثمانية واحتلال أقاليمها بعد ضعفها، وقد أكدت التقارير البريطانية سنة 1917م ـ كما في تقرير هرتزل ـ أهمية الجزيرة العربية بالنسبة لبريطانيا حيث جاء فيها (إن أهمية الجزيرة العربية من حيث موقعها الجغرافي أمر معروف، ولا يمكن لأي قسم من تلك البلاد ألا يهم بريطانيا العظمى التي هي الدولة الوحيدة ذات موطئ القدم في البلاد في الوقت الحاضر، إن سيطرتنا محدودة على شريط ضيق محاذ للساحل من عدن إلى الكويت، وإنه يعتمد في نهاية الأمر على استتباب الهدوء في المناطق الداخلية ـ أي القبائل داخل الصحراء ـ ولما كنا غير قادرين على التدخل في داخلية البلاد أو السيطرة عليها، فإنه لأمر أساسي استبعاد كل بذور الاضطراب المحتملة، إن جزيرة لعرب ليست دولة بأي معنى فعلي، بل هي مجموعة من العشائر، وهي مستقرة تقريبا في المناطق الخصبة قرب الساحل، وفي ما عدا ذلك فهي رحالة

يرأسها شيوخ لا تقرر سلطاتهم الحدود الأرضية، بل العشائر التي يرأسونها في وقت معين، إن سياستهم متشابكة بصورة وثيقة، وإذا نشب نزاع فإنه قد يمتد إلى الجزيرة كلها، ولدينا مع العشائر والشيوخ على الساحل المذكور علاقات تنظمها معاهدات ... وحين يخرج الأتراك من الجزيرة العربية، فإنها لن تقع بيد سيد عربي واحد)[105].

كما درس علماء الأجناس البريطانيون ـ كما في الموسوعة البريطانية ـ خصائص الجنس العربي في شبه الجزيرة العربية وأنهم (من حيث التكوين الطبيعي من أقوى وأنبل العروق البشرية في العالم، فهم جسديا لا يرضخون إلا للقلة من الأجناس البشرية هذا إذا رضخوا لأي منها، فأما ذهنيا فإنهم متفوقون على معظم أجناس البشر، ولا يحد مسيرة تقدمهم سوى النقص الملحوظ في القدرة على التنظيم، وعجزهم عن القيام بعمل مشترك)[106].

فقد كان البريطانيون يؤمنون بأن (العرب لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، والاستقلال للمناطق العربية كما ورد على ألسنة المسئولين البريطانيين خلال أحاديثهم أثناء الحرب، كان يعني فقط الاستقلال عن الامبراطورية العثمانية، وأن هذه المناطق ستدور في فلك دولة أوربية ما).

[105] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 126/1 .

[106] سلام ما بعده سلام (ولادة الشرق الأوسط) لديفيد فرومكين ص120 .

كما تمت الكتابة بتاريخ **26 / 8 / 1915**م إلى حاكم الهند البريطاني من قبـــل البريطانيين المهتمين بشئون المنطقة(ليس بالأمر المستحيل أن يقوم في وقت مـــا في المستقبل اتحاد فيدرالي لدول عربية شبه مستقلة، بتوجيه وتأييد أوربي، وتكـــون هذه الدول مرتبطة مع بعضها على أرضية عرقية ولغوية، وتكون مدينة بـــالولاء الروحي لرأس عربي، وتتطلع إلى بريطانيا على أنها ولية أمرها وحاميتها).

كما أكد اللورد كيتشنر ضرورة نقل الخلافة من اسطنبول قبل أن تقـــع تحـــت النفوذ الروسي، إلى الجزيرة العربية حيث ستظل الخلافـــة فيهـــا تحـــت التـــأثير البريطاني[107].

لقد قررت بريطانيا احتلال الخليج والجزيـــرة والســـيطرة عليهـــا تـــدريجيا دون استثارة الدولة العثمانية التي كانت تعيش أوضاعا سيئة، فقامت بتوقيع اتفاقيات سرية مع شيوخ الساحل باسم معاهدات الحماية، بينما هي احتلال غـــير مباشـــر للمناطق التي وقعت معها المعاهدات من غير أي صفة قانونية، فقد وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع عمان سنة **1891**م، وقد نصت في القسم السري منها على أن لا يتصرف سلطان عمان بأي جزء من أرضه بأي شكل من أشكال التصرف دون الرجوع إلى السلطة البريطانية، وكذا وقعت بريطانيا سنة **1892**م معاهدة حماية بالشروط نفسها مع البحرين ومع مشـــيخات الخلـــيج المهـــادن(رأس الخيمـــة، والفجيرة، وأم القوين، والشارقة، ودبي، وأبو ظبي).

[107] ولادة الشرق الأوسط **158- 159** .

لقد ظلت بريطانيا تقر للخلافة العثمانية بسيادتها المباشرة على الخليج العربي من البصرة إلى ميناء القطيف، ففي سنة **1876**م جاء في تقرير رسمي لنائب المعتمد البريطاني في الخليج العربي ما يلي(الموانئ العثمانية المهمة على الساحل العربي من الخليج هي الكويت والقطيف والعقير)، وكذا اعترفت حكومة الهند البريطانية سنة **1878**م بالسيطرة العثمانية على جميع الساحل العربي من البصرة إلى العقير، وحق الحكومة العثمانية بمطاردة القراصنة في البر والبحر، وكذا اعترف السفير البريطاني في اسطنبول سنة **1879**م نيابة عن وزير الخارجية بالاعتراف بالسيادة العثمانية المباشرة على سواحل الخليج من البصرة إلى العقير، وفي سنة **1893**م أكد السفير البريطاني في اسطنبول بصورة رسمية اعتراف حكومته بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى القطيف[108].

وكانت بريطانيا قد طلبت من جابر الصباح في حدود سنة **1856**م أن يوقع معها اتفاقية حماية فرفض اعترافا بتبعيته للدولة العثمانية حيث قال (إن الحكومة العثمانية جارتنا ــ هكذا في تاريخ الرشيد! والصحيح حكومتنا ــ وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الأمر والنهي)، وقد أكرمه والي البصرة العثماني رشيد باشا بإجراء مخصصات مالية له ولأسرته، وتكرمت عليه الدولة العثمانية بفرمان وعلم أخضر، ثم بعد ذلك في سنة **1871**م عينت الدولة

[108]تاريخ الكويت السياسي لخزعل **2/114- 115** .

العثمانية عبد الله الثاني بن جابر قائم مقـــام للكويـــت تابعـــا لولايـــة البصـــرة العثمانية[109].

وكما يقول لوريمر(ظل عبدالله بن صباح الذي تولى المشيخة بعد أبيه من **1866** إلى **1892** على علاقة وثيقة بالحكومة التركية طوال مدة حكمه، وكان مطيعـــا ومتحمسا لأن يكون أداة للسياسة التركية، وفي سنة **1870** كان هو الوســـيط الذي من خلاله قدم عبدالله بن فيصل أمير الوهابيين المعزول عونه للأتـــراك، وفي **1870** قدم عبدالله وسائل النقل البحري المؤلفة من **300** سفينة أهليـــة لنقـــل القوات التركية المتجهة لفتح الأحساء، وقد صحب الحملة بنفسه، وعن طريقه تم إقناع شيخ الدوحة في قطر برفع العلم التركي، وحين ذهب مـــدحت باشـــا والي بغداد في جولة تفتيشية في إقليم الأحساء قبل نهاية الســـنة توقـــف في الكويـــت ونصب الشيخ عبدالله على الكويت، وأوضح أنه كان قائمقاما للحكومة التركية في الكويت التي اعتبرت أن الكويت أصبحت تابعة لتركيـــا في الوقـــت الـــذي أصبحت فيه الأحساء كذلك)[110].

---

[109] تاريخ الكويت للرشيد **120**و**125- 126**، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل **1/119- 138** .

[110] دليل الخليج العربي القسم التاريخي **3/1521** .

(ويبدو في أثناء حكم الشيخ عبدالله 1866 ـ 1892 أن السلطات البريطانية في الخليج لم تكن لها علاقة مباشرة بالكويت حيث كان ينظر إلى هذا المكان على أنه تابع للسيطرة التركية)[111].

وفي إبريل سنة 1893 كتب السفير البريطاني في اسطنبول خطابا رسميا للخارجية العثمانية يبلغها فيه باعتراف الحكومة البريطانية بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى القطيف[112].

ثم حاولت بريطانيا بعد وفاة عبدالله توقيع معاهدة مع أخيه محمد بن صباح في حدود سنة 1895م غير أنه رفض الطلب اعترافا بتبعيته للدولة العثمانية[113].

وبعد اغتيال مبارك لأخيه محمد سنة 1896 ظلت العلاقة مع الدولة العثمانية كما هي، واعترف مبارك بولائه للخليفة العثماني، ورفع العلم التركي، واستقبل مسئولا تركيا عن الحجر الصحي، وفي ديسمبر سنة 1897 صدر فرمان عثماني بتعيين مبارك قائمقاما للكويت تابعا لولاية البصرة، وبدأ اسمه يتردد في التقارير

---

[111] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1522/3 .

يحاول لوريمر كما هي عادته إثبات أنه لا وجود للسيادة العثمانية على القبائل أو الموانئ في الخليج ليبرر ما قامت به حكومة الهند البريطانية للسيطرة عليها واحتلالها باسم المعاهدات، لكن يعود أمام الحقائق التاريخية والواقعية ليعترف بوجود السيادة العثمانية على الجزيرة والخليج العربي!

[112] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1524/3 .

[113] تاريخ الكويت السياسي 152/1 .

الرسمية للولاية، وبدأت مراسلاته من البصرة على هذا الأساس، وجعل له راتب شهري **300** جنيه في العام[114].

وقد تم بعد ذلك تدبير بريطانيا للانقلاب من مبارك على أخيه محمد وقتله لـــه، وتوقيع مبارك المعاهدة السرية مع بريطانيا سنة **1899**، وقد ذكر مصطفى كامل ــ الزعيم المصري المشهور وقائد مصر نحو الاستقلال في مقال له في جريدة اللواء **1902/8/26**م بعنوان(إنكلترا والإسلام)ــ هذه الفتنة التي وراءها يد بريطانية وجاء فيه(كيف يتصور عقل سليم أن بريطانيا التي احتلت مصر خداعا، وسلبت السودان سلبا، وحرضت الأمة العربية على رفع العصيان في وجه الخليفة، ودعت المسلمين للافتراق والاختلاف، وبذرت بذور الفساد، ونشرت عصابات الدخلاء في بلادهم ليميتوا الشهامة من قلوبهم، تصير في يوم من الأيـــام حليفـــة للدولـــة العثمانية، وحليفة للمسلمين والإسلام؟!إن الـــدول عامـــة وإنجلتـــرا خاصـــة لا يتسابقن إلى طلب صداقة تركيا إلا إذا سعين وراء امتياز، أو تنـــافس في طلـــب معدن، أو احتلال جزيرة، أو استئجار شاطئ؟!لقد احتلت بريطانيا قبرص بدعوى مساعدة الدولة العثمانية، واحتلت مصر بحجة إنقاذ الخديوية المصرية، وفصـــلت السودان عن مصر ثم استردته بمال مصر وجنودها، ليكون مســـتعمرة بريطانيـــة متصلة بمصر من جهة، ومطلة على البحر الأحمر وبلاد العرب من جهة أخـــرى، وأثارت الفتن في الكويت واليمن ليتم لها ما أرادت، لتؤسس الخلافة العربية التي

[114] دليل الخليج العربي القسم التاريخي **1526/3** .

كان نابليون مولعا بها، ولم يبق في أوربا أحد من رجال السياسة إلا وتراه عالما بهذه الخطة وتلك الغاية، فلا تقوم في بلاد العرب فتنة حتى تنادي الصحف هناك بأن اليد المدبرة لها هي يد بريطانيا!وقد باحثت جريدة(غازيت دي لا كروا)أخيرا في هذا الموضوع فقالت:إن بريطانيا تريد محو الحبشة لأنها العائق بينها وبين أغراضها، ولكنها لا تجد من النجاشي مساعدا على خراب بلاده كما وجدت من شيخ الكويت الذي جهل أنه باستسلامه وخيانته يضع الحجر الأول للخلافة العربية التي يعمل لها الإنجليز وبها يتم للمسلمين الشقاء وتضيع من أيديهم أسباب العز والرخاء!هذا ما يقوله كتاب الغرب، فأين أنتم يا كتاب المسلمين وساستهم لترفعوا أصواتكم منذرين ومحذرين الأمم العربية من الخطر المهدد لها؟!أين أنتم لترددوا لهم ما قاله فيكتور هيجو :يوجد بعض أمكنة وبعض ساعات من نام فيها مات!وترشدوهم إلى أن الساعة الحاضرة هي من تلك الساعات التي أشار إليها شاعر فرنسا الكبير!أين أنتم لتقنعوا أولئك الضالين الذين تخدعهم انجلترا ليكونوا يدا واحدة في إحياء الملة وحماية الإسلام)[115].

وقد ذكر المؤرخ الروسي لوتسكي في كتابه(تاريخ الأقطار العربية)هذه الحادثة التي حدثت في الكويت حيث قال:(كانت انجلترا تهدف دائما إلى فرض سيطرتها على دول الخليج العربي وتحويله إلى بحيرة إنجليزية، وكانت الكويت هي المكملة لهذا المخطط، فقد كانت الكويت تحت سيطرة الباب العالي، وفي سنة **1895**م

[115]أوراق مصطفى كامل المقالات الكتاب الثاني ص **231-232**. وهذا المقال منشور سنة **1902**م أي قبل الثورة العربية للشريف حسين ضد الخلافة العثمانية بنحو خمسة عشر عاما!!

حاولت عقد علاقة تحالف مع شيخ الكويت محمد الصباح ولكنه رفض، فـدبرت مؤامرة لقتله هو والمقربين إليه، وتولى السلطة من بعده أخوه مبـارك الصـباح الذي بادر بعقد اتفاقية سرية مع إنجلترا سنة **1899**م، وجرت مفاوضـات بـين إنجلترا وتركيا سنة **1901**م انتهت بعقد اتفاقية تنص علـى اعتـراف انجلتـرا بسيادة تركيا على الكويت، والاعتراف بالاتفاقية البريطانية مع الكويت، وهكذا بسطت بريطانيا سلطتها على الكويت)[116].

وقد حامت الشبهة حول دوافع الإنقلابالذي قام به مبارك الصباح حـتى وصـل الأمر للباب العالي بأن بريطانيا تخلصت من محمد الصباح على يد أخيه مبـارك، بإيعاز من المقيم البريطاني بالخليج العربي، لكونه كان عقبة أمام مشروعها، لضم الكويت لدول الساحل الخليجي، بل إن بعض الدوائر الرسمية البريطانية أخـذت بترديد هذه الفرضية[117].

وقد تكررت الحادثة مع الشيخ مزعل شيخ عربستان الذي رفض توقيع معاهدة مع بريطانيا في الفترة نفسها فقام أخوه خزعل بالانقلاب عليه، ووقع المعاهدة مع بريطانيا!(لقد كان موقف شيخ المحمرة معاديا للحكومة البريطانية، ولكن في سنة **1897** تغيرت الأمور عقب اغتيال الشيخ مزعل وتولي الشيخ خزعـل مشـيخة

---

[116]انظر حاشية المصدر السابق.

[117]دليل الخليج العربي القسم التاريخي **438/1** و **1529/3** ، والعلاقات بين نجـد والكويـت لخالـد السعدون ص **29-30** .

تلك الإمارة الذي لم يكتف بتأييد المصالح البريطانية وممثلي بريطانيا وحسب بـــل تقدم سرا لوضع نفسه تحت الحماية البريطانية)[118].

وسيصبح الرجلان مبارك وخزعل ــ بعد اغتيالهما أخويهما ــ رجلي بريطانيا في الخليج العربي بعد ذلك!

وقد حدث الاغتيال لمزعل بعد أشهر من اغتيال محمد على يد مبارك!

لقد كان اتصال مبارك الصباح بالبريطانيين مبكرا ففي سنة **1863** زار الرائـــد والمقيم البريطاني بيللي الكويت فوصل من البصرة إلى الجهراء ومن هناك صاحبه مبارك بن صباح لوالده الشيخ صباح الذي قضى معه بيللي يومين، وكما يقـــول لوريمر(ولا شك في أن الرائد قد استطاع أن يتعـــرف بوضـــوح علـــى مســـتقبل الكويت المحتمل كميناء تجاري إلى جانب صلاحيتها كي تكون قاعدة لمحطة تلغراف ومستودعات للفحم)[119].

وقد أثبتت الوثائق بأن مبارك الصباح قد زار البحرين قبل اغتيال أخويه ولبـــث فيها شهرين، وكان في زيارة للمعتمد البريطاني فيها، وبعد رجوعه مباشرة قـــام بالانقلاب على أخويه[120]!

---

[118]دليل الخليج العربي القسم الجغرافي **491/1** .

[119]دليل الخليج العربي القسم التاريخي **1518/3** .

[120]وثائق الكويت لسلت هانا.

لقد نجحت بريطانيا في مسعاها للتخلص من محمد الصباح، ووقعت معاهدة سرية مع أخيه مبارك الصباح سنة 1899م، التزم فيها هو ومن يخلفه على أن لا يتصرف بأي شكل من الأشكال في أرضه إلا بعد الرجوع إلى السلطة البريطانية، وأن لا يتصل بأي دولة أخرى إلا بعد الرجوع إلى بريطانيا، وأن تشرف بريطانيا على شئون الكويت الخارجية، وأن تظل الاتفاقية سرية، وقد دفعت بريطانيا مقابل توقيع مبارك على تلك الاتفاقية خمسة عشر ألف روبية[121].

والمقصود بالكويت في الاتفاقية مدينة الكويت فقط، إذ لم تتجاوز سلطة شيخ الكويت آنذاك حدود أسوار المدينة الصغيرة التي كانت ميناء بحريا.

وقد قدم السفير العثماني في لندن عندما وقف على مضمون المعاهدة بين مبارك وبريطانيا احتجاجا رسميا على هذه المعاهدة حيث إن مبارك الصباح من رعايا الدولة العثمانية، وإن مثل هذه المعاهدة تعد تحديا لسيادة الدولة العثمانية، وقد ردت الحكومة البريطانية بأنها لا تعتزم التدخل في الوضع القائم في الكويت[122].

كما طلبت بريطانيا أن يتعهد لها مبارك خطيا بأن يمنع استيراد أو تصدير الأسلحة من الكويت وإليها فأصدر منشورا بذلك في مارس 1900م[123].

احتلال الرياض :

[121] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1532/3 .وتاريخ الكويت لخزعل 128/2 .

[122] تاريخ الكويت لخزعل 129/2 .

[123] تاريخ الكويت لخزعل 130/2.

وبعد هذه الاتفاقية مع مبارك بدأت بريطانيا تتطلع إلى داخل الجزيرة العربيـــة، ووجدت الكويت أقرب منطقة للتدخل فيها، فبعد تلك المعاهدة مباشرة خـــرج ابن سعود سنة **1900**م من الكويت إلى الرياض للاستيلاء عليها، بتوجيه وتخطيط من الكويت، وبدعم عسكري ومادي[124].

وهذا ما كان يخشاه مدحت باشا والي بغداد من قبل، حيـــث توقـــع أن ســـيطرة بريطانيا على الكويت ستشكل خطرا على نجد والعراق، إذ تمثل الكويت أقـــرب نقطة يمكن للبريطانيين الانطلاق منها نحو هـــذين الإقلـــيمين المهمـــين للخلافـــة العثمانية[125].

وقد بدأ مبارك الصباح تحت إشراف وتوجيه حكومة الهنـــد بتنفيـــذ المشـــروع البريطاني بعد توقيع المعاهدة السرية مباشرة، حيث خـــرج مباركبعـــد المعاهـــدة بأشهر ومعه قبائل كثيرة إلى ابن رشيد في حائل ـــرجل الدولة العثمانية في نجد ـــ وكان الهدف إشغاله ليتمكن ابن سعود من السيطرة على الرياض، فانهزم مبـــارك ومن معه في معركة الصريف، وانسحب ابن سعود من الرياض، ثم بعد أشهر نجح ابن سعود في احتلال الرياض، وأرسل إلى مبارك الصباح بالخبر، وبنجـــاح ابـــن سعود ـــ المدعوم سياسيا وعسكريا من مبارك مباشرة الذي يخضع لمعاهدة ســـرية مع بريطانيا التي تسيطر على الشئون الخارجية للكويت بناء على تلك المعاهدة ـــ

[124] تاريخ الكويت لخزعل **177/2** .

[125] مذكرات مدحت باشا **239** .

أصبح وسط الجزيرة العربية ساحة مفتوحة لأول مرة في التاريخ للنفوذ البريطاني، وقد ظل التخطيط البريطاني سريا وهادئا، إذ ظل مبارك ظاهريا تابعـا للدولـة العثمانية، فقد كان رسميا يمثلقائمقاما لها في الكويـت، وقـد أرسـلت الدولـة العثمانية سنة 1901م برقية إلى مبارك بعد حرب الصـريف ــ الـتي أثـارت القلاقل في نجد في الوقت الذي تحتاج فيه الدولة العثمانيـة اسـتقرار أقاليمهـا الداخلية لمواجهة المؤامرات الغربية والحمـلات الصـليبية ــ وجـاء في تلـك البرقية:(بلغوا الشيخ مبارك بأن منطوق المعاهدة الدولية تنص بأن المواقع الـتي فيها علم عثماني، أو مركز عسكري، أو مأمور حكومي، فليس للدول الأخـرى حق التدخل في شئونه)، وقد طلب والي البصرة من مبارك القدوم إلى البصـرة، وتقديم فروض الطاعة للدولة العثمانية ففعل، وصدر فرمان عثماني بجعل مبـارك الصباح قائممقام على قضاء الكويت التابع لولاية البصرة[126].

كما كتب مبارك إلى والي البصرة سنة 1901م ، يشتكي من تهديدات ابن رشيد للكويت، وجاء في كتابه(أهل الكويت لم يحيـدوا عـن طاعتـها ــ أي الخلافـة العثمانية ــ ولم يخرجوا عن سلطانها، ولم يتمردوا على أوامرها)[127].

---

[126] تاريخ الكويت لخزعل 2/52.

[127] تاريخ الكويت لخزعل 2/55 .

وبعد احتلال ابن سعود للرياض أرسل مبارك إلى والي البصرة العثماني مصطفى باشا يخبره بالموضوع، ويطلب منه رفع الأمـــر إلى البـــاب العـــالي في الأســـتانة للاعتراف بابن سعود أميرا على الرياض[128].

وقد كانت الدولة العثمانية تجري مخصصاتها المالية على ابن سعود، وعلى والده عبدالرحمن بن سعود، وأسرته التي كانت لاجئة في الكويت[129].

لقد كان وجود عبدالرحمن بن فيصل وأسرته في الكويت بناء على موافقـــة مـــن الدولة العثمانية، فبعد خروجه من الرياض سنة **1891**م توجه إلى الأحســـاء، ثم إلى الكويت حيث رفض شيخها آنذاك استقباله لكونه قائمقاما عثمانيا، فلجأ إلى قبيلة العجمان وآل مرة، ثم وافقت الدولة العثمانية على قدومه إلى الكويت مع أسرته، وتم تخصيص مرتبات مالية له ولأسرته وهي **60** ليرة شـــهريا، ولبـــث في الكويت نحو تسع سنين حتى عاد إلى الرياض[130].

وقد كتب عبدالرحمن بن سعود سنة **1902**م، كتابـــا إلى نقيـــب الأشـــراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أســـباب ما جرى، ويؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وجاء فيه(ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتج إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المـــؤمنين،

---

[128] تاريخ الكويت لخزعل **176/2** .

[129] تاريخ الكويت لخزعل **178/2** .

[130] عبدالعزيز وبريطانيا ص **28** .

أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، بــاذلين الجدوالاجتهادفيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو مــن مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعــديات ابــن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش)[131].

كما كتب عبد الرحمن بن سعود في الوقت ذاته كتابا آخر إلى المقيم السياســي البريطاني في (بوشهر) يخبره فيه بخروجه من الكويت إلى الريــاض، ويرجــو مــن بريطانيا أن تضع نظرها عليه، وأن تشمله بعطفها ولطفها[132].

وقد ظل مبارك(ينكر أمام الحكومة العثمانية تدخلــه في شــئون ابــن ســعود، ومساعدته في احتلال الرياض، ومده بالقوة)، كمــا أخــذ يتوســل إلى الدولــة العثمانية للاعتراف بابن سعود، فطلب والي البصرة مخلص باشا سنة **1904**م من مبارك نقل رغبة الدولة العثمانية بأن يعلن ابن سعود وقاسم بن ثاني كامل الولاء للدولة العثمانية، ففعلا وأرسلا ببرقياتهم إلى اسطنبول بهذا الخصوص، وطلب والي البصرة حضورهما شخصيا، وتم عقد لقاء في الزبير بين عبد الرحمن بن سعود ووالي البصرة، بحضور مبارك اعترافا منهما بالتبعية للدولة العثمانية[133].

---

[131] تاريخ الكويت لخزعل **179/2** ، وتاريخ الكويت للرشيد ص **179** .

[132] المصدرين السابقين.

[133] تاريخ الكويت للرشيد **179**، وخزعل **183/2** .

وفي سنة **1904**م في ثالث ذي الحجة من سنة **1322**هـ (وصل عبدالرحمن بن فيصل هو ومبارك الصباح شيخ الكويت إلى الرافضية قرب بلد الزبير لمواجهة والي البصرة أحمد مخلص فخرج إليهم الوالي وأخبرهم بأن أمر نجد الآن راجع إلى المشير أحمد فيضي ـ الذي توجه قبل شهر من السماوة إلى القصيم ومعه ستة طوابير عسكر ـ وقال له لا بد من اجتماعك معه أنت يا عبدالرحمن في القصيم، وهناك تصلح جميع أحوال نجد.

فرجع عبدالرحمن ومبارك الصباح إلى الكويت ثم توجه عبدالرحمن من بندر الكويت إلى الرياض ومنها إلى القصيم لمواجهة المشير أحمد فيضي واجتمع معه هو وأمراء القصيم، وتفرقوا دون أن يحصل لهم منه مساعدة، وتوجه المشير إلى المدينة المنورة ثم إلى اليمن من أجل إخماد ما فيه من الفتن)[134].

وفي سنة **1906** أرسلت الدولة العثمانية خطابا إلى عبدالعزيز بن سعود على لسان أمير العسكر العثماني في نجد حسن شكري ورد فيه:(جناب المكرم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل نفيد جنابكم أن جلالة الخليفة الأعظم بلغه اضطرام الفتنة في نجد، وأن يدا أجنبية محركة لها فلهذا السبب بعثني إليكم حقنا للدماء ومنعا لتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين، وأنا أنذرك إذا لم تأتنا وتبين الأسباب التي حملتك على إضرام هذه الفتنة بدون مراجعة أي ولاية من ولايات الدولة، واقتصارك على مراجعة صاحب الكويت وأخذ المدد منه، وأنت تعلم أنه

---

[134] تحفة المشتاق **396** .

خارج عن طاعة الدولة ناكث لعهد الخليفة وخائن له في بلاده، وما كان ينبغـــي منك الالتئام معه)!

وقد رد عبدالعزيز بجواب ذكر فيه أن السبب الذي دفعه إلى الخروج هو الظلـــم الذي يمارسه الولاة وتفريطهم في شئون الولايات وجاء في جوابه (وانظر إلى ولاية البصرة كيف فرطت في الكويت، وإلى والي اليمن كيف سلوكه)[135].

وفي الوقت الذي كان ابن سعود يعترف بتبعيته للخلافة العثمانية، كان يتصـــل بالبريطانيين سرا، فقد أرسل مندوبا سنة 1906م، للمعتمد السياسي البريطاني في البحرين (بريدكس)، طالبا مساعدة بريطانيا للتخلص من الوجـــود العثمـــاني في الإحساء، ومؤكدا رغبته في عقد معاهدة معهم، وموافقته على وجـــود معتمـــد بريطاني في الإحساء والقطيف، وقد قال كوكس(لا بد من الاعتراف بـــأن ابـــن سعود سوف يقضي على الوجود التركي في الجزيرة العربية في أول فرصة ســـانحة له)، وطلب من حكومته اتخاذ قرار بالدخول مع ابن سعود في معاهدة حماية، غير أن حكومته تحفظت على هذا الطلب محافظة على علاقاتها مع الدولة العثمانيـــة، وفي آخر السنة نفسها في اكتوبر سنة 1906م، اتصل ابن سعود بالمقيم البريطاني في الخليج العربي ثانية، طالبا الدخول في حماية بريطانيا، غير أنها أكدت حرصـــها

---

[135] تحفة المشتاق 398 .

على صداقته، واعتذرت عن إجابة طلبه، مراعاة للدولة العثمانية، التي يتبع لهـــا ابن سعود بشكل رسمي مباشر[136].

وقد استمر مبارك وابن سعود مع ذلك بإعلان التبعية للدولة العثمانية، ووقفـــا معها في حربها مع إيطاليا في طرابلس سنة **1911**م، وقد أرسل ابن سعود رسالة للآستانة جاء فيها (عبوديتي وخدماتي لمقام الخلافة الإسلامية معلومة عند أوليـــا الأمور، وإن سكان جزيرة نجد عموما قلبا وقالبا وجميعنا على استعداد للـــدفاع عن الدولة بأموالنا وأرواحنا منتظرين الإشارة من مقام الخلافة والأمر لكم!

التوقيع : خادم الدولة أمير نجد، ورئيس عشائرها، عبدالعزيز السعود)[137].

كما وقفا معها في حرب البلغار سنة **1912**م، بوصفهما قائممقامين عثمانيين في الكويت ونجد، التابعتين لولاية البصرة العثمانية .

وقد دفع مبارك عشرة آلاف ليرة للدولة العثمانية في هذه الحرب[138].

وقد كتب وكيل والي البصرة سنة **1912**م إلى مبارك الصباح كتابا يخبره فيه بأن الباب العالي قد أرسل برقية يوصي فيها بمنحـــه الجنســـية العثمانيـــة، لتســـجيل ممتلكاته بالبصرة، ونصها(إلى جناب قائممقام الكويت مبارك الصباح، فقـــد ورد

---

[136] قصة السيطرة البريطانية على الخليج **357- 358** .

[137] تاريخ الكويت لخزعل **85/2** .

[138] تاريخ الكويت للرشيد **184** .

الأمر بإجراء المعاملة لجنابكم وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية غير المحررة)[139].

ومع ذلك فقد تم اتفاق سري بين ابن سعود وحكومة الهند البريطانية عن طريق معتمدها في الكويت سنة **1911**م على احتلال الأحساء، وقد اطلع بعض المؤرخين النجديين على بعض تفاصيل تلك المعاهدة مبكرا حيث ذكرها ابن بسام المتوفى سنة **1927**م في تاريخه تحفة المشتاق[140]، في حوادث سنة **1329**هـ — **1911**م فقال:(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الأحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحارب بدون إذنهم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).

وقد اضطرت بريطانيا في سنة **1913**م وقبيل الحرب العالمية الأولى إلى توقيع معاهدة مع الدولة العثمانية، اعترفت فيها بريطانيا بالسيادة العثمانية على

---

[139] تاريخ الكويت لخزعل **91/2** .

[140] تحفة المشتاق ص **410** .وهذه اتفاقية غير معاهدة دارين سنة **1915** بين ابن سعود وبريطانيا، فبنود هذه الاتفاقية تختلف عن بنود اتفاقية دارين، فهي تتحدث عن احتلال الأحساء والقطيف، والاتصال بين الطرفين كان قديما، إلا أن هناك خلافا بين حكومة الهند البريطانية التي تدفع باتجاه دعم ابن سعود مبكرا، وحكومة لندن التي ظلت تتحفظ حتى الحرب العالمية الأولى، فالاتفاق الأول كان بينه وبين حكومة الهند عن طريق الكويت، وقد لا يكون مدونا، إلا أن ابن بسام قد اطلع على مصادر تؤكد الخبر، وذكر نص المعاهدة كاملا، ولا يوجد ما ينفي صحته، فقد ثبت حدوث اللقاء بين الطرفين في الكويت سنة **1911** وبعده تم احتلال الأحساء.

ساحل الخليج والكويت، مقابل الاعتراف العثماني بمصالح بريطانيا في الخليج، وقد كان برسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج يطمح ــ كما جاء في تصريح له ــ بأن تكون إدارة شئون الكويت الخارجية من اختصاص بريطانيا، إلا أن مكتب الخارجية البريطانية صمم على ضرورة اعتراف بريطانيا بتبعية الكويت الكاملة للدولة العثمانية، وإثبات السيادة العثمانية عليها بتعيين ممثل عثماني في الكويت، لضمان اعتراف الدولة العثمانية بمصالح بريطانيا في الخليج[141].

ولم تكن الدولة العثمانية تعير الكويت اهتماما كبيرا، لكونها مدينة صغيرة، تابعة لولاية البصرة، التي كان يتبعها الشريط الساحلي على الخليج إلى الإحساء آنذاك، ، إذ كانت الدولة العثمانية تكتفي بالسيطرة على المدن والأقاليم الرئيسية، وتعين فيها ممثلين لها، كسنجق الإحساء التابع لولاية البصرة، دون الموانئ والمدن الصغيرة، كالكويت، والزبير، حتى تم طرح مشروع ألمانيا لسكة الحديد التي تمر بالكويت، وقد أسخطت تلك المعاهدة شيخ الكويت مبارك الصباح، وشيخ المحمرة الشيخ خزعل وقد علق كوكس على ذلك بقوله(لم يرحب الشيخ مبارك بالسيادة التركية التي كنا قد علمناه رفضها! كما أنه أبدى أسفه الشديد لتعيين ممثل تركي في بلاده، لذا كان لا بد أن أقابل الشيخين وأطلب منهما التعاون الكامل والكف عن التذمر والاستياء)[142].

---

[141] قصة السيطرة البريطانية 393 .

[142] قصة السيطرة 395 .

كما إن المعاهدة العثمانية البريطانية لسنة **1913**م نصت على السيادة العثمانية الكاملة على نجد والإحساء، وعدم تدخل بريطانيا في هذه المنطقة، وبعد احتلال ابن سعود للإحساء في السنة نفسها وبدعم سري من حكومة الهند البريطانيــة، لم تستطع بريطانيا إقامة أي علاقات معه بشكل رسمي، التزاما بما تنص عليه المعاهدة المذكورة، مما حداها إلى الطلب من الدولة العثمانية بالاعتراف بابن سعود سنجقا عثمانيا على سنجق الإحساء، لتتفاهم معه بريطانيا حول حفظ الأمن بالمناطق التي يسيطر عليها في الخليج العربي[143].

وقد أرادت الدولة العثمانية بعد سقوط الإحساء أن ترسل جيشا بحريا لاستعادتها من ابن سعود، فتدخلت بريطانيا وأبدت معارضتها لهذا التدخل صيانة للسلم في الخليج العربي، وتم توقيع اتفاق بين الدولة العثمانية وابن سعود على أن يكــون ابن سعود واليا عثمانيا على الأحساء لمدة عشر سنوات، وأن تكون هناك ثكنات عسكرية في القطيف والجبيل لرفع العلم لعثماني، وأن يجبي ابن سعود الضــرائب ويدفع الزائد للخزينة العثمانية، وأن تدفع له الدولة مخصصات شــهرية قــدرها **250** ليرة.

---

[143] المصدر السابق **397** .

وقد صدر فرمان عثماني من الخليفة بالاعتراف بابن سعود سنجقا عثمانيا علـــى نجد والإحساء تابعا للدولة العثمانية[144].

وقد وقعت بريطانيا بعد ذلك معاهدة حماية سرية مع ابن سعود ســـنة 1915م، تنص على عدم تصرفه بأي جزء من أرضه إلا بعد الرجوع إلى بريطانيـــا، وأن لا يتصل بأي دولة إلا عن طريق بريطانيا، وكذا وقعت بريطانيا معاهدة حماية مـــع قطر سنة 1916م بعد بدأ الحرب العالمية الأولى.

لقد كانت تلك المعاهدات سرية أو شبه سرية، من أجل ترتيب الوضع البريطاني في الخليج والجزيرة في المستقبل، حين تسقط الدولة العثمانية، ونجحت بريطانيا في تشكيل حلف سري مع شيوخ الساحل كله، بمن فـــيهم ابـــن ســـعود، ومبـــارك الصباح، مع كونهما قائمقامين عثمانيين حين توقيع تلـــك المعاهـــدات، ليصـــبح الخليج العربي كله تحت الاحتلال البريطاني باسم اتفاقيات الحماية البريطانية!

---

[144] مذكرات سليمان فيضي 155 .

(عبيد بلا أغلال)

(8)

(أوضاع الجزيرة العربية السياسية والإدارية قبل الحرب العالمية)

لقد كانت الجزيرة العربية إلى مطلع سنة **1900**م تحت السيادة العثمانية بشكل رسمي بالنسبة للمدن الرئيسية والساحلية المهمة(مكة، المدينة، الحديدة، تعز، صنعاء، القطيف، حايل، بريدة ...الخ) حيث توجد الحاميات العثمانية، أو بشكل اسمي للموانئ والمدن الصغيرة الأقل أهمية(ساحل عمان، البحرين، قطر، الكويت).

وأما القبائل التي كانت تسيطر على وسط الصحراء داخل الجزيرة العربية وهي المساحة الأكبر من الجزيرة كقبائل عنزة، وشمر، والظفير، ومطير، وحرب، وعتيبة، والعجمان، وبني هاجر، والمرة، وسبيع، والدواسر ....الخ فكانت لا تخضع لأي سلطة، بل كانت تتبع أنظمة إدارية خاصة للقبائل في الخلافة العثمانيةالتي تجري عليها مخصصات مالية مقابل تأمين الطرق داخل الجزيرة العربية.

لقد ظلت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العثمانية منذ أن دخل السلطان سليم الأول القاهرة وتنازل له الخليفة العباسي عن الخلافة سنة **923**هـ ــ **1517**م، حيث تم في السنة نفسها ضم الحجاز إلى الخلافة العثمانية، وبايعه شريف مكة ومعه شيوخ العشائر الحجازية.

وفي سنة **941**ه – **1534**م دخل السلطان سليمان القانوني بغداد، وأعلن أمير البصرة والأحساء والبحرين راشد بن مغامس الدخول في الطاعة، ودخلت الجيوش العثمانية إلى الأحساء سنة **963**ه – **1555**م حتى مسقط، وبهذا أصبحت الجزيرة العربية كلها من الخليج العربي إلى البحر الأحمر جزء من الخلافة

العثمانية، التي دامت بين سلطنة وخلافة **623** سنة، حيث قامت سنة **1299**م ــ وسقطت سنة **1922**م، ودعي لها باسم الخلافة على منابر العالم الإسلامي مــدة **400** سنة.[145]

[145]انظر مقدمة محققي كتاب مرآة جزيرة العرب للمؤرخ العثماني أيوب صبري **20/1** .

تقسيم الولاياتوالنظم الإدارية العثمانية:

وقد كان النظام الإداري للقسم العربي من الخلافة العثمانيـــة مقســـم في ســـنة **1904**م إلى ولايات، على كل منها والٍ، وتنقسم الولاية إلى ألوية على كل لواء متصرف، وتتفرع عن الألوية أقضية، وعلى كل قضاء قائممقام، وهي على النحو التالي:

1- ولاية الحجاز: وتضم إمارة مكة، ولواءين:لواء المدينة، ولواء جدة، ويتبـــع لواء المدينة أربعة أقضية هي:ينبع، والوجه، والسوارقية، والعقبة.

2- ولاية اليمن : وتضم أربعة ألوية :صنعاء، والحديدة، وعسير، وتعز.

3- ولاية البصرة : وتضم أربعة ألوية : البصرة، والمنتفق، والعمارة، ونجد.

4- ولاية بغداد : وتضم لواء بغداد، وكربلاء، والديوانية.

5- ولاية الموصل: وتضم لواء الموصل، وكركوك، والسليمانية.

6- ولاية حلب: وتضم لواء حلب، وأورفه، ومرعش.

7- ولاية سوريا: وتضم أربعة ألوية هي الشام، وحماة، وحوران، والكرك.

8- ولاية بيروت: وتضم أربعة ألوية هي بيروت، وعكا، وطرابلس، واللاذقية.

9- متصرفية القدس الشريف: وهي متصرفية مستقلة تتبعها أربعة أقضية هـــي قضاء يافا، وقضاء غزة، وقضاء الخليل، وقضاء بئر السبع.

10- متصرفية الزور : وهي مستقلة، وتتبعها أربعة أقضـــية هـــي البوكمـــال، والعشارة، والعربان، ورأس العين.

11- متصرفية جبل لبنان : وتضم ثمانية أقضية.

12- إيالة مصر : وعليها خديوي تابع للخليفة، يساوي في رتبته رتبة الصدر الأعظم ــ رئيس الوزراء في اسطنبول ــ وتضم هذه الإيالة مصر والسودان.

13- ولاية طرابلس الغرب ــ ليبيا ــ : وتضم خمسة ألوية هي طرابلس الغرب، والجبل، وفزان، والغات، وحمص.

14- متصرفية بنغازي: وهي متصرفية مستقلة تضم ثلاثة أقضية.

15- إيالة تونس.[146]

هذا بالنسبة للمدن وتقسيماتها الإدارية أما بالنسبة للقبائل والعشائر في الدولة العثمانية فقد كانت خارج النظم الإدارية والمالية المعتادة، وكان يعهد بشئونها إلى أمراء وشيوخ يعينون وفقا للتقاليد المعروفة بين القبائل.[147]

قال المؤرخ العثماني أيوب صبري سنة **1877**م :

(ظلت منطقة جزيرة العرب تحت حكم الإدارة العثمانية منذ عهد فاتح الشام ومصر سليم الأول أي منذ **360** سنة، وبينما عين الولاة لإدارة الحرمين الشريفين، وبعض مناطق الحجاز، وبعض الأماكن المشهورة القريبة من السواحل اليمنية، فإن سكان الجزيرة من قبائل العرب لم يدخلوا تحت الإدارة، وانصاعوا لإدارة مشايخهم وأمرائهم، ومع أن الإدارة السنية لم تكن تأخذ أي إعانات مالية من الأهالي والعربان إلا إنها كانت تدفع رواتب نقدية وعينية لقبيلة حرب وبعض لقبائل الأخرى لحراسة قوافل الحجاج).[148]

---

[146] المصدر السابق **22/1** .

[147] المصدر السابق **24/1** .

[148] مرآة جزيرة العرب **1**/ **159** .

ومن تلك القبائل قبيلة عنزة (لما كانوا يتولون حماية قوافل الحجيج ويحافظون على أموالهم وأرواحهم فقد خصصت لكل منهم مرتبات من الصرة السلطانية وكانت تخصص لهم الخلع والعطايا).[149]

وقال لوريمر في دليل الخليج عن قبائل الأحساء:

(سنجق الأحساء إحدى مقاطعات الإمبراطورية التركية، وكان الأتراك يطلقـــون عليها قبل الاحتلال[150] العثماني لنجد عام **1905** سنجق نجد، ويقـــول الأتـــراك بأنهم يتمتعون بالسيادة على كافة الأراضي، واعترفت الحكومة البريطانية بذلك، ويدفع الأتراك الإعانات لقبائل العجمان وبني هاجر وبني خالد وآل مرة الـــذين يقيمون في هذه البلاد، وكانت القبائل المذكورة مرتبطة طيلة الثلاثين سنة الماضية بالحكومة التركية دون غيرها من الحكومات ضمن حدود سنجق الأحساء).[151]

وقال الأنصاري(وكانت عساكر الدولة العثمانية مرهوبـــة الجانـــب في نفـــوس الحاضرة والبادية، وكانت الدولة قررت لزعمـــاء الباديـــة مرتبـــات، وفي ســـنة **1320**هـــ طلب زعماء آل مرة وزعماء بني هاجر زيادة في مرتباتهم).[152]

---

[149]المصدر السابق **2/268** .

[150]وانظر كيف كان البريطانيون يعدون سيادة الخلافة العثمانية على الأقاليم العربية احتلالا، ويعدون احتلالهم هم للمنطقة معاهدة!لتعرف كيف شاعت الثقافة المعاصرة الزائفة بعد ذلك كأثر مـــن آثـــار الحملة الصليبية البريطانية على العالم الإسلامي!مع أن العالم الإسلامي بشعوبه وقومياته على اختلافها كان يعيش وحدة إسلامية قرونا طويلة، لا يجد غضاضة أن يكون السلطان كرديا كصلاح الـــدين، أو تركيا كمحمد الفاتح، قبل الاحتلال الصليبي الغربي الذي أثار النعرات القومية التي ما زال المسلمون يدفعون ثمنها من دمائهم وأمنهم وازدهارهم والعراق اليوم أوضح شاهد!

[151]دليل الخليج العربيللوريمر القسم الجغرافي **2/838** .

[152]تحفة المستفيد **186** .

وقال حسين خزعل(كان لبادية الجنوب حقوق في الأحساء تؤديها لهم الدولة العثمانية، وكان لقبيلة العجمان نفوذ في الأحساء والقطيف يقرب من نفوذ الحاكم العثماني).[153]

النظم الإدارية في الألوية :

تم تقسيم الدولة العثمانية إداريا إلى ولايات، تتبعها ألوية، وتتبع الأولوية أقضية، وقد جعل الأحساء لواء سنة **1871**م، يضم أربعة أقضية هي الهفوف، والقطيف، والمبرز، وقطر، وسمي لواء نجد، وقد كان هذا اللواء يتبع ولاية بغداد من سنة **1871** إلى **1877**م، حيث تم فصل ولاية البصرة عن بغداد، فصار لواء نجد والأحساء يتبع ولاية البصرة، ثم عادت البصرة لواء تابعا لبغداد سنة **1880** إلى **1884**م، ثم جعلت البصرة بعد ذلك ولاية مستقلة، وصار لواء نجد والأحساء تابعا لها.[154]

وقد وضع أحمد مدحت باشا سنة **1871**م حين زار المنطقة نظاما إداري شاملا للواء نجد والأحساء، وجعل الهفوف مركزا للواء، وتم تعيين محمد نافذ أول متصرف للواء، كما تم تعيين علي بك قائمقام سامراء سابقا قائمقاما للقطيف، واختير حيدر أفندي قائمقام العمارة سابقا نائبا لقائمقام القطيف، وتم تعيين محاسب للواء، ومعاون للمتصرف، ونائب شرع أي قاضي للمحكمة الشرعية، ومدير بيت المال، وأمين صندوق، ونص النظام الإداري على تشكيل مجلس إدارة للواء، ومجلس للتمييز في أحكام القضاء الشرعي في الهفوف، ومركز دعاوى في القطيف، وجعلت الرياض وعنيزة وبريدة وحائل ضمن أربع وعشرين مدينة أقضية تتبع لواء نجد والأحساء، وكتب متصرف اللواء أحمد نافذ لشيوخها رسائل

---

[153]تاريخ الكويت السياسي **2/216** .

[154]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني ص **19**.

بتعيينهم قائمقامية في مدنهم، تابعين له[155]، كما عدت أبوظبي والبريمي جزء من لواء الأحساء.[156]

وقد تولى منصب متصرف لواء نجد والأحساء ثلاثون متصرفا، منذ سنة **1871**م إلى سنة **1913**م.

وقد حدد القانون العثماني صلاحيات المتصرف، ومهامه، ونص على حظر تعيين المتصرف لأحد من أقاربه في الوظائف العامة في المتصرفية، وشدد على هذا الحظر، وقد تم عزل محمد سعيد باشا لهذا السبب[157].

وفي سنة **1910**م طلبت الدولة العثمانية بانتخاب ممثل للواء الأحساء ونجد في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) في الأستانة، كما هو الحال في بقية ولايات وألوية الدولة العثمانية، منذ الإعلان عن إعادة العمل بالدستور سنة **1907**م، وتم تشكيل لجنة برئاسة عبد المحسن بن عبد الله البداح، وعضوية عبد اللطيف الملا، وعبد الله الجعفري، وغيرهم من أعيان الأحساء، وطلب متصرف لواء الأحساء من المفتي الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملا أن يحث الأهالي على المشاركة في الانتخابات، وأن يشرح لهم أهمية الشورى، وضرورة مشاركة الأمة في إدارة شئون الدولة[158].

وهذا الحق الذي كانت يتمتع به أهالي المنطقة في الدولة العثمانية قبل مائة عام لم تتمتع به شعوبها بعد سقوطها إلى اليوم، ليظهر مدى التخلف الذي ضرب المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني الذي قضى على الحرية وحمى الحالة العشائرية ورسخها، وخرج

---

[155] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص **23**.

[156] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **34**.

[157] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **51** .

[158] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص **39-40** .

يوم خرج من الخليج صوريا سنة **1960 ــ 1970**م وأهالي المنطقة النفطيــة يعيشــون في مدن الصفيح في غاية التخلف والفقر والأمية!

لقد كان عدد من متصرفي لواء الأحساء ذوي كفاءات حسنة وإدارة جيدة تركت بصماها الإدارية في اللواء ومنهم:

(الفريق محمد نافذ الذي نجح في تقربه من الأهالي وحل مشاكلهم وأحبوه، كمــا نجح الفريق محمد عاكف في تطبيق برنامج إداري وأمني طموح، وكان المتصرفون الذين تعاقبوا على اللواء من أجناس مختلفة مــن الأتــراك والعــرب والأكــراد وغيرهم).[159]

ومن العرب الذين تولوا متصرفية اللواء بزيع بن محمد بن عريعر الخالدي ســنة **1874- 1875**م، ومزيد بن ناصر السعدون **1875 - 1876**م، وموسى كاظم الحسيني **1900- 1901**م، وهو والد المجاهد الفلسطيني عبد القادر الحسيني، وقد قام بتشكيل مجلس للمعارف لنشر العلم والتعليم في اللواء، وجعل في عضــويته عدد من علماء الأحساء منهم الشيخ راشد المبارك[160]، ومن العرب الذين تولوا متصرفية اللواء السيد طالب باشا النقيب سنة **1902- 1904**م.

وقد ذكر الشيخ المؤرخ يوسف بن راشد المبارك متصرفي اللواء وحسن إدارهــم بقوله :

(كان الولاة العثمانيين يظهرون الاحترام لعلماء الأحساء، ولم يظهر منــهم أدنى تحيز لمذهب من المذاهب الدينية، ويختلطون بوجهاء البلد ويــزوروهم في الجمــع

---

[159] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **53** .

[160] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **118** .

والأعياد في أماكنهم، ولم يشتهر عن ولاتهم من الترك مع قلتهم بخل أو شـــدة أو غباوة).[161]

وكان يتوجب على المتصرف قبل مغادرة اللواء الحصول على براءة ذمة بناء على شهادة من مجلس إدارة اللواء، تفيد بدفعه للضرائب، وبراءة ذمتـــه مـــن ســـائر عائدات اللواء لتقديمها إلى مرجعه الإداري في الولاية التي يقوم مجلسها بإعـــداد مضبطة مماثلة.[162]

مجلس إدارة اللواء :

ويتكون مجلس إدارة اللواء من ثمانية أعضاء، أربعة منهم معينون وهم بالإضـــافة إلى متصرف اللواء، القاضي رئيس محكمة البداية في اللواء، ورئيس مجلس التمييز في اللواء، ومحاسب اللواء، ومدير التحريرات.

أما الأعضاء المنتخبون وهم أربعة، يتم اختيارهم عن طريق الترشيح والانتخـــاب من الأهالي، لمدة أربع سنوات، وكان لمجلس إدارة اللواء مدع عام مهمته متابعـــة القضايا التي تحتاج إلى متابعة إدارية وقضائية، وكان يحظر على المجلس التدخل في القرارات والأحكام التي تصدرها المحاكم أو مجالس التمييز، مـــع أنـــه يصـــادق عليها.[163]

وقد حدد نظام الولايات العمومية صلاحيات هذا المجلس، ومنها الإشراف علـــى الواردات والمصروفات وعلى جميع الأموال الحكومية المنقولـــة وغـــير المنقولـــة، وإجراء المحاكمات الإدارية لموظفي اللواء، والنظر في احتياجات اللواء من الطرق

---

[161] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 53 .

[162] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 55 .

[163] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 235- 239 .

ووسائل المواصلات، الإشراف على الأعمال المنوطة بمتصرف اللواء ومنها المزايدات والمقاولات الحكومية، والمصروفات المباشرة، كما للمجلس حق طلب التحقيق في القضايا العامة والنظر في نتائجها، والنظر في توزيع الضرائب والرسوم وطرق تحصيلها ومقدارها، والنظر في تظلمات الأفراد، وغيرها من الصلاحيات.

وقد كان أول مجلس إدارة للواء الأحساء سنة 1290هـ ـ 1873م، وتم انتخاب عدد من الأهالي كأعضاء في المجلس، واستمر المجلس قائما بشئونه، يتم انتخاب أعضائه من الأهالي بشكل دوري، إلى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، ومن أشهر أعضائه المنتخبين:

محمد بن عبد الله الحملي، وعثمان الدوغان، وعثمان الجغيمان، وعبد الله البداح، وعبد الله الشعيبي، وعبد اللطيف بن موسى الحملي، وأحمد الملحم، وأحمد الماجد، وعبد الله السعدون، وإبراهيم الجعفري، وسيد حسن البراقي، وعبد الله العيسى، وعبد الرحيم الفرج، ومحمد الزاير، ومحمد الناصر، وأحمد مهدي النصرالله، وماجد الحسين، وحسين الخنيزي، وصالح السنان[164].

النظم الإدارية في الأقضية:

وقد نص النظام الإداري العثماني على تقسيم اللواء إلى وحدات أصغر تسمى أقضية ترتبط بمتصرف اللواء إداريا، وقد قسم لواء الأحساء بموجب هذا النظام سنة 1871م إلى أربعة أقضية هي قضاء الهفوف وهي مركز لواء الأحساء، وقضاء القطيف، وقضاء المبرز، وقضاء قطر، وكان يتم تعيين قائممقام على كل قضاء، فكان أول قائمقام للقطيف هو إبراهيم بك، وآخر قائمقام لها محمد بن سلطان الملحم الذي تم تعيينه سنة 1911م إلى خروج العثمانيين من الأحساء سنة

[164]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني240- 243 .

1913م، وبلغ عدد من تولوا هذا المنصب عشرين قائمقاما، كما تم تعيين قاسم آل ثاني قائمقاما لقطر، وكان أول قائمقام لقضاء المبرز طالب أفندي، كما جعلت الرياض قائمقامية وتم تعيين عبد الرحمن بن فيصل آل سعود قائمقاما لها سنة 1910م[165].

بينما ظلت الكويت قضاء تابعا للواء البصرة العثماني، وقد دعا متصرف لواء نجد والأحساء صالح باشا مابين سنة 1886-1888م إلى ضم الكويت إلى لواء نجد والأحساء.[166]

ويعد القائم مقام موظف إداري في القضاء تابع للمتصرف في اللواء التابع بدوره لوالي الولاية، ويتم تعيين القممقام من قبل الحكومة المركزية في الأستانة، وهو المسئول عن تنفيذ الأمور الإدارية والمالية والأمنية، وتنفيذ تعليمات الدولة، التي يحيلها إليه متصرف اللواء، وتنفيذ أحكام المحكمة الشرعية بعد أخذ موافقة المتصرف، وليس له أي سلطة على الجنود النظاميين في القضاء.[167]

كما يتبع القضاء نواحي وقرى، وعلى كل ناحية مدير، وعلى كل قرية عمدة أو مختار.

وقد أصدر مجلس الوزراء العثماني قرارا بتعيين معاون لقائمقام قطر، ومديرين لناحية الزبارة والعديد، فكان أول معاون له محمد بك، وآخرهم محمد صديق أفندي، الذي كان قائمقام قضاء القرنة في ولاية البصرة، التي يتبع لها لواء الأحساء آنذاك، وقد نجح في القيام بمهمته في قطر كمعاون للقائمقام فيها، كما تم استحداث منصب وكيل لقائمقام قطر التابع للواء الأحساء، وقد استقال قاسم

---

[165] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 183.

[166] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 85 .

[167] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 185.

بن ثاني من القائمقامية، وجعل أخاه أحمد وكيلا لها، إلى أن توفي، ثم جعل مكانـــه عبد الله بن جاسم وكيلا إلى أن توفي والده، ثم صار أميرا بعد خروج العثمـــانيين من قطر في الحرب العالمية الأولى.[168]

وقد جاء في كتاب طلب الاستقالة التي قدمها قاسم بن ثاني إلى الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني عن طريق والي البصرة(إلى حضـــرة أمـــير المـــؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، السلطان بن السطان الغازي عبد الحميد الثاني...أنا خادمكم قد خدمت الدولة العلية أربعا وعشرين سنة، وأنا اليوم ابن خمس وستين سنة، والآن قصرت الهمة، ولا لي قدرة على القائمقامية، فأطلب الاستعفاء مـــن أمير المؤمنين، وأنا في الخدمة، وتحت العبودية، وقد بينت لجناب والي ولاية البصرة حمدي باشا، والأمر أمركم، التوقيع قاسم بن محمد بن ثاني قائمقام قطر).[169]

مجلس إدارة القضاء:

وللقضاء مجلس إدارة على النمط والطريقة نفسها التي يتشكل بها مجلـــس إدارة اللواء، وله نفس الصلاحيات إلا أنها في نطلق دائرة القضاء وما يتبعه من نواحي وقرى، ويرأسه القائمقام في القضاء، ويتكون من معاون للقائمقام، ومدير لبيت المال، وأمين صندوق، وكاتب للتحريرات.

ويتم انتخاب أربعة أعضاء من الأهالي، وقد تم تشكيل وانتخاب مجلـــس قضـــاء القطيف، ومجلس قضاء قطر الذي وقع بين أشهر أعضائه خلاف حاد وهم محمـــد الفيحاني وجاسم آل ثاني سنة 1302هـ ــ 1885م[170].

مجلس إدارة الناحية :

---

[168] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني 205-211 .

[169] الأمن الداخلي في الأحساء تحت الحكم العثماني ص 196 .

[170] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 243 .

والناحية هي المنطقة والوحدة الأصغر من القضاء، وتشتمل على القرى التابعة لها، ولها مجلس إدارة حسب قانون الولايات العثماني، يتكون من مختاري وعمد القرى الذين لا تتدخل الدولة عادة في اختيارهم بل يختارهم الأهالي أو بالتوارث، ويرأس مجلس إدارة الناحية مدير الناحية، وقد كان لقضاء الهفوف أربعة نواحي هي المبرز والجفر والعقير والعيون.

وقد بدأ مجلس ناحية المبرز بعد تحويلها من قضاء إلى ناحية سنة **1296**هـ ــ **1878**، وباقي نواحي الأحساء في **1314**هـ ــ **1896**م، وكانت قرارات مجلس الناحية تتخذ بالأغلبية، وفي حالة التساوي يؤخذ برأي الجانب الذي فيه الرئيس، وكان لنواحي الهفوف دور تسعير التمور سنة **1317**هـ ــ **1899**م حين أصابتها آفة أدت إلى كسادها.[171]

وقد كان أعضاء مجلس ناحية العيون من الأهالي لبعض السنوات هزاع بن علي، وسعود بن سعد المهنا، ومحمد بن عودة، وعلي بن عثمان المهنا[172].

مجلس الدعاوى والتمييز:

كما يوجد في القضاء مجلس دعاوى لتمييز القضايا الشرعية التي تصدر بها أحكام قضائية[173].

إدارة البلديات :

وقد كانت دوائر البلديات موجودة في كل بلدة كبيرة أو صغيرة(فقد أسس في أيام الترك ــ كما تقول المس بيل ــ دوائر للبلدية في كل بلدة وقرية من أي

[171]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **246** .

[172]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **250** .

[173]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **185**.

حجم كان، وكان الغرض منها الإشراف على الشئون الصحية والتنظيف والحراسة والإنارة).[174]

وقد كان تأسيس البلديات مبكرا فقد تأسست أول دوائرها في الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية سنة 1858م، وصدر قانون البلديات الذي ينظم شئونها سنة 1867م، كما أسست البلديات في العراق سنة 1869م[175]، كما هو حال بلدية الموصل(وكان يديرها بموجب القانون الخاص رئيس ومعاون، ومجلس بلدي منتخب يتألف من ستة أعضاء، ثلاثة من المسلمين، وثلاثة يمثلون الطوائف غير الإسلامية، وكان الرئيس يتم اختياره من الأعضاء، ويرجح عادة العضو الحائز على أغلبية الأصوات في الانتخابات، وتمتد مدة رئاسته أربع سنوات)[176].

وقد تأسست أول بلدية في لواء الأحساء في الهفوف سنة 1882م، وفي القطيف سنة 1884م، وكان (يعهد برئاستها إلى أحد أبناء اللواء الذي يتم اختياره ضمن ستة بالانتخاب لمجلس إدارتها، وكان الحد الأدنى المقرر قانونا لانتظام تلك المجالس في بلديات الولايات والألوية هو بلوغ عدد سكانها أربعين ألف نسمة، وكان أول رئيس لبلدية الأحساء هو عبد الرحمن العدساني).[177]

وكان قانون المجلس البلدي قد حدد مدة العضوية بأربع سنوات، على أن تجري بعد ذلك كل سنتين، يتم فيها انتخاب نصف الأعضاء، وتتخذ قراراته بالأغلبية، كما يشترط في العضو أن يكون مواطنا للدولة العثمانية، وأن يكون سنه خمسا

[174] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 393.

[175] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 155.

[176] انظر فصول من تاريخ العراق في حاشية 175.

[177] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 156.

وعشرين سنة فما فــوق، وأن لا يكــون عــاملا في المجــال العســكري ولا في القضاء.[178]

وقد كانت مهام المجلس البلدي المنصوص عليها في القانون تشمل أعمال وزارات الصحة والأشغال والبلديات والشئون الاجتماعية والتعليم المهني.[179]

وقد كان من مهام البلدية توفير طبيب للبلدة ورفع رواتبــه، ويقــوم الطبيــب بالإشراف على كشف المرضى، والإشراف على صيدلية البلديــة، الــتي تجلــب أدويتها من وزارة الصحة العثمانية، وتقوم البلدية بالإشراف البيطري والصحي العام، كما تدفع البلدية معاشات القائمين بالتطعيم ضد الجدري، وتــدفع قيمــة توفير الأمصال اللازمة للتطعيم، كما تدفع راتب الطبيب البيطري الملحــق بهــا، وتوفير أدواته، كما تصرف راتب القابلة التي تقوم بتوليد النساء.[180]

كما تقوم البلدية بتسجيل الأملاك الواقعة ضمن حدود صــلاحياتها في ســجلات خاصة، مع بيان الموقع، واسم المالك، ونوع الملك، كما تقوم بتســجيل أسمــاء السكان، وإحصاء المواليد والوفيات كدائرة نفوس باللواء، وقد بلغ عدد سكان الهفوف مركز لواء نجد والأحساء سنة **1292**هـ ـ **1875**م سبعة وأربعين ألف نسمة، وعدد المنازل تسعة آلاف منزل، وبلغ عدد سكان اللواء مــائتين وخمســة وثمانين ألف نسمة سنة **1317**هـ ـ **1899**م[181].

[178]الحكم والإدارة في الأحساء **161**.

[179]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف **167**.

[180]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **170**.

[181]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **170**.

كما كان منوطا بالبلدية توفير الحرس الليلي للقيام بحراسة الأسواق والشوارع، ودفع الرواتب لهم، وكان يتبع بلدية مركز لواء نجد والأحساء بـالهفوف مائة حارس ليلي.

كما يتبعها مراقبون ومفتشون لمراقبة النظافة العامة، والالتزام بالقوانين والنظم الخاصة بالأسواق.[182]

كما أنيط بالبلدية مهمة الإعداد والإشراف على انتخابات أعضاء مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني)في الأستانة، بعد إعادة العمل بالدستور سنة **1326**هـ ـ **1907**م، وقامت بلدية الهفوف مركز لواء نجد والأحساء في الإعداد للانتخابات، باعتبار رئيس البلدية رئيسا للهيئة التفتيشية، وأعضاء المجلس البلدي أعضاء فيها، وترأسها آنذاك عبد المحسن بن عبد الله البداح، وكانت انتخابات عضو البرلمان العثماني، تجري على مرحلتين، تبدأ في الإعداد بنشر قوائم الناخبين، ثم بنشر جداول الانتخابات، للاطلاع عليها وتقديم الاعتراضات لمن لم ترد أسماؤهم فيها[183].

ويكشف كل ما سبق ذكره عن مدى الزيف الثقافي، والتضليل الإعلامي، الذي مارسه الاستعمار البريطاني وحلفاؤه في المنطقة بعد سقوط الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بعد الحملة الصليبية في الحرب العالمية الأولى سنة **1914**م، وتصوير أوضاع المنطقة على خلاف حقيقتها، فصارت الموانئ الصغيرة التي كانت أقضية قبل سنة **1914**م دولا تحكم شعوبا منذ مئات السنين كما يشاع في الثقافة الزائفة اليوم عن دويلات الطوائف في الخليج العربي!

---

[182] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني **172**.

[183] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثمانية **178** .

وصارت الدولة العثمانية في الثقافة الوطنية الزائفة مضرب المثل في التخلف والهمجية، في الوقت الذي كان سكان المنطقة قبل الاحتلال الصليبي لها يشاركون في انتخاب مجالس الألوية، ومجالس الأقضية، ومجالس البلدية، ومجلس المبعوثان (البرلمان)، وهو الحق الذي حرموا منه بعد ذلك مدة قرن كامل وإلى اليوم!

فقد صدر الدستور العثماني سنة **1877**م وتم افتتاح البرلمان، ثم تم تعطيل الدستور، وأعيد العمل به في آخر عهد السلطان عبد الحميد، وقد تنافس سنة **1912**م في ولاية البصرة التي يتبعها لواء المنتفق ولواء العمارة، حزب الحرية والائتلاف الذي يمثل التيار العروبي آنذاك، وحزب الاتحاد والترقي، الذي كان قد شكل الحكومة الاتحادية، وقد فاز أعضاء حزب الحرية على منافسه، وكان مرشحو الحزب الذين فازوا في ولاية البصرة هم السيد طالب النقيب، وزيد النقيب، وعيسى روحي، وعبد الزاق النعمة، وأحمد نعيم، وعبد الله صائب، وعبد المجيد الشاوي، وسليمان فيضي[184].

وقد مثل ولايات العراق وألويتها أربعة وثلاثون عضوا لمجلس المبعوثان في اسطنبول، كما بلغ عدد أعضاء الولايات العربية المشرقية التابعة للدولة العثمانية(الشام، العراق، الجزيرة العربية) نحو ثلث البرلماني العثماني.

وقد جرت انتخابات أخرى سنة **1914**م، وتم افتتاح الجلسة بحضور السلطان محمد رشاد، وتم انتخاب أعضاء اللجان، وكان للنواب العرب مواقف مشهودة في الدفاع عن الحقوق والحريات العامة، وكان مما قاله جميل الزهاوي من أعضاء ولاية بغداد في جلسات المبعوثان:

[184] مذكرات سليمان فيضي ص **126- 128** و**168**و**180**.

(لماذا تجبى الضرائب من الفقراء عن دورهم، ولا تؤخذ عن قصور ومصائف آل عثمان، مع أنهم يتقاضون رواتب ضخمة من خزينة الدولة؟)، وقال لمن اعترضوا عليه (إنني أحترم آل عثمان أكثر منكم ولكني أطلب المساواة التامة).[185]

وتأمل هل يجرؤ أحد اليوم في برلمانات دويلات الطوائف أن يتحدث عن الأسر الحاكمة أو الأحزاب الحاكمة كما تحدث جميل الزهاوي عن السلطان العثماني قبل نحو قرن؟!

فقد تحقق آنذاك من الإصلاح السياسي والدستوري، ومن تقرير الحقوق والحريات العامة، ومن مشاركة الأمة في إدارة شئونها المحلية، ومنذ سنة **1875**م، ما لم يتحقق مثله لشعوب المنطقة بعد مائة عام من قيام دويلات الطوائف وسقوط الخلافة العثمانية وإلى اليوم!

وما زالت أكثر دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية ونحن في سنة **2010** لم تقم لها مجالس نيابية شعبية، ولا مجالس بلدية منتخبة، ولا مجالس محافظات منتخبة، وما زالت تحكم حكما شموليا استبداديا أسريا عشائريا منذ الاحتلال الصليبي للمنطقة سنة **1914**م إلى اليوم، ولم تستطع أن تحقق من الوحدة بين كياناتها المصطنعة مثلما كان عليه حال العرب من الوحدة في ظل الدولة العثمانية، بل إن خطوط سكك الحديد العثمانية التي كانت تربط بين أقاليم المنطقة العربية كخط قطار الحجاز، ما زالت محطاته أكبر شاهد على مدى العناية التي أولتها الدولة العثمانية لأقاليمها العربية، ولم يتم إلى اليوم بعد أكثر من قرن إقامة سكك للحديد تربط بين دول المنطقة كما كان عليه الحال إبان الخلافة العثمانية، ولم تستطع دويلات الطوائف أن تحقق لشعوب المنطقة ولو بعض ما فقدته من حقوقها الطبيعية في الوحدة والحرية والمشاركة في السلطة على

---

[185] مذكرات سليمان فيضي ص **188**.

النحو الذي كان يتمتع به العرب في ظل الخلافة العثمانية، التي ورثتها دويـــلات الطوائف وفق المخطط الاستعماري البريطاني!

تنبيه : هذه المقالات مختصرة جدا من كتاب (الحريـــة وأزمـــة الهويـــة)، وسيصدر الكتاب كاملا بعد طبعه، ولهذا نقتصر هنـــا علـــى مـــا يعـــالج إشكالات الواقع.

(9)

(المشروع البريطاني وتحديد حدود الكويت)

اضطرت الدولة العثمانية بعد نجاح بريطانيا في فرض وجودها العسكري في مياه الخليج - وبعد عقدها معاهدات حماية مع مشيخات الموانئ الساحلية - إلى عقد اتفاق معها لتحديد حدود هذه المشيخات، وربطها بالقبائل الداخلية في الصحراء، مع اعتراف بريطانيا بالسيادة السياسية العثمانية على المنطقة، وستشهد المنطقة مباشرة وبعد سنة من توقيع المعاهدة مع الشيخ مبارك الصباح أحداثا كبرى، وستتشكل أحلافا قبلية غير مسبوقة، وستستخدم بريطانيا المدن والقبائل لتنفيذ مشروعها في مواجهة الدولة العثمانية، وترسيخ نفوذ بريطانيا الاستعماري في الخليج والجزيرة العربية، ولهذا احتاجت بريطانيا توسيع حدود محميتها الجديدة (الكويت)، لتتجاوز أسوار المدينة، نحو الصحراء غربا، حيث ستكون الرياض هدفا مباشرا للحملة العسكرية التي ستنطلق من الكويت، نحو حائل لضرب الوجود العثماني في قلب الجزيرة العربية!

لقد ظلت الكويت - كما يقول د. حسن الإبراهيم - حتى الحرب العالمية الأولى سنة **1914**م جزءا من الإقليم العربي تحت سيادة الدولة العثمانية، ولم يكن الباب العالي في اسطنبول يهتم ببلدة صغيرة فقيرة محاطة بصحاري شاسعة (وقد كانت القبيلة محور النظام الاجتماعي فيها، وكانت حدود السلطة فيها لا تتجاوز أسوار المدينة، التي لا تتجاوز مساحتها الميل طولا، والميل والربع عرضا، ولا يتجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة في سنة **1830**م، وقد كان سكان صحرائها في الأصل هي القبائل العربية).[186]

وكما يقول لوريمر في دليل الخليج (يبلغ طول المدينة الآن - سنة **1904**م - ميلين على طول الشاطئ، وعرضها في الداخل ما بين ربع الميل وثلاثة أرباع

---

[186] الكويت دراسة سياسية **26-27** .

الميل، والأراضي التي تحيط بالمدينة صحراء على مد البصر، وتضرب في هذا الجانب خيام كثيرة للبدو).[187]

وقال لوريمر أيضا(ويعتبر الأتراك الكويت قضاء تابعا لسنجق البصرة، كما يعتبرون الشيخ موظفا تركيا، وحدود إمارة الكويت في معظم أجزائها متغيرة وغير محدودة، فهذه الحدود في وقت ما هي حدود القبائل التي تدين بالولاء في ذلك الوقت لشيخ الكويت).[188]

لقد كانت الكويت تخضع لحكم ابن عريعر في الإحساء وهو الذي بناها – كما سيأتي بيانه – ثم أصبح الإقليم كله (لواء الأحساء ونجد) يتبع ولاية بغداد العثمانية، ثم ولاية البصرة العثمانية.

وجاء في نص الاتفاقية البريطانية العثمانية سنة **1913**م بخصوص الكويت وحدودها (إن الحدود الواردة متغيرة وغير محددة بالضبط وتطابق وتماثل حدود ومساحة المناطق التي تسكنها القبائل التي تدين بولائها لشيخ الكويت).[189]

كما جاء في أسباب الاعتراف البريطاني بملكية الكويت لجزيرة وربة وبوبيان سنة **1908**م لأنها(كانت مأهولة من قبائل العوازم فقط دون غيرهم الذين مارسوا ولأجيال متعاقبة حقوق الصيد فيها).[190]

وهذا أوضح دليل على أن حدود دويلات الطوائف الحديثة كانت حدودا عشائرية، وكان للقبائل دور رئيس في انحسارها أو اتساعها!

وقد وافقت السلطة العثمانية مبدئيا سنة **1911**م على الاعتراف بالحكم الذاتي للشيخ مبارك أسوة بأي شيخ قبيلة في العراق كشيخ بني لام وشيخ المنتفق.[191]

---

[187] دليل الخليج الجغرافي **1305/2** .

[188] المصدر السابق **1318/4** .

[189] الكويت في الوثائق البريطانية **38**.

[190] المصدر السابق **74** .

[191] المصدر السابق **82** .

وقد كان مبارك بعد ذلك يخاطب والي البصرة باسم حاكم الكويت ورئيس قبائلها، ليتسنى له مد نفوذه بحسب امتداد نفوذ القبائل في الصحراء، وقد تم إجراء معاملة استخراج الجنسية العثمانية له كما جاء في خطاب وكيل والي بغداد سنة **1912** وفيه:

(إلى جناب الأكرم قائمقام الكويت الشيخ مبارك باشا الصباح بناء على ما سبق منا من الإشعارات والتأكيدات فقد ورد الأمر بإجراء المعاملة لجنابكم وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية غير المحررة – أي المسجلة – وعليه أجرينا التبليغات اللازمة لمن يقتضي من الدوائر).[192]

وقد كان مبارك الصباح عضوا في حزب (الحرية والائتلاف) فرع البصرة الذي كان يرأسه السيد طالب النقيب، وقد تأسس هذا الفرع في البصرة بعد ثورة الاتحاديين ووصولهم للسلطة في اسطنبول، الذين مارسوا سياسة تعسفية ضد العرب، وقد عقد مؤتمره في البصرة سنة **1913**م وحضره مبارك الصباح والسيد طالب النقيب، لبحث موضوع منح المنطقة الحكم الذاتي من قبل الدولة العثمانية، وقد كان وراء ذلك المؤتمر يد بريطانية كما يظهر من سياق الأحداث وتتابعها في صالح الاحتلال البريطاني للعراق.[193]

حدود الكويت وسكانها في العهد العثماني:

وقد كان تعداد سكان مدينة الكويت سنة **1900**م عشرة آلاف نسمة إلى اثني عشر ألف نسمة.[194]

كما كان اسم الكويت إلى سنة **1900**م يطلق فقط على المدينة، ولا يكاد يطلق على ما وراء أسوارها، بل كان يطلق على مناطق صحرائها أسماء خاصة بها كالجهراء.

---

[192] تاريخ الكويت السياسي لخزعل **2/89** .

[193] تاريخ الكويت السياسي لخزعل **2/228** ، وتاريخ الخليج العربي لزكريا **3/13** ، ومذكرات سليمان فيضي حاشية ص **130** .

[194] الإبراهيم ص **130** .

وقد تغيرت الأوضاع في الكويت فجأة جغرافيا وسكانيا بعد المعاهدة البريطانية فخلال خمس سنوات فقط امتدت حدود إمارة الكويت في عهد مبارك الصباح – وهو أول شيخ تتجاوز حدود إمارته المدينة – بحسب امتداد حدود أراضي القبائل الحليفة له، ووصلت حدود الإمارة – كما يقول لوريمر – حسب ادعاء الشيخ مبارك وذلك في سنة **1905**م إلى الصمان شرقا حيث امتداد قبيلة مطير (حيث يدعي شيخ الكويت الحالي مبارك – كما يقول لوريمر – بأن الجزء الشمالي من الصمان جزء من إمارته، وتقع الصمان بين الدهناء في الغرب، ومناطق الدبدبة والشق في الشرق، ويضرب العرب خيامهم في الصمان، ومعظمهم من مطير).[195]

ومن القبائل الموجودة في صحراء الكويت منذ القدم – كما في دليل لوريمر الذي ألفه لصالح الحكومة البريطانية – قبيلة العوازم، والرشايدة، والعجمان، وبني خالد، والدواسر، وعنزة، والظفير.[196]

وتقطن عشائر الظفير الجزء الشمالي من صحراء الكويت، وأشهرها عشيرة الصمدة، والبطون، والمعاليب.[197]

كما يقطن في الجزء الجنوبي من الكويت العجمان، وبني هاجر، وبني خالد.

ويبلغ تعداد سكان البدو المستوطنين في الكويت من العوازم، والرشايدة، ومطير(**13000**) نسمة تقريبا، وهذا عدا الرحل منهم، وعدا من يسكن منهم داخل أسوار المدينة، وعدا القبائل الأخرى، على حد قول لوريمر (قبائل الكويت كلها من العرب، وتنتمي للمذهب السني، والقبيلتان اللتان تكونان غالبية السكان خارج مدينة الكويت هما العوازم والرشايدة، ويقطن جزءا من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم، أما

---

[195] دليل الخليج الجغرافي **1318/4** و**2407/7** .

[196] دليل الخليج للوريمر الجغرافي **1306/4** ، وبريطانيا والخليج لجون كيلي **57/1** .

[197] لوريمر دليل الخليج الجغرافي **525/2** .

عدد السكان من البدو فهم حوالي **13000** نسمة، إذا لم نحسب إلا العوازم والرشايدةوجزءا من مطير الذين توجد أماكن استيطاهم القبلية في الإمارة).[198]

كما إن معظم سكان مدينة الكويت – كما يقول لوريمر – الذين يبلغ تعدادهم في سنة **1905**م **35** ألف نسمة، ينتمون إلى قبائل العتوب، والعوازم، والرشايدة، وبني خالد، والعجمان، والدواسر، وعنزة، والظفير، والقناعات، وعرب الحسا، والبحارنة، وعدد من الإيرانيين.[199]

وكذلك يقطن نحو **700** بيت من قبيلة مطير – أي ما بين **5000 – 7000** نسمة تقريبا – على الجهراء في فصل الصيف، وبعضهم بشكل دائم.[200]

وكما يقول جان جاك بيربي المؤرخ الفرنسي (الكويتيون الأصليون كلهم عرب ومسلمون سنيون)[201]، والقسم الأكبر من مساحة الكويت صحراء يقطنها فيما مضى ما بين عشرة وعشرين ألف بدوي.[202]

وهذه الأرقام لنسبة سكان القبائل في الكويت – سواء في المدينة أو في الصحراء المجاورة لها – تعادل أكثر من ثلثي عدد سكانها، وهذا في عهد الشيخ مبارك، وهي النسبة ذاتها إلى اليوم، وليس كما يشاع في الثقافة الزائفة اليوم بأن الوجود القبلي في الكويت وجود طارئ دخيل، وأنه تغير ديمغرافي في تركيبة السكان بعد استخراج النفط، كما يزعم أستاذ علم الاجتماع خلدون النقيب!

لقد فرضت بريطانيا واقعا جديدا بتحديدها للحدود بين المدن الساحلية التي كانت تمثل إقليما واحدا يتبع دولة واحدة، من أجل مصالحها الاستعمارية، إلا إن

---

[198]لوريمر دليل الخليج الجغرافي **1341/4** .

[199]دليل الخليج الجغرافي **1306/4** .

[200]دليل الخليج الجغرافي **1340/4** و**3/ 1108** .

[201]جزيرة العرب لجان جاك بيربي **254** .

[202]جزيرة العرب لجان جاك بيربي **43** .

(البدو الأحرار المتنقلين لم يكترثوا – كما يقول بيربي – يوما بالحدود التي تقيمها إدارة أجنبية، طالما أنهم يستطيعون أن يقفزوا فوقها ويتخطوها).[203]

القبائل الرئيسة في الكويت وامتدادها الجغرافي:

1- قبيلة مطير :

لقد ظلت القبائل هي المؤثر الرئيسي في امتداد وانحسار نفوذ أمراء الموانئ والمدن، وقد كان شيوخ المدن الساحلية والداخلية يحاولون مد نفوذهم من خلال التحالف مع القبائل وكسب ولائها، أو محاربتها من أجل إخضاعها لنفوذهم، ففي سنة **1852**م غزا فيصل بن تركي آل سعود بجيشه على قبيلة الجبلان من مطير وهم على آبار الوفرة جنوب الكويت.[204]

كما أغار عبد الله بن فيصل بن تركي على قبيلة الصهبة من مطير، وهم على ماء الوفرة جنوب الكويت سنة **1869**م[205].

وقد كان مع مبارك الصباح في معركة الصريف سنة **1900**م قبيلة علوى من مطير وشيخهم سلطان الدويش، والصعران من مطير، وشيخهم نايف بن بصيص، والجبلان من مطير وشيخهم صاهود بن لامي، وغيرهم من القبائل.[206]

وبعد هزيمة مبارك ومن معه، ترك مبارك أرض المعركة ومعه سلطان بن الحميدي الدويش، وكان سلطان في خيمة مبارك حين وقعت الهزيمة، ولحق بهم السعدون وتوجهوا إلى الزلفي ورفض أهلها دخولهم خوفا من ابن رشيد، فلجأوا إلى الصمان حيث قبيلة مطير، ومن هناك توجه مبارك إلى الكويت.[207]

---

[203]جزيرة العرب لجان جاك بيربي **36** .

[204]تحفة المشتاق **331** .

[205]تاريخ الفاخري **230**، وعقد الدرر **64** ، وتحفة المستفيد **159** .

[206]تاريخ الكويت للرشيد **161**، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل **48/2** .

[207]تاريخ الكويت السياسي **48/2** .

كما أغار ابن رشيد بعد حرب الصريف على الصبيحية، ثم أغـــار علــى (واره)، فأخذ بعد قتال عنيف أموالا لقبيلة مطير.[208]

وفيها يقول شاعر ابن رشيد أبياتا من الشعر الشعبي جاء فيها :

حر شلع من حايل

يبغي حـــباري واره

يبغي الدويش وربعه

غربي أبـــو دواره

وجبل واره قرب منطقة الأحمدي، وأبو دواره من الآبار التاريخية القديمـة وهـي قرب دسمان في مدينة الكويت الحالية، وكلها كانت من منازل قبيلة مطير تـترل عليها في فترة الصيف، كما ذكر لوريمر وغيره.

كما كانت قبيلة مطير تترل على آبار أم الهيمـــان جنـــوب الكويـــت خاصـــة في الصيف.[209]

وقد كان في صحراء الكويت نحو عشرين بئرا لقبيلة مطير على بعد ثلاثين مـــيلا شمال الجهراء.[210]

وتوجد على بعد **40** ميلا جنوب غربي مدينة الكويت خبرة الدويش، وقد كـــان بين العجمان ومطير نزاع على ملكيتها سنة **1905**م، ثم آلت ملكيتـــها لقبيلـــة مطير.[211]

---

[208] تاريخ الكويت للرشيد **169**.

[209] معجم المواضع في الكويت للفرحان **20** .

[210] دليل الخليج الجغرافي **4/1330-1332** .

[211] دليل الخليج الجغرافي **6/2271** .

وقد جعل مبارك الصباح ـ كما يقول لوريمر ـ (من نفسه حليفا لقبيلة مطير، وذلك بالزواج منهم، ومطير لهم شأنهم في نجد، ويعسكرون في الصمان، أو عند رأس خليج الكويت في الصيف)[212].

كما أكد لوريمر أن الذي كان (يقطن جزءا من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم).[213]

وقال دكسون عن حدود القبيلة الجغرافية خاصة قبائل بريه من مطير (ويمتد هؤلاء من الكويت في الشمال إلى حزام الدهناء الرملي في الجنوب، ويلتزمون الجانب الشرقي من الباطن وكانت مراعيهم دائما في الأماكن المجاورة للكويت – أي المدينة –).[214]

وكما يقول لوريمر لا تعرف قبيلة مطير الاستقرار(ولا يخضعون لسيطرة، وهم منهمكون في حروبهم القبلية، وعلى استعداد دائم للقتال، وكان شيخ الكويت – مبارك الصباح – يقوم بترتيب مع ابن سعود وبالنيابة عنه بجمع الزكاة من القبيلة التي تعيش ضمن أراضيه، وهناك علاقة مصاهرة بين شيخ الكويت وقبيلة مطير، ورجال القبيلة مسلحون جيدا، وذلك كما يليق بحليف للكويت).[215]

فقد كانت العلاقة بين المدينة (الكويت)، والقبيلة (مطير) علاقة تحالف وندية إذ كانوا جميعا مواطنين في وطن واحد، ودولة واحدة هي الدولة العثمانية، ولم تكن القبيلة تخضع لسيطرة المدينة، وكان السبب في تحالف مبارك مع قبيلة مطير، هو أنها تسيطر على الصحراء غربا(الصمان)، التي تقع بين مدينة الكويت، ومدينة حايل، فتشكل بذلك حاجزا بينهما، بعدما شهدتا صراعا وتنافسا في عهد مبارك وابن رشيد، ضمن الصراع البريطاني العثماني، وكان قد بلغ الصراع أشده في حرب الصريف التي وقفت فيها قبيلة مطير بصف مبارك.

---

[212] دليل الخليج الجغرافي 4/1343 .

[213] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 4/1341 .

[214] الكويت وجاراتها 1/85 .

[215] دليل الخليج الجغرافي 4/1629 .

وقال لوريمر عن قبيلة مطير وحدود أراضيها التي تمتد من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا(قبيلة عربية صرفة، في وسط الجزيرة العربية، حدودها أوسع من أي قبيلة أخرى، باستثناء عنزة، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم، وملكية الدهناء والصمان مقصورة عليهم، وتمتد أماكن تواجدهم في الشمال الشرقي، حتى تتوغل في الكويت، فيقيمون معسكراتهم (خيامهم)الصيفية في الجهراء، وفي الجنوب الغربي يوجدون في القصيم، وفي الوشم، ووادي السر، ويصلون إلى العارض، وعلى مسافة بعيدة في المنطقة البركانية بين مكة والمدينة، وحدودهم الشمالية القصوى على الخليج، ويوجدون جنوبا في الحسا، والصمان، ويتصلون في الشمال مع عنزة، وفي الشمال الغربي مع شمر، وفي الغرب مع حرب، وعتيبة، وقحطان، والدواسر، وسبيع، وفي الجنوب مع العجمان، والمرة، وبني هاجر، والمناصير).[216]

وقد قدر المؤرخ العثماني أيوب صبري عدد أفرد قبيلة مطير في الحجاز فقط بأربعين ألف نسمة في حدود سنة **1877**م – أي عشرة أضعاف سكان مدينة الكويت آنذاك – بينما تمتد حدودهم الجغرافية آلاف الأميال، إذ تمثل جزيرة العرب كلها وطنا لهم كباقي القبائل العربية يرتحلون فيها بلا حدود (ومن عاداتهم القديمة التنقل والترحال حيث الكلأ والمطر، وما أن يسمعوا بهطول الأمطار في ناحية حتى يشدوا رحالهم إلى هناك)[217].

وقد صارت القبيلة العربية هي الضحية بعد إقامة الدويلات الحديثة وتحديد حدودها السياسية بما يخدم المصالح البريطانية، حيث تم تقسيم القبيلة الواحدة ومصادرة أرضها، وضمها إلى المدن المتحالفة مع بريطانيا، وتقسيمها إلى شعوب وولاءات للأسر الحاكمة، على حساب وحدة القبيلة، ووحدة شعب الجزيرة العربية، ووحدة أرضها!

2- قبيلة العجمان :

[216] لوريمر دليل الخليج الجغرافي **1626/4** .

[217] مرآة جزيرة العرب **279/2**.

وكذلك كان لقبيلة العجمان أثرها على الحدود السياسية، وهي من أكبر القبائل في المنطقة، وتمتد أراضي قبيلة العجمان من الإحساء جنوبا إلى الكويت شمالا، حيث استقر بعض عشائرها في مدينة الكويت، وعلاقتهم – كما يقول لوريمر – مع شيخ الكويت طيبة، ولقوة قبيلة العجمان صار التحالف معهم ذا أهمية كبرى، كما تشكل عداوتهم خطرا كبيرا، وهم في الصحراء لا يعترفون بسلطة الدولة العثمانية، مع أنهم يتلقون معونات شهرية منها.[218]

وللعجمان في صحراء كاظمة آبار منها (مشاش العجمان) وهي لقبيلة العجمان، جنوبا من الصبية.[219]

3- قبيلة الظفير :

كما كان لقبيلة الظفير تأثير سياسي على حدود مدينة الكويت، وقد كان الظفير السبب ــ كما ذكره مؤرخ الكويت الرشيد ــ في نزوح العتوب والصباح من الصبية إلى كوت ابن عريعر، حيث كان الظفير في الصبية، وأرادوا الإغارة على العتوب حين أرادوا الاستقرار فيها، فبلغ العتوب الخبر وارتحلوا منها.

وقد كان وجود الظفير شمال الكويت قديما ففي سنة **1780**م أغارت قبيلة سبيع على قبيلة الظفير وهم على آبار سفوان شمال الكويت.[220]

ومن قبائل صحراء الكويت، عشيرة الصمدة، وعشيرة السعيد من عشائر قبيلة الظفير، وكانوا في شمال الكويت، وقد أغار مبارك الصباح على الصمدة، حين استنجد به ابن سويط شيخ الظفير، بعد قتال بين ابن سويط وعشيرة الصمدة، وقد وقف مبارك بصف ابن سويط ورجح كفته في حربه مع الصمدة، كما أغار مبارك على عشيرة السعيد بعد أن اعتدوا على أطراف مدينة الكويت، وكان ذلك كله في زمن محمد الصباح، قبل أن يحكم مبارك الكويت سنة **1896**م.[221]

---

[218] لوريمر دليل الخليج الجغرافي **74/1** .

[219] دليل الخليج الجغرافي **1330/4- 1332** .

[220] تاريخ الفاخري **147** .

[221] تاريخ الكويت للرشيد **226** ، تاريخ الكويت لخزعل **149/1** .

4- قبيلة العوازم :

وقد كان العوازم من أوائل من استقر في ساحل الكويت، ومن أشـــهر آبـــارهم الصابرية شمال الكويت.[222]

وقد احتج مبارك الصباح على ملكيته لجزيرة بوبيان لكونها أماكن للصيد لقبيلة العوازم، كما جاء في أسباب الاعتراف البريطاني بملكية الكويت لجزيـــرة وربـــة وبوبيان سنة **1908**م لأنها(كانت مأهولة من قبائل العوازم فقـــط دون غيرهـــم الذين مارسوا ولأجيال متعاقبة حقوق الصيد فيها).[223]

5- قبيلة بني خالد :

ومن قبائل بادية الكويت قبيلة بني خالد، وقد ظلوا فيها بعد سقوط حكم ابـــن عريعر، وكانت الكويت تابعة لحكمه،وقد غزا سعود بن عبد العزيز آل ســـعود قبيلة بني خالد قريبا من آبار الوفرة سنة **1203**هـــــ **1788**م، كمـــا أغـــار عليهم سنة **1207**هـــ ـــ **1792**م، وكانوا على آبار الجهراء.[224]

كما نزل ثويني السعدون، والظفير، وبني خالد، على الجهراء سنة **1211**هـــ ـــ **1797**م، مدة ثلاثة أشهر، للاستعداد لغزو سعود بن عبد العزيز[225].

وتمتد قبيلة بني خالد من الإحساء إلى مدينة الكويت، حيث يتـــزودون بـــالمؤن، ويتنقلون في صحرائها.[226]

6- قبيلة الرشايدة :

كما تعد قبيلة الرشايدة من قبائل الكويت الرئيسية، وهم - كما يقول لوريمر - (موالون لمطير، وتساوي قوتهم الحربية قوة العوازم).[227]

---

[222]معجم المواضع في الكويت للفرحان **151**.

[223]المصدر السابق **74** .

[224]عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر **104/1**و**127** .

[225]عنوان المجد في تاريخ نجد **141/1**.

[226]دليل الخليج الجغرافي **1252/3** .

7- قبيلة بني هاجر :

وهي من قبائل صحراء الكويت، وتمتد حركة تنقلها وارتحالها - كما يقول لوريمر - من قطر جنوبا، إلى داخل أراضي الكويت شمالا، وهي قبيلة مستقلة لا تخضع لأي سلطة، ويتلقون معونات مالية، وهدايا من متصرف الحسا العثماني، ومن شيخي قطر، والكويت[228].

وقد غزا رجال من قبيلة الهواجر سنة 1289هـ - 1872م على الكويت، وأخذوا إبلا لعبد الله بن صباح، ومبارك الصباح، في تحد واضح للسلطة العثمانية، وقد قام عبد الله الصباح بالاحتجاج لدى قائمقام القطيف، الذي اعتذر له بأنه لا سلطة له على القبائل في المنطقة.[229]

كما لجأ عبد الله بن فيصل بعد خروج أخيه سعود عليه في الرياض إلى قبيلة قحطان(الهواجر)، وكانوا على آبار الصبيحية بقرب الكويت، وذلك سنة1290هـ-1873م[230].

8- قبيلة شمر :

ومن القبائل التي كانت تقطن صحراء الكويت شمالا، قبيلة شمر، فقد استدعى سالم الصباح عشائر من قبيلة شمر القاطنة على سفوان، بقيادة ابن طوالة، ونزلت على آبار الجهراء، وأغدق سالم عليهم الأموال كي يستقروا، لحماية الكويت من خطر الأخوان[231].

9- قبيلة سبيع :

---

[227]دليل الخليج الجغرافي 5/ 1930 .

[228]لوريمر دليل الخليج الجغرافي 784/2 .

[229]الأمن الداخلي في الأحساء أثناء الحكم العثماني 67 .

[230]عقد الدرر 75 .

[231]تاريخ الكويت للرشيد 252 .

ومن القبائل أيضا قبيلة سبيع التي يرتحل أفرادها – كما قال المؤرخ العثماني أيوب صبري – في المنطقة الممتدة ما بين الرياض والأحساء والكويت[232].

وقد غزا تركي بن عبد الله بن سعود سنة **1830**م على سبيع ورئيسهم فهيد الصيفي ومعهم أخلاط من بني حسين وهم بين حفر الباطن والوقبا، ثم سار تركي ونزل الصبيحية الماء المعروف قرب بلد الكويت، ودخل بعض الغزو البلد لقضاء حوائجهم وأهدى إليه رئيس الكويت جابر بن عبد الله بن صباح هدايا، وأقام تركي على هذا الماء أربعين يوما ووفد عليه كثير من رؤساء العربان.[233]

10– قبيلة عتيبة :

كما يرتاد الكويت – كما يقول لوريمر – بعض قبيلة عتيبة بحثا عن الرزق.[234]

11– قبيلة المنتفق :

ومن قبائل صحراء الكويت قبيلة المنتفق فقد كانت منازلهم شمال الجهراء، وقد أغار سعود بن عبد العزيز سنة **1203**هـ **1788**م على قبائل المنتفق(فوجدهم في الموضع المعروف بالروضتين بين سفوان والمطلاع، فناوخهم وأخذ من محلتهم خياما وأمتعة، ثم سار سعود إلى ماء الوفرا فوردها ثم رحل منها ووافق غزوا من بني خالد فأخذهم)[235].

كما نزلت قبائل المنتفق على الجهراء بقيادة ثويني السعدون سنة **1211**هـ مدة ثلاثة أشهر، مع بني خالد، استعدادا لحرب عبد العزيز بن محمد بن سعود[236].

12– السهول والدواسر وعنزة والمرة :

ومن القبائل أيضا التي ترتاد صحراء الكويت، واستقر كثير منها فيها قبيلة عنزة، والسهول، والدواسر، والمرة، وعدوان وغيرهم من القبائل العربية التي كانت

---

[232]مرآة جزيرة العرب **319/2** .

[233]عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر **2/ 50** .

[234]دليل الخليج الجغرافي **225/1** .

[235]عنوان المجد في تاريخ نجد **104/1** .

[236]عنوان المجد في تاريخ نجد **141/1** .

تجوب الصحراء شمالا وجنوبا، وشرقا وغربا، فقد كان مع مبـــارك الصـــباح في معركة الصريف سنة 1900م –عندما خرج من الكويت بترتيب بريطاني لحـــرب ابن رشيد في حايل – من القبائل كل من:

1ــ من مطير : علوى وشيخهم سلطان الدويش، والصعران وشيخهم نايف بن بصيص، والجبلان وشيخهم صاهود بن لامي.

2ــ والعوازم وشيخهم مبارك بن دريع.

3ــ والعجمان وشيخهم محمد بن حثلين.

4ــ وعريب دار.

5 ــ والمنتفق وشيخهم سعدون السعدون.

6 ــ والمرة.

7 ــ والهواجر وشيخهم ابن شافي.

8ــ والظفير وشيخهم ابن سويط.

9 ــ وقحطان وشيخهم حشر بن وريك.

10ــ والرشايدة .

11ــ والسهول.

12ــ وسبيع.

13 ــ وعتيبة.

14 ــ والرولة من عنزة.[237]

---

[237]تاريخ الكويت للرشيد 161، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل 48/2 .

ملحوظة : المقصود من ذكر هذه المعلومات هو إثبات طبيعة المجتمع القبلي آنذاك، وليس إثبات أو نفي صحة ما تذكره بعض المصادر من معلومات عن القبائل وشيوخها أو معاركهم التي يقع الاختلاف فيها!

وكل هذه الأدلة التاريخية تؤكد طبيعة سكان المنطقة القبلية، حيث تمثل القبائل العربية العنصر الرئيس للسكان فيها قبل قيام الدول الحديثة، وهي المؤثر الرئيس في تاريخ المنطقة وأحداثها، والمؤثر في حدودها السياسية، كما تؤكد أن القبيلة والمدينة كانتا جزءا من وطن واحد ودولة واحدة وشعب واحد، قبل التقسيم البريطاني للمنطقة، وليس كما تشيعه الثقافة الوطنية الزائفة التي تصور المدينة وسكانها كدولة وشعب ووطن، بينما تصور القبائل العربية عنصرا دخيلا على أرضها، حيث تم اختزال أرضها ووجودها وتاريخها وهويتها في المدينة وتاريخها، وتم اختزال تاريخ المدينة بتاريخ الأسر الحاكمة، لتعيش القبائل العربية في الجزيرة أزمة هوية لتبرير تهميشهم ومصادرة حقوقهم السياسية على أرضهم التي تم تقسيمها بين ست دويلات، ومن أجل ترسيخ مشروع السيطرة والتجزئة البريطانية للجزيرة العربية، وفرض التبعية لمشيخات المدن التي تحالفت مع الاستعمار البريطاني!

لقد خسرت القبيلة العربية أرضها ونفوذها ومكانتها التي كانت تتمتع بها طوال التاريخ الجاهلي والإسلامي على اختلاف عصوره، لا لصالح دولة حديثة، ووطن حديث، ولا لتصبح جزءا من شعب حديث، يتمتع أفراده بكامل حقوق المواطنة، بل خسرت كل ذلك لتعيش تبعية مطلقة لمشيخات الموانئ التي لم يكن نفوذها يتجاوز أسوار مدنها، وليتم إخضاعها بالحديد والنار - كما سيأتي بيانه - للمشروع الاستعماري البريطاني وحلفائه، ولتفقد القبيلة العربية - وهي المكون الرئيسي للمجتمع في الجزيرة والخليج العربي - حريتها وكرامتها وأرضها ونفوذها ومكانتها، وليتحول أفرادها إلى غرباء وهنود حمر ومواطنين من الدرجة الثالثة في عصر دويلات الطوائف الصليبية!

إن ما ذكره لوريمر في دليل الخليج العربي منذ سنة **1905**م عن أماكن وجود القبائل وتوزيعها الجغرافي في الكويت لازال قائما إلى اليوم حيث توجد قبائل الظفير وشمر والمنتفق وعنزة ومطير شمالا في محافظة الجهراء، بينما توجد قبائل العجمان والهواجر والمرة والعوازم جنوبا في محافظة الأحمدي، وتوجد قبائل مطير والرشايدة في الوسط، ويوجد العوازم في المناطق الداخلية على الساحل، وهذا التوزيع الجغرافي المطابق لما ذكرته كل المصادر التاريخية يؤكد بطلان كل

النظريات التي يروجها سدنة المشروع الوطني القطري البريطاني حول التغيير الديمغرافي لسكان الكويت وغزو البدو لها بعد استخراج النفط!

بينما الحقيقة هي تجاوز الكويت المدينة لحدود أسوارها، بعد المعاهدة البريطانية، لتضم أراضي القبائل العربية الممتدة في صحرائها منذ وجد العرب في جزيرة العرب، لتبدأ إشكالية الكويت (المدينة)، والكويت (الدولة)!

لقد استتبع هذه الأخطاء التاريخية أن قامت العلاقة بين الدولة والمواطن – في دول الخليج العربي التي أوجدها الاستعمار البريطاني – على أساس التبعية والرعوية لا على أساس المواطنة، وصار موضوع الجنسية اليوم أحد أهم أدوات السيطرة السياسية وإخضاع الشعوب كلها في دول الخليج العربي، فالأسر الحاكمة هي من تمنح الجنسية وتسحبها، كأثر من آثار ضمان بريطانيا لحلفائها توريث الحكم في ذريتهم وضمان حق منح امتياز النفط لهم، دون حاجة للرجوع إلى شعوب وسكان المنطقة، وما زال العرب في جزيرتهم يدفعون ثمن تلك المعاهدات البريطانية إلى اليوم، وما زال التاريخ يؤثر في الواقع والحاضر السياسي، فالشعوب الخليجية العربية ضيوف ثقلاء على الأسر الحاكمة التي تكرمهم في أرضهم، وتتكرم عليهم من أموالهم بمكرماتها الملكية، لتتجلى أخطر صور أزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية..

(عبيد بلا أغلال)

(10)

الحرية وأزمة الهوية

في الخليج والجزيرة العربية

(الاحتلال البريطاني الأول للرياض والسيطرة على نجد والإحساء سنة 1870م)

بقلم د0 حاكم المطيري

Ommah 2000@yahoo.com

لقد كان أول اختراق بريطاني للجزيرة العربية هو ذلك الدعم الذي لقيه سعود بن فيصل بن تركي آل سعود من حكومة الهند البريطانية ليستولي على الرياض، وقد واكب افتتاح قناة السويس - الذي زاد من أهمية البحرين وساحل عمان - صراع بين عبدالله بن فيصل بن تركي، وأخيه سعود بن فيصل على الحكم في الرياض، وبلغ الصراع ذروته سنة 1870م وقد(كان أكثر من صراع بين شخصين، كان صراعا بين عقليتين، سكان الحضر وأهل البادية، بين المتطرفين الوهابيين، وبين المعتدلين الذين يرفضون تعاليمها، وكان كل من الأخوين يمثل إحدى الفئتين) على حد قول جون كيلي[238].

وهذا هو رأي كيلي إلا أن الحقيقة هو أن الصراع كان بسبب خروج سعود المدعوم بريطانيا، على أخيه عبد الله الذي كان قائمقاما عثمانيا.

وقد كانت بريطانيا وراء هذه الفتنة بين عبدالله وسعود للسيطرة على نجد كما جاء في مذكرات والي بغداد مدحت باشا حيث قال:(كان عبدالله الفيصل معتدلا لم يعاكس الدولة العلية - الخلافة العثمانية - أما سعود فكان يسعى لاستلام الإمارة، ولذا فإنه توجه إلى الهند للاستعانة بالإنجليز، وألب العشائر وحثهم على

[238] بريطانيا والخليج لجون كيلي 581/2 .

شق عصا الطاعة في وجه أخيه، وبعد حروب طويلة انتصر عليه، وكان الإنجليز يعاونون الأمير سعود بالمال والعدة، وكانت البلاد القريبة من نجد قد دخلت تحت حمايتهم، وإذا حكم الأمير سعود النجديين أدخل البلاد تحت حماية انجلترا وصارت صاحبة الطول والحول في العراق)[239].

ولم يدرك علماء الوهابية في نجد آنذاك طبيعة الصراع الدائر بين الأخوين عبد الله وسعود، ولم يدركوا أبعاد تدخل الإنجليز لصالح سعود، ولهذا صدرت الفتاوى بتجريم عبد الله لأنه استعان بالدولة العثمانية، وحكم بعضهم بردته، وأوجبوا السمع والطاعة لأخيه سعود المدعوم بريطانيا!

فقد جاء في فتوى عبد اللطيف آل الشيخ (وقد عرفتم حالنا في أول هذه الفتنة، وفيها الجزم بإمامة عبد الله ولزوم بيعته، والتصريح بأن راية أخيه راية جاهلية عمية، فلما صدر من عبد الله ما صدر من جلب الدولة – أي العثمانية – إلى البلاد الإسلامية والجزيرة العربية، وإعطائهم الحسا والقطيف والخط، تبرأنا مما تبرأ الله منه ورسوله...وقد تغلب سعود على جميع البلاد النجدية، وبايعه الجمهور، وسموه باسم الإمامة .. وقد نزل العدو – أي عبد الله وجيوش الدولة العثمانية التي جاءت لنصرته – بأطرافكم، واستخف الشيطان أكثر الناس وزين لهم الموالاة واللحاق بالمشركين، وإسناد أمر الرئاسة لهم، وأنهم ولاة أمر يعزلون ويولون، وينصرون وينصبون...وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام سعود)[240].

وهذا يفيد أن شيوخ الدعوة الوهابية الثانية في نجد لم يكن لديهم علم بأنه منذ قيام الإمارة السعودية الثانية كانت تابعة للخلافة العثمانية، بترتيب مصري مع تركي بن عبد الله، ثم ولده فيصل بن تركي، ثم عبد الله بن فيصل!

[239] مذكرات مدحت باشا 240 .وانظر إلى حدة ذكاء الوالي العثماني! فما كان يخشاه مدحت باشا من سقوط نجد تحت النفوذ البريطاني تحقق بعد ثلاثين سنة من توقعاته!

[240] مجموعة الرسائل النجدية 3/170- 174 .

كما لم يكن لديهم علم بأن سعود بن فيصل كان مدعوما من حكومة الهند البريطانية، ففي الوقت الذي وقفوا ضد عبد الله لأنه جاء بالترك، لم يعلموا بأن أخاه سعودا قد جاء بالإنجليز!

إن تبعية الإمارة الوهابية الأولى نفسها للخلافة العثمانية أمر مؤكد بمراسلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه لشريف مكة وتأكيده السمع والطاعة له، كما إن تبعية تركي ثم ابنه فيصل ثم عبد الله الذين كانوا يرسلون الزكاة للأستانة أمر معلوم، كما جاءفي رسالة الشريف عون شريف مكة للبريطانيين (أعرفكم بخصوص فيصل بن تركي بن سعود، بأن هذا من رعايا السلطان العثماني، وغير خاف عليكم أن هناك بعض القلاع التي تخصه في عمان، وهو يدفع لخزينة السلطان **17000**ريال، وأملي فيكم أن لا تتخذوا ضده أي إجراء).[241]

وكيف يتم إرسال الزكاة من الرياض للأستانة دون أن يشتهر الخبر ويعلم الجميع به، فلا تفسير لفتوى الشيخ عبد اللطيف إلا أنها صدرت تحت ضغط الواقع السياسي، بعد أن استولى سعود على السلطة في الرياض!

وقد أرسل والي بغداد إلى الباب العالي في الأستانة(اسطنبول) رسالة بتاريخ **12**شوال سنة **1283**هـ - **1866**م، يخبر فيها بأنه أرسل موظفا من ولاية الحجاز إلى قائمقام نجد عبد الله بن فيصل بن تركي التابع لولاية بغداد، للحصول على الرسوم السنوية، إلا أن الموظف لم يستطع الوصول بسبب انعدام الأمن بسبب الصراع بين الأخوين عبد الله وسعود، وتفيد الرسالة بأن عبد الله بن فيصل سبق أن طلب من والي الحجاز بعد وفاة والده فيصل سنة **1865**م أن يعين قائمقام نجد، وقد بعث الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) بالسيرة الذاتية الكاملة لعبد الله بن فيصل للسلطان العثماني، وأن أمرا سلطانيا قد صدر من الأستانة بجعل عبد الله قائمقاما مكان أبيه في نجد، وتم إبلاغه به في شهر محرم **1284** - **1866**م، كما تم إبلاغه بأن يتحلى بالحكمة في معالجة مشاكل الإقليم، حيث أن الدولة العثمانية تواجه مخاطر خارجية تقتضي الهدوء والاستقرار الداخلي، كما

---

[241] بريطانيا والخليج لجون كيلي **1/686** .

تأمره بالتعاون مع والي الحجاز لمواجهة قائمقامية عسير متى ما قررت الدولة العثمانية ذلك[242].

وقد بعث عبد الله بن فيصل سنة 1866م إلى والي بغداد نامق باشا يطلب نجدته لمواجهة تمرد أخيه سعود، فتردد نامق باشا في مساعدته، ثم أرسل عبد الله مرة ثانية يطلب المساعدة من الوالي الجديد أحمد مدحت باشا، الذي أعد تقريرا للأستانة يشرح فيه خلفيات الصراع بين الأخوين، ويؤكد فيه طلب سعود من إمام مسقط المدعوم من الإنجليز مساعدته، وكذا تدخل بريطانيا عن طريق شيخ البحرين لتقديم الدعم لسعود ليصل إلى السلطة، وقد حذر مدحت باشا من خطورة نجاح بريطانيا في مخططها بدعم سعود، إذا سيفتح الطريق لها للتدخل في شئون المنطقة، وأكد مدحت باشا بمذكرة ثانية كتبها للصدر الأعظم بناء على تقرير وصله من قائمقام الكويت عبد الله الصباح يؤكد فيه أن سعودا وإمام مسقط قد أعدا قوة أكبر من قوة عبد الله بن فيصل بدعم بريطاني، حيث صاحبها قيام ست قطع بحرية بريطانية بالتجوال في سواحل الأحساء[243].

وقد أكد مدحت باشا في مذكراته التي أرسلها للأستانة بأن المخطط البريطاني يهدف بعد السيطرة على عمان ثم البحرين السيطرة على الأحساء وفصلها عن نجد على يد سعود، ثم السيطرة على الكويت، لتكتمل السيطرة البريطانية على سواحل الخليج العربي[244].

كما جاء في برقية مرسلة من ولاية بغداد إلى الأستانة في 21 ذي القعدة سنة 1286هـ ـ 1869م تأكيد تدخل بريطانيا في عمان وهيمنتها عليها، وخلعها لشيخي البحرين محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله بعد رفضهما التبعية لبريطانيا، ونفيهما إلى بومبي، وتنصيب عيسى بن علي بن خليفة شيخا للبحرين، وتدخل

---

[242] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 20 من وثائق الأرشيف العثماني.

[243] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 22 من وثائق الأرشيف العثماني.

[244] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 22 من وثائق الأرشيف العثماني.

بريطانيا لدعم سعود بن فيصل في صراعه مع أخيه عبد الله لبسط نفوذ بريطانيا على نجد كلها[245].

وقد جاء في تقرير مكتوب بتاريخ **28** ذي الحجة سنة **1286**هـ ــ **1869**م، موجه من مدحت باشا والي بغداد إلى الصدر الأعظم في اسطنبول: (إن عدم حيوية الوجود العثماني في البحر أتاح المجال للنفوذ البريطاني المدعوم من حكومة الهند البريطانية، وإحاطتهم بالجزيرة العربية من عدن مرورا بمسقط التي يحاولون إلحاقها الآن بعدن، وعملهم في ترسيخ نفوذهم في البحرين والنفوذ منها إلى داخل الجزيرة العربية، كما أتاح لفارس التي لا تملك مقومات القدرة والقوة أن تنفذ إلى البحرين وتدعي أحقية مزعومة في إدارة شئونها، ولن يفيد الهيمنة العثمانية إلا الأسطول البحري الحربي).[246]

وقد استفسر الصدر الأعظم في اسطنبول عن طبيعة الدعم البريطاني لسعود بن فيصل الذي نجح في السيطرة على الأحساء ثم الرياض، فأجابه مدحت باشا بأن الدعم البريطاني السري يشمل الأموال والأسلحة.[247]

وقد صدرت التعليمات من الباب العالي في اسطنبول إلى والي بغداد بأنه (يجب عدم السماح لانفصال البحرين ومسقط بأي صورة من الصور عن المنطقة – الجزيرة العربية – التي ينظر إليها بوصفها منطقة حيوية للدولة العثمانية، لاسيما أن شيخ البحرين كان ملتزما بدفع الضرائب لأمير نجد، أي التابع للدولة العثمانية)[248].

---

[245] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **50** من وثائق الأرشيف العثماني.

[246] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **25** من وثائق الأرشيف العثماني.

[247] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **30** من وثائق الأرشيف العثماني.

[248] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **32** من وثائق الأرشيف العثماني.

وقد راسل سعود بن فيصل - بعد أن وصله خبر تحركات الدولة العثمانية - المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، يطلعه على الوضع العام، فوعده المقيم البريطاني بعرض الموضوع على حكومته[249].

الحملة العثمانية لحماية الخليج والجزيرة العربية سنة 1871م:

لقد كان عبدالله بن فيصل- كما يقول كيلي - يمثل التيار المحافظ، بينما سعود يمثل التيار المتحرر، وقد نجح سعود بدعم حكومة الهند البريطانية في انتزاع الحكم من أخيه عبد الله- بعد أن كسب ولاء القبائل التي بايعته في الإحساء، وسار بها إلى الرياض، وكان الدعم البريطاني يتواصل إليه من البحرين - وفر عبدالله إلى والي بغداد مدحت باشا ليساعده في استرجاع السلطة، وكتب مدحت باشا إلى اسطنبول التي وافقت على تجهيز جيش لمساعدة عبدالله لكونه قائمقاما وواليا على نجد من قبل الخليفة العثماني، وقد حاولت بريطانيا التدخل لمنع الحملة العسكرية على نجد خشية تهديد النفوذ البحري البريطاني في الخليج العربي، خاصة وأن بين الدولة العثمانية وبريطانيا تحالفا وصداقة وثيقة، وقد أكد مدحت باشا في رده على التخوف البريطانيبأنه لا مصلحة للباب العالي في دعم عبدالله المعروف بوهابيته الشديدة، وأنه كان يفضل دعم سعود لتحرره من تعاليم الوهابية غير أن الإجراءات تقتضي الوقوف مع عبدالله لكونه قائممقام نجد بشكل رسمي، وأن الحملة العسكرية ستكون داخل الجزيرة العربية وفي نجد التي لا نزاع على كونها تحت السيادة العثمانية، وليس هناك أطماع بحرية، وأن استخدام موانئ الإحساء كان بسبب قربها من مسرح العمليات ولا بد من استخدامها، وقد تحركت القوات العثمانية من البصرة إلى الإحساء بحرا في إبريل سنة 1871م، كما تم نقل مؤن الجيش العثماني بسفن الكويت، التي كانت نقطة تجمع القبائل للتوجه برا نحو الإحساء، (وتوجه مع الجنود جماعة من أهالي الكويت التابعين لولاية البصرة كمتطوعين للإعانة على نقل مرافق الجيش ومؤنه) كما جاء في مذكراتوالي بغداد مدحت باشا[250].

---

[249] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 35 .

[250] مذكرات مدحت باشا 243 .

وقد صار إقليم الأحساء ونجد كله تابعا لولاية بغداد ثم لولاية البصرة كما سيأتي بيانه.

وقد طلب حلفاء بريطانيا سعود بن فيصل وعيسى بن خليفة من المقيم السياسي البريطاني التدخل للحيلولة دون استخدام الدولة العثمانية للبحر في حربها هذه، غير أن وزير الشؤون الخارجية لحكومة الهند البريطانية أدرك أن حججه القانونية في التدخل ضعيفة، إذ أن أي تدخل بريطاني يعد غزوا لأرض أجنبية تحت سيادة الدولة العثمانية، كما أن المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع قبائل الساحل محدودة جدا، إذ هي فقط لمنع الاعتداءات البحرية بين القبائل بعضها على بعض، وأنه لا يمكن أن تخضع الإجراءات البريطانية في البحر للسياسات العربية في البر(إذ أن ذلك يجر بريطانيا إلى المشاكل الداخلية للقبائل العربية الذين قد لا نعرفهم ولا نتفهم ظروفهم)، وهذا اعتراف بريطاني بعدم وجود دويلات أو إمارات في المنطقة إلى سنة **1871**م بل قبائل تابعة للخلافة العثمانية.

وهكذا نجحت الخلافة العثمانية من بسط نفوذها على الجزيرة العربية مرة أخرى، والتأكيد على حقها في بسط سيادتها على أقاليمها التابعة لها، وقد حاول السفير البريطاني في الأستانة الاستفسار من رئيس الوزراء العثماني عن أهداف الحملة، فرد عليه بأن تركيا دولة مستقلة لها الحق في ممارسة شؤونها كما تشاء، وأنه لا شك في تبعية عبدالله بن فيصل للخلافة العثمانية، فقد تم تعيينه بمرسوم وفرمان سلطاني، كقائممقام في نجد، التي هي جزء لا يتجزأ من أقاليم الدولة العثمانية، وأن للخليفة العثماني حق فرض سلطته، باعتباره خليفة المسلمين، ولا يمكن أن يسمح للقبائل وصغار الزعماء بتهديد مكة، والمدينة، وأمن الدولة العثمانية، أما بالنسبة للكويت التي اتخذها الجيش العثماني نقطة انطلاق فقد أدرك البريطانيون أنه لا يحق لهم اتخاذ أي إجراء بخصوصها، ولا التدخل في موضوعها، لأنها بلا شك -كما يقول كيلي - ضمن المناطق الخاضعة للسيادة العثمانية، إذ أن والي بغداد قد اعترف بعبدالله بن صباح كقائممقام في الكويت بفرمان سلطاني، تم تسليمه بشكل رسمي إلى عبدالله في يناير **1867**م[251].

---

[251] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/582- 597** ، ومذكرات مدحت باشا **240- 243**، وسياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج **213- 217** .

وعندما سيطرت الدولة العثمانية على الساحل الشرقي من الخليج العربي، لم تكن الكويت قد وجدت بعد، ثم بعد أن ظهرت كميناء صغير لم تكن ذات أهمية، وقد كانت تدفع الزكاة لوالي بغداد، العثماني في العشرينات من القرن الثامن عشر.[252]

وهكذا ثبت صحة ما توصل إليه الخبراء القانونيون البريطانيون آنذاك من أن الوجود البريطاني في الخليج إنما يقوم على أسس اعتبارية لا قانونية، كالسراب يصور الماء حيث لا ماء، فهو على أحسن الفروض غزو بحري، وأن المعاهدات مع شيوخ قبائل الساحل هي لكف الاعتداءات فيما بين الموقعين على المعاهدات فقط، ولا حماية بريطانية لهم تجاه الدول الأخرى، وأن الحملة العثمانية إنما هي حملة لدولة تريد دفع تمرد على أراض تدعيها، فلا يمكن والحال هذه أن تتدخل بريطانيا في الموضوع[253].

وقد صدرت تعليمات من والي بغداد مدحت باشا إلى قائد الحملة نافذ باشا تحدد مهمة الحملة، وتؤكد وجوب تطمين الأهالي في الإقليم وعدم التعرض لأحد منهم، ووجوب نشر العدل بينهم، ومعاملتهم بالشفقة، وعدم التعدي عليهم، وشراء احتياجات الجنود، وعدم قبول الهدايا منهم، وتعيين قضاة في الأحساء، والقصيم، والرياض، من علماء أهل كل بلد، من أتباع المذهب الحنبلي، وجعل عبد الله بن فيصل متصرف على لواء يضم هذه الأقاليم، فإن خيف منه، فيترك قائمقاما على الرياض فقط، ويجعل على البلدان الأخرى قائمقاميات.[254]

وقد استعان الجيش العثماني بقبيلة عنزة والمنتفق والظفير، كما وقفت قبيلة العجمان مع سعود بن فيصل، ووقف أكثر أهل نجد مع أخيه عبد الله، وقد استنجد قاسم بن ثاني بقبيلة بني هاجر للقدوم للبدع للوقوف مع الحملة العثمانية، كما راسل شيخ قبيلة النعيم راشد بن جبر، وكذا كتب برسالة إلى عبد الرحمن بن أحمد الأشقر من شيوخ آل مرة، يشرح لهما تطور ما جرى من أحداث

---

[252] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 58-59 .

[253] سياسة الأمن 214-215 .

[254] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 61-65 من وثائق الأرشيف العثماني.

في قطر، وقد أرسل عبد الله بن فيصل برسالة يؤكد فيها سيطرته ثانية على الوضع في نجد، ودخول الجميع في طاعة السلطان والخليفة عبد العزيز العثماني (وأن نجد وتوابعها تعد الآن من أخلص المخلصين للسلطان وكافة سكانها مطيعون له)[255].

وقد تحركت القوات العثمانية ووصلت إلى الكويت في مايو سنة **1870**م، فاستقبلت استقبالا حافلا من الأهالي، وقد خرج قائمقام الكويت عبد الله الصباح بثمانين مركبا في خدمة الجيش العثماني، وخرج معها من البر مبارك الصباح مع قوات من فرسان قبيلة عنزة بقيادة عبد المحسن الهذال، وقبيلة المنتفق بقيادة منصور السعدون، وقد تأخر وصول مبارك للأحساء واعتذر بقيام قبيلة مطير التي ما زالت تؤيد سعود بقطع الطريق على قواته، مما اضطره إلى العودة إلى الكويت لاصطحاب مزيدا من القوة، كما قطعت قبيلة مطير الطريق على ابن هذال ومن معه من عنزة وأخذت خيلهم وجمالهم.[256]

وبعد سيطرة الجيش العثماني على الدمام والقطيف وإطلاق سراح محمد بن فيصل بن سعود الذي سجنه أخوه سعود في قلعة الدمام، فر عبد العزيز بن سعود بن فيصل وعبد الله بن ثنيان بن سعود إلى قطر ثم إلى البحرين، وأخبر عبد العزيز بأن والده سعود في الصبيحية – قرب الكويت – تتوافد عليه القبائل السبع الرئيسية في نجد لمناصرته، وقد راسل أهل البحرين نافذ باشا يؤكدون له تبعيتهم للدولة العثمانية، وخشيتهم من عيسى بن خليفة، وقد أرسل عبد الله الصباح رسائله إلى شيخ البحرين، وإلى قاسم بن ثاني، وناصر بن مبارك للقدوم على نافذ باشا وتقديم فروض الطاعة، حتى لا يفقدوا مكانتهم وسلطتهم[257].

وقد نزل الجيش العثماني بالإحساء في إبريل سنة **1871**م، وسيطر عليها، وقام قائد الفرقة حافظ باشا بقراءة البيان على أهل القطيف وقال فيه:

---

[255] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **66- 69** من وثائق الأرشيف العثماني.

[256] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **72** نقلا من وثائق الأرشيف العثماني وجريدة الزوراء البغدادية.

[257] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **77- 81** من وثائق الأرشيف العثماني.

(إن نجد وملحقاتها كلها جزء من الخلافة العثمانية، كالعراق، واليمن، ومصر، وبما أن سعود قد أطاح بالحكم، وبالقائممقام الشرعي الأمير عبدالله، فقد اضطرت الحكومة العثمانية إرسال هذه الحملة).

ثم توجه الجيش العثماني، وعبدالله بن فيصل مع قواته إلى الرياض، وتعرضوا لخسائر في المواجهة مع قوات سعود من القبائل، وقد أبدى سعود استعداده ليصبح قائممقاما عثمانيا، وأن يدفع الزكاة للباب العالي، وقد نجح الجيش العثماني في توسيع سيطرته على الساحل إلى قطر، وتم رفع العلم العثماني عليها، بعد أن أرسل القائد العثماني نافذ باشا عبدالله الصباح، ليطلب من محمد بن ثاني رفع العلم العثماني، وقد أكد مدحت باشا للبريطانيين – بعد أن استفسروا عن هذه الخطوة – أنه لا يوجد ما يمنع من أن تكون قطرفي نطاق تحرك الحملة، وقد بدأت السفن العثمانية العسكرية تجوب البحر في المنطقة ما بين المكلا، وحضرموت، والبصرة.[258]

وقد طلب والي بغداد مدحت باشا من الصدر الأعظم تكريم عبد الله بن صباح وأخويه محمد ومبارك على خدمتهما في الحملة العسكرية، وتم منحهما نياشين عثمانية.[259]

وقد قام والي بغداد مدحت باشا بعد ذلك، في أغسطس سنة **1871**م، بتحديد مناطق توابع نجد، فذكر عشر مناطق منها البحرين، والشارقة، وأبوظبي، ودبي، مما أثار القلق في أوساط حكومة الهند البريطانية في بومبي، وقد كتب المسئولون فيها للحاكم العام رسالة كما يلي: (إن أمير الرياض يستلم الزكاة السنوية من مسقط، كما أنه لا يكف عن المطالبة بالسيادة على البحرين، وساحل قطر، وأبوظبي، وإذا قدر لعبدالله بن فيصل أن يسترد نجد بمساعدة القوات التركية في نجد، فلا شك بأنه سيعود لفرض سيطرته على هذه المناطق، وسيصبح تدخل الأتراك في شئون القبائل الساحلية في هذه المناطق أمرا نافذا)، وقد اعترفت

---

[258] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/600– 606**، ومذكرات مدحت باشا **246– 249**، وسياسة الأمن **218– 221**.

[259] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص **83** من وثائق الأرشيف العثماني.

حكومة الهند بأنها عاجزة عن مقاومة المد العثماني، كما اعترفت بأن تلك المناطق كانت تدفع الزكاة لنجد، ولا يهم بريطانيا ما يحدث على البر مادامت لا تأثر على سيادتها في البحر.[260]

وقد تم وضع الإحساء تحت السيادة العثمانية المباشرة، كما تم تعيين جاسم بن ثاني قائمقاما عثمانيا على قطر، وبعد عدة أشهر ثار أهل الرياض على سعود بقيادة عمه عبدالله بن تركي، وفر سعود من الرياض، وأرسل عبدالله رسالة إلى نافذ باشا، وإلى ابن أخيه عبدالله بن فيصل، الذي عينه نافذ باشا واليا على نجد حتى يصل إليها عبدالله، وأرسل إليه بالعتاد والمؤن، كما تم إرسال قوات عثمانية إلى قطر للمرابطة فيها لحفظ الأمن والاستقرار، وقد استمر الصراع في الرياض بين عبدالله بن فيصل وأخيه سعود مدة دون حسم، ورأى نافذ باشا أن آل سعود لم يعودوا صالحين لحكم الرياض، بعد أن ضج الناس من صراعهم على السلطة، واضطربت أوضاع نجد، وقد سلم فريق باشا سنة **1873**م إقليم الإحساء إلى براك بن عريعر شيخ بني خالد، ووضع فرقة جندرمة للدفاع عن نجد والإحساء في شرق الجزيرة العربية، كما تم في الوقت نفسه إتمام السيطرة العثمانية على مناطق عسير، ولحج، والجهة الغربية من الجزيرة العربية.[261]

وقد حاولت بريطانيا الاعتراض على هذه الحملة أيضا، فكان رد السفير العثماني في لندن صريحا وواضحا، حيث أكد:(بأنه لا حق للحكومة البريطانية في التدخل بين السلطان ورعاياه، في شبه الجزيرة العربية بما في ذلك لحج، وبأن اليمن وغيرها من المناطق في شبه الجزيرة العربية تخضع للخلافة العثمانية منذ قرون بحكم فتح الأتراك لها، وبحكم سيادتها الشرعية عليها، وبأنه من البديهي أن مسألة شبه الجزيرة العربية قضية حساسة باعتبارها جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي، وأن هذه المنطقة وحكامها بلا استثناء متفقون على حق الخلفاء العثمانيين بحكم هذه المنطقة).[262]

---

[260] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/602-603**، وسياسة الأمن **218-219** .

[261] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/612-623** .

[262] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/646-647** .

وفي سنة 1874م قدم بعض آل خليفة المنفيين عن البحرين عريضة للخليفة العثماني يؤكدون الولاء له، ويطالبونه برد حقوقهم التي انتهكتها السلطات البريطانية، حيث صادرت ممتلكاتهم، وأنها نفت حاكم البحرين السابق محمد بن خليفة، وحاكم الدمام محمد بن عبدالله إلى الهند[263].

وفي شهر أغسطس 8 سنة 1874م أفرج والي بغداد عن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي، الذي كان قد احتجز في بغداد منذ سنة 1872م، كضمان لحسن سير أخيه سعود في الرياض، وبعد خروجه اتصل بقبائل الإحساء من العجمان والمرة التي كانت على الاستعداد للثورة على ابن عريعر، وقد قام عبدالرحمن ومعه تلك القبائل بالهجوم على الهفوف، فأصدر الوالي في بغداد رديف باشا أمره إلى ناصر السعدون متصرف لواء البصرة وشيخ المنتفق باتخاذ الإجراء اللازم للقضاء على التمرد، فقام بإعداد جيش كبير، وتحرك من ميناء البصرة للإحساء، وفر عبدالرحمن – الذي كان هدفه أن يتم تعيينه واليا على الإحساء بدلا من ابن عريعر– وتوجه إلى الرياض بعد أن تخلت عنه القبائل، وعين ناصر السعدون ابنه على الإحساء[264].

وقد قام الشيخ ناصر السعدون عام 1875م، بإعادة صرح بناء الإدارة العثمانية في المنطقة، وعاد إلى البصرة، وتكونت ولاية البصرة التي ضمت إليها الإحساء، وأصبح أول حاكم لهذه الولاية المستحدثة، التي تمتد من البصرة إلى الإحساء، مرورا بالكويت، وأصبحت المنطقة تابعة تبعية كاملة للدولة العثمانية[265].

وقد أكدت الدولة العثمانية سيادتها على المنطقة، وعلى حقها في استخدام الخليج العربي وموانئه، لبسط سيطرتها على داخل الجزيرة العربية، دون أن تستطيع بريطانيا الحيلولة دون ذلك.

[263] بريطانيا والخليج لجون كيلي 649/2 .

[264] بريطانيا والخليج لجون كيلي 653/2- 654 .

[265] سياسة الأمن 229 .

وقد خشيت بريطانيا أن تكون هناك أيضا خطة للهجوم بعد ذلك على البحرين، فحذر السفير البريطاني في اسطنبول من خطورة الإقدام على ذلك، مؤكدا في الوقت ذاته أنه ليس لبريطانيا سيادة على البحرين، إلا أنها مصممة على حمايتها بموجب المعاهدة التي بين الطرفين سنة **1861**م، خاصة أن البحرين يفصلها عن الجزيرة العربية البحر الذي تحرص بريطانيا على تأمين مصالحها فيه.[266]

لقد نجحت الدولة العثمانية في إحكام سيطرتها على الجزيرة العربية وحمايتها من جديد، وسمحت لرجلها القوي في شمال نجد ابن رشيد أمير حايل بالسيطرة على الرياض، وضبط الأوضاع فيها، بعد صراع آل سعود فيما بينهم، وتم تحقيق ذلك، وبذلك فشلت بريطانيا في اختراق نجد بدعمها لسعود بن فيصل عن طريق مسقط والبحرين ليحتل الرياض، وأحبطت الدولة العثمانية ووالي بغداد مدحت باشا هذه المؤامرة، غير أن بريطانيا ستعيد الكرة مرة أخرى بعد ثلاثين سنة، ليس عن طريق مسقط والبحرين، بل عن طريق الكويت البوابة الرئيسية لنجد!

---

[266] بريطانيا والخليج لجون كيلي **2/655-656** .

(11)

(الاحتلال البريطاني الثاني للرياض والسيطرة على نجد والإحساء سنة 1900م)

يمكن القول بأن خريطة الشرق الأوسط اليوم، والعالم العربي على وجه الخصوص، هي من الألف إلى الياء خريطة غربيةاستعماريةصليبية، لم يكن لشعوب المنطقة كبير أثر في رسمها على هذا النحو، وكما يقول ديفيد فرومكين عن هذه الفترة التي تم فيها خلق هذا المسخ من الكيانات المصطنعة:(لقد كان عصرا اصطنعت فيه بلدان الشرق الأوسط وحدوده في أوربا، فالعراق والأردن، هما اختراعان بريطانيان، والخطوط رسمت على خارطة بيضاء من قبل سياسيين بريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، بينما أنشئت حدود المملكة العربية السعوديةوالكويتوالعراق، من قبل موظف مدني بريطاني عام 1922م، ورسمت فرنسا الحدود بين المسلمين والمسيحيين في سوريا ولبنان، وقد اعتقدت دول أوربا آنذاك أن باستطاعتها تغيير آسيا الإسلامية في صميم أساسيات وجودها السياسي، فاستحدثت نظام دول مصطنعة في الشرق الأوسط، مما جعل منه منطقة لبلدان لم تصبح أمما حتى يومنا هذا، لقد اقترح الروس الشيوعية بدل الدين كأساس للحياة السياسية في الشرق الأوسط، وفعل مثلهم البريطانيون فاقترحوا القومية أو الولاء للأسر الحاكمة عوضا عن الدين، ويبدوا أن عام 1922م كان نقطة اللاعودة من حيث وضع مختلف العشائر في الشرق الأوسط على طرقها المؤدية للتصادم)[267].

وهذا أدق تحليل وأصحه عن جذور الأزمة التي تعاني منها المنطقة منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم، وهي أنها لم تصبح أمة بعد، ولم تقم فيها دولة تعبر عن هويتها القومية أو الحضارية أو الدينية، ولهذا تم استحداث الولاء للأسر المتحالفة مع الاستعمار!

---

[267] ولادة الشرق الأوسط 15- 17.

وكما يقول المؤرخ السياسي الفرنسي جان جاك بيربي في كتابه(جزيرة العرب):

(بسبب الخلافات القبلية والعائلية والطائفية التي استشرت مـن جـراء ضـعف الامبراطورية العثمانية وانحلالها وجدت الجزيرة العربية في القرن العشرين نفسها مقسمة إلى عدة كيانات سياسية متنافرة ومتنافسة، ومنطق الحقائق الاقتصـادية الذي لا يقاوم الكامن في اكتشاف البترول شجع النزعة الاستقلالية الانفصـالية كما تشهد بذلك الكويت)[268].

وقد صارت المنطقة كلها تحت النفوذ البريطاني المباشر الذي كانـت لـه اليـد الطولى ــ كما يقول جان بيربي ــ في تقسيمها وتحديد حدودها فيما بينها حيـث كانت تخضع للحماية البريطانية بموجب معاهدات (تخولها الإشراف التـام علـى سياستها وعلاقاتها الخارجية والامتيازات البترولية وهذا الوضع الممتاز لبريطانيـا كان ابن سعود قد اعترف به رسميا في المادة السادسة من معاهـدة جـدة سـنة **1927**م، ومن وجهة تاريخية كانت إقامة أول مقيم بريطـاني في مسـقط أحـد الأسباب التي أتاحت للحكومة البريطانية أن تستأثر بـالنفوذ في هـذه المنطقـة الحساسة من العالم هذه السيطرة البريطانية المطلقة على الخليج العربي التي مضـى عليها ما يقارب القرن)[269].

لقد كانت بريطانيا ومنذ دخولها للمنطقة، وسيطرتها على الخليج العربي، وتوقيعها لمعاهدات الحماية مع مشيخات الموانئ الساحلية، وهي تتطلع إلى قلب الجزيـرة العربية، وتخطط للسيطرة على الإحساء ونجد من خلال الوصول إلى الرياض، وقد أدركت الدولة العثمانية خطورة الوضع، ونجحت في قطع الطريق على بريطانيا في المرة الأولى سنة **1870**م، إلا أنها فشلت في المرة الثانية سنة **1900**م!

لقد عملت بريطانيا على تهيئة الوضع لدخول المنطقة، واحتلالها عسكريا بشـكل مباشر، وكانت تلجأ في البداية إلى دعوى حفظ الأمن والاستقرار في المناطق التي تريد أن تدخلها، ثم لا تلبث أن تحتلها بعد ذلك، كما هو شأنها مع (مصر الـتي

---

[268] جزيرة العرب لجان جاك بيربي ص **24** .

[269] المصدر السابق **232**.

كانت من وجهة رسمية لا تزال جزء من الإمبراطورية العثمانية، حتى احتلتها بريطانيا، معلنة أن هدفها هو إعادة النظام ثم تغادر البلد، ولكن بريطانيا بقيت فيه بدلا من أن تغادره)[270].

وكما قال مدحت باشا والي بغداد العثماني (كان سياح الإنجليز يكثرون التردد على نجد ويكتبون عنها المقالات الطويلة، ومن عوائد الإنجليز التقرب من أمراء العرب واستمالتهم، وترك بلادهم على حالها وحمايتهم باسم الإنسانية، وابتلاع البلاد بعد تدريب أهلها على الخضوع للعلم الإنجليزي، ومخادعة الأهالي تارة بالمال وطورا بالهدايا، جرى الإنجليز على هذا النحو في بلاد مسقط والمكلا وعمان وحضرموت والبحرين ووضعوا كل هذه البلاد تحت حمايتهم بهذه الطريقة، وكان مشايخ تلك القبائل يديرون بلادهم كما شاءوا وشاءت أهواؤهم، ولكن القول الفصل في الأمور الهامة فيها للإنجليز)[271].

وقد نجحت بريطانيا في تحقيق مشروعها في الجزيرة العربية، في مدة ربع قرن، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: إقامة (دويلات) ساحلية تقع تحت الحماية البريطانية، يمكن من خلالها انطلاق الحملة العسكرية بريا نحو الداخل، وهو ما ظلت بريطانيا تطمح إليه عقودا طويلة، إذ لم يكن لها أي وجود عسكري في الجزيرة العربية سوى ميناء عدن على مساحة سبعين ميلا مربعا، ولما كان الوضع على النحو المذكور آنفا من عدم وجود دولة أو شبه دولة يمكن الاتفاق معها بشكل رسمي، بدأت في العمل على خلق وإيجاد كيانات مصطنعة مع القبائل الساحلية، ووقعت معها اتفاقيات غير رسمية، لتضمن من خلالها حقوقها بعد احتلالها للمنطقة وتقاسمها، كما طرحته بريطانيا في مؤتمر برلين سنة 1880م.

لقد نجحت بريطانيا ــ كما يقول د. حسن الإبراهيم ــ في إنشاء دول كبيرة وصغيرة في العالم العربي بصورة اصطناعية، في نهاية الحرب العالمية الأولى، كنتيجة

---

[270] ولادة الشرق الأوسط 92 .

[271] مذكرات والي بغداد مدحت باشا 240 وما ذكره مدحت باشا قبل أكثر من مائة سنة ما زال قائمة إلى اليوم غير أنه جاء بعد الإنجليز إخوانهم الأمريكان!

لتفكك الإمبراطورية العثمانية، وتقاسم العالم العربي من قبل الدول الغربية، وقد نجحت القوى الغربية الاستعمارية في تشجيع الفرقة العربية، وتشجيع المصالح المحلية لجميع الفئات، فقاعدة (فرق تسد) واحدة من أهم خصائص الحكم البريطاني في العالم العربي، لقد كان العالم العربي وحدة واحدة، وأمة واحدة، وإلى أن تفككت الدولة العثمانية، في بداية القرن العشرين، كان يشار إلى العالم العربي ككل على أنه الإقليم العربي في الدولة العثمانية[272].

لقد كانت خطة حكومة الهند البريطانية تؤكد (إن ما نريده ليس شبه الجزيرة العربية موحدة، بل نريدها مقسمة ضعيفة، ممزقة إلى إمارات صغيرة خاضعة إلى أقصى ما يمكن لسيطرتنا، وعاجزة عن القيام بعمل منسق ضدنا).[273]

وقد أدرك المسئولون البريطانيون في مصر الهاجس الذي تعيشه حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شئون جزيرة العرب الشرقية، فكتب كلايتون رسالة إلى وينغنيت قال فيها: (إن الهند البريطانية مسكونة بهاجس الخوف من دولة عربية موحدة، وهذه الدولة لن تظهر إلى الوجود ما لم تبلغ الحماقة بنا حد خلقها)[274].

ثانيا: توقيع اتفاقيات مع تلك (الكيانات) الدويلات العشائرية، تمنعها من التجارة بالسلاح واستيراده، لمحاصرة الخليج والجزيرة العربية حصارا عسكريا، ولمنع شعوبها من الحصول على الأسلحة التي قد يقاومونها بها، وقد كانت لها تجاربها المريرة مع القبائل المسلحة، وكذا للحيلولة دون وصول السلاح للمسلمين في الهند – درة التاج البريطاني – وأفغانستان، التي كانت تشهد اضطرابات ضد الاحتلال البريطاني، فقد اكتشفت حكومة الهند البريطانية أثناء الحرب الأفغانية سنة **1879-1880**م أن كميات كبيرة من الأسلحة تأتي إلى موانئ الخليج العربي، حيث يتم تصديرها بعد ذلك برا إلى داخل إيران وأفغانستان، فأصدرت أوامرها لبومبي بمراقبة حظر تصدير الأسلحة بكميات كبيرة لموانئ الخليج العربي،

---

[272] الكويت للإبراهيم **25-26** .

[273] ولادة الشرق الأوسط **117** .

[274] ولادة الشرق الأوسط **117** .

وقد نجحت بريطانيا بعد الضغط على شاه إيران في استصدار أمرا سنة **1881**م يحرم دخول السلاح إلى إيران، إلا بأمر وإذن خاص من حكومة الشاه، وبحق الحكومة في مصادرة أي سلاح، كما نجحت بريطانيا في جعل سلطان مسقط يصدر أمرا في مارس سنة **1891**م يحظر فيه استيراد أو تصدير الأسلحة من ميناء جوادر التابع له على البر الفارسي، وبهذا أحكمت قبضتها على المنطقة الممتدة من سواحل الخليج إلى الهند[275].

وفي سنة **1897**م شهدت مناطق شمال غربي الهند ثورات قبائلية، ووجدت بريطانيا أن أكثر الأسلحة تأتي من موانئ الخليج العربي، كما أن كثرة الأسلحة في يد القبائل في الخليج العربي يشكل خطرا على الوجود البريطاني، فطلبت بريطانيا من سلطان مسقط إصدار إعلان في يناير سنة **1898**م بمنع التجارة في الأسلحة وتوريدها من مسقط وموانئ عمان، إلى الهند وإيران، وبحق السفن البريطانية في تفتش السفن العمانية للتأكد من العمل بالإعلان، وحقها في مصادرة الأسلحة.

كما أمرت بريطانيا في إبريل سنة **1898**م شيخ البحرين بالإعلان عن منع توريد وتصدير الأسلحة والذخيرة والاتجار فيها منعا باتا، وحق بريطانيا في تفتيش السفن ومصادرة الأسلحة.

وفي مايو سنة **1900**م أمرت بريطانيا مبارك الصباح بإصدار إعلان مماثل فاستجاب لها، غير أنه لم يتم نشره لكون الكويت لم تزل تحت السيادة العثمانية بشكل رسمي.

وفي نوفمبر سنة **1902**م طلبت بريطانيا من شيوخ قبائل ساحل عمان المهادن توقيع اتفاقيات يلتزمون بموجبها بالمنع من ذلك.

ولم يبق من مناطق وموانئ الخليج سوى قطر، حيث ما زالت تحت السيادة العثمانية مما حدا بريطانيا إلى التفاهم مع الدولة العثمانية للسماح للسفن البريطانية بتفتيش السفن القطرية التي ترفع العلم العثماني، غير إن اسطنبول

---

[275] سياسة الأمن **83-84** .

اشترطت أن يكون لها حق مماثل بتفتيش السـفن البريطانيـة، ومـن ثم صـرفت بريطانيا النظر عن موضوع قطر.

وفي مارس سنة **1904**م درست بريطانيا إمكانية منع مسقط من تصدير الأسلحة والذخيرة أو الاتجار بها مع موانئ البحرين، والكويت، وساحل عمان المهادن، ولم ينفذ الاقتراح لكون الكويت تحت السيادة العثمانية، ولأنها أيضا هـي المصـدر الرئيسي للسلاح الذي يصل لعبد العزيز بن سعود من جهة بريطانيـا، وكانـت لندن قد طلبت بتاريخ **24**يونيو سنة **1904**م أن لا يحظر السلاح عن ابن سعود المناوئ لابن رشيد المساند للدولة العثمانية كما جاء في الوثائق البريطانية[276].

وفي سبتمبر سنة **1909**م بدأت حكومة الهند البريطانية تزيد مـن تشـديدها في فرض الحصار على المنطقة حيث جاء في وثائقها :

(إن هذه الأسلحة تزيد من مصاعبنا لو اقتضت الظروف أن نتدخل في أفغانستان لضرب أي ثورة بها لإسكات حاكمها إذا جاهرنا العداء، وأشد ما نخشى أن تصل هذه الأسلحة إلى أيدي الثوار بالهند ..ونرى أن الحصار الناجح سـيوقف هـذه التجارة عند مسقط)[277].

وفي فبراير سنة **1910**م – أي قبل الحرب العالمية الأولى بأربع سنوات – طلبت حكومة الهند البريطانية من مبارك الصباح الإعـلان عـن اتفاقيـة منـع تجـارة الأسلحة، بعد أن نشطت هذه التجارة في ميناء الكويت، وقد تعهد لها بـالالتزام بما في المعاهدة[278].

وبعد أن سيطر ابن سعود على الإحساء والموانئ التي فيه سنة **1913**م، وأخلاه من القوات العثمانية، لم تعد بريطانيا في حاجة إلى ميناء الكويـت لـدعم ابـن

[276] سياسة الأمن لحكومة الهند **88-92**، ودليل لوريمر التاريخي **3770/6 - 3776**. وهذا يؤكد صحة ما ذكره ابن بسام في تاريخه بخصوص الاتفاق بين ابن سعود وبريطانيا لاحتلال الأحساء سنة **1911**م.

[277] سياسة الأمن **94** .

[278] سياسة الأمن **95** .

سعود، إذ أصبح الدعم البريطاني له يأتي مباشرة إلى موانئ الإحساء وبدأت تشدد الحصار على ميناء الكويت.

وفي نوفمبر سنة **1916**م أكملت بريطانيا سيطرتها على الخليج العربي ومحاصرتها له وذلك باتفاقها مع قطر على منع دخول السلاح منها وإليها[279].

وكل هذا الحظر لدخول الأسلحة للمنطقة تم بعد مؤتمر برلين سنة **1880**م الذي قررت فيه أوربا الصليبية احتلال العالم الإسلامي وتقاسم أقاليم الخلافة العثمانية، وهو الأسلوب الذي ما تزال تمارسه الدول الغربية مع العالم الإسلامي حيث يتم فرض الحصار على أي بلد يخشى منه أن يشكل قوة عسكرية في المنطقة ليسهل بعد ذلك احتلاله!

ثالثا: الانطلاق في اختراق وسط الجزيرة العربية الذي ظل اختراقها والسيطرة عليها حلما يراود الحملات الصليبيةالبرتغاليةوالهولنديةالتي عجزت عن تحقيق هذا الحلم قرونا طويلة حيث تتحطم حملاتهم على أطرافها، وعلى أطراف أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى، التي تحول دون وصولهم إلى الجزيرة والحرمين الشريفين!

لقد نجحت بريطانيا بعد ذلك في اتخاذ الكويت نقطة انطلاق لحملتها العسكرية على العراق شمالا، وعلى نجد غربا، واعتمدت على دعم ابن سعود في شرق الجزيرة، وعلى دعم الشريف حسين في غربها، وتم لها ذلك وفق المخطط الآتي :

1- توقيع معاهدة الحماية السرية مع الكويت:

حيث تم توقيع معاهدة سرية بين مبارك وحكومة الهند البريطانية في يناير سنة **1899**م، والتي كانت أول اتفاقية بين الكويت وبلد آخر، والتي أصبحت الكويت بموجبها تحت الحماية البريطانية، تلك الحماية التي كانت تقوم على أساس حكم البلد من خلال المستشارين البريطانيين، الذين كانوا يوجهون سياسة البلدان التي تحت سلطتهم بكل براعة وذكاء، باستخدام صيغة الرجاء والإشارة

[279] المصدر السابق **103** .

بدل صيغة الأمر المباشر، لتصدر القرارات بعد ذلك باسـم المسـئولين في تلـك البلد، لا باسم الحكومة البريطانية[280].

وبعد أن التزم مبارك بالتبعية الكاملة للسياسة التي تشير بها عليه بريطانيا خاصة في شئونه الخارجية، بدأت بريطانيا فورا بالنظر إلى نجد قلب الجزيـرة العربيـة، ولقد (مكنت هذه الاتفاقية بريطانيا ليس من التدخل في شئون الكويت فحسب، بل وفي شئون نجد والعراق أيضا).[281]

ووجدت بريطانيا الفرصة مناسبة من خلال عبد الرحمن بن فيصل، الـذي سـبق لبريطانيا أن دعمت أخاه سعود ليحتل الرياض، وقد كان عبد الرحمن قد لجأ إلى الكويت، بعد سيطرة ابن رشيد على الرياض.

وقد كانت الدولة العثمانية تجري مخصصاتها المالية على ابن سعود، وعلى والده عبد الرحمن بن سعود، وأسرته التي كانت لاجئة قبل ذلك في الكويت[282].

لقد كان وجود عبد الرحمن بن فيصل وأسرته في الكويت بناء على موافقة من الدولة العثمانية كواحد من رعاياها، فبعد خروجه من الرياض سنة **1891**م توجه إلى الأحساء، ثم إلى الكويت حيث رفض شيخها آنذاك استقباله لكونه قائمقاما عثمانيا، فلجأ إلى قبيلة العجمان وآل مرة، ثم وافقت الدولة العثمانية على قدومه إلى الكويت مع أسرته، وتم تخصيص مرتبات مالية له ولأسرته وهي **60** ليرة شهريا، ولبث في الكويت نحو تسع سنين حتى عاد إلى الرياض[283].

وقد كان عبد الرحمن على اتصال بالمقيم البريطاني في أبو شهر بإيران، حيث كتب عبد الرحمن بن سعود إلى المقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) يخبره فيه بخروجه

---

[280] ولادة الشرق الأوسط **94** .

[281] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **34** .

[282] تاريخ الكويت لخزعل **178/2** .

[283] عبد العزيز وبريطانيا ص **28** .

من الكويت إلى الرياض، ويرجو من بريطانيا أن تضع نظرها عليه، وأن تشمله بعطفها ولطفها.[284]

كما كتب عبد الرحمن بن سعود سنة **1902**م، كتابا إلى نقيب الأشراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أسباب ما جرى، ويؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وجاء فيه:

(ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتج إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المؤمنين، أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو من مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعديات ابن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش).[285]

لقد جاءت معاهدة الحماية البريطانية مع الكويت - وفي ظل وجود عبد الرحمن وولده عبد العزيز فيها - لتفتح الطريق أمام بريطانيا للسيطرة على نجد، فبعد هذه المعاهدة مباشرة سيخرج من الكويت شاب على رأس قوة كبيرة ليحتل الرياض، ويسانده جيش جرار يبلغ عشرة آلاف مقاتل من كل القبائل سيخرج من الكويت وسيتوجه إلى حايل ليشغلها عن الرياض، وذلك بتوجيه وتخطيط وتمويل مادي وعسكري بريطاني وجنود عرب لتنفيذ المشروع الذي طالما طمحت إليه بريطانيا!

لقد ظل اهتمام بريطانيا في وسط الجزيرة ضعيفا بسبب صعوبة الوصول إليه، ولكن بعد عودة ابن سعود إلى نجد سنة **1900**م، تغير الموقف البريطاني، وتزايد اهتمامها بالمنطقة نظرا إلى تحالف مبارك مع ابن سعود[286].

لقد تم سنة **1900**م الإعداد لتنفيذ المشروع البريطاني عن طريق مبارك الصباح، الذي زاره المقيم البريطاني في الخليج العربي واجتمع به، وأرسل إلى حكومة الهند

---

[284] المصدرين السابقين.

[285] تاريخ الكويت لخزعل **179/2** ، وتاريخ الكويت للرشيد ص **179** .

[286] لوريمر دليل الخليج القسم التاريخي **1717/3** .

البريطانية رسالة فيها(إن الشيخ مبارك يعرف جيدا ما هو فاعل، فلا يحتمل أن يتخذ في عملياته الحالية أية خطورة قد تؤدي به إلى نزاع مع سلطات البصرة)[287].

فقد كانت بريطانيا تسير بحذر في طريقها لتنفيذ مخططها، ففي الوقت الذي كانت تهدف إلى السيطرة على الخليج والجزيرة العربية، كانت تحاذر من اكتشاف الدولة العثمانية لخطتها، فتبادر للتخلص من مبارك، أو الهجوم على الكويت قبل أن تثبت بريطانيا أقدامها في المنطقة، وتفشل خطتها كما فشلت أول مرة، وقد اطمأنت بريطانيا إلى قدرة مبارك على تنفيذ خطتها دون أن يثير الخلافة العثمانية، التي كان يظهر لها مبارك في الوقت نفسه الخضوع والتبعية، وقد بدأت بريطانيا أول خطواتها بعد توقيع المعاهدة سنة **1899**م، بتجهيز جيش سنة **1900**م، من القبائل الحليفة لمبارك – وهي أول مرة في تاريخ مدينة الكويت يكون لها تطلع يتجاوز حدود أسوارها – وقد تشكل هذا الجيش الذي بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل من قبيلة مطير، والعجمان، والمنتفق – وغيرهم من القبائل – بالإضافة إلى ثمانمائة من مدينة الكويت مع مبارك الصباح، وبضع مئات من أهل نجد مع ابن سعود[288].

لقد كان الهدف من إعداد هذا الجيش هو إشغال ابن رشيد في حائل عن الرياض، ليقوم ابن سعود – الذي تم تزويده من بريطانيا بكل ما يحتاجه من مال وعتاد وقوات عن طريق مبارك – بالتوجه إلى الرياض التي كانت تحت حكم ابن رشيد التابع للدولة العثمانية، وقد نجح ابن رشيد في هزيمة هذا الجيش في معركة الصريف الشهيرة في مارس سنة **1901**م، وبعد هزيمة مبارك ومن معه، ترك أرض المعركة ومعه سلطان الدويش، وكان سلطان في خيمة مبارك حين وقعت الهزيمة، ولحق بهم السعدون وتوجهوا إلى الزلفي ورفض أهلها دخولهم خوفا من ابن

---

[287] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **51** .

[288] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **53** .

رشيد، فتوجهوا إلى الصمان حيث قبيلة مطير، ومـــن هنـــاك توجـــه مبـــارك إلى الكويت[289].

2- احتلال الرياض :

ومع أن مبارك الصباح وعبد الرحمن بن سعود قد هزما في معركة الصريف، غـــير أن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود نجح مع قواته بعـــد ذلـــك في احـــتلال الرياض، وقد أدرك الباب العالي أبعاد المخطط البريطاني، وأن حـــرب الصـــريف واحتلال الرياض هو تنفيذ لمشروع بريطانيا الذي تم مناقشته في مؤتمر برلين سنة **1880**م، والذي يقضي بضرورة تقسيم الدولة العثمانية بـــين الـــدول الغربيـــة الاستعمارية، فبادرت الخلافة العثمانية بدعم ابن رشيد الذي تقدم بجيوشه نحـــو الكويت، غير أن بريطانيا تدخلت للحيلولة دون احتلال ابن رشيد للكويت، كما أعدت سفينة لنقل مبارك الصباح على متنها إذا سقطت المدينة، وقـــد خففـــت الدولة العثمانية من حدة التوتر، وضغطت على ابن رشيد ليتراجع عن هجومـــه على الكويت، وقد تراجع غير أنه حاصرها حصارا بريا، وبســـط نفـــوذه علـــى صحراء الكويت، وقطع الطرق التجارية بينها وبين نجد، مما أثر علـــى وضـــعها الاقتصادي تأثيرا كبيرا، حيث أصبحت الطرق التي تربطها بنجد والعراق تحـــت رحمة ابن رشيد وسيطرته، وقد أغارت قوات ابن رشيد علـــى القبائـــل المواليـــة لمبارك، وكانت على آبار الصبيحية، ونشب بينها وبين قوات ابن رشـــيد قتـــال شديد، كما جاء في رسالة مبارك إلى المقيم السياسي البريطاني[290].

وقد تعهدت بريطانيا لمبارك إذا ظل داخل مدينة الكويت وخليجها بحمايته مـــن أي اعتداء يشنه ابن رشيد، كما تقضي بذلك معاهدة الحماية التي تقصر حمايتـــها على المدينة دون ما وراءها[291].

---

[289] تاريخ الكويت السياسي **48/2** .

[290] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **55**و**62**و**81** .

[291] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **82** .

وقد دفع تهديد ابن رشيد وحصاره المتواصل مبارك وابن سعود للتوسل للباب العالي، والتأكيد على تبعيتهما للخلافة العثمانية، والخضوع لسيادتها، وقد وافقت الدولة العثمانية على تعيين ابن سعود كقائممقام لنجد، وصدر بذلك فرمان من الباب العالي سنة **1904**م.

وبعد دخول ابن سعود الرياض، تتابع له المدد المالي والعسكري من مبارك الصباح – الذي كانت كل شؤونه الخارجية تحت إشراف بريطانيا كما تنص عليه المعاهدة – وقد كان نجاح ابن سعود في احتلال الرياض مستحيلا دون ضمان بريطانيا للوضع في الكويت، ودون الدعم المطلق منها له، وقد تتابعت قوافل الإمدادات التموينية والعسكرية من الكويت إلى الرياض، لدعم صمود ابن سعود في الرياض، أمام الحصار الذي حاول فرضه ابن رشيد عليها[292].

فقد كان مبارك الصباح كما يقول مؤرخ الكويت (ركن ابن سعود الأعظم، الذي عليه يعتمد، يبعث إليه الإمدادات بسخاء، ويخرج إليه الحملات الواحدة تلو الأخرى، ويرسم له الخطط الحربية، وهو في مدينته).[293]

وهو ما لا يمكن أن يقوم به مبارك تحت الحماية البريطانية إلا بترتيب بريطاني!

وقد بات ابن رشيد على قناعة تامة بأن هناك خطة بريطانية كويتية سعودية مشتركة في كل ما يدور من أحداث، ولا قبل له وحده في مواجهتها، وقد طلب دعما من الدولة العثمانية، كما أكد لها بأن بريطانيا تدعم ابن سعود بالأسلحة، غير أن ابن سعود بادر فأرسل إلى والي البصرة يقر له بالتبعية للخليفة العثماني، مما جعل الباب العالي يتحفظ على طلب ابن رشيد ويدعوه للهدوء[294].

3- تحطيم قوة حائل تمهيدا لاحتلالها :

---

[292] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **77** و**80** .

[293] تاريخ الكويت للرشيد **175**. وكل ذلك كان بتمويل ودعم مالي وعسكري بريطاني.

[294] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **78-79**، ودليل الخليج للوريمر القسم التاريخي **1703/3**.

وفي مارس سنة **1903**م وبعد اجتماع بين المبعوث البريطاني الكابتن هاملتون ومبارك دار الحديث فيه عن ابن رشيد وخطره، وضرورة مواجهته بعد ضعفه، فتوجه ابن سعود بجيش من الرياض إلى الكويت، ثم خرجت قوات مشتركة من الكويت بقيادة جابر بن مبارك وابن سعود تقدر بعشرة آلاف مقاتل، لشن هجوم على عماش الدويش الذي كان حليفا لحائل وابن رشيد، فوقعت معركة جو لبن في الصمان على مسيرة يومين من الكويت، بين ابن صباح وابن سعود ومن معهم من القبائل من جهة، وعماش الدويش ومن معه من قبيلة مطير من جهة أخرى، وقد باغتت القوات المشتركة الدويش الذي قتل في تلك المعركة، وغنمت خمسة آلاف من الإبل، وقد كتب مبارك بتفاصيل الحادثة إلى المقيم البريطاني بتاريخ **1903/4/14**م، ويخبره فيها بهزيمة قبيلة مطير، وقتل عماش الدويش، وغنيمة مواشيهم، كما كتب القنصل البريطاني في البصرة إلى السفير البريطاني في اسطنبول يخبره بالحادثة[295].

لقد كان الهدف واضحا من هذه الحملة العسكرية الكبيرة – التي بلغت عشرة آلاف مقاتل – فقد كان عماش الدويش ومن معه من مطير حلفاء لحائل وابن رشيد، في الوقت الذي كان ابن عمه سلطان الدويش ومن معه من مطير مع مبارك في حرب الصريف، وقد قال لوريمر (شيخ القبيلة الأكبر حاليا – سنة **1904** – هو الشيخ سلطان بن الحميدي الدويش، ويبلغ الستين من العمر، وقد رفض بنو عبد الله الخضوع لسلطانه لفترة طويلة، وخاصمه الصهبة لمدة خمسة عشر عاما، ولذلك فسلطته غير مطلقة، ويبدو أنه ليس الشيخ الرئيسي لقبيلة مطير، بل هو شيخ علوه، ويترأس بريه نايف بن هذال بن بصيص من الصعران، ويبلغ من العمر خمس وأربعين سنة...وفي عام **1878**م كانت علاقة قبيلة مطير مع ابن رشيد ودية، ولم يكونوا تابعين لابن رشيد، وفي الصراع الذي نشب بين حائل والوهابيين، انضم رجال مطير إلى الرياض وشاطروها النصر النهائي، وهناك علاقة مصاهرة بين الكويت وقبيلة مطير)[296].

---

[295] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **86-93**، وتاريخ الكويت للرشيد **181**، وخزعل **179/2**.

[296] دليل الخليج العربي القسم الجغرافي **1632/4**.

وقال لوريمر أيضا عن الانقسام السياسي داخل قبيلة مطير مما جعلها تنقسم إلى قسمين بين حائل والرياض :(ينتمي للقبيلة بطنان أصيلان فقط هما علوى وبريه، وقد أضيف إليهما قريبا بطن ثالث رئيسي وهو بني عبد الله، ومن المحتمل أنه قد تفرع من بريه، وأثناء الصراع الأخير للسيطرة على أواسط الجزيرة العربية، أيد بنو عبد الله ابن رشيد، بينما وقفت أغلبية القبيلة مع ابن سعود، وقد استمر التباعد بينهما حتى تمت هزيمة ابن رشيد نهائيا، فعاد بنو عبد الله إلى هيكل القبيلة العام)[297].

فقد كانت الحملة على عماش الدويش تمهيدا لكسر شوكة ابن رشيد، حيث يمثل وجود حلفاء له في الصمان مصدر خطر على الكويت والرياض معا، كما كان عماش أغنى شيوخ البادية في عصره لكثرة ما يملكه من الإبل، وفي أخذها مصدر تمويل مهم لما يحتاجه مبارك وابن سعود في حملاتهما العسكرية لتنفيذ المشروع البريطاني في الصحراء!

لقد كان موقع أراضي قبيلة مطير الاستراتيجي كحاجز بين الكويت وحائل والرياض سببا رئيسا في حرص كل طرف على كسبها لصفه في معركته مع خصومه، وكان وقوفها ضد ابن رشيد في النهاية عنصر حسم للصراع الذي دام نحو ربع قرن بين الدولة العثمانية وبريطانيا من خلال صراع حائل والرياض والكويت.

وفي شهر 7 /**1903**م قام مبارك بدعم ابن سعود بقوات وأسلحة وذخيرة، ليحتل القصيم التي كانت تتبع ابن رشيد، وقد كان كل الدعم المادي والعسكري البريطاني الذي كان يصل ابن سعود في الفترة ما بين **1900**م إلى **1904**م، إنما كان يصل عن طريق الكويت[298].

وكلما تحرك ابن رشيد باتجاه الكويت بادرت بريطانيا بالضغط على الدولة العثمانية، لوقف تقدمه بدعوى ضرورة المحافظة على الوضع القائم، والحيلولة

[297] دليل الخليج العربي القسم الجغرافي **1627/4**.

[298] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **94**، ولوريمر التاريخي **3607/6** .

دون حدوث اضطرابات في المنطقة، بينما لا تتخذ بريطانيا أي إجراء ضد مبارك الصباح حينما يتحرك – بإيعاز منها – للهجوم على ابن رشيد، أو حين يـــدعم ابن سعود بالقوات والعتاد[299].

وهو ما يؤكد أن بريطانيا مع تظاهرها بالحرص على عدم حدوث أي اضطرابات في الجزيرة العربية، كانت في الوقت نفسه تعمل على تعزيز وضعها بدعم حلفائها مبارك الصباح وابن سعود، وكانت حكومة الهند البريطانية تـــدعمهما بشـــكل مطلق، في الوقت الذي كانت حكومة لندن تخشى استثارة الدولة العثمانية قبـــل تغلغلها في المنطقة بشكل يسمح لها بالحركة في الوقت المناسب حين تبدأ المواجهة مع الدولة العثمانية.

وقد كتبت حكومة الهند البريطانية إلى لندن برقية تتضمن وجهة نظرها بضـــرورة استمرار الدعم لمبارك الصباح – الذي بات تحت تأثير المقيم البريطاني – وعـــدم فرض حصار على توريد الأسلحة من الهند إلى الكويت من أجل تفوق حليفها ابن سعود على ابن رشيد، وأن الإخلال في هذا الدعم سيضـــر بمكانـــة بريطانيـــا في المنطقة، وقد يتعرض مبارك إلى هجوم على أراضي الكويت غير المحددة الحدود مع الداخل، كما أكدت حكومة الهند أن الدولة الوهابية الجديدة دولة إقليمية غـــير متعصبة، وأن وجودها أقل سوء من عودة النفوذ العثماني إلى نجد[300].

كما أكد الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في رسالة إلى المقيم البريطـــاني في الخليج بتاريخ **1904/9/3**م بأن الاحتمال بعيد جدا في أن يستطيع ابن ســـعود تثبيت وضعه دون مساعدة خارجية، مما يعني سقوطه في وقت قصير، ولن يجد إلا حليفه مبارك الذي سيلجأ إليه في كل مشكلة، حيث يرسل مبارك دعما أسبوعيا من الأسلحة والذخيرة والمؤن إلى الرياض[301].

---

[299] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **93**و**95** .

[300] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **98**، ولوريمر القسم التاريخي **1719/3** .

[301] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ص **100** .

وعندما شددت بريطانيا في سنة **1904**م على موانئ الخليج العربي حصارها ومراقبتها البحرية، لمنع تصدير الأسلحة والذخيرة، أو استيرادهما، استثنت ميناء الكويت، من أجل وصول الأسلحة لعبد العزيز بن سعود الذي بدأ يحقق نجاحا في وسط نجد.

وقد أرسل مبارك إلى ابن سعود في سنة **1906**م بثلاثة آلاف بندقية، تقدر قيمتها بمائة وخمسين ألف دولار[302].

4- المشروع البريطاني للسيطرة على الأحساء :

وفي سنة **1906**م طلب ابن سعود بشكل سري من المقيم السياسي البريطاني في البحرين مرارا وبإلحاح شديد توقيع معاهدة حماية مع بريطانيا (وأنه يود أن يرتبط بالحكومة البريطانية باتفاقيات كتلك التي ارتبط بها شيوخ ساحل عمان المتصالحة، وأن يقيم في بلاطه مسئولا سياسيا بريطانيا) مع ضمان بريطانيا حمايته بحريا عند احتلاله للإحساء[303].

ولم تستجب بريطانيا لطلبه حينها، حيث أن الظروف التي كانت تمر بها آنذاك لم تكن مناسبة، إذ كانت تدرك خطورة استثارة الدولة العثمانية في الإقدام على مثل هذه الخطوة، واكتفت بالدعم العسكري والمالي له عن طريق مبارك الصباح، الذي كان في هذه الفترة يشرف على تحركات ابن سعود ويوجهها، كما تقتضيه السياسة البريطانية.

وفي يناير سنة **1907**م حاول مبارك الصباح تشكيل حلف يضم كلا من فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير، ونايف بن هذال شيخ قبيلة عنزة، ومحمد أبا الخيل أمير مدينة بريدة، وقد انضم إليهم سلطان بن حمود الرشيد أمير حائل الجديد، الذي حاول الاتصال بالبريطانيين مرارا بعد أن قطعت عنه الدولة العثمانية المساعدات، ولم تعترف به خلفا لمتعب الرشيد[304].

---

[302] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **118**، ولوريمر القسم التاريخي **1343/4** .

[303] لوريمر التاريخي **1721/3** .

[304] لوريمر القسم التاريخي **1743/3** .

وقد كان هذا التحالف الذي شكله مبارك بإيعاز بريطاني، بعد أن أصـــبح ابــن رشيد أقرب للبريطانيين منه للعثمانيين، وبهذا نجحت بريطانيا عن طريق مبارك من الوصول في نفوذها إلى وسط نجد، وهذا ما توقع حدوثه قبل ثلاثين سنة مـــدحت باشا والي بغداد سنة**1870**م لاتصال الكويت بنجد وقربها منها.[305]

---

[305]مذكرات مدحت باشا **239** .

(عبيد بلا أغلال)

(12)

(الاحتلال البريطاني للإحساء سنة 1913م)

وكما نجحت بريطانيا في تشكيل تحالف قبلي يضم عشرة آلاف مقاتل، ينطلق من الكويت لاحتلال الرياض وجنوب نجد، فقد شكلت تحالفا قبائليا يضم عشرة آلاف مقاتل، ينطلق من الكويت لاحتلال البصرة والعراق شمالا، وهو ما تنبأ به مدحت باشا والي بغداد سنة **1870**م، فقد استكمل المشروع البريطاني قبيل الحرب العالمية تهيئة المشهد السياسي على الأرض، فبعد معاهدات الحماية مع مشيخات موانئ الخليج، وبعد فرض الحصار البحري لمنع دخول السلاح للمنطقة، وبعد احتلال الرياض، جاءت الخطوة التالية!

4- اختراق جبهة البصرة – حائل:

ففي شهري فبراير ومارس سنة **1910**م، نجح مبارك الصباح – بتخطيط وإشراف ودعم بريطاني – في تشكيل تحالف قبائلي آخر ضم نحو عشرة آلاف مقاتل من قبائل مطير، والعجمان، والعوازم، وبني هاجر، والمرة، وبني خالد، وعتيبة، وقحطان، وسبيع، بالإضافة إلى ابن سعود ومعه أربعمائة رجل، وتحرك الجيش من الجهراء شمالا، بقيادة جابر بن مبارك، متوجها نحو سعدون المنصور شيخ المنتفق بالبصرة، ومعه شيوخ قبيلة الظفير، وقد وقعت المواجهة بين الطرفين، ونجح سعدون في هزيمة هذا التحالف القبائلي في معركة هدية، وقد أرسل سعدون بيرق ابن سعود الذي كان ضمن غنائم المعركة إلى حليفه سعود الرشيد في حائل[306].

---

[306] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **125**و**133** ، وتاريخ الكويت للرشيد **185**، وخزعل **231-227/2** .

وقد جاء وصف لهذه المعركة في مقتطفات يومية وكالة الكويت السياسية رقم **12** عن الأسبوع الثالث من مارس **1910** حيث ورد فيها (في الصباح المبكر من ذلك اليوم شنت القوات المشتركة هجوما على المنتفق الذين تراجعوا دون خسارة كبيرة، وبعد ذلك بقليل شن سعدون هجوما مضادا قويا على الجناح الأيمن المكون من عريب دار الكويت وبدو مطير، ولم يقم رجال الكويت بصورة ظاهرة للصمود، إذ لاذ الشيخ جابر وأتباعه بالفرار، تاركين بيرق ابن صباح ونصف ركائبهم بأيدي الأعداء، وفي نفس الوقت كان ابن سعود يسنده العجمان في الجناح الأيسر مشتبكين مع بعض قوة سعدون ..).[307]

ويلاحظ وصف (القوات المشتركة) وهو مصطلح جديد غير معهود آنذاك إلا لدى الجيوش الأوربية الاستعمارية!

لقد كان هدف الحملة واضحا، وهو تحطيم قوة السعدون الحليف الاستراتيجي لسعود بن رشيد أمير حائل، حيث يشكل تحالفهما (المنتفق في البصرة ــ وشمر في حائل) جبهة شمالية عثمانية، مناوئة لمبارك وابن سعود ومن ورائهما بريطانيا، التي كانت تحركهما وتدعمهما بكل ما يحتاجانه، من أجل تمهيد الطريق لمد نفوذها على العراق شمالا ونجد غربا وجنوبا، ولا توجد أي قوة يمكن لها أن تعيق مخططها سوى قبيلة المنتفق القوية بقيادة السعدون في البصرة شمالا، وقبيلة شمر القوية بقيادة ابن رشيد في حائل غربا، وكلاهما حليف استراتيجي وتابع للدولة العثمانية التي بدأت تتهاوى، خاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد سنة **1908**م، الذي نجح طوال ثلاثين سنة في إحباط المؤامرات الغربية الصليبية، لتقسيم الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كما تقرر في مؤتمر برلين سنة **1880**م.

وفي نهاية شهر مارس نجح مبارك في إعداد جيش ثان يقدر بنحو خمسة عشر ألف مقاتل، ليعيد الكرة على سعدون المنصور، غير أن بريطانيا هذه المرة أمرته بعدم المغامرة ثانية في حرب لا أحد يعلم نتائجها النهائية، وقد تجره إلى مواجهة مباشرة مع الدولة العثمانية – كما جاء في برقية الوكيل السياسي البريطاني في الكويت للمقيم في الخليج – وهو ما لا تريده بريطانيا الآن، فالتزم مبارك

---

[307] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **322** .

بالأوامر التي وجهتها بريطانيا إليه، وتفرق التحالف القبائلي الواسع الذي شكله مبارك ثانية بعد هزيمته في هدية، وهو ما يؤكد أن الجيش الأول قد تحرك بإيعاز بريطاني أيضا، وكان بإمكان بريطانيا إيقافه لو أرادت، غير أنها كانت تتوقع له النصر الذي سيضعف الطرفين الحليفين للدولة العثمانية في البصرة وحائل، فلما أدركت قوة الوضع العسكري لسعدون المنصور، أمرت مبارك بالتوقف عن الهجوم ثانية.

وبعد شهر من هزيمة مبارك في هدية، أغار ابن رشيد في شهر إبريل على بعض عشائر مطير في الصمان على مقربة من الكويت، دون أن يحرك مبارك ساكنا، كما أغار بعض قبيلة مطير على بعض القبائل التابعة لعبد العزيز بن سعود الذي ما يزال مقيما في الكويت استعدادا للحرب ثانية على سعدون، وقد أدى كل ذلك إلى تصدع التحالف القبائلي الذي حشدته بريطانيا، ووقوع الخلاف بين مبارك وابن سعود، بعد أن رفض مبارك أن يشن ابن سعود غارة على بعض قبيلة مطير الذين كانوا في صحراء الكويت.[308]

كما قام مبارك بإعداد جيش لقتال قبيلة الظفير الذين كانوا يقطنون شمالا من الجهراء، فأرسل ابنه جابرا على رأس قواته، فصادف منهم غرة فأخذ إبلهم، وبعد ثمانية أشهر حشد سعدون السعدون قبائل المنتفق، ومعه ابن سويط وقبائل الظفير، شمال غرب مدينة الكويت، في أم المدافع، وواجههم مبارك بقواته، ولم تقع بينهما حرب، بل تم الصلح بين الطرفين، بتدخل من والي البصرة، غير أن مبارك الصباح جهز في صفر سنة **1329 – 1911**م خالد أبو شويربات– شيخ قبيلة البرزان من مطير – ليقوم بغارة على الظفير، شمال الكويت، فأغار عليهم، وتنصل مبارك من مسئولية تلك الغارة أمام والي البصرة.[309]

وقد نجح والي البصرة حسين جلال في إصلاح الأوضاع بين سعدون ومبارك، وانصاع مبارك الذي ما يزال قائمقاما عثمانيا لضغط والي البصرة، وقد شمل

---

[308] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **133– 134** .

[309] تاريخ الكويت للرشيد **189** .

الصلح قبيلة الظفير وشيخها ابن سويط، كما تم لقاء بين والي البصرة وابن سعود في صفوان، وهدأت الجبهة الشمالية للكويت[310].

فقد ظل ابن سعود يقر ظاهريا بالتبعية للخلافة العثمانية والحكومة التركية كما ورد في رسالته للشريف حسين سنة 1912م والتي جاء فيها:

(ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية، وتعرضوا خدماتنا لدولتنا الدستورية، وستروني حاضرا أنا وأهل نجد لكل ما تكلفوننا وتأمروننا به أفدي السدة العثمانية بعزيز روحي.

التوقيع : خادم الدولة والملة والدين أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز بن سعود)[311].

وقول ابن سعود (حكومتنا الشورية ودولتنا الدستورية) قصد به الحكومة الاتحادية التي تم تشكيلها بعد عزل الخليفة عبد الحميد الثاني سنة 1908م، وعودة العمل بالدستور العثماني.

وبعد حرب هدية التي تعرض فيها مبارك الصباح إلى خسارة كبيرة، زاد مبارك- بتوجيه بريطاني - من نسبة الضرائب على تجار المدينة، ومنعهم من الغوص، ليحشد أكبر قدر من الرجال للحرب، مما حداهم للاعتراض على سياسته، وكان على رأس المعارضة ثلاثة من كبار التجار، وهم هلال بن فجحان المطيري، وإبراهيم المضف الهاجري، وشملان بن علي، الذين هاجروا من الكويت إلى البحرين، وقد أرسل مبارك ابنه سالما ليسترضيهم، ليعودوا للكويت، بعد أن ضج أهلها من هجرة كبار تجارها، فرجع الجميع مع سالم، إلا هلال المطيري الذي كان أثرى رجل في الخليج آنذاك، والذي أصر على أن يأتي مبارك نفسه ليسترضيه، فذهب مبارك ومعه جماعة من كبار أهل الكويت، إلى البحرين، حيث استقر هلال، فطلب منه مبارك الرجوع مكرما معززا، فرضي وعاد للكويت[312].

---

[310] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 140- 141 .

[311] المصدر السابق 3/41 .

[312] تاريخ الكويت للرشيد 190.

5- احتلال الإحساء سنة 1913م :

وبعد ذلك بدأت حكومة الهند البريطانية بتوجيهنظر ابن سعود إلى الإحساء لاحتلالها - بعد أن تمكن له الوضع في الرياض وجنوب نجد - وإنهاء النفوذ البحري العثماني على الخليج العربي، الذي ظل يهدد النفوذ البريطاني في المنطقة ويحد من فعاليته، وقد كان لشكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يد طولى في نجاح هذه الخطة.

فقد تم تعيين شكسبير وكيلا سياسيا بريطانيا في الكويت سنة **1910**م، وسافر إلى نجد في تلك السنة، كما حضر في تلك السنة في الكويت اجتماعا ضمه ومبارك الصباح وابن سعود، ودار الحديث بين شكسبير وابن سعود عن طموحات ابن سعود في استرداد بلده من العثمانيين، وقد عززت تلك المباحثات أواصر الصداقة بينهما[313].

ثم قابل ابن سعود الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في إبريل سنة **1911**م (وعرض عليه الفكرة، وألمح له بما سيعود على بريطانيا من فوائد فيما إذا وقفت إلى جانبه عند تنفيذ خطته، ومع أنه لم يلق جوابا بريطانيا حاسما، إلا إنه لم يغب عن ذكائه موقف الرضا الذي يكمن في ثنايا الصمت البريطاني، إذ لم تكن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي ستعود عليها من عملية كهذه) على ما ورد في تقارير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عن هذه المقابلة[314].

بينما يؤكد مؤرخ نجد ابن بسام المتوفى سنة **1927**م في تاريخه تحفة المشتاق[315]، في حوادث سنة **1329**هـ **1911**م حصول اتفاق بين الطرفين، حيث

---

[313] عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص **39** .

[314] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **142-143** . يحاول هنا الوكيل السياسي في الكويت التابع لحكومة الهند إثبات عدم تورطهم في الأحداث بشكل مباشر بسبب تحفظ حكومة لندن في هذه الفترة على تحركات حكومة الهند البريطانية في الخليج وخشيتها من استثارة الدولة العثمانية أو الدخول معها في حرب، فكان الوكلاء السياسيون لحكومة الهند ينفذون خططهم في الخليج عن طريق حلفائهم، وكأنهم لم يوعزوا لهم بشيء، مع الدعم الكامل لهم ماديا وعسكريا!

[315] تحفة المشتاق ص **410** .

قال:(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتـل الإمـام الأحسـاء والقطيف ودارين والعقير ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقـاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم، ولا يحارب بدون إذنهـم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واسـتخراج ذلـك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).

كما تم اللقاء ثانية بينهما في رحلة شكسبير إلى نجد في **7** كـانون الثـاني سـنة **1911**م، حيث تعرف شكسبير على قدرات ابن سعود العسكرية، وفي هذا اللقاء تم التباحث بينهما بشأن احتلال ابن سعود للإحساء في الوقت المناسب وبسـرية تامة، وطلب ابن سعود من شكسبير حث حكومته على توفير الدعم لـه مقابـل تحالفه مع بريطانيا[316].

وقد كتب شكسبير بعد هذا اللقاء في **8** نيسان إلى كوكس يؤكد حاجة ابن سعود للدعم البريطاني العسكري لقطع الطريق على القوات العثمانية من أجـل نجـاح تحركه لاسترداد الإحساء[317].

لقد كان موضوع احتلال الإحساء بتخطيط ودعم بريطاني،فلم يكن قدوم ابـن سعود إلى الكويت في هذه الفترة وتركه للرياض، من أجل أن يعرف فقـط رأي الوكيل البريطاني، والذي عرفه قبل ذلك عن طريق مبارك، كما كـان يسـتطيع معرفته عن طريق إرسال مبعوث خاص بدلا من حضوره شخصيا، ولا يضـطر إلى ترك عاصمته في الوقت الذي ما يزال ابن رشيد يمثل خطرا قريبا؟!

وهذا يؤكد أن المبادرة بإيعاز وتخطيط من حكومة الهند البريطانية، الـتي كانـت تخالف رأي حكومة لندن في سياستها في الخليج العربي، حيـث تتسـم مواقفهـا بالجرأة، على خلاف سياسة لندن الحذرة من التورط في أي صراع أو حرب مـع الدولة العثمانية في غير الوقت المناسب، غير أن حكومة الهنـد والتزامـا منـها بالسياسة العامة البريطانية، تعمل على تحقيق أهدافها من خلال حلفائها، دون أن

[316] عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص **40**.

[317] عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص **40**.

تتورط بشكل مباشر يحملها المسئولية أمام حكومة لندن، كما قد يحمل لندن المسئولية أمام الدولة العثمانية التي ما تزال علاقتها حتى الآن ببريطانيا علاقة تحالف وصداقة بشكل رسمي.

فكانت حكومة الهند، ومقيموها السياسيون، ووكلاؤها في الخليج العربي، ينفذون خططهم، ويحققون أهدافهم بالدعم العسكري الذي لم ينقطع عن الكويت طول فترة الحصار الذي فرضته بريطانيا على موانئ الخليج العربي، لمنع توريد الأسلحة إلى المنطقة، وقد بلغ حجم العتاد العسكري الذي زودت به بريطانيا مبارك الصباح في إحدى المرات في سنة **1912**م وحدها – بناء على طلب من المعتمد البريطاني برسي كوكس – مليون طلقة لأسلحته القديمة، وستة آلاف بندقية جديدة، مع كل بندقية أربعمائة طلقة[318].

وهذا الدعم العسكري الكبير هو الذي يفسر أبعاد تحركات مبارك الكثيرة، وقيام التحالفات العشائرية الكبيرة، وحدوث الحروب الخطيرة، في هذه الفترة من تاريخ المنطقة –وفي ظل معاهدة الحماية البريطانية للكويت والتي تفرض على مبارك أن لا يتصرف بأي شأن خارجي إلا بعد الرجوع إليها – حيث لم يسبق للكويت أن تجاوزت حدود أسوار المدينة نحو الصحراء غربا، إلا في هذا الوقت الذي بدأت فيه بريطانيا مشروعها للسيطرة على شرق ووسط الجزيرة العربية، وعلى البصرة شمالا.

فقد كان مبارك المصدر الرئيسي الذي كانت بريطانيا تستقي منه معلوماتها عن الأوضاع وتطورها في نجد، إلى أن تم تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت في شهر **8** سنة **1904**م، كما أنه وراء كتابة عبد الرحمن بن فيصل آل سعود – والد عبد العزيز – خطابه الذي وجهه إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر في إيران في شهر مايو سنة **1902**م، طالبا من بريطانيا رعاية الحكم السعودي الوليد في الرياض[319].

[318]تاريخ الكويت لخزعل **146/2** .

[319]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **165**، وتاريخ الكويت لخزعل**179/2** .

وحين اطمأن ابن سعود بعد ذلك الاجتماع مع الوكيل السياسي في الكويت للدعم البريطاني في إبريل 1911م، الذي كان قد سبق أن طلبه مرارا منذ سنة 1906م وبعد دخوله تحت حماية حكومة الهند البريطانية – كما نص على ذلك ابن بسام –بادر بتنفيذ الخطة، فقام بإعداد العدة، وتجهيز جيشه، وتحرك نحوالإحساء بدعوى تأديب بعض القبائل، حتى إذا سنحت له الفرصة في فبراير سنة 1913م، قام باحتلال الإحساء والموانئ الرئيسية فيه، أي قبل بدأ الحرب العالمية الأولى بأشهر! في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تعيش في وضع حرج جدا، حيث كانت تخوض حروب طرابلس سنة 1911م، والبلقان سنة 1912م، تلك الحروب التي أظهر فيها مبارك وابن سعود وقوفهما مع الدولة العثمانية، كقائمقامين لها في الكويت ونجد، في الوقت الذي كانا ينفذان فيه المخطط البريطاني للسيطرة على الخليج والجزيرة العربية، وقد اعترف الباب العالي بابن سعود بعد احتلاله للإحساء واليا عليه سنة 1913م، وقد أصبح اتصاله ببريطانيا مباشرا، بعد أن صار يطل على الخليج العربي، وصار ميناء العقير والقطيف تحت سيطرته، وأصبح الدعم البريطاني يأتيه مباشرة منهما دون حاجة لميناء الكويت، ودون حاجة لدعم مبارك الصباح.

وقد أرسل مبارك – الذي ما زال يمثل الأب الروحي لعبد العزيز، وحلقة الوصل بينه وبين بريطانيا، والموجه الرئيسي لتحركاته بإيعاز من مندوبيها – برسالة إلى ابن سعود في هذه السنة، بعد احتلاله للإحساء يدعوه فيها للدخول تحت الحماية البريطانية سرا – في الوقت الذي وافقت الدولة العثمانية على أن يكون ابن سعود واليا على نجد والإحساء – وقد جاء في رسالة مبارك إلى ابن سعود التي يحثه على الدخول مع بريطانيا في معاهدة حماية مباشرة :

(وكل من دخل تحت نظرهم – أي حمايتهم – اعتز واستراح، مثلما تشوف – أي ترى – نحن وراعي – أي شيخ – البحرين وعمان، ورفيقهم عامر وعزيز، ويا ولدي يا عبد العزيز لو يطلبون منا واردات الإحساء والقطيف كان نعطيهم، لأجل عز الرأس والراحة، وخلنا نستريح من هالذاهبين– أي الترك الزائلين)[320].

[320] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 168 .

وهذا يؤكد بأن معاهدة الحماية السرية الأولى بين حكومة الهند البريطانية وابــن سعود سنة **1911**م التي ذكرها ابن بسام وذكر بنودها، ظلت طي الكتمان حتى عن مبارك، حتى كشفتها بعض الصحف العثمانية آنذاك، وسيوقع ابــن ســعود معاهدة حماية أخرى وستكون بينه وبين حكومة لندن وستضاف لها بنود أخــرى غير بنود الاتفاقية الأولى.

وبعد تسرب خبر المعاهدة بين بريطانيا ومبارك، الذي مازال آنذاك موظفا تابعــا للبصرة كقائمقام عثماني، بادرت الدولة العثمانية لتأكيد سيادتها على الكويت، وحشدت قواتها في البصرة، وحركت ابن رشيد أمير حائل التابع لها للتوجه نحــو الكويت، وقد أدركت الخارجية البريطانية خطورة الموقف، فاعترفــت بســيادة الدولة العثمانية على الكويت، في الوقت الذي حاولت حكومة الهند البريطانيــة رفض هذا الاعتراف، بل وادعاء استقلال الكويت عن السيادة العثمانيــة، مــن أجل دفع لندن إلى الدخول في مواجهة مع الضغوط العثمانية، غير أن المشكلة تم حلها بين بريطانيا والدولة العثمانية باتفاقية ســنة **1913**م، الــتي تم بموجبــها الاعتراف بالسيادة العثمانية على الكويت رسميا، واعتراف الدولة العثمانيــة في المقابل بمصالح بريطانيا فيها، ويكون الشيخ هو القائمقام فيها، ولا يكون هنــاك أي معارضة لتعيين مندوب عثماني في الكويت، وتمتد أراضي الكويت على دائرة نصف قطرها من مدينة الكويت حتى الرأس الشمالي لجزيرة وربة، ويدخل ضمنها بوبيان كلها، وحددت دائرة خارجية تكون فيها القبائل تابعة لمبارك، على أن لا تكون هناك أي حامية عثمانية[321].

وقد نجحت أيضا بريطانيا سنة **1913** بواسطة كــوكس مقيمهــا السياســي في الخليج في أخذ موافقة مبارك الصباح على منح بريطانيا وحدها حق الامتيــاز في التنقيب عن النفط الذي تم اكتشافه بشكل أولي في منطقة برقان[322].

---

[321] تاريخ الكويت لخزعل **143/2**، والكويت لحسن الإبراهيم **61-64** .

[322] تاريخ الكويت لخزعل **143/2** .ويلاحظ أن الامتياز لم يتم توقيعه إلا بعــد المعاهــدة البريطانيــة العثمانية التي اعترفت بريطانيا فيها بالسيادة العثمانية على الكويت، واعترفــت الدولــة العثمانيــة بمراعاة المصالح البريطانية فيها، مما يؤكد بأن النفط وراء كل هذه التطورات السياسية في المنطقة!

فقد كان النفط أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت بريطانيا للتفريط بتحالفها مع الدولة العثمانية مقابل السيطرة على النفط في المنطقة بعد أن تم اكتشافه منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث بدأ التنافس المحموم بين الألمان والبريطانيين للسيطرة عليه وعلى غيره من ثروات المنطقة الطبيعية.

(عبيد بلا أغلال)

(13)

(الاحتلال البريطاني للبصرة سنة 1914م)

وموقف علماء السنة ومراجع الشيعة

ثم كان الهدف البريطاني التالي – بعد السيطرة على الرياض والإحساء – الذي طالما خطط له البريطانيون ومهدوا له ألا وهو:

6- الهجوم على العراق واحتلاله :

فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في أغسطس سنة **1914**م، وفي شهر نوفمبر وافق مبارك – مع أنه مازال موظفا عثمانيا – على الوقوف مع بريطانيا للهجوم على أم قصر، وصفوان، والبصرة، وتم إعلان الحماية البريطانية على الكويت بصورة رسمية، لتشكل الحرب العالمية بذلك منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ المنطقة[323].

لقد سبق أن وعد البريطانيون عرب الجزيرة بأنهم إذا وقفوا مع انجلترا في هذه الحرب ضد الخلافة العثمانية(ستضمن انجلترا عدم حدوث تدخل داخل شبه الجزيرة العربية، وستقدم للعرب كل مساعدة ضد العدوان الخارجي...لقد كان ريجينالدوينغنيت– المندوب السامي البريطاني في مصر – يؤمن بتحريض القبائل في شبه الجزيرة العربية لمصلحة بريطانيا، وكان يحث على عامل فوري منذ بداية الحرب بهدف إغراء العرب بالابتعاد عن الدولة العثمانية وقد كتب بتاريخ **14 / 1 / 1915**م إلى كلايتون قائلا: أخشى أن يكون العمل البريطاني قد تأخر طويلا حتى إني بدأت أشك في إمكانية نجاحنا الآن في فصل العرب عن العثمانيين).[324]

---

[323] الكويت دراسة سياسية لحسن الإبراهيم **66** .

[324] ولادة الشرق **114** .

وقد رد مبارك بتاريخ 18/ 8 سنة 1914م على خطـاب الوكيـل السياسـي البريطاني الذي أخبره باندلاع الحرب برسالة جاء فيها :

(وإني معكم ومعي جميع العشائر الذين رأيتموهم، وبكل اجتهادنا ورجالنا وسفننا تحت أمركم)!

كما رأت الخارجية البريطانية في سبتمبر ضرورة التحالف مع ابن سعود بشـكل مباشر لمواجهة الدولة العثمانية على أرضها وعلى يد موظفيها في الجزيرة العربية، فأرسلت في شهر نوفمبر من السنة نفسها الكابتن شكسبير في مهمة سرية إلى ابن سعود للاتصال به شخصيا، ومرافقته للتأثير عليه ليقـف مـع الحلفـاء، كمـا استخدمت مبارك الصباح أيضا لتحقيق هذا الغرض، وقد قام مبـارك بإرسـال رسالة بإملاء من الوكيل السياسي في الكويت إلى ابن سعود قال فيها:

(إن الدولة البهية – بريطانيا – تبغي منا ومنكم المساعدة الكاملـة للتـأثير في أصدقائنا وعشائرنا والقبائل التابعة لنا، وأن نعرّف شريف مكة وابـن شـعلان بغواية الدولة الجرمانية، وسترسل الدولة لكم الكابتن شكسبير المعـروف عنـد العرب جميعا حتى يعرفكم بمقاصد الدولة البهية ونياتها، وهي تبغي مـنكم أنـت والشيوخ المقيمين على شط البحر وساحل الخليج ألا تفعلوا شيئا من الحركـات حتى بعد نشوب الحرب).[325]

وقد أجاب ابن سعود على رسالة مبارك بالوقوف مع بريطانيا بأن أمره تابع لأمر مبارك، وأنه لا يخالف أمره، وأن موقفه مع بريطانيا معروف، وأنه لا يتخذ أمـرا إلا بعد إعلام وكيلها السياسي في الكويت[326].

وبهذا نجحت حكومة الهند البريطانية التي تدير شئون الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية في ترتيب الأمور، كما نجحت في رهانها على دعم ابن سعود، قبل حكومة لندن ومندوبها السامي في القاهرة والخرطوم، الذي كان يدير شئون البحر الأحمر وغرب الجزيرة العربية، وكان يراهن على الشريف حسين، وعلـى حـد قـول

[325] العلاقات بين الكويت ونجد 153– 157، وتاريخ الكويت لخزعل 2/153– 156.

[326] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 158.

فرومكين(لقد عبر ابن سعود لشكسبير، كما فعل عبد الله بن الشريف حسين في القاهرة، عن استعداده لكي تصبح إمارته دولة زبونة لبريطانيا .. وما إن نشبت الحرب حتى رأت الهند نفسها حرة في دعم صاحبها ابن سعود، ووجدت في الوقت ذاته أن القاهرة كانت تدعم منافسه في مكة، كانت الهند تعتقد أنه إذا ما انقلب العرب يوما على الحكومة العثمانية فيجب أن يقود هذه الثورة ابن سعود، ولكن في ديسمبر **1914/12**م رأى نائب الملك في الهند أن عملا كهذا سابق لأوانه، بينما اتخذ كيتشنر وأتباعه في الخرطوم نظرة معاكسة فتطلعوا إلى الشريف حسين باعتباره حليف بريطانيا الهام)[327].

وقد أدى ذلك إلى اعتقاد حكومة الهند البريطانية– التي تدعم ابن سعود – بأن أشد أعدائها خطرا عليها ليس الألمان، بل المسئولين البريطانيين في مصر الذين مضوا في حبك مؤامراتهم في مكة مع الشريف حسين، بوعدهم إياه بالخلافة بعد ثورته على الدولة العثمانية، وهو ما سيثير المسلمين في الهند – الذين يبلغ تعدادهم سبعين مليونا – والذين يرفضون الاعتراف بأي خليفة سوى الخليفة العثماني، كما يرفض حلفاؤها كابن سعود وخزعل ومبارك مثل هذا الاعتراف للشريف حسين، بل أكدوا لها بأن موضوع الخلافة كله لا يعنيهم، ولا تهمهم إطلاقا في حال سقوطها[328].

لقد كان الصراع خفيا بين حكومة الهند البريطانية التي تتولى شئون الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية وتدعم ابن سعود من جهة، ومكتب المندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي يتولى شئون غرب الجزيرة العربية ويدعم الشريف حسين من جهة أخرى!

لقد مضت حكومة الهند البريطانية في حشد حلفائها في شرق الجزيرة العربية للوقوف مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، فقد وجه الميجر كوكس المقيم البريطاني في الخليج العربي رسالة إلى مبارك بعد شهر من رسالته الأولى جاء فيها:

---

[327]ولادة الشرق **119** .

[328]ولادة الشرق **119- 122** .

(إن الحكومة البريطانية قد أمرتني أن أبلغ سعادتكم شكرها لولائكم ولعرضكم العون، وأن أرجوكم أن تهاجموا أم قصر وصفوان وبوبيان وتحتلوها، وعليكم بعد ذلك أن تحاولوا بالتعاون مع الشيخ خزعل والأمير عبد العزيز بن سعود وغيرهم من الشيوخ الموثوق بهم تحرير البصرة من يد الأتراك، فإذا لم تستطيعوا فعليكم أن تجروا الترتيبات إذا كان ممكنا للحيلولة دون وصول الإمدادات التركية إلى البصرة أو إلى القرنة إلى أن يصل الجنود البريطانيون ... وإن الحكومة البريطانية تتعهد بحمايتكم من كل ما ينجم عن هذا العمل، وتعترف أن مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية)[329].

ولاحظ العبارة البريطانية(تحرير البصرة) وقارنها بالعبارة الأمريكية البريطانية (حرب تحرير العراق)، وتأمل الأحداث اليوم والمتورطين فيها تجد أن الوضع في المنطقة لم يتغير منذ قرن!

وقد تم تنفيذ ذلك فعلا حيث ورد في شهر سبتمبر سنة **1914**م كتاب من حكومة الهند البريطانية جاء فيه ما يلي:

(أكد شيخ الكويت وهو صادق في ذلك بأن شيوخ الكويت والمحمرة بالاتفاق مع شخصيات البصرة الذين هم على اتصال وثيق بهم، وبالتعاون مع ابن سعود قادرين على تمهيد الطريق لاحتلال البصرة بشكل سلمي أو إبقائها معزولة إلى حين يصبح في مقدورنا اتخاذ اللازم)[330].

موقف علماء الكويت وإعلان العصيان المدني:

وقد أثار هذا الموقف العلماء في مدينة الكويت، الذين أصدروا الفتاوى بحرمة هذا الفعل، وكفر من يقف مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية، فطلبت بريطانيا

---

[329] تاريخ الكويت لخزعل **155/2**، والكويت في الوثائق البريطانية للأعظمي**101**، وتاريخ الخليج العربي لزكريا **17/3** .

[330] الكويت في الوثائق البريطانية **100** .

فورا من مبارك بمنع الدعاية المضادة لها في البلدة، وقد تعهد مبارك في تنفيذ ما طلبته منه بريطانيا بخصوص هذا الموضوع[331].

كما أفتى علماء نجد بكفر الدخول تحت الحماية البريطانية كما في فتوى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ عن مثل هذه الأحوال وقد سئل عن دخول أهل الخليج تحت حماية بريطانيا فقال (وانتقل الحال حتى دخلوا في طاعتهم واطمأنوا إليهم وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم وهذا لا شك من أعظم أنواع الردة)!

وقال أيضا هو والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان في بيان حكم الدخول تحت الحماية الأجنبية (أما الدخول تحت حماية الكفار فهي ردة عن الإسلام)[332]!

وبعد احتلال الإنجليز البصرة (ثار الثائرون على خزعل، وأعلنوا عليه الجهاد، لشده أزر المقاتلين للدولة العثمانية، فأراد من مبارك أن يمده بجند من الكويت، فعلم الكويتيون أنهم سيقاتلون إخوانهم، وأظهروا العصيان، وجاهروا بالامتناع، سيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي، والشيخ حافظ وهبة المصري، إذاك كانا يطوفان المجالس، ويغشان الأندية، لتحذير الناس من الطاعة، وأن من انقاد قد يحكم عليه بالارتداد من الدين، فأثار ما قالاه الحماس في النفوس حتى صمم القوم على الإباء، مهما نزل بهم من البلاء، فذهبوا إلى جابر بن مبارك، وقد تأبطوا مسدساتهم، فقالوا له عندما أمرهم بالمسير، لا نسمع ولا نطيع، لأن الطاعة في هذا الأمر معصية، والنبي صلى الله عليه وسلم قال (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق)، فبهت جابر من مفاجأتهم له بذلك)[333].

---

[331] تاريخ الكويت لخزعل 154/2 .وانظر كيف يتم تكميم الأفواه اليوم، ويمنع بل ويسجن كل من يرفض ولو بالكلمة ما تقوم به الحملة الصليبية الاستعمارية على أفغانستان والعراق، وكيف يتم سجن العلماء والشيوخ والدعاة وتقديمهم للمحاكمات لا لشيء إلا لكونهم يرون جهاد الشعب العراقي والأفغاني ضد الاحتلال جهادا مشروعا كما تقره كل الشرائع السماوية والمواثيق الدولية، لتعرف أن الاستعمار هو الاستعمار والأساليب هي نفس الأساليب!

[332] الدرر السنية 11/8 و435/10 .

[333] تاريخ الكويت للرشيد 203، وتاريخ الكويت لخزعل 258/2 .

وقد قام مبارك – بإيعاز بريطاني – بإغلاق الجمعية الخيرية في الكويت سنة 1914م، التي كان القائمون عليها يقفون مع الخلافة العثمانية، ضد بريطانيا، كما قام بطرد العلامة محمد أمين الشنقيطي، الذي كان يعظ الناس في المساجد، محذرا من خطورة الوقوف مع بريطانيا، ضد المسلمين العثمانيين، كما أصدر علماء الكويت فتوى في حرمة السمع والطاعة لمبارك الصباح، حين أمر أهل الكويت بتجهيز السفن لمساعدة صديقه الشيخ خزعل شيخ عربستان، الذي وقف مع بريطانيا حتى احتلت الفاو.[334]

فتوى مراجع الشيعة بالجهاد ضد بريطانيا :

كما أصدر علماء النجف فتواهم الشهيرة، وأرسلوها إلى خزعل، يحرمون عليه فيها الوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية، ويوجبون (الاتفاق مع المسلمين في درء خطر هذا الغزو، لأن حكم الدين لا يفرق بين الإيراني والعثماني)، كما كتب إليه مرجعه الأعلى الشيخ عبد الكريم الجزائري، يأمره بعدم الوقوف مع الإنجليز، غير أن خزعل لم يلتفت إلى ذلك، فثارت العشائر في عربستان عليه ثورة كبرى بتحريض من المراجع، فكادت أن تسقطه، لولا تدخل بريطانيا، التي طلبت من مبارك مساعدة خزعل، فرفض أهل الكويت تحريك سفنهم، وقد بلغ الأمر بالعامة في الكويت أن خرج أبناء المدارس يجهرون بالشوارع والأسواق بسب الإنجليز، فقام مبارك بعد رجوعه من عربستان بالاجتماع بأهل الكويت الذين قال لهم :(أنا مسلم عثماني، أغار على ديني، وعلى دولتي العثمانية، ولا أحب من يتعرض لهما بسوء، غير أني اتفقت مع الإنجليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم، وإن كنت لا أحبهم، وديني غير دينهم)!

ثم قام مبارك – الذي كان يخشى أن يحدث في الكويت ما حدث في عربستان – بطرد الشنقيطي، وكان المعتمد البريطاني يريد اعتقاله في الكويتونفيه إلى الهند، غير أن مبارك الصباح كان يخشى تبعات هذا العمل، وقد حاول خزعل بعد هدوء

---

[334] تاريخ الكويت للرشيد 206، وتاريخ الكويت لخزعل 259/2 ، وأعلام الفكر الإسلامي للخالدي 107-119 .

الثورة إرضاء مرجعه الشيخ الجزائري فرد عليه بقوله (فرق مـــا بـــيني وبينـــك الإسلام)[335].

المخطط البريطاني لإثارة الفتنة الطائفية في المنطقة :

لقد نجحت بريطانيا في اجتذاب شيوخ المـــوانئ في الخلـــيج إلى صـــفها غـــير أن المشكلة تتمثل في (رعاياهم الذين كانوا بدافع من شعورهم العاطفي والروحـــي يميلون إلى الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية، ومما يؤكد ذلك أن معظم القبائل في جنوب فارس والعراق لم تقبل التعاون مع الإنجليز، كما تعـــرض كل من شيخ الكويت والمحمرة لردود فعل عنيفة من قبل مواطنيهم الذين ساءهم انضمام شيوخهم صراحة إلى جانب الإنجليز، وعلى الرغم من أن إعلان الدولـــة العثمانية للجهاد يشكل خطرا على الوجود البريطاني في الخلـــيج إلا أن برســـي كوكس المقيم السياسي في الخليج كان يرى بأنه يمكن التغلب على هذه الحركـــة بإحكام السيطرة البريطانية على الخليج واستغلال الخلافات المذهبية والسياســـية القائمة بين فارس والدولة العثمانية)[336].

لقد كان هناك سخط شعبي إسلامي عام في كل مكـــان ضـــد الحملـــة الصـــليبية والدول الغربية التي تحارب الخلافة العثمانية، فأرادت بريطانيا شق الصف بـــين السنة والشيعة الذين كانوا جميعا رعايا للدولة العثمانية، وإثارة الفتنة الطائفيـــة بينهم، ليسهل لها السيطرة عليهم جميعا،وكما يقول فرومكين في ولادة الشرق:

(وحقيقة الأمر هي أن الرأي العام الإسلامي حتى في المناطق غير التركيـــة كـــان بوجه عام مؤيدا للدولة العثمانية، وهذا ما بينته لاحقا تقارير وزارة الخارجيـــة البريطانية والمكتب العربي ... إن البريطانيين في القاهرة عند تقويمهم للتقارير التي تحدثت عن استياء من الحكم العثماني في بعض أقسام الدولة العثمانية، قد أخطأوا

[335] تاريخ الكويت للرشيد 206، وتاريخ الكويت لخزعل 2/259 ، وأعلام الفكر الإسلامي للخالدي 107-119 .

[336] تاريخ الخليج العربي لزكريا 3/14، وتأمل كيف نجحت الحملة الصليبية الجديدة اليوم من استغلال الخلاف الطائفي بين السنة والشيعة في العراق لتحتل المنطقة من جديد بتعاون وتورط من الجميع مـــن مراجع دينية وأحزاب دينية!

في فهم إحدى الخصائص البارزة للشرق الإسلامي، الذي لم يكن مستعدا للقبول بحكم غير إسلامي، فقد كانوا يعتبرون الحكم من قبل دولة أوربية مسيحية مثـل بريطانيا أمرا لا يطاق).[337]

وهذا ما أكده سليمان فيضي النائب العربي في المبعوثان – البرلمان – العثماني عن الموصل في مذكراته حيث جاء فيها: (إذا كان مدحت باشا أبا الأحرار الأتـراك، فإن عزيز علي المصري يعد بحق أبا العرب الأحرار، وهو كغـيره مـن الأحـرار العرب في ذلك الوقت يرى في الحكم اللامركزي خير علاج، ولم يكن يرى بأسـا من الإبقاء على الدولة العثمانية كمجموعة قوية تستطيع الدفاع عن نفسها إزاء أطماع الدول الأوربية الاستعمارية، على أن تتمتع الشعوب المنضمة تحت لوائها بالاستقلال الداخلي ... وقد أسس جمعية العهد السرية عـام **1913** وجـاء في منهاجها: غاية الجمعية السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية علـى أن تكون متحدة مع حكومة اسطنبول، وأن الجمعية ترى ضـرورة بقـاء الخلافـة الإسلامية وديعة مقدسة بيد آل عثمان، وقمتم الجمعية بأمر سلامة اسطنبول مـن مطامع الدول الأجنبية لاعتقادها أن اسطنبول رأس الشرق لا يمكنـه أن يعـيش بدونها)[338].

وهذا ما صرح به السيد طالب النقيب للبريطانيين حين طلبوا منه في تشرين سنة **1914**م التعاون معهم ليحتلوا البصرة، فرفض رفضا قاطعا، ثم طلبـوا منـه أن يلزم الحياد مقابل أن تجعله بريطانيا حاكما عاما مدى الحياة على العـراق مـن الفاو إلى آخر نقطة يصل إليها الجيش البريطاني، فكتب طالب النقيب رسالة لهم قال فيها:

---

[337] ولادة الشرق **102**. الغريب أن مثل هذه التقارير الموضوعية الحقيقيـة لا تـأتي إلا بعـد وقـوع الكارثة، فقد شن الصليبيون الجدد حربهم على العراق بدعوى وجود أسلحة دمار شـامل، ثم عـادوا ليعترفوا أن التقارير الاستخبارية السابقة كانت غير صحيحة!

[338] مذكرات سليمان فيضي **156** .

(إني أرفض كل اقتراح من هذا القبيل، وقد عزمت على السفر إلى نجد، فابحثوا عمن يعينكم على استعمار بلاده، واعلموا أن الذي لا يرضى بحكم الأتراك إخوانه في الدين، حري به أن يأبى حكم الإنجليز)[339].

لقد كانت النظرة البريطانية هي أنه يمكن التحكم بالعالم الإسلامي باستغلال زعاماته (وعن طريق شراء أو استغلال قياداته الدينية)، كما كانت تخشى أشد الخشية (قيام حرب إسلامية مقدسة ضد بريطانيا)[340].

لقد أصبحت ميناء الكويت – رغم السخط الأهلي ورفض العلماء فيها– من قواعد انطلاق الحملة العسكرية البريطانية على نجد والعراق، حيث ترابط فيها سفنها الحربية، وتستخدم مخزنا للعتاد والأسلحة، كما أصبحت المدينة خط الدفاع الأول في وجه أي هجوم عثماني ألماني على بريطانيا في الخليج العربي، حيث تم إحاطة الكويت بتحالف من القبائل لحماية الكويت من هجوم مضاد، ولحماية ظهر الجيش البريطاني الذي يتجه صوب البصرة[341].

وفي الوقت الذي كان مبارك الصباح وابن سعود يتعاونان مع بريطانيا لاحتلال البصرة كانا يتظاهران في الوقت ذاته للدولة العثمانية بالولاء والطاعة، فقد أرسل والي بغداد جاويد باشا سنة **1914**م بعد تهديد بريطانيا واستعدادها لاحتلال البصرة إلى كل العشائر العربية للدفاع عن البصرة، وأرسل إلى مبارك الصباح وابن سعود فأجاب مبارك بالسمع والطاعة لما أمر به والي بغداد باتخاذ كل ما يلزم من تسهيلات ومعونات بهذا الصدد وجاء في خطابه :

(نعمل حسبما أمر سعادتكم مع الممنونية ... هذا والمأمول توجهاتكم القلبية والأمر لكم أفندم! التوقيع حاكم الكويت ورئيس قبائلها مبارك الصباح)[342].

---

[339]مذكرات سليمان فيضي **159** .

[340]ولادة الشرق **108** .وانظر كيف نجحت أمريكا اليوم بشراء الزعامات الدينية في حملتها الصليبية على العالم الإسلامي واحتلالها أفغانستان والعراق بدعوى مكافحة الإرهاب، لتصدر الفتاوى المشبوهة من السنة والشيعة على حد سواء التي تحرم مقاومة الاحتلال!

[341]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد ص **157** .

[342]تاريخ الكويت السياسي لخزعل **98/2** .

لقد بدأ الضباط السياسيون البريطانيون بإعداد وتهيئة المنطقة للتحولات الخطيرة والكبيرة التي ستحدث فيها بعد انتهاء الحرب، والتي طالب مارك سايكس من تشرشل أن يكون له يد في صناعتها، ليشتغل ضد الدولة العثمانية، حيث لديه القدرة – كما يقول عن نفسه – على(أن ينشئ فرقة من أوغاد أهل البلاد[343]، وأن يربح النبلاء إلى جانبه، وأن يقوم بأي عمل غريب آخر) – كما جاء في رسالته لتشرشل في صيف **1914**م –وقد وافق تشرشل على ضم مارك سايكس إلى لجنة (دو بونسين) تلك اللجنة التي ستقرر (الأسماء التي ستطلقها على مختلف المناطق التي قد ترغب في تقسيم الدولة العثمانية إليها، دون حاجة للتقيد بخطوط التقسيمات السياسية التي كانت قائمة في الدولة العثمانية – أي الولايات – وأن لها الحرية في أن تعيد رسم خريطة الشرق الأوسط بالشكل الذي يرونه مناسبا، وقد اقترحت اللجنة بقيادة مارك سايكس، إنشاء خمس ولايات متمتعة بالحكم الذاتي، وهي: الأناضول، سوريا، وفلسطين، والجزيرة، والعراق ... بالإضافة إلى نقل الخلافة جنوبا ... وقد كتب سايكس إلى صديقه الحميم عضو مجلس العموم أوبري هيربرت قائلا: يجب أن تزول تركيا من الوجود، أزمير ستكون يونانية، وأضاليا إيطالية، وسوريا فرنسية، وفلسطين والعراق بريطانية، وما عدا ذلك بما فيها القسطنطينية روسية، وسوف أنشد(لنسبحك يا الله) في كنيسة القديسة صوفيا، وسأترنم في مسجد عمر (الآن أيها السيد تطلق سبيل عبدك فيذهب بسلام) سننشدها بلغة أهل ويلز، وباللغة البولونية، وباللغة الأرمنية، تكريما للأمم الصغيرة)[344]!

لقد أدركت الخلافة العثمانية الخطر الصليبي الذي يحيق بها، وحاولت حث ابن سعود على الوفاء بالتزاماته لها، حسب الاتفاق الذي سبق التوقيع عليه من ابن سعود والدولة العثمانية في شهر مايو سنة **1914**م، والذي يقضي بتعيينه واليا عثمانيا على نجد والإحساء، مقابل الاعتراف بالتبعية لها، وإرسال قوات عسكرية عند دخول الدولة العثمانية في حرب مع أي بلد أجنبي، غير أنه لم يلتفت للطلب

[343]تأمل في هذه العبارة وانظر كيف وظفوا الأوغاد من جديد في خدمة حملتهم الاستعمارية الجديدة في المنطقة ليحكم عاصمة هارون الرشيد بول بريمر وأوغاده!

[344]ولادة الشرق **162- 164** .

العثماني كما تقضي به تلك المعاهدة وكما يقضي به منصبه كموظف عثماني رسمي، بل وقف مع بريطانيا، بعد أن أرسل إليه المقيم السياسي في الكويت برسالة تتعهد فيها الحكومة البريطانية بحمايته من الدولة العثمانية، وحمايته بحريا من أي هجوم عليه، مع الاعتراف بمركزه الواقعي في نجد والإحساء.[345]

الوفد الإسلامي للاستنجاد بابن سعود :

وقد أرسلت الدولة العثمانية وفدا عثمانيا لمقابلة ابن سعود واستنهاض همته للوقوف مع الخلافة العثمانية، وكان من بين أعضائه علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي، وقد اعتذر ابن سعود عن إجابة طلبهم بأن الوقت قد فات، وأنه لا يستطيع فعل شيء[346].

وكان ابن سعود قد أبدى ظاهريا موافقته للسيد طالب النقيب على الوقوف بجانب الدولة العثمانية، بعد أن وسطته لإقناع ابن سعود بذلك، وأرسل طالب برقيتين لاسطنبول يخبرها بموقف ابن سعود وضرورة تجهيز الجيش الوهابي بالمؤن والأسلحة، غير أن طالب النقيب وسليمان فيضي اللذين كانا قد هربا من البصرة إلى ابن سعود، وكانا يحثان ابن سعود على الوقوف مع الدولة العثمانية ضد بريطانيا أدركا أن ابن سعود لم يكن مجدا في زحفه للدفاع عن البصرة، وأنه كان يتريث لكسب الوقت، وفي هذه الأثناء وصل كتاب من البحرين من الكابتن البريطاني شكسبير ينصح ابن سعود بلزوم الحياد التام، وبعد أيام وصل شكسبير إلى ابن سعود وأقام عنده إلى أن لقي حتفه بتاريخ **1915/1/24**م في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد، فتأثر ابن سعود تأثرا بالغا لمقتل صديقه، وقد احتل الإنجليز البصرة بعد هزيمة الجيش العثماني في **11/19/ 1914**م، واضطر طالب النقيب الذي مازال في معية ابن سعود للاستسلام للبريطانيين فكتب ابن سعود كتابا إلى كوكس يقترح عليه استسلام طالب لبريطانيا على أن يتم نفيه إلى بومبي حتى تنتهي الحرب، وحمل سليمان فيضي هذا الكتاب إلى كوكس في البصرة، فوجد الحياة فيها قد تغيرت تغيرا جوهريا (اجتماعيا وسياسيا، وبرزت

[345] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد لخالد السعدون **160**.

[346] تاريخ الخليج العربي **26/3** .

طبقة جديدة من التجار والمتعهدين والوجهاء بالغت في الترحيب بالمحتلين الجدد، وربطت مصالحها بمصالحهم، بينما ناوأ المستعمر أولئك الذين أعرضوا عن التمرغ على أعتابه، وربأوا بأنفسهم من التهالك على نيل مرضاته)[347].

معركة الشعيبة واحتلال البصرة:

وبعد احتلال الجيش البريطاني للفاو، وقعت معركة الشعيبة بين الجيش العثماني والجيش البريطاني، واحتل البريطانيون البصرة، وتداعى علماء العراق السنة والشيعة على حد سواء، إلى إصدار الفتاوى بوجوب الجهاد، ودفع المحتل، وأنه صار فرض عين على كل مسلم، وكان شيخ الإسلام خيري أفندي أول من أصدر فتواه بهذا الخصوص، ثم صدرت فتاوى مراجع الشيعة في العراق، وكان من أشهر العلماء الشيعة الذين أصدروا الفتاوى بوجوب الجهاد، من مراجع النجفوكربلاءوغيرهم: الشيخ فتح الله الأصبهاني، ومصطفى الكاشاني، ومهدي الخرساني، وعلي التبريزي، ومحمد حسين المهدي، وكاظم اليزدي، وعبد الكريم الجزائري[348].

وقد اشترك العلامة الشنقيطي بالقتال مع المجاهدين في معركة الشعيبة، وكان بمعية الشيخ عجمي السعدون، الذي قاد عشائر المنتفق مجاهدا مع الجيش العثماني، ومدافعا عن العراق، وقد صار مضرب المثل في بطولته في مواجهة الجيش البريطاني، حيث كان يشن الغارات الخاطفة مع فرسان المنتفق على المفارز البريطانية، فيفتك بها، ثم يكر راجعا، وقد شارك في القتال أيضا السيد محسن الحكيم[349]، وغيره من علماء العراق، وأدبائه، ومشاهيره، وبعد هزيمة الشعيبة، خرج الشنقيطي إلى نجد بإشارة من عجمي السعدون، الذي خاف عليه من الإنجليز، وقد استقر في القصيم، وهناك شرع في التعليموالخطابة، وكان يحث العامة على الجهاد، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الرحمن السعدي، ولما علم ابن

[347]مذكرات سليمان فيضي 202-207، وتاريخ الخليج لزكريا 27/3 .

[348]أعلام الفكر الإسلامي للخالدي 137.

[349]من المفارقات أن يقاتل محسن الحكيم ضد الاحتلال البريطاني دفاعا عن العراق، ويأتي ولده عبد العزيز الحكيم على ظهر دبابة الاحتلال البريطاني الأمريكي ليحكم العراق!

سعود بذلك طلب منه برسالة (أن لا يفرط في إثارة الحماس الديني ضد الإنجليز، كما فعل في الكويت والعراق)، فقد أراد بذلك (عدم إثارة المواضيع السياسية، ولو باسم الدين، وأن لا يتعرض خصوصا للإنجليز)، وقد ضاق الشنقيطي ذرعا بهذا الحصار الذي فرضه عليه ابن سعود، فخرج بعد وفاة مبارك الصباح إلى الكويت، فاستقبله سالم الصباح شر استقبال، وأخبر البريطانيين بوجود الشنقيطي في الكويت، فخرج منها إلى الزبير خائفا يترقب[350].

وفي الوقت الذي كان القتال دائرا في العراق بين البريطانيين من جهة، والجيش العثماني والشعب العراقيمن جهة أخرى، الذين كانوا يتطلعون إلى نصرة ابن سعود، وصل الكابتن شكسبير إلى مخيم ابن سعود في منطقة الخفس في **1914/12/31**م، ورأى منه تعاطفا ورغبة صادقة في الوقوف مع بريطانيا، وقدم دليلا على ذلك بتحركه بجيشه، ومنعه ابن رشيد من دعم الدولة العثمانية، وبجعل نفسه قدوة للعالم العربي في التعاطف مع بريطانيا، على حد تقرير شكسبير، الذي كتبه إلى حكومة الهند بخصوص موقف ابن سعود[351].

وقد قام ابن سعود بالدخول مع ابن رشيد في مواجهة في معركة جراب – بعد فترة طويلة من الهدوء بين حائل والرياض – وذلك بتاريخ **1915/1/24**م، وكان معه في هذه المعركة الكابتن شكسبير، الذي ظل ملازما له منذ وصوله إليه، وقد قتل يومها على يد قوات ابن رشيد، وكان شكسبير (مسئولا عن حملة البنادق في جيش ابن سعود) وقد عثر ابن رشيد في أرض المعركة على رسائل مبارك إلى ابن سعود، التي يحثه فيها علىالوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية[352].

---

[350] أعلام الفكر الإسلامي **139- 149**و**157** .وهذا ما يحدث اليوم حيث يتم منع سفر العلماء والدعاة في بلدانهم بإيعاز من الولايات المتحدة كإقامة جبرية للحيلولة دون تحركهم واستنهاضهم للهمم، ومنعهم من أي نشاط لمواجهة الحملة الصليبية على الأمة الإسلامية بدعوى المحافظة على الاستقرار والهدوء ليستفرد العدو بكل بلد على حدة!

[351] تاريخ العلاقات للسعدون **161** .

[352] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **163**، وتاريخ الكويت للرشيد **212**، وخزعل **2/214** ، وقصة السيطرة لمي الخليفة**409**، وتحفة المشتاق**412** .

وقد كانت علاقة ابن سعود بضابط الاستخبارات البريطاني الكابتن وليم شكسبير قديمة، وقبل اندلاع الحرب العالمية، حيث توطدت علاقـة الصـداقة الشخصـية بينهما حين كان شكسبير مقيما سياسيا في الكويت[353].

لقد أثبتت الوثائق البريطانية بأن شكسبير كان يؤدي مهمة عسكرية في معسـكر ابن سعود كلف بها من قبل الحكومة البريطانية كضابط في الاسـتخبارات، كمـا كان يشرف على إطلاق القنابل من مدفع كان مع ابن سعود لكونـه ضـابطا في سلاح المدفعية، وقد طلب منه ابن سعود أن يترك المعركة فرفض ذلك قـائلا (إن أوامري أن أكون معكم وفي ذهابي مخالفة لشرفي وأوامري، ويجب أن أبقى بالطبع، أرجو إبلاغ أسفي لحكومة جلالة الملك في بريطانيا)[354].

لقد وفى ابن سعود بما أبداه لشكسبير من تعاطف وتعهد ووقف بصف بريطانيـا، من خلال الدخول في حرب مع ابن رشيد، الذي كانت الدولة العثمانية في أشـد الحاجة إلى قوته العسكرية لحماية البصرة من الهجـوم البريطـاني القـادم مـن الكويت، ونجح ابن سعود في تحييد ابن رشيد وإشغاله في معركة جراب، التي كان النصر الآني فيها لصالح ابن رشيد، غير أن الهدف الاستراتيجي من الحرب كان قد تحقق لصالح بريطانيا، على يد ابن سعود، ومستشاره العسكري البريطاني الكابتن شكسبير[355].

لقد كان موت شكسبير كارثة على بريطانيا وعلى ابن سعود الذي لم يعد بعـد ذلك قادرا على التأثير في مجريات الأحداث في الجزيرة العربية، ولكن كـوكس لم يلبث أن أجرى اتصالاته بابن سعود من جديد[356].

وكان ابن سعود قد كرر طلبه لشكسبير في الدخول تحـت الحمايـة البريطانيـة مباشرة في يناير قبل مقتله في جراب، ثم بعد موت شكسبير أرسل ابن سـعود إلى

---

[353] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص **80**.

[354] فصول من تاريخ العراق للمس بيل **81**، وتاريخ الخليج العربي لزكريا **29/3** .

[355] انظر تاريخ الخليج العربي لزكريا **27/3** .

[356] المصدر السابق **29/3** .

المقيم البريطاني في الخليج يخبره بموت شكسبير ويعزيهم به، ويطلب منهم إتمام موضوع المعاهدة التي شرع شكسبير في الإعداد لها، كما طلب أن يكون الاتصال به مباشرة عن طريق المسئولين البريطانيين في البصرة، التي باتت تحت الاحتلال، لا عن طريق مبارك الصباح أو الكويت، وقد تم فعلا توقيع اتفاقية الحماية الثانية مع بيرسي كوكس المقيم السياسي لبريطانيا في الخليج، وكان اللقاء بينه وبين ابن سعود في القطيف آخر سنة **1915**م[357].

وقد قامت بريطانيا مباشرة بتقديم دعم مالي إلى ابن سعود وقدره عشرين ألف جنيه، وألف بندقية، وسمحت له باستيراد السلاح من البحرين[358].

وقد عقد ابن سعود لقاء ثانيا مع كوكس في العقير سنة **1916**م، وتم الاتفاق على مواجهة ابن رشيد في حايل، كما دعا كوكس بعد مؤتمر الكويت ابن سعود لزيارة البصرة، فوصلها ابن سعود في زيارة رسمية بتاريخ **27** تشرين الثاني **1916**م بعد الاحتلال البريطاني لها بمدة يسيرة، حيث تجول بين الوحدات العسكرية والقاعدة الجوية البريطانية في الشعيبة، وهو ما عزز الشعور لدى أهالي البصرة بضرورة الرضوخ للأمر الواقع، وهو ما كانت تهدف إليه بريطانيا من زيارة ابن سعود للبصرة[359].

وقد قابل ابن سعود في زيارته للبصرة تحت الاحتلال البريطاني السيدة جورترودبيل – الموظفة في المخابرات البريطانية ثم في المكتب السياسي في بغداد، والتي كانت وراء اختيار الشريف فيصل ملكا على العراق – وقد حصل ابن سعود في هذه الزيارة على خمسة آلاف جنية مساعدة شهرية، وأربعة مدافع رشاشة، وثلاثة آلاف بندقية مع الذخيرة، بشرط أن يقوم بإعداد جيش من أربعة آلاف جندي، يكون هدفه الرئيسي مقاومة ابن رشيد، ممثل الدولة العثمانية في نجد[360].

---

[357] تاريخ العلاقات للسعدون **170**، وقصة السيطرة البريطانية **410** .

[358] قصة السيطرة البريطانية **411** .

[359] عبد العزيز وبريطانيا ص **101** .

[360] قصة السيطرة البريطانية **411**، وتاريخ الخليج العربي **40/3** .

وقد قامت السلطات العسكرية البريطانية التي تسيطر على البصرة بتكريم ابـــن سعود ودعوته لزيارة مراكز قيادة الجيش البريطاني في الشعيبة، ثم طلبت الحكومة البريطانية هناك أن يوجه كتابا منه يناشد فيه عجمي السعدون شيخ قبيلة المنتفق بالوقوف مع بريطانيا والعمل على تحرير العرب من الدولة العثمانية، فرد عليـــه عجميبرسالة جاء فيها: (من عجمي السعدون إلى عبد العزيز السعود أخي المبجل من المعلوم أن موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة الله العلي العظـــيم، وأي ولاء أعظم من أن أسارع بإخلاص إلى ما أمرني الله به في كتابه المجيـــد بالجهـــاد ضـــد الكافرين أعداء الله وأعداء الدين، ولا يمكن أن تأخذني في الله لومة لائـــم، أنـــا الذي أسعى لحب الله وحماية بلادنا من أن يدنسها الكافرون، وقد كـــان لي أمـــل كبير في تدينكم وحميتكم العربية أن توافقوني في آرائي وتؤيدوني فيما أقوم به، من أجل إعلاء كلمة العرب، وليس هذا بفضل الله تمـــردا، وإذا كانـــت الحكومـــة التركية تذب عن حوزة الإسلام فهي عضيدي وعضيد قبائلي، وقد أعطيت عهدا بخدمة ديني وحكومتي وحميتي، وإذا حاججتموني بترك الدين جانبا فإن الواجـــب يدعوني إلى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي لحكومتي وهذا أول ما تقتضـــيه شيمة العرب)!

وبعد هذا الخطاب لم تبذل الحكومة البريطانية أي مساع لتغيير موقـــف عجمـــي السعدون عن مناصرة الدولة العثمانية[361].

كما حرص كوكس على عقد اجتماع خاص في البصرة مع (ابن سعود وفهد بن هذال حاكم عنزة وكان هذا الاجتماع بهدف استغلال الحكومة البريطانية لحليفها الجديد ابن سعود بغية التوسط بينها وبين الشيخ فهد ابن هذال، ويبدو بالفعـــل أن مساعدة ابن سعود لبريطانيا لدى شيخ عنزة على درجة كبيرة من الأهمية بحيث قررت حكومة الهند أن تزيد المساعدة التي كانت تصرفها له إلى مائة ألف جنيـــه سنويا، ولا شك أن اجتماعات العقير والكويت والبصرة أدت إلى تحسن موقـــف الحكومة البريطانية خاصة بعد أن تم الاتفاق مع الشيخ فهد بن هذال الذي كان

[361] فصول من تاريخ العراق للمس بيل **83**، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل **108/3** .

يسيطر على الطريق الصحراوي بين بغداد ودمشق على حماية الموصلات في المناطق التي وصل إليها النفوذ البريطاني في العراق)[362].

وقد حاول عجمي السعدون العبور من أراضي قبيلة عنزة للحاق بالجيش العثماني بالشمال، فرفض فهد بن عبد المحسن الهذال شيخ عشائر عنزة، وخالفه ابن عمه فهد بن دغيم الهذال وأذن له بالعبور وقال له (إننا نترك اليوم العداوة القديمة بيننا لوقت آخر، أما اليوم فالواجب أن نقف مع إخواننا المسلمين في الجهاد ضد الأعداء)، فنزل عجمي السعدون وخيم عنده، فأرسلت بريطانيا قوة عسكرية بقيادة القائد البريطاني لجمن للهجوم عليه ومعهم فهد بن عبد المحسن الهذال، فتصدى لهم عجمي ومن معه فهزمهم، ثم ارتحل إلى شمر وترك أهله عندهم، وتوجه إلى تركيا شمالا، فأكرموه ومنحوه بلدة كرموش.[363]

---

[362]تاريخ الخليج العربي لزكريا 40/3 ، وعبد العزيز وبريطانيا ص 102 .

[363]التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص487- 480 .

(14)

(هزيمة الحلفاء وحصار قبيلة العجمان وإخضاعها للمشروع البريطاني!)

هزيمة جيوش الحلفاء في الغرب والشرق سنة 1915م:

وفي هذه الفترة التي بدأت فيها جيوش الخلافة العثمانية تتصدى لجيوش الحملة الصليبية على أراضيها (الجيش الروسي الأرثوذكسي شمالا، والجيش البريطاني البرتستانتي جنوبا، والجيش الفرنسي الكاثوليكي وحلفائه غربا) كانت جيوش الحلفاء تواجه أكبر هزيمة عسكرية في حملة غاليبوليللسيطرة على مضيق البسفور واحتلال اسطنبول، تلك الحملة التي تصدى لها الجيش العثماني ببسالة بهرت قادة جيوش الحلفاء، وأوقعت بقواهم عشرات الآلاف من الضحايا، وأدت إلى سقوط الحكومة البريطانية في مايو 1915م، وإقالة تشرشل عن القيادة العسكرية وكما يقول فرومكين: (فقد أخفقت الأوساط السياسية البريطانية في استيعاب حقيقة جوهرية، وهي أن قيادة قوات البر والبحر البريطانيين يخسرون الحرب، وأن الحلفاء هم الجانب الخاسر في الحرب الدائرة في الشرق، وأن الجانب الآخر العثماني هو الجانب الرابح، وأن شجاعة وصمود الجنود الاستراليين والنيوزلنديين والبريطانيين والفرنسيين، كانت تماثلها شجاعة وصمود خصومهم العثمانيين)[364].

هزيمة الجيش البريطاني في معركة كوت العمارة:

وفي الوقت الذي استطاع الجيش العثماني هزيمة الحلفاء في الغرب، نجح أيضا في هزيمتهم في الشرق، حيث استطاع في العراق أن يحاصر الجيش البريطاني في كوت العمارة، ذلك الجيش الذي تحرك منذ أن أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة

[364] ولادة الشرق 181.

العثمانية في 1914/11/6منحو البصرة، وقد تراجع أمامه الجيش العثماني، مما دفع البريطانيين للتقدم، حتى حاصرهم الجيش العثماني في العمارة مدة 146 يوما، حاول البريطانيون خلالها فك الحصار عنهم بأي وسيلة، فلم ينجحوا، حيث تم تدمير القوات البريطانية المحاصرة، إلى أن استسلم قائدها دون شرط في شهر إبريل سنة 1915م، وتم اقتياد الجنود الذين أنهكهم الجوع والمرض إلى الأناضول، حيث مات أكثرهم في الطريق، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى عدد قليل، بعد أن لحق بهم عشرة آلاف إصابة، وثلاث وعشرون ألف إصابة في القوات التي جاءت من أجل إنقاذها، وعلى حد فرومكين(كانت هذه مذلة قومية أخرى حلت ببريطانيا على يد العدو العثماني، الذي كان البريطانيون دائما يعتبرونه عديم الفاعلية، وكان المكتب العربي في القاهرة يعتزم سحقه بواسطة عمل تخريبي داخلي في وقت لاحق من عام 1916)[365].

الإعداد البريطاني للثورة العربية وخيانة الدولة العثمانية:

لقد كانت الاستخبارات البريطانية قبل الحرب العالمية بسنوات طويلة تعد لهذه الثورة التي ستقلب موازين الحرب لصالح بريطانيا على يد العرب، بعد خيانتهم للدولة العثمانية التي كانوا يعملون كموظفين تابعين لها في ولاياتها، وقد رفض الضباط العرب في الجيش العثماني التورط في هذه الخيانة التي تورط فيها بعضهم، فقد ثبت كما يقول فرومكين (أن السكان العرب لم يغيروا ولاءهم، وأن الجنود العرب أظهروا ولاءهم ليس فقط للإسلام، بل للحكومة العثمانية أيضا، وقد جاء في مذكرة أعدتها المخابرات البريطانية على أساس مقابلات مع الضباط العرب الأسرى في معسكرات أسرى الحرب، أن معظم الضباط كانوا في الحقيقة مؤيدين للحكومة العثمانية، وحتى الأقلية منهم التي لم تكن مؤيدة لم تستطع بوازع الضمير أن تقبل القيام بثورة مسلحة والبلاد في مواجهة العدو)[366].

---

[365]ولادة الشرق 228 .

[366]ولادة الشرق 233 .

وهذا ما عبر عنه سليمان فيضي للكابتن لـورنس العـرب في 1916/4م بعـد احتلال الجيش البريطاني للبصرة حيث تم استجواب فيضي على يد لورنس الـذي سأله:

(أليس الترك أعداءكم؟ ألم يكن مستعبديكم؟ ألم تكونوا تؤلفون الجمعيات السرية للتخلص منهم؟

فرد عليه فيضي – الذي كان سكرتيرا لجمعية الإصلاح التي يرأسها النقيـب – فقال: أما الترك فلم يستعبدونا قط، ولم يكن أي فرق بين التركي والعربي سواء من جهة الحقوق أو من جهة الوظائف في الدولة والجـيش، فـالتركي والعـربي متساويان في الدرجات والحقوق والوظائف، وكمـا أن التركـي يكـون واليـا ومتصرفا كذلك العربي، وكل الوظائف في بلادنا تقريبا بيد أهل البلد، أما تأليفنا الجمعيات السرية وعملنا ضد الأتراك فأسباب ذلك الـتراع تنحصـر في أمـور محددة، ولو لم تحدث الحرب لكانت البلاد العربيـة قـد حصـلت علـى أكثـر مطالبها)[367].

الخطط البريطانية لصناعة الزعامات العربية:

لقد طلب لورنس من فيضي أن يقوم بتدبير أمر الثورة ضد العثمانيين في المناطق التي ما زالت تحت حكمهم، ووعده بجعل أموال البنك تحت تصرفه، وكذا كل ما يحتاجه من السلاح من أجل الثورة، وعندما اعتذر فيضي عن ذلك محتجا بأنـه لا نفوذ له ولا عشيرة يستطيع تحريكها أجابه لورنس العرب بقوله: (إن المال الذي سأجعله تحت أمرك هو الذي يجعل الناس يلتفون حولك من كل جانـب، فـإذا نصبت لك خياما عديدة في جهة من البر، وعينت لك عددا كبيرا مـن الحـراس والخدم، وهيأت الزاد، وبذلت الأموال والهدايا والعطايا أصبحت رئيسا مطاعا، وأقبل الناس إليك أفواجا، وجمعت لك في مدة وجيزة جيشا عظيما لا يقاوم، ولا أهمية لما تذكره من تألم الشعب فإنه وقتي!)[368].

---

[367] مذكرات سليمان فيضي 233 .

[368] مذكرات سليمان فيضي 229 .

وهذا يفسر كيف ظهرت فجأة زعامات في الخليج والجزيرة العربية في مطلع القرن العشرين، لتشكل تحالفات قبائلية كبرى، وتقود جيوشا عشائرية جرارة لا يستطيع أحد جمعها إلا الذهب البريطاني والتخطيط البريطاني والسلاح البريطاني، وهو ما نشاهد مثله اليوم في أفغانستان والعراق!

لقد وجدت بريطانيا ضالتها ليس في الضباط العرب في الجيش العثماني، والذي يشكل العرب فيه نسبة كبيرة جدا، ولا في قادة الأحزاب والمنظمات العربية السرية، ولا في الزعماء السياسيين في المدن والأمصار، بل في الصحراء العربية في الحجاز ونجد والخليج!

التخطيط البريطاني للقضاء على قبيلة العجمان في الأحساء:

وبعد معركة جراب وانتصار ابن رشيد على ابن سعود المدعوم بريطانيا، نجحت الدولة العثمانية في تشكيل تحالف بين ابن رشيد وقبيلة العجمان القوية بقيادة ابن حثلين – التي يمتد نفوذها من الإحساء جنوبا إلى مدينة الكويت شمالا – لتستطيع بذلك تحييد ابن سعود وشل حركته، حتى يستطيع ابن رشيد تقديم الدعم للدولة العثمانية في حربها الدائرة في العراق مع البريطانيين هناك، وقد قدمت الدولة العثمانية دعما ماليا للعجمان مقابل صمودهم.

وبعد توقيع بريطانيا معاهدة دارين مع ابن سعود في شهر **4** سنة **1915**م خططت بريطانيا لضرب العجمان أعداء ابن سعود في الإحساء فقد (استفاد ابن سعود فائدة كبيرة من توقيع معاهدة القطيف في إمداد بريطانيا له بالسلاح الذي كان في حاجة ملحة إليه لمقاتلة العجمان حلفاء آل رشيد، هذا بالإضافة للمساعدات النقدية، والمساعدات العينية، كما سهلت له بريطانيا استيراد الذخيرة لحسابه الخاص من البحرين، حتى يستطيع أن يفي باحتياجات الحملة التي وجهها ضد قبائل العجمان)[369].

---

[369] تاريخ الخليج لزكريا **35/3** .

وقد أرسل الوكيل السياسي في الكويت وليم كراي – وكان وكيلا من 1915- 1917 – رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي يؤكد له دعم ابن رشيد للعجمان، ودعم العثمانيين له، وقد دعمت بريطانيا ابن سعود من أجل القضاء على العجمان – كما يقول فيلبي – بعشرين ألف جنيه، وألف بندقية، ومهد له الوكيل السياسي في البحرين السبيل لاستيراد الذخيرة والمعدات الحربية لدحر العجمان[370].

وقد قامت بريطانيا بالتنسيق بين مبارك الصباح وابن سعود، للقضاء على خطر العجمان جنوبا وكسر شوكتهم، ليتمكن ابن سعود بعد ذلك من الهجوم على حائل شمالا، واتفق ابن سعود ومبارك على تحريك قوات مشتركة لتنفيذ الهجوم المرسوم، ووصل ابن سعود إلى الإحساء في شهر 6 سنة 1915م، قبل أن تصله قوات الكويت بقيادة سالم بن مبارك، وهجم ابن سعود على العجمان في معركة (كنزان)، غير أنهم نجحوا في هزيمته وقتل أخيه سعد بن عبد الرحمن، فانسحب ابن سعود إلى الهفوف حيث أرسلت إليه الحكومة البريطانية الأسلحة والذخيرة من البحرين على الفور، كما جاء في برقية الوكيل السياسي في البحرين إلى المقيم السياسي في الخليج العربي بتاريخ 1915/8/6م[371].

وقد بلغ عدد قوات ابن سعود أربعة آلاف مقاتل، وقد تعرضت لهزيمة شنيعة على يد العجمان، وتكبدت خسائر فادحة في المعركة.[372]

وبعد وصول المدد العسكري البريطاني من البحرين، ووصول جيش سالم الصباح إلى الإحساء، واتباع الخطة العسكرية –التي أيدها الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الذي رسمها ابتداء وأمر مبارك بها – نجح ابن سعود وسالم في هزيمة العجمان في شهر اكتوبر 10سنة 1915م بعد أن تم محاصرتهم من ثلاث جهات،

[370]تاريخ نجد لجون فيلبي ص 318، وعبد العزيز وبريطانيا ص 185 .

[371]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 172- 173 .

[372]عبد العزيز وبريطانيا 184 نقلا عن الوثائق البريطانية.

مما اضطرهم للرحيل شمالا نحو الكويت، حيث استقبل مبارك الصباح شيوخ العجمان استقبلا لائقا بعد أن شرط عليهم لزوم الهدوء.[373]

وقد كانت الخطة البريطانية تهدف إلى فتح الطريق للعجمان لإخلاء الإحساء منهم، حتى يتفرغ ابن سعود للمهمة التي ستوكل إليه بعد ذلك للهجوم على حائل، وقد كان مبارك يسير على هدي ما يشير به عليه الوكيل السياسي في الكويت، والذي كان قد وضع خطة مبارك في الهجوم على العجمان من ثلاث جهات، فلما تحقق لبريطانيا ما تريد من إخراج العجمان من الإحساء، وكسر شوكتهم، أرادت أن تحاصرهم في منطقة محددة ليكونوا تحت المراقبة، وهو ما نفذه مبارك، غير إن ابن سعود لم يرض من مبارك أن يقوم بحماية أعدائه العجمان، ولهذا أرسل ابن سعود إليه رسالة جاء فيها: (إنني لم أحارب العجمان إلا إكراما لك).[374]

وهو ما يؤكد أن حرب العجمان في الإحساء كانت بإيعاز من مبارك، الذي كان يتحرك ضمن المشروع البريطاني المحكم، والذي نجحت بريطانيا في توظيف الجميع من أجل إنجاحه وتحقيقه، وقد دفعت القبائل ثمن هذا المشروع فادحا من خلال ما تعرضت له من تهجير وقتل وتشريد من أراضيها بشكل جماعي، ومحاصرتها في مناطق معزولة كإقامة جبرية، وهو شبيه تماما لما تعرض له الهنود الحمر على يد الأنجلو سكسون[375]!

وقد توفي مبارك بعد ذلك في شهر نوفمبر 11 سنة 1915م، بعد أن قام بتنفيذ كل ما يشير به عليه الوكيل السياسي البريطاني في الكويت مدة عقد كامل، وكانت قد تعهدت له بريطانيا مقابل وقوفه مع الحلفاء (أن تضمن الحكومة

---

[373] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 174-176 ، وكان هذا بإيعاز بريطاني لتحييد العجمان وفرض إقامة جبرية عليهم بعيدا عن خطوط المواجهة بين حلفائها وابن رشيد.

[374] تاريخ الكويت لخزعل 2/219 .

[375] وما زال بعض كبار السن من الرجال والنساء من القبائل يروون قصصا مروعة لما تعرضوا له على يد حلفاء بريطانيا وطيرانها من حروب وقتل وتشريد أصبح أكثره طي النسيان إلا أن التاريخ لا ينسى!

البريطانية في كل الأزمان بقاء الشيخ مبارك وورثته وخلفاءه شيوخا على الكويت، ومنذ اللحظة التي احتلت فيها القوات البريطانية العراق ظلت الحكومة البريطانية محافظة على تعهداتها والتزاماتها تجاه شيخ الكويت).[376]

وهي التعهدات نفسها التي تعهدت بها بريطانيا لحلفائها في المنطقة، ومازالت شعوب الخليج العربي تدفع ثمنها غاليا إلى اليوم بمصادرة حقها الطبيعي كبقية شعوب العالم في اختيار حكوماتها، ومازال الاستعمار وفيا بالتزاماته لها، وما زالت هي وفية بالتزامها تجاه مشروعه الاستعماري الصليبي في المنطقة على حساب حرية شعوبها وسيادتها واستقلالها!

وقد كانت بريطانيا حين وفاة مبارك قد وطدت علاقتها بابن سعود، ووقعت معه معاهدة حماية في **4** ديسمبر **1915**م، أي بعد وفاة مبارك بشهر واحد، إذ سيحل ابن سعود محل مبارك الصباح في استكمال تنفيذ المشروع البريطاني في المنطقة.

وفي **22/ 12/ 1915**م أمرت بريطانيا جابر المبارك بترحيل العجمان من الكويت، وأمرته بمنعهم من التزود بالمؤن من سوقها، وحاصرتهم شمالا في صفوان جنوب الزبير وفرضت عليهم إقامة جبرية في هذه المنطقة، لمراقبتهم حتى لا يقدموا الدعم لحائل أو للسعدون حليفي الدولة العثمانية، وقد ذهب قسم من العجمان للسعدون، وقسم آخر لحائل، وقد نجحت بريطانيا بعد ضغطها على العجمان ومحاصرتهم، وقطع الإمدادات عنهم، في الحصول منهم على تعهد بلزوم الهدوء[377].

وقد بعثت بريطانيا الكولونيل هاملتون الوكيل السياسي لحكومة الهند البريطانية في الكويت إلى الرياض في آخر سنة **1917**م وقضى مدة ثلاثة أسابيع في الرياض، وكان هدف بعثته تشجيع ابن سعود على مهاجمة حايل، ومحاصرة الحاميات العثمانية فيما وراء حدود العراق الغربية، وفرض الحصار على طرق الإمداد عبر

---

[376]الكويت وجاراتها **145/1** .

[377]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **185**، وتاريخ الخليج لزكريا **56/3**.

الصحراء بين دمشق والأتراك، ووضع سياسة سلمية بين ابن سعود والعجمان يرضى بها الطرفان[378].

وقد أثار هاملتون مع ابن سعود المشكلات التي تخص عددا من القبائل في المنطقة كالعجمان والعوازم ومطير، خاصة مشكلة مغادرة مطير والعوازم الكويت وتوجههم للإحساء، وقد عرض ابن سعود على هاملتون أن يرد مطير والعوازم إلى الكويت، بشرط أن تطرد الكويت شيخ العجمان ابن حثلين، وأن يقطع ابن حثلين اتصالاته مع ابن رشيد، ووافق هاملتون على هذه الشروط[379].

وقد كتب هاملتون باقتراحاته لحكومته وتضمنت:

1- رغبة ابن سعود في معاملة بريطانيا له كمعاملتها للشريف حسين.
2- رغبته باعتراف بريطانيا بمركزه في نجد، وأن يحظى من بريطانيا بلقب(جلالة حاكم نجد).
3- كما يرغب بأن تخضع وتدين له جميع القبائل العربية في وسط الجزيرة العربية وتشمل عنزة ومطير وعتيبة وبني هاجر والدواسر والمناصير وبني عبد الله من مطير والعجمان والظفير وشمر، وأن تصبح هذه القبائل تحت سيادته، وأن يحصل على تفويض من بريطانيا عن طريق المقيم البريطاني في الخليج العربي يعترف بموجبه بتبعية هذه القبائل لسلطته.
4- يتعهد ابن سعود مقابل ذلك بعدم الدخول في علاقات مع أي دولة غير بريطانيا، كما يمتنع عن التعرض للقبائل العربية أو القوى الحليفة لبريطانيا.[380]

وهذا ما تحقق فعلا حيث تم إخضاع قبائل المنطقة الرئيسية العصية لسيطرة ابن سعود من خلال الدعم المالي والعسكري التي قدمته بريطانيا له مقابل تنفيذ

[378]عبد العزيز وبريطانيا ص 105 ، نقلا عن (يوميات هاملتون).

[379]عبد العزيز وبريطانيا ص 105، وتاريخ العلاقات البريطانية الكويتية للخترش ص93.

[380]عبد العزيز وبريطانيا ص 106 نقلا من مذكرات هاملتون، وقد نجحت بريطانيا في تنفيذ ما أراده ابن سعود وأخضعت له كل القبائل في نجد والإحساء بدعم مالي وعسكري ولوجستي.

مشروعها الاستعماري للمنطقة، واضطرت القبائل الرئيسة في نجـد والإحسـاء، والتي كانت تستلم مخصصاتها من خزينة الدولة العثمانية، إلى الخضوع والتبعيـة لبريطانيا، بعد سيطرتها على المنطقة!

المحمية البريطانية لقبيلة العجمان جنوب الزبير :

كما قامت بريطانيا بعد وفاة جابر وتولي سالم الصباح للحكم سنة **1917** والذي كان يميل إلى دعم العجمان والسماح لهم بدخول الكويت (بعقد تسوية مع كـل من ابن سعود وسالم الصباح وشيوخ العجمان في **4** مـارس **1918**م تم الاتفـاق بموجبها على أنه بموجب إرادة صديق بريطانيا ابن سعود، وبعد توسـط الشـيخ سالم للعجمان الذين هم تحت رعايته الآن، فقد وافقت الحكومـة البريطانيـة أن تجعل قبائل العجمان تحت حمايتها لمدة عام من نهاية الحرب، شريطة انتقـالهم إلى مكان آخر تحميهم فيه جنود بريطانية، وتوافق عليـه بريطانيـا، وألا يـدخلوا الكويت إلا بتصريح من المندوب البريطاني في العراق وبعد موافقة مسـبقة مـن شيخها، وأن تعتبر مقاطعات الكويت خارجة عن حدود القبيلة، وأنه بعد توقيع هذه الاتفاقية من قبل شيوخ العجمان ينقلون إلى الزبير إلى حين تحديد مكان آخر لاستقرارهم فيه، وأن هذه القيود لا تفرض على أفراد العجمان الذين يعيشـون في الكويت والذين يشتغلون في صيد اللؤلؤ وفي حياتهم العامة، وإنما تفرض على الشيخ ابن حثلين وأتباعه من الشيوخ البارزين)[381].

وكان الهدف من فرض الحصار عليهم حتى يستطيع ابن سعود التقدم شمالا ليحتل حائل عدوة بريطانيا التي ما تزال المدينة الرئيسية الوحيدة في نجد في هذه الفترة التي ترفض التعاون مع بريطانيا ضد الخلافة العثمانية، ولم يستطع ابـن سـعود الهجوم عليها بعد أن أمره البريطانيون بذلك، بسبب وجود العجمان في جانبـه الجنوبي والشرقي، مما حدا ببريطانيا لطردهم ومحاصرتهم شمال الكويـت في أبعـد نقطة عن ابن سعود، ليتفرغ للمهمة التي أوكلته بالقيام بها.

وقد كان السبب في ترحيل العجمان من الكويت إلى صفوان، هـو مـا وصـل بريطانيا من معلومات بأن جابر المبارك – للتأثير الديني عليه – كان يميل قلبيـا

[381] تاريخ الخليج العربي لزكريا **3/58** .

مع الدولة العثمانية وحليفها ابن رشيد، وكانت صلته به قوية، وسعى للإصلاح فيما بينه وبين ابن رشيد، الذي وصل بقواته، حتى نزل على الجهــراء، وأرســل رسالة يطمئن الكويت فيها إلى حسن نواياه، حيث لم يعد أمامه طريقا للتموين إلا ميناء الكويت، بعد أن أصبحت البصرة والزبير تحت الاحتلال البريطاني، وهو ما عرض حائل للخطر بقطع طرق التجارة عنها ومحاصرتها، وقد علمت بريطانيا بهذه الحركة، فأرسلت برسالة لجابر، نصت على أنه لا يحق له بموجــب المعاهــدة أن يدخل في أي علاقة ودية مع ابن رشيد، قبل قيامه بالتشاور الكامل مع السلطات البريطانية، وقد اعتذر جابر لها بأنه كان يحاول إقناع ابن رشيد بالتحــالف مــع بريطانيا، غير أن بريطانيا ظلت تشك في موقفه، وأرسلت له رسالة تهديد وتحذير شديد اللهجة، أعلن جابر بعدها خضوعه المطلق لبريطانيــا، ورغبتــه في تنفيــذ رغباتها، وقد أمرته بمنع قوافل التجارة المتجهة لحائل ومصادرتها، فنفذ الأمر[382].

وبعد أن حكم سالم الصباح بعد أخيه جابر الذي لم يعش طويلا تعاطف سالم مع العجمان لميوله الدينية مع الدولة العثمانية، وأخذ يدعمهم ضد ابن سعود سرا، إلى أن توسط كوكس بينهما على أن يكف ابن سعود عن تهديد الكويت شــريطة أن يقوم سالم بطرد العجمان إذا لجأوا إليه بعد هجوم ابن سعود عليهم (والواقع أن شيخ لكويت كان يود توسيع إمارته على حساب مناطق العجمان في الجنوب فساعدهم على الثورة على ابن سعود بتوزيع الأسلحة عليهم مما جعل مركز ابن سعود حرجا من كل جانب)[383].

ويلاحظ أن جابر المبارك وبعده سالم المبارك لم يحكما طويلا، وكلاهما لم يكن مخلصــا لبريطانيــا، وكلاهما توفي في ظروف غامضة!

وقد ألح ابن سعود في طلب مقابلة مع كوكس وتمت في العقير في شهر **11** ســنة **1916**م، حيث أوضح ابن سعود لكوكس سبب فشله في تنفيذ ما طلب منه بشن هجوم على حايل شمالا، وأن ذلك يعود لحروبه مع العجمان وآل مرة، وأنــه لا يستطيع مواصلة الحرب في جبهتين في آن واحد، وقد عنى اجتماع العقــير هــذا

---

[382] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد **192-195**، وتاريخ الكويت للرشيد **231**.

[383] تاريخ الخليج العربي **35/3** .

ببحث الطرق ولوسائل التي تمكن ابن سعود من تجهيز حملة عسكرية قوية ضد ابن رشيد[384].

غير أنه(لم تمض مدة طويلة على استقرار العجمان في شمال الكويت حتى حـدثت بينهم وبين قبيلة مطير وقبيلة الهواجر عدة اشتباكات، كما هاجموا بعض القوافل النجدية، وعندما أبدى ابن سعود استياءه من ذلك، وجهت الحكومة البريطانيـة تحذيرات إلى شيوخ العجمان وتركهم لانتقام ابن سعود، وفي الوقت نفسه أبلغت السلطات البريطانية ابن سعود أن في إمكانه اتخاذ مـا يـراه مناسـبا لتأديـب العجمان، ونتيجة لذلك سنحت الفرصة لابن سعود لتوجيه غزوة ضد العجمـان انتهت باستسلامهم وخضوعهم له في عام **1919**، حيث اعترفوا به إماما عليهم، وانخرطوا في صفوف الأخوان التي لم يكونوا قد انضموا إليها بعد لأنهـم كـانوا يتوجسون من نوايا ابن سعود الرامية إلى إضعافهم)[385].

ولم يقتصر ابن سعود على ذلك بل (لجأ إلى تطبيق سياسة الحصار التجاري بعـد مؤتمر العقير، وهو المؤتمر الذي خرج منه غانمـا الكـثير مـن قبائـل الكويـت وأراضيها، ولذلك أدرك أن كثيرا من القبائل التي انتقلت تبعيتها إليه كالعوازم والعجمان ومطير لها علاقات وثيقة بالكويت، وكان من الطبيعي إذا مـا حـدث اتصال تجاري أن تعود الاتصالات بين هذه القبائل وبين الأقسام الـتي اسـتمرت تحت تبعية الكويت، إذ أن النجديين كانوا لا يكتفـون فقـط بالمسـابلة – أي المتاجرة – وإنما كانت تتم مصاهرات بينهم وبين قبائل الكويت، ولما كان ابـن سعود يخشى من وجود هذه العلاقة فقد تشدد في فرض الحصـار التجـاري، لأن ذلك من شأنه أن يقف حائلا أمام اتصالات قبائله بقبائل الكويت الـتي هـي في حقيقة الأمر جزء منها)[386].

---

[384] تاريخ الخليج العربي لزكريا **37/3** .

[385] تاريخ الخليج العربي **59/3** .

[386] تاريخ الخليج العربي **106/3** .

وهكذا دفع شعب الخليج والجزيرة والقبائل الرئيسة في المنطقة ثمن المخطط البريطاني الخطير، الذي جزأ الشعب والقبيلة الواحدة، بين حلفاء بريطانيا الجدد، يتقاسمون عشائرها وأراضيها، التي طالما عاشت عليها حرة عزيزة موحدة، ولتحاصرها بريطانيا في كانتونات جديدة، ولتقسم أراضها التي عاشت عليها قرونا طويلة لصالح دويلات الطوائف الجديدة التي لم يكن لها أي وزن أو وجود قبل تحالفها مع الاستعمار البريطاني الذي كافأها على ذلك بترويض القبائل لها، وإحكام السيطرة عليها، ومد نفوذها إلى داخل الصحراء من خلال سلاح البحرية والطيران البريطاني، لا لتصبح جزءا منها له كامل الحقوق على الأرض التي كانت في الأصل لها، بل لتتحول إلى فئات دخيلة على أراضيها، خاضعة لسيطرة الأسر التي ضمنت بريطانيا لها الحكم بشكل وراثي نهائي، واعترفت لها بالأرض والسلطة والثروة وحق منح امتياز النفط، قبل أن تصبح دولا، وقبل أن يكون لها شعب، لتبدأ أزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية، ولتدفع شعوب المنطقة ضريبة الاحتلال البريطاني، وضريبة قيام دويلات الطوائف، وإقطاعيات الأسر الحليفة له، وضريبة سقوط الدولة العثمانية الموحدة لكل مدنها وقبائلها مدة خمسمائة عام، بل وسقوط الدولة الإسلامية الموحدة تحت ظل الخلافة منذ ظهور الإسلام إلى سقوطها في الحرب العالمية الصليبية الثامنة على العالم الإسلامي!

(15)

(الثورة العربية والاحتلال الصليبي للحجاز ومؤتمر الكويت سنة 1916م)

وفي الوقت التي كانت جيوش الحلفاء تجر أذيال الخيبة والهزيمة، بعد معركة غاليبولي على يد الجيش العثماني، وفي أواخر سنة 1915م، رجع مارك سايكس إلى لندن يحمل خبرا (أكثر مدعاة للذهول في ذلك الحين، وأهميته أكثر ديمومة، إنه نبأ شاب عربي غامض ادعى أمام سايكس أنه وأصدقاءه يستطيعون مساعدة بريطانيا على كسب الحرب، كان اسمه محمد شريف الفاروقي، لا شيء كان معروفا عن الفاروقي آنذاك، وقليل ما هو معروف عنه ألآن)[387].

مشروع المملكة العربية المتحدة :

لقد كان الفاروقي وسيط المنظمات العربية السرية والشريف حسين أمير مكة، الذي عرض على بريطانيا وقوف العرب معها، مقابل الاعتراف بحقهم في إقامة دولة عربية تضم الجزء العربي الآسيوي من الدولة العثمانية، أي الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وكان الشريف قد اتفق مع المندوب السامي البريطاني في مصر هنري مكماهون منذ بداية الحرب العالمية في خريف 1914م أن يلزم الحياد كقوة روحية دينية دون أن يقف مع بريطانيا ماديا، فالمهم أن لا يستخدم مكانته الروحية ضد بريطانيا، غير أن موقف بريطانيا تغير بعد هزيمتها في غاليبولي، وبعد لقاء الفاروقي الذي أكد للبريطانيين أنه يمثل منظمات عربية سرية خلف خطوط الجيش العثماني، وأنها قادرة على الثورة ضد الدولة العثمانية، إذا ضمنت بريطانيا إقامة مملكة عربية واحدة كما طلب الشريف حسين، وقد اقتنع البريطانيون بأن الثورة العربية هي الأمل الوحيد لإنقاذ جيوش الحلفاء التي كانت

---

[387] ولادة الشرق 195 .

تقاتل في سبيل إنقاذ أرواح جنودها، عند أطراف جزيـــرة غـــاليبولي في مضـــيق الدردنيل[388].

لقد كان النصر حليف الجيش العثماني مدة سنتين من اندلاع الحرب العالمية الأولى وكما يقول فرومكين: (كان أداء الدولة العثمانية في زمن الحرب ناجحا نجاحـــا مدهشا، فقد كانت تحارب على ثلاث جبهات، فهزمت بريطانيا وفرنسا في الفترة ما بين **1915** إلى **1916**م، وسحقت قوات الهند البريطانية الزاحفة في الشرق – في العراق – وأوقفت قوات الغزو الروسي في الشمال، وكـــان الأداء العثمـــاني خلف خطوط العدو أيضا مثيرا للإعجاب)[389].

لقد كانت ثورة الشريف حسين، وخيانة العرب في الجزيرة العربية، في يونيو **6**/ **1916**م، هي التي ستؤدي إلى قلب الموقف، وإلى كسب بريطانيا الحرب العالميـــة الأولى، وإنقاذ الحلفاء من هزيمة كانت قد تحققت على يد الجيوش العثمانية!

بداية الثورة العربية والاحتلال البريطاني للحجاز :

لقد بدأ الشريف حسين بثورته العربية بعد أن طلب من الدولة العثمانية نصـــف مليون جنيه من الذهب، لتجهيز جيش لمواجهة البريطانيين، وحماية الحجـــاز، وفي نفس الوقت استلم دفعة من بريطانيا، لتجهيز الثورة على الخلافة العثمانية، وبعد إعلانه للثورة في يونيو **1916**م، طلب من بريطانيا حماية سواحل الحجاز، لمنع أي إنزال عثماني بحري على سواحل البحر الأحمر، إلا أنه لم يتعاطف معه أحـــد مـــن العرب(فلم تنضم إليه أي وحدات عربية في الجيش العثماني، ولا انضم إليه، ولا إلى الحلفاء أية شخصية سياسية أو عسكرية في الدولة العثمانية، وكانت قـــوات الحسين مؤلفة من بضعة آلاف من رجال القبائل، الذين يحصلون على دعم مـــالي من بريطانيا، وهجماتهم على الحاميات العثمانية في مكة، والطـــائف، والمدينـــة، وجدة، قد صدت، ولم يكن هناك أي تأييد منظور للثورة في أي جزء من العـــالم العربي، وقد هبت السفن والطائرات البريطانية لنجدتها، فهاجمت جدة، ومـــا أن

---

[388] ولادة الشرق **196**– **200** .

[389] ولادة الشرق **239** .

ضمن البريطانيون السيطرة على الميناء، حتى أنزلوا جنودا مسلمين من الجيش المصري، بدءوا تقدمهم إلى الداخل لمساعدة الشريف في السيطرة على مكة والمدينة، وهكذا سيطر الأسطول البريطاني على ساحل شبه الجزيرة على البحر الأحمر، وأقام وجودا بريطانيا على البر في الموانئ)[390].

بل حتى المنظمات السرية العربية في الشام والعراق، التي كان يراهن الشريف حسين على تأييدها للثورة(كانت تعارض شديد المعارضة مخططات بريطانيا تجاه الشرق الأوسط، وكانت عازمة على مساندة الدولة العثمانية لمواجهة الخطر الأوربي، وظلت وفية لما عزمت له، لقد فضلت الحكم الذاتي، أو الاستقلال إذا أمكن تحقيقه، وإلا فإنها تفضل حكم المسلمين الأتراك على حكم المسيحيين)[391].

لقد كان القوميون العرب يختلفون عن القوميين الغربيين آنذاك (ومع أن هؤلاء كثيرا ما يوصفون بأنهم قوميون، إلا أنهم لم يطالبوا بالاستقلال، بل بقدر أكبر من المشاركة، ومن الحكم المحلي، وكانوا راضين إلى حد كبير بأن يكون الحكم إلى حد كبير حكما تركيا، لأن الأتراك مسلمون، وهم خلافا لما كان عليه القوميون الأوربيون، أناس معتقداتهم قائمة في إطار ديني، أكثر مما هي قائمة في إطار علماني، فقد كانوا يعيشون ضمن أسوار مدينة الإسلام، ولا يتطابق عيشهم مع طريقة عيش أوربا ضمن العالم المسيحي منذ مطلع القرون الوسطى، ذلك أنه على غرار المدن التي شيدت في العالم العربي في القرون الوسطى، كانت حياة المسلمين تقع ضمن دائرة، نقطة المركز فيها هي المسجد، ولم يكونوا يمثلون جماعة أثنية)[392].

---

[390] ولادة الشرق 246-247 . وما زالت المأساة تتكرر، فقد كانت بريطانيا بالأمس تحتل السودان بالجيش المصري، وتحتل الحجاز بالجيش المصري، واليوم تقوم الجيوش العربية بتسهيل مهمات دخول الجيوش الصليبية، وتفتح المطارات لها، وتزودها بكل المؤون والوقود، وتحميها من أي مقاومة شعبية، وتجند بريطانيا وأمريكا من الأفغان ومن العراقيين من يقاتلون نيابة عنها ليحتل الصليبيون أرضهم ثم يعلنوا على العالم لقد تحررنا!

[391] ولادة الشرق 248 .

[392] ولادة الشرق 113 .

لقد أنفقت بريطانيا على ثورة الشريف حسين العربية من أجل إنجاحها **11** مليون جنيه إسترليني، أي ما يقارب أربعمائة مليون دولار بسعر العملـــة الحـــالي، ولم تستطع الثورة تحقيق أي تقدم عسكري لولا الطيران والبحرية البريطانيـــة، لقـــد كانت القنابل، والقذائف البريطانية هـــي الـــتي أســـقطت جـــدة، وقـــد كتـــب ريجينالدوينغيت- الذي خلف كيتشنر ثم مكماهون في منصـــب الحـــاكم العـــام البريطاني في مصر – قائلا(لقد نظر المسلمون عامة حتى الآن إلى ثـــورة الحجـــاز، وإلى نصيبنا فيها، بعين الريبة والكراهية، وإنه لأمر هام ألا نســـمح بـــأن يبـــدو الحسين فاشلا لئلا تسوء سمعة بريطانيا)[393].

مؤتمر القبائل في الكويت للإعلان عن تأييد بريطانيا والوقوف معها:

بعد أن رأى العالم بأنه لم يقف أحد في العالمين العـــربي والإســـلامي مـــع ثـــورة الشريف، بل نظر المسلمون إليها على أنها خيانة للإسلام، قامت بريطانيا بترتيب مؤتمر عربي إعلامي لشد أزر الشريف، وإثبات تأييد العرب له، وعقدت الحكومة البريطانية اجتماعا موسعا في الكويت – من أجل دعم ثورة الشريف حسين التي لم يتعاطف معها أحد – بتاريخ **23/ 11/1916**م، ودعت إليه جابر بن مبارك، وابن سعود، وخزعل، ومائة شيخ من شيوخ عشـــائر قبيلـــة مطـــير، والظفـــير، والعجمان، وغيرهم من شيوخ القبائل، وترأس المؤتمر برسي كوكس كبير الضباط البريطانيين في العراق، الذي أعلن في المؤتمر عن نيات بريطانيـــا الحســـنة تجـــاه العرب، وأنها ترغب في استعادة مجدهم، وتوحيدهم وجمع كلمتهم، ليكونوا كتلة واحدة[394]، ليستطيعوا صدأي هجوم خارجي على بلادهم، وضـــرورة أن تعـــود الخلافة للعرب، ووجه كلمته لابن سعود قائلا (إن جلالة ملك بريطانيا يستحسن إسناد منصب الخلافة إليك ويساعدك في تحقيقه)، وقد تحدث ابن سعود في كلمة مطولة عن عداوته للدولة العثمانية التي فرقت العرب، وتعهـــد بتحالفـــه مـــع

---

[393] ولادة الشرق **250-151** .

[394] وقارن بين هذا المؤتمر ومن وراءه وما قيل فيه والشعارات التي رفعها والأهداف التي أعلن عنـــها، ومؤتمر المعارضة الأفغانية سنة **2001**م في ألمانيا، والمعارضة العراقية سنة **2002**م في لندن، وما قيـــل فيهما، ومن كان يرأسهما، ويرتب شئونهما، لتعرف أن المسرحية نفسها ما زالت تعرض مشـــاهدها في العالم الإسلامي وإن تبدل أبطالها ورجالها!

بريطانيا التي تسعى لحمايتهم وتوحيدهم، كما أكد للحضور بأن الشريف حسين هو الأصلح ليكون خليفة على العرب، وقد أثارت كلمتـــه إعجـــاب المســـئولين البريطانيين لما أبداه ابن سعود من حماس للتعاون معهم ودعمهم في حـــربهم ضـــد الخلافة العثمانية! بينما لم يزد جابر في كلمته على قوله بأنه (واحد من العـــرب ولن يخالف ما يتفقون عليه)، وفي رواية مؤرخ الكويت الرشيد(أما جابر فقـــال قولا أكبره الناس لأجله قال: نحن مسلمون، فإذا ما أجمع المسلمون على شخص، فنحن له طائعون)، وقد خرج المؤتمرون بإعلان دعمهم المطلـــق لبريطانيـــا ضـــد الدولة العثمانية، ووجهوا برسائل التأييد للشريف حسين بإيعاز من البريطانيين، وقد تم في هذا المؤتمر تقليد جابر بن مبارك وابن سعود وسام فارس الهند البريطاني للخدمات الجليلة، وهو أعلى وسام يقدم لحلفاء بريطانيا، وقد بعث ابن ســـعود وجابر المبارك ببرقية إلى نائب ملك بريطانيا في الهند يشكراه على الوسامين جاء فيها: (حضرة صاحب السعادة حاكم الهند العام ونائب جلالـــة الملـــك المعظـــم والإمبراطور، نشكر عواطفكم الكريمة بتنازلكم بالتهنئة على النياشين الســـامية الشأن، التي تعطف بها صاحب الجلالة الملك المعظم على المخلصين الصادقين، إننا نقبل هذه التعطفات بمزيد الشكر والامتنان، ونرجوا أن نكون دائمـــا كاســـبين رضاكم بالخدمة الخالصة، وملحوظين بعين عنايتكم الجليلة)، وقد دعا كوكس بعد هذا المؤتمر ابن سعود لزيارة البصرة[395].

لقد ظهرت فكرة عقد هذا المؤتمر القبلي في الكويت في تشرين **1915** عنـــدما أرسل الوزير لبريطاني السير شمبرلن إلى نائب الملك في الهنـــد يـــأمره بالاهتمـــام لكسب ولاء شيوخ العرب وجاء فيه (إن العرب مترددون وقد يقفون مع الأتراك إذا نحن لم نبذل الوسائط الفعالة في الإغراء)، وفي نهاية **1916** وجـــه كـــوكس دعوة إلى ابن سعود وابن صباح وإلى أكثر من مائة شيخ مـــن شـــيوخ العشـــائر العربية وضرب لهم موعدا في الكويت[396].

---

[395] العلاقات بين الكويت ونجد **184**، وتاريخ الكويت للرشيد **231**، ولخزعل **105/3** .

[396] تاريخ الكويت السياسي لخزعل **33/3** .

(وقد عقد هذا المؤتمر في **23** نوفمبر سنة **1916**م وحضره بجانب ابـــن ســـعود وجابر الصباح والشيخ خزعل أكثر من مائة من رؤســـاء العشـــائر العربيـــة في الإحساء وجنوب العراق)[397].

وقد ورد في الوثائق البريطانية ذكر شيوخ قبيلة مطير والعجمان والظفير وغيرهم ممن حضروا ذلك المؤتمر بدعوة من كوكس، مما يؤكـــد أن بريطانيـــا بتوجيههـــا الدعوة لهم مباشرة كانت تتعامل معهم في هذه الفترة، كما كان الحال في فتـــرة الحكم العثماني الذي يتعامل مع القبائل بشكل مستقل عن شيوخ الموانئ والمدن، فقد بعث الكرنل ويلسن المندوب البريطاني في جدة بتاريخ **1916/11/26** كتابا إلى الشريف حسين في مكة يخبره بالاجتماع الذي تم في الكويت ورد فيه:

(تسلمت برقية من المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي السير برسي كوكس يخبر فيها أنه عقد اجتماعا في الكويت حضره ابن سعود وشيخا الكويت والمحمرة، وحوالي مائتين من رؤساء عشائر شمر والظفير ..الخ وقد ألقى هـــؤلاء الشـــيوخ خطبا ضد تركيا، وشكروا بريطانيا على ما أظهرته للعرب دائما مـــن مســـاعدة وعطف....الخ)[398].

كما جاء في تقرير مطول كتبه برسي كوكس نفسه بتاريخ **1917/1/9** تفصـــيلا عن المؤتمر وما دار فيه وذكر حضور شيوخ عشائر الأسلم مـــن شمـــر، وشـــيوخ الظفير، وشيوخ مطير ..وأنه تمت مراسلة شيوخ عنزة فهد الهذال وابـــن مهيـــد وجزاع بن مجلاد شيخ الدهامشة وغيرهم للانضمام إلى التحالف الذي أسفر عنه مؤتمر الكويت.. الخ.[399]

وقد نجحت بريطانيا في هذا المؤتمر – الذي حضره مائتا شيخ من شيوخ القبائـــل على قدم المساواة مع ابن سعود وابن صباح – بتشكيل أكبر تحالف قبلي في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، لمواجهة الدولة العثمانية – كما نجحت في الوقـــت

[397]تاريخ الخليج العربي **38/3** .

[398]الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية**779/2** و**794** و**801** .

[399]الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية **649/3**و**651**- **652** .

نفسه في الإعداد للثورة العربية مع الشريف حسين وقبائل الحجاز، في الجهة الغربية من الجزيرة العربية، ودعم الجميع ماديا وعسكريا – والذي سيكون لهما أكبر الأثر في ترسيخ الوجود الاستعماري البريطاني في الخليج والجزيرة العربية[400].

لقد تبنت بريطانيا فكرة استقلال العرب عن الدولة العثمانية، تحت شعار القومية العربية، ووعدتهم بالحماية والمساعدة على تحقيق هذا الهدف، بإقامة (المملكة العربية المتحدة)، التي تضم الجزيرة العربية، والشام، والعراق، أي الجزء العربي الآسيوي من الدولة العثمانية، كما جاء في تعهدات هنري مكماهون الذي (استخدم عن قصد كلمات شديدة الالتواء، قصد منها ألا يلزم نفسه بشيء)[401].

تلك التعهدات التي قال عنها نائب الملك في الهند: (أخشى أن يكون المندوب السامي قد حصل على انطباع بأني من المؤمنين بإنشاء مملكة عربية موحدة برئاسة الشريف، هذا التفكير بعيد كل البعد عن آرائي الحقيقية، ولكن اعتقد أنه من المناسب لنا جميعا أن نعطي قادة الحركة العربية هذا الانطباع)[402].

مشروع الخلافة العربية تحت السيادة البريطانية:

لقدوعد بريطانيا الشريف حسين ليس فقط بإقامة (المملكة العربية المتحدة)، بل وبدعم ونقل الخلافة إلى عربي صميم من آل بيت النبي محمد!

وعلى حد قول فرومكين في كتابه ولادة الشرق: (لقد كانت إعادة الخلافة إلى شبه الجزيرة العربية حيث مولد محمد هي استراتيجية كيتشنر التي رسمها استعدادا للمنافسة مع روسيا التي ستتبع انتهاء الحرب ضد ألمانيا، ولكن أنى للعرب الذين كانوا يعيشون في الإطار السياسي لشبه جزيرة العرب أن يفهموا ما يدور في ذهن

---

[400] وتأمل كيف نجحت بريطانيا وأمريكا في تشكيل تحالف قبائلي وسياسي لاحتلال أفغانستان والعراق فما أشبه اليوم بالبارحة!

[401] ولادة الشرق 201 .

[402] ولادة الشرق 207 .تأمل في هذه العبارة فهي توجز لك الطريقة الاستعمارية الصليبية في قطع الوعود وعقد المعاهدات ثم التنصل منها كما حذر منهم القرآن في قوله تعالى{كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم}!

كيتشنر..... بل كان الراجح ألا يدركوا أن كيتشـنروونغيتوكلايتون كـانوا قاصرين عن فهم طبيعة الخلافة، إن الانشقاق بين السلطتين الدينيـة والدنيويـة الذي وضع البابا في مواجهة الإمبراطور في أوربا القرون الوسطى ليس له وجود في العالم الإسلامي، لقد أخطئوا في اعتقادهم أن الخليفة يمكن أن يكـون زعيمـا روحيا فقط، ذلك أن الحياة كلها في الإسلام بما فيها الحكومة والسياسة تقـع في نطاق حكم الشريعة بحيث أن المسلمين السنة، والسلطان العثماني، وأمـير مكـة منهم، يرون أن سلطة الخليفة بصفته حامي الشريعة هي سلطة شاملة، إن الخليفة حاكم وقائد في المعركة، مثلما هو إمام في الصلاة، وكانت خطة كيتشنر تـدعو ابن سعود زعيم الطائفة الوهابية، إلى الاعتراف بالسلطة الروحية لحـاكم مكـة السني)[403].

لقد كانت بريطانيا – من خلال رجالها في المنطقة – تخطط لما بعد الحرب، وكانت أخشى ما تخشاه وقوف الخليفة العثماني – بما يملكه من سيطرة روحية على العالم الإسلامي – إلى صف ألمانيا أو روسيا، فيشكل بذلك خطرا على مصالح بريطانيا في الهند ومصر، حيث الشعوب الإسلامية الأكثر عددا تحت الحكـم البريطـاني، فعملت بريطانيا(ليكون مرشحها هو الخليفة، وبما أن النبي محمدا ولـد في شـبه الجزيرة العربية فقد شجعت الرأي القائل بأن الخليفة يجب أن يكون مـن شـبه الجزيرة العربية، وقد رأت ميزة ذلك في سهولة سيطرة الأسطول البريطاني علـى ساحل شبه الجزيرة العربية، وبذلك تستطيع بريطانيا أن تعزل الخليفة عن نفـوذ منافسيها الأوربيين، وأنه ما إن تتمكن من تنصيب خليفة داخل الجزيرة العربيـة حتى تتمكن من التحكم بالإسلام، وأن أمير مكة مرشح عربي للخلافة)[404].

وقد نجحت بريطانيا في مؤتمرها في الكويت لترويج هذا الرأي عن طريـق ابـن سعود الذي كان من أشد الحاضرين حماسة لهذه الخطة البريطانية.

[403] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 115 .

[404] ولادة الشرق 109، وهذا ما تحقق لها فعلا بعد ذلك بإقامة حكم هـاشمي في مكـة تحـت النفـوذ البريطاني وما تلاه من ترتيبات لبقاء هذا النفوذ!

لقد كانت قضية حيوية بالنسبة لبريطانيا البحث في (إمكانية حلول زعيم من شبه الجزيرة العربية صديق لبريطانيا محل السلطان العثماني في مركز خليفة المسلمين... ولما كنت الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ضمن الحجاز، فإن من يحكم الحجاز هو في وضع قوي للحفاظ على حق المسلمين البريطانيين في مواصلة أداء الحج) .[405]

لقد كان مخطط تحريك القبائل في الجزيرة العربية وثورتها ضد الدولة العثمانية من اختراع ريجينالدوينغيت، الذي طرح الفكرة سنة **1914**م – عندما كان حاكما عاما للسودان، قبل أن يحل محل مكماهون في مصر كمندوب سامي لبريطانيا في مصر وحاكم عام فيها – وقد نجح توماس لورنس في إقناعه باستخدام قبائل الشريف حسين كقوات غير نظامية، في حرب عصابات، تحت قيادة بريطانية، ويكون هو ضابط الاتصال الذي سيتعامل معه فيصل بن الحسين، الذي سيقود تلك القوات، التي فشلت في تحقيق أي نصر عسكري، مع ما دفعته بريطانيا لها من الذهب والأسلحة، وفشلت في إسقاط المدينة المنورة، التي كانت تحميها حامية عثمانية، غير أن القبائل بقيادة فيصل، وتوجيه الضباط البريطانيين، نجحت في قطع سكك الحديد التي تربط الشام بالحجاز، لقطع المدد عن حامية المدينة ومحاصرتها.[406]

لقد نجحت الخلافة العثمانية في الصمود في وجه أعدائها ما بين خريف سنة **1916**م، إلى خريف **1917**م، بينما انهارت جميع الحكومات في دول الحلفاء، في بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، جراء الهزائم التي تعرضت لها قواتها، في كل مكان، على يد الجيش العثماني.[407]

التيار السياسي الصهيو – صليبي وقيادته للحملة الصليبية:

[405] ولادة الشرق **112** .

[406] ولادة الشرق **255** .

[407] ولادة الشرق **259**.

لقد أصبح لويد جورج رئيسا للوزراء في لندن، وكان يؤمن بأن الشرق سيكون السبب في كسب الحرب، وكان ينطلق من كره شديد للدولة العثمانية، ويتبنى طموحات الصهيونية في فلسطين، وكان يتوقع قيام وطن قومي يهودي فيها، تحت حكم بريطانيا، لقد كان أول رئيس وزراء بريطاني يجعل من الشرق الأوسط غاية وهدفا في حد ذاته، لا مجرد طريق ووسيلة لحماية مصالح بريطانيا في الهند[408].

لقد كانت السياسة الاستعمارية الإمبريالية الطاغية قد بلغت ذروتها في هذه الفترة، وقد صاحبها فساد سياسي عريض في كل الحكومات الغربية تمثل في (الفساد المالي، ومضاربات بالعقارات، وبامتيازات السكك الحديدية، وامتيازات الكابل البحري للاتصالات والبرقية)وقد وصف تشرشل ما كان يجري في فرنسا من فساد في استغلال السلطة بأنه (لا مثيل له إلا في عالم العصابات في شيكاغو)[409].

لقد كانت تلك الحكومات التي تعاني كل ذلك الفساد هي التي تخطط للسيطرة على الخلافة العثمانية، التي كانت عاصمتها اسطنبول قد خلبت ألباب السياسيين الغربيين بعظمتها، حتى قال تشرشل حين شن حملته العسكرية في غاليبولي:

(هذه واحدة من أعظم الحملات العسكرية في التاريخ، فكروا بما تمثله القسطنطينية شرقا، إنها أهم من لندن، وباريس، وبرلين، مجتمعة في مدينة واحدة، فكروا بسيطرتها على الشرق، وفكروا بما يعنيه سقوطها)[410].

لقد صمدت الدولة العثمانية في مواجهة كل الظروف القاسية المعاكسة، وقد تم إسقاط كل الحكومات التي أدخلت دول الحلفاء في الحرب ضد الدولة العثمانية، فسقطت حكومة اسكويث في بريطانيا، وسقطت حكومة رينه فيفياني في فرنسا، وحكومة القيصر في روسيا، وقامت الثورة البلشفية فيها سنة **1917**م، وخرجت

---

[408] ولادة الشرق **263** .

[409] ولادة الشرق **265**، وهو ما يجري اليوم تماما في العراق وأفغانستان حيث يتنافس نائب الرئيس ديك تشيني وشركته هالي بيرتون وغيره من المسئولين الأمريكان وحلفائهم العرب على نهب ثروات المنطقة تحت شعار تحريرها من الأنظمة الاستبدادية وإقامة أنظمة حكم ديمقراطية!

[410] ولادة الشرق **279** .

بذلك روسيا من الحلفاء، ورفضت الاشتراك في الحرب، وقد كان لصمود الدولة العثمانية، وصمود جيشها في مضيق الدردنيل، أكـبر الأثـر في سـقوط تلـك الحكومات[411].

لقد رفضت الولايات المتحدة آنذاك دخول الحرب مع الحلفاء، وقد حذر الرئيس الأمريكي ويلسون – الذي كان قبل ذلك يؤيد مسح تركيا من الخريطة، وكـان همه في الشرق الأوسط منصبا على دعم الإرساليات التبشيرية في المنطقة، لنزعتـه المسيحية الدينية – من خطورة أهداف الحرب الإمبريالية الاستعمارية، وعنـدما اطلع على اتفاقية سايكس بيكو، وغيرها من الاتفاقيات السرية، التي تهـدف إلى تقسيم الدولة العثمانية بين الحلفاء، قال رافضا لها(هذه خطة كلها سوء، وهذا ما قلته لبلفور، إنهم يجعلـون مـن الشـرق الأوسـط مكانـا يسـتولد حربـا في المستقبل)[412].

وقد جاء لويد جورج – الذي كان محاميا لدى الحركة الصهيونية ولدى مؤسسها تيودور هرتزل في بريطانيا سنة **1903**م – إلى الحكومة وهو يتطلع إلى احـتلال فلسطين على وجه الخصوص، وإقامة وطن قومي لليهود فيها، لقـد(تـربى علـى دراسة تعاليم الكتاب المقدس)، وكان يطمح إلى إعادة فلسطين إلى الحيـاة مـن جديد وفق ما ورد عنها في الكتاب المقدس، وكان على معرفة تامة بالاتجاهـات المسيحية الإنجيلية، التي تدعو إلى تقدم الصفوف من أجل إعادة فلسطين لليهود، وهذه الاتجاهات هي التي شكلت عقلية لويد جورج وعقيدته، كواحد من أبـرز الصهاينة المسيحيين في بريطانيا، وهو الاتجاه الأكثر شيوعا بين الطبقات العليا في المجتمع البريطاني، الذين يؤمنون بأن المسيح المخلص لن يعود إلا إذا عاد اليهـود إلى فلسطين، وهو ما ظلت الدولة العثمانية ترفضه بكل شـدة، حـتى وهـي في أضعف فتراتها التاريخية، كما سيفتح إعادة اليهود إلى فلسطين الطريق لبريطانيـا

---

[411] ولادة الشرق لديفيد فرومكين **279**.

[412] ولادة الشرق **284**و**288**– **289** .كان الرئيس الأمريكي يرفض تقاسم الدولة العثمانية في الوقـت الذي بدأت الولايات المتحدة تأخذ مكانها على المسرح الدولي دون أن يكون لها نصيب الأسـد مـن الغنيمة، وهو مشابه لموقف فرنسا الرافض اليوم من احتلال بريطانيا والولايات المتحدة للعراق لخسارة شركاتها النفطية، ومع ذلك صرح الرئيس شراك بأن فرنسا لن تقبل بهزيمة جيوش الحلفاء في العراق!

للتدخل المباشر في شئون الدولة العثمانية، بدعوى حماية اليهود، كما تفعل روسيا مع المسيحيين الأرثوذكس، وفرنسا مع الطائفة المارونية في لبنان، كما عزز هذه السياسة البريطانية والتطلعات الصهيو-مسيحية تحالفها مع التيارات الليبرالية في بريطانيا التي كانت تجد الدعم من اليهود، لقد (أراد لويد جورج شأنه شأن وودرو ويلسون، الذي كان اهتمامه في الشرق الأوسط موجها إلى المدارس والإرساليات البروتستانتية الأمريكية، أن تتولى بلاده ما كان يعتبره عمل الرب في المنطقة)، وهو ما أدى إلى إعلان وعد بلفور سنة **1917**م بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين[413].

وهكذا نجحت بريطانيا في تحريك القوميتين العربية واليهودية لمواجهة الدولة العثمانية في الحرب العالمية، وكما قامت بدعم العرب ماليا وعسكريا للثورة، عملت أيضا على تشكيل كتيبة يهودية في الجيش البريطاني من أجل تحقيق أهدافهما.

لقد كانت الحرب على الدولة العثمانية بكل أبعادها حربا صليبية، توجهها العقيدة المسيحية المتطرفة في ميولها الصهيونية، كما عبر عن ذلك ليو أيميري مساعد أمين السر في مجلس الوزراء البريطاني الحربي حين قال:

(فيما عدا الولايات المتحدة، ما من بلد سوى انجلترا، الشغوفة بالكتاب المقدس، والتي يغلب الكتاب المقدس على تفكيرها، يعتبر دائم الرغبة في عودة اليهود إلى وطنهم القديم)[414].

لقد كان لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني الجديد يؤمن بأنه(سيأتي اليوم الذي تتحقق فيه كلمات الأنبياء ويعود شعب إسرائيل إلى أرضه)، وكان رجال

---

[413]ولادة الشرق لديفيد فرومكين **300- 307** .قارن بين تصريح الرئيس الأمريكي آنذاك وودروا ولسن حول تنفيذه مهمة وعمل الرب في المنطقة، وتصريحات جورج بوش الثاني وإعلانه أنه يقوم بمهمة كلفه بها الرب، وأن حملته ستكون حملة صليبية ليتأكد صحة ما قاله رئيس الوزراء الصهيوني شمعون بيريز في كتابه(معركة السلام)بأن السياسة الأمريكية لا ترتكز ولا تقوم على الدولار بل على التوراة في عهديه القديم والجديد، وكما يعزو الرئيس الأمريكي نيكسون في كتابه(ما وراء السلام) سبب النصر على الشيوعية لكون الولايات المتحدة (دولة تحت خيمة الرب)!

[414]ولادة الشرق **311**.

حكومته يؤمنون بأنه لا تعارض بين طموحات القوميتين العربية واليهودية، وأن فلسطين، والعراق، والجزيرة العربية، يجب أن تظل ضمن النظام الإمبراطوري البريطاني وتحت سيطرته، حتى بعد انتهاء الانتداب، وبعد استقلالها[415].

لقد كانت رؤية سايكس للمستقبل تقوم على تحقق (تفاهم بريطاني فرنسي بالتحالف مع العرب واليهود والأرمن، يجعل الإسلام عديم الأذى)[416].

لقد اقترح سايكس على حكومته دعم إثارة القبائل العربية خلف خطوط الدولة العثمانية، ووافقت بشرط عدم الالتزام للعرب بأي تعهدات قد تضر بالمصالح البريطانية[417].

وقد تم إقامة حفل في لندن، نظمه الاتحاد الصهيوني، بعد الإعلان عن وعد بلفور بثلاثة أيام، حضرته وفود عربية، ويهودية، وأرمينية، تحدث فيه الجميع عن ضرورة مضي الجميع قدما في مساعدة بعضهم بعضا، ضد الدولة العثمانية، وقد ساد الحفل (روح التوراة، والاحتفاء والإيمان بعاطفة حماسية بقرب تحقيق نبوءة قديمة)، فقد كانت النبوءة التوراتية هي الدافع الأول التي دفعت بريطانيا لدعم إقامة الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين، لقد صدر وعد بلفور بتشاور مع أمريكا، وفرنسا، وإيطاليا، والفاتيكان، ووجد ترحيبا لدى الرأي العام الغربي كافة[418].

---

[415] ولادة الشرق 317 ، وهو ما تم فعلا فقد ظلت تحت سيطرة بريطانيا إلى أن سلمت العهدة إلى أمريكا وما تزال التحالفات كما هي والحلفاء والوكلاء للاستعمار في المنطقة كما هم!

[416] ولادة الشرق لفرومكين 326 .وهو ما يجري اليوم على أرض الواقع من خلال التحالف الغربي العربي لفرض ثقافة إسلامية جديدة في مناهج التعليم والإعلام ترفض حق الأمة في مقاومة الاحتلال، تحت ذريعة مكافحة التطرف والإرهاب، حتى جاءت كونداليزا رايس لتعلم العالم الإسلامي قيم الإسلام السامية الداعية للتسامح التي نسيها المسلمون، في الوقت الذي تدك جيوشها المدن في العراق وأفغانستان بشكل همجي إجرامي لا مثيل له في التاريخ الإنساني حتى بلغ ضحايا هذه الحرب الصليبية خمسة ملايين عراقي بين قتيل وجريح ومهجر!

[417] ولادة الشرق 323 .

[418] ولادة الشرق 334 .وانظر كيف اجتمع العرب واليهود في لندن للاحتفال بوعد بلفور، قبل كامب ديفيد وأوسلوا بسبعين سنة!وانظر إلى الروح الصليبية الطاغية لدى الرؤساء الغربيين في تلك الفترة وقارنها بالروح الصليبية التي تحرك بوش وبلير وبيرلسكوني رئيس وزراء إيطاليا وعدائه الصريح

(16)

(الاحتلال الصليبي للقدس ودمشق سنة 1917م وسقوط اسطنبول)

الحملة (الصليبية – العربية) لاحتلال الشام وفلسطين:

وبعد سقوط الجزيرة العربية والعراق تحت السيطرة البريطانية تحرك القائد البريطاني، أدموند اللنبي من مصر بقواته ليحتل فلسطين، وقد استطاع لورنس أن يشتري بعشرة آلاف جنيه عودة أبو تايه شيخ قبائل الحويطات في شمال الجزيرة العربية الغربي، الذي نجح في احتلال ميناء العقبة جنوبي فلسطين، بتاريخ 1917/7/6م، وصار بإمكان الأسطول البريطاني أن ينقل رجال القبائل العرب إلى فلسطين، وصار بإمكان قوات الشريف حسين، أن تقدم مساعداتها الفعلية لحملة القائد البريطاني اللنبي القادمة من مصر لتحتل الشام وفلسطين، وقد تم منح فيصل بن الحسين رتبة جنرال بريطاني تحت إمرة القائد اللنبي، وفي الوقت الذي كانت قوات اللنبي تتقدم على خط غزة – بئر السبع، كانت قوات فيصل تناوش الجيش العثماني وتشاغلها، على الجناح الأيمن للقوات البريطانية، وكان لورنس يجند القبائل العربية ويشتريها بالذهب، لتقطع سكك الحديد، ولتسهيل مهمة تقدم القوات البريطانية، لتحتل فلسطين، وليدخل اللنبي مدينة القدس في 1917/12/11م، وليحتفل رئيس الوزراء البريطاني في عيد الميلاد بتحرير (أقدس مدينة في العالم) وقد كتب(إنه بتحرير القدس تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة)، وبعد (الاستيلاء على القدس أظهرت قوات فيصل

للإسلام، في دول تدعي العلمانية وهي ما تزال تخوض حربا صليبية على العالم الإسلامي ليظهر جليا مدى تأثير الدين وسلطانه في العالم الغربي!

العربية، بقيادة ضباط عرب وبريطانيين جدارتهم في الحرب، وكانت تقوم بحملتها من شرق الأردن، وصار اللنبي في وضع يسمحله بالزحف على دمشق)[419].

لقد كانت دمشق هي الهدف الثاني للقائد اللنبي، بل إنها أكثر أهمية من القدس وبغداد، وكان يقود جيوشه تحت رايات عديدة، ومنها راية قوات الشريف حسين العربية، التي صممها مارك سايكس، وقد جعل ألوانها الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، رمزا للأمجاد العربية، التي يريد إحياءها الشريف حسين، وقد أمر سايكس بصنع أعلام الشريف، من قبل هيئة الإمداد العسكرية البريطانية في مصر، وتسليمها للحجاز، لقد وضع علم القومية العربية البريطانيون، وصنعه البريطانيون، في الوقت الذي كانت قوات اللنبي تزحف لتحتل دمشق، ولتقيم بريطانيا مملكة عربية، أو كونفدرالية عربية، تحت السيطرة البريطانية[420].

ويلاحظ أن هذا العلم الذي صممه البريطانيون هو الأكثر شيوعا إلى اليوم في العالم العربي!

لقد نجحت بريطانيا الصليبية في تشكيل تحالف عربي يهودي ساهم في احتلال بريطانيا لفلسطين، والشام، وقد تم بترتيب بريطاني جمع فيصل بن الحسين وايزمان زعيم الحركة الصهيونية الذي بلغ من إعجابه بفيصل أن كتب عنه يقول:

(إنه أول قومي عربي حقيقي اجتمع به، إنه قائد ذكي جدا، وصادق جدا، وهو غير مهتم بفلسطين، وينظر نظرة احتقار لعرب فلسطين، بل إنه لا يعدهم عربا)!

وقال عنه وليم غور(إن الحركة القومية العربية موجودة خارج فلسطين، والحركة التي يقودها الأمير فيصل ليست مختلفة عن الحركة الصهيونية، ويجب على الحركة الصهيونية أن تعد الحركة العربية، ومركزها الحجاز أصلا، حركة زميلة، ذات

---

[419] ولادة الشرق **344- 349** .

[420] ولادة الشرق **351- 352** ، وها قد عادت بريطانيا لتحتل العراق ولتقوم بوضع علمه الجديد وترتيب كل ما يلزم من أجل إقامة نظام ديمقراطي جديد بعد قرن كامل في مشهد مسرحي ضاحك يعرض نفس الأدوار ونفس الأحداث!

مثل سامية)، وقد تقبل فيصل فكرة التعاون العربي اليهودي، وفكرة قيام وطـن قومي يهودي في فلسطين[421].

هذا في الوقت الذي كانت حكومة تركيا الفتاة في الدولة العثمانية تشك في نوايا سكان فلسطين من غير المسلمين، خاصة اليهـود، الـذين اسـتقبلتهم الدولـة العثمانية، بعد فرارهم من اضطهاد روسيا القيصرية، وعندما أدرك جمـال باشـا خطر وجودهم في فلسطين، بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية، قرر طرد جميع اليهود المهاجرين، المستوطنين في فلسطين، فدمر مستوطناتهم، بعد أن أيقـن أنهم مكمن الخطر(وقد ثبت إلى حد ما أن نبوءته هذه أثبتت صحتها ... إن أقلية صغيرة منهم بالغة الفعالية، كانت تعمل ضد الدولة العثمانية)[422].

وفي **1918/9/19**م، تقدمت قوات اللنبي نحو دمشق، وكانت خمسة وأربعين ألف جندي، بريطاني، ونيوزلندي، وأسترالي، وهندي، وفيلق يهودي، وشنت هجومها على القوات العثمانية المدافعة التي يبلغ عددها ثمانية آلاف جندي، وكانت قوات الشريف فيصل تحاصرها، وتقطع خطوط تراجعها، فأصبح الجيش العثمـاني بـين فكي كماشة، وقد استسلمت حامية معان في شرقي الأردن للقوات الأسـترالية، خوفا من المذبحة التي قد تتعرض لها على يد قوات فيصل، وقد أمر اللنبي فيصـل بن الحسين، أن يتقدم بقواته ليدخل دمشق أولا(لمنع المقاومة من قبـل عاصـمة إسلامية قد تكون معادية لاحتلال مسيحي)، غير أن الخطة لم تنجح فقـد كـان فيصل على بعد ثلاثة أيام، وقد خرج الجيش العثماني من المدينة فجأة، واضطرت القوات الأسترالية ثم البريطانية دخولها، ثم دخلها فيصل بترتيب بريطاني دخـول الفاتحين! فدخل بتاريخ **1918/10/3**م، وفي نفس اليوم أخبره اللنبي بأن سوريا ستكون تحت الحماية الفرنسية، وأنه لا علاقة له بلبنان الـذي سـيكون تحـت السيطرة الفرنسية، وفلسطين التي ستكون تحت السلطة البريطانية، وقـد رفـض فيصل وضع سوريا تحت حماية فرنسا رفضا قاطعا، وطلب أن تكون تحت الحمايـة البريطانية، غير أن اتفاقية سايكس بيكو، البريطانية الفرنسـية السـرية تقضـي

[421] ولادة الشرق **360– 361**.

[422] ولادة الشرق **234 – 235** .

بذلك، ولم تكتف فرنسا بإقامة دولة مارونية مسيحية في جبل لبنان، بل ضمت إليها مناطق شاسعة غالبية سكانها مسلمون، وجعلتهم تحت سيادة حكومة مسيحية تحت حمايتها[423].

وقد قامت بريطانيا وفرنسا بإصدار بيان مشترك بتاريخ **1918/11/9** موجه للشعوب العربية جاء فيه :

(إن الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وانجلترا غمار الحرب في الشرق، هي تحرير الشعوب التي رزحت تحت الاحتلال مظالم الأتراك تحريرا تاما نهائيا، وإقامة حكومات قومية تستمد سلطتها من اختيار السكان لها اختيارا حرا، ولتحقيق ذلك اتفقت الدولتان فرنسا وبريطانيا على أن تعينا على إقامة حكومات وطنية في كل من سوريا والعراق، البلدين الذين حررهما الحلفاء، يختارهما السكان، وأن تضمنا عدلا يساوي بين الجميع، ويسهل تنمية البلاد اقتصاديا، ونشر العلم)[424].

احتلال القوات الصليبية لعاصمة الخلافة اسطنبول:

وبينما كانت جيوش الحلفاء تحاول إكمال سيطرتها على الدولة العثمانية باحتلال عاصمتها اسطنبول، ومحاصرتها للخليفة الذي كاد أن يوقع اتفاقية استسلام، قاد مصطفى كمال حرب تحرير الأناضول، بعد أن جمع شتات القوات العثمانية، ووقف معه علماء الدين، الذين أثبتوا أنهم أخلص أنصاره، وقد عصى مصطفى ومن معه أوامر الخليفة وحكومته التي عدها الثوار أسيرة في يد جيوش الحلفاء، وفي الوقت الذي كان الحلفاء في لندن يعقدون مؤتمرهم بتاريخ **1920/2/28**م، لتقسيم تركيا بين الحلفاء، فاجأتهم أخبار انتصارات الجيش العثماني بقيادة مصطفى كمال، على الفرنسيين، واليونانيين[425].

---

[423] ولادة الشرق **372-380** .

[424] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية **499/5** .وهذا البيان بعينه ومضمونه هو البيان المشترك الصادر عن بريطانيا والولايات المتحدة قبل شن الحرب على العراق سنة **2003** واحتلاله بحجة إقامة الديمقراطية وتنمية العراق وتحريره من حكومته!

[425] ولادة الشرق **435-454** .

وفي هذه الأثناء كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على تقاسم الجزء العــربي مــن الدولة العثمانية، فمصر، والعراق، والجزيرة العربية، وفلسطين، والأردن، تحــت السيطرة البريطانية، وسوريا، ولبنان، تحت السيطرة الفرنسية، كمــا تم تقســيم أجزاء من الأناضول بين اليونان، وأرمينيا، على أن يبقى قسم من تركيا مستقلا اسميا، تحت سلطة الخليفة، وقد وقعت معاهدة سيفر في شــهر **8** ســنة **1920**م، على هذا الأساس[426].

وقد قام الضباط الأتراك بقيادة مصطفى كمال باتخاذ أنقــرة مقــرا لقيــادتهم، وأعلنوا ميثاقهم الوطني الذي نص على إنشاء دولة وأمة إسلامية تركية مستقلة، وأقر مجلس النواب الجديد في اسطنبول في جلسة سرية هذا الميثاق، في يناير سنة **1920**م، ورفضوا شروط الحلفاء التي قسموا فيها تركيا، وقد تحركت جيــوش الحلفاء واحتلت اسطنبول، واعتقلت القادة السياسيين والعسكريين ونفتــهم إلى مالطا، فكان ذلك نهاية لسلطة الخليفة العثماني، غير أن قادة المقاومــة في أنقــرة كانوا بعيدين في هضبة الأناضول عن قوات الحلفاء، وقد لجأ إليهم أعضاء البرلمان الذين فروا من قبضة جيوش الحلفاء، وتم تأليف برلمان جديد في أنقرة، وتأســيس حكومة وطنية، يرأسها مصطفى كمال، وحلت الفوضى العارمة في تركيا، وهضبة الأناضول، وفي **1920/6/15**م، وهاجمت قوات المقاومة التركية الجيش البريطاني قرب اسطنبول، حيث كان السلطان أسيرا، وقد وافقت بريطانيا على أن تقــوم اليونان بالتقدم بجيوشها نحو اسطنبول، وعلى احتلال أزمير، مما دفع السلطان إلى توقيع معاهدة سيفر، وبحثت اليونان مع بريطانيا إمكانية التقدم العسكري نحــو الأناضول والقضاء على المقاومة فيها نهائيا، وتقدمت نحو أنقرة، حتى لم يبق مــا يحول دون سقوطها، وتراجعت قوات المقاومة خمسين ميلا للخلــف، ثم تصــدت المقاومة للجيش اليوناني، وفي صيف **1921**م، أذهلت المقاومة التركيــة العــالم بانتصاراتها على الجيش اليوناني، المدعوم من الحلفاء، ومن بريطانيا علــى وجــه الخصوص، والذي أخذ يتراجع أمام ضغط المقاومة، واستمرت قــوات المقاومــة بالتقدم نحو اسطنبول، وتركيا الأوربية، لتحريرها من جيوش الاحتلال، وقد وقع القائد العام للجيش اليوناني في قبضة الأتــراك، وقــد دب الرعــب في قلــوب

---

[426] ولادة الشرق **457** .

اليونانيين، حتى كتب رئيس أساقفة أزمير في **1921/9/7**م، رسالة يستغيث فيها وجاء فيها:

(الهيلينية في آسيا الصغرى، والدولة اليونانية، والأمة اليونانية، كلها تنحدر الآن إلى الجحيم، وما من قوة تستطيع أن تنتشلها أو تنقذها)!

وقد حاولت أساطيل الحلفاءالبحرية، البريطانية، والفرنسية، والإيطالية، والأمريكية، إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الفارين من رعايا دولها، ومن الجنود اليونان، الفارين طلبا للنجاة من الغضب التركي، ومع حلول نهاية سنة **1922**م، كان قد فر مليون ونصف يوناني من تركيا، هربا من قوات المقاومة، وأخذت دول الحلفاء تتنصل من المسئولية عن الكارثة التي حلت باليونانيين والأرمن، التي ورطتهم دول الحلفاء في هذه الحرب، التي كانت تهدف إلى تقسيم تركيا بينها، وإلغائها من الخريطة نهائيا، وقد اعترف وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك بأن (حكومته غير مسئولة بأي شكل من الأشكال عن الأوضاع القائمة، فالولايات المتحدة لم تشترك في مكائد دبرت في القسطنطينية، وليست مسئولة عن الكارثة التي حلت بالجيوش اليونانية، إن دبلوماسية أوربا خلال تلك المدة هي المسئولة عن الكارثة)[427].

وقد واصلت قوات المقاومة التركية تقدمها بعد القضاء على الجيش اليوناني نحو اسطنبول وقوات الحلفاء التي تحتلها، وقد دعت بريطانيا في **1921/9/16**م، إلى عقد مؤتمر للصلح مع تركيا، بشرط توقف تقدم القوات التركية، والقبول بالمفاوضات، وضرورة وقوف أستراليا، ونيوزلندا، وكندا، وجنوب أفريقيا، وغيرها من دول الدمنيون، مع بريطانيا، ضد تقدم القوات التركية، وعبر البيان البريطاني (عن الخوف مما قد يفعله العالم الإسلامي، إذا تبين له أن تركيا الدولة المسلمة الضعيفة نسبيا، تمكنت من إلحاق هزيمة كبيرة بالحلفاء، إذ أن ذلك قد يشجع بقية العالم الإسلامي على التخلص من الحكم الاستعماري)، وقد واجهت القوات التركية الجيش البريطاني في تشنق، واضطر الحلفاء الذين أدركوا خطورة الموقف للتفاوض مع مصطفى، الذي اشترط لقبول المفاوضات تنفيذ ما شرطه

---

[427] ولادة الشرق **607- 615** .

الميثاق الوطني التركي من انسحاب الحلفاء عن اسطنبول، والدردنيل، وتراقيا الشرقية، أي من كل الأراضي التركية القومية، وهو ما كان يرفضه من قبل رفضا قاطعا رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، وونستل تشرشل الذي صرح قبل ذلك لمجلس الوزراء بأنه(إذا أخذ الأتراك شبه جزيرة غاليبولي والقسطنطينية سنكون قد خسرنا كل ثمار الحرب)، وأكد ذلك رئيس الوزراء بقوله(إننا لن نسمح بأي حال من الأحوال، وتحت أي ظرف أن نسمح للأتراك بالاستيلاء على غاليبولي، إنها أهم موقع استراتيجي في العالم، ويجب أن نقاتلهم لنمنعهم من ذلك)[428].

لقد صرح ستانلي بولدوين أحد أعضاء الحكومة من حزب المحافظين في بريطانيا بأن جورج لويد (كان طوال الوقت يتجه إلى الحرب، وقد خطط لجعل بريطانيا تخوض الحرب مع تركيا، لكي تكون حربا مسيحية ضد المسلمين)[429].

وإذا كان من العرب من وقف مع الحملة الصليبية وساهم في هزيمة الدولة العثمانية، فقد كان منهم من ساهم في تحرير تركيا بعد سقوط اسطنبول تحت الاحتلال وكان من أبرزهم الزعيم الليبي العظيم السيد أحمد الإدريسي الذي كان يواجه في ليبيا ثلاثة حروب مع الإيطاليين في الشمال والبريطانيين في الشرق والفرنسيين في الجنوب الغربي مما حداه إلى السفر إلى السفر إلى اسطنبول سنة **1917**م لطلب المدد فما إن سقطت تركيا تحت الاحتلال سنة **1918**م حتى توجه إلى الأناضول واستخدم نفوذه الديني والروحي في إشعال جذوة الحمية الدينية والغيرة العثمانية التركية للجهاد في سبيل الله (وأخذ يتنقل بين مدن الأناضول وقراه داعيا الناس إلى مؤازرة الغازي مصطفى كمال، وأسهمت جهود إمام السنوسية بالإضافة إلى اسمه المجيد بقسط وافر لا يقاس بنجاح الحركة الكمالية بين فلاحي الأناضول الذين لم تكن الكلمات القومية تعني شيئا بالنسبة إليهم

---

[428] ولادة الشرق **616** .

[429] ولادة الشرق **621**.

والذين كانوا طوال أجيال يعتبرون شرفا لهم أن يهبوا حياتهم في سبيل الإسلام)[430].

وإذا كانت الروح الصليبية هي التي أيقظت أوربا الممزقة من سباتها وكانت وراء وعيها بذاتها ووحدتها الثقافية ومن ثم السياسية والعسكرية التي فاجأت العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى، فإن فقد الروح الإسلامية وضعفها كان السبب في تشظي دولة الخلافة العثمانية الواحدة بسبب النعرات القومية التركية والعربية التي تشظت هي أيضا إلى نعرات وطنية أشد خطرا وأبلغ أثرا في ضعف العرب، في الوقت الذي ما زالت الروح الصليبية وراء استمرار وجود جيوش الحلفاء وحلف الناتو إلى اليوم للسيطرة على العالم الإسلامي والعربي(إن خيال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا)[431].

---

[430] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) للمستشرق المسلم محمد أسد ص **277** ط**8** سنة **1994** دار العلم للملايين ــ بيروت.

[431] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص **18**.

(17)

(الثورات العربية ضد الاحتلال الصليبي ومؤتمر القاهرة سنة 1920م وتأسيس دويلات الطوائف)

الثورات الشعبية العربية والإسلامية بعد الحرب الصليبية:

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، وسقوط العالم العربي والإسلامي تحت الاحتلال الصليبي الغربي، ثارت الشعوب العربية والإسلامية ضد الاستعمار، فقام الشعب المصري بثورته سنة 1919م، بعد أربعين سنة من سقوط مصر تحت الحماية البريطانية سنة 1882م، كما ثار الشعب الأفغاني سنة 1919م، بعد 12 سنة من جعله محمية بريطانية سنة 1907م، وثار الشعب العراقي ثورة العشرين سنة 1920م، ضد الاحتلال البريطاني، الذي احتل البصرة سنة 1914م، وبغداد سنة 1917م، حيث هبت القبائل العراقية التي تشكل خمسة وسبعين بالمائة من سكان العراق ضد الاستعمار البريطاني، وتم إعلان الجهاد ضد بريطانيا في بغداد وكربلاء، وعمت الثورة مدن العراق وعشائره، كما ثار الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1920م، وكذا ثار الشعب الفلسطيني ضد بريطانيا، وضد حركة الاستيطان اليهودية، وقد اضطرت بريطانيا لمواجهة كل هذه الثورات بكل دموية وعنف، وكانت معاملة بريطانيا للشعوب العربية لتي وعدت بتحريرها من الدولة العثمانية أسوء وأشد ظلما، بشهادة رجالها، كما قال لورنس في مقاله في صحيفة صاندي تايمز حيث جاء فيه:

(حكومتنا أسوء من النظام التركي البائد، إنها تبقي على أربعة عشر ألف مجند محلي، وتقتل 200 عربي سنويا، من أجل المحافظة على الهدوء، إننا نحتفظ بتسعين ألف رجل مع طائرات وسيارات مصفحة، وقطارات، لقد قتلنا في انتفاضة هذا

الصيف سنة **1920**م، نحو عشرة آلاف عربي، وليس في مقدورنا أن نحافظ على هذا المعدل إنه بلد فقير، قليل الكثافة السكانية)[432].

وهذا ما أكده جون غلوب بقوله (باشرت بريطانيا فور احتلالها للعراق إلى جني الثمار التي استهدفتها من وراء ذلك الاحتلال، ألا وهي الضرائب من الشعب العراقي، والتسلط عليه بالقوة، والمبادرة باستغلال ثرواته الطبيعية، وعلى الأخص النفطية منها، ففي الوقت الذي كان فيه الجيش البريطاني يزحف إلى الشرق والغرب والشمال لإكمال احتلال الأراضي العراقية، كانت فرق الجيولوجيين تسير مع الجيش لزاحف للتنقيب عن النفط في كل بقعة من بقاع العراق التي احتلها الجيش البريطاني)[433].

لقد حاول البريطانيون تحميل مسئولية هذه الثورات جهات خارجية، بينما كانت الحقيقة أن بريطانيا نفسها هي وراء هذه الثورات (ففي منطقة اشتهر سكانها بكرههم للأجانب، وفي عالم الأغلبية فيه من المسلمين، كان لبلد أجنبي مسيحي أن يتوقع مجابهة الأعداء، إذا حاول أن يفرض حكمه على المنطقة، إن ما واجهته بريطانيا من ثورات منفصلة، لم تكن موجهة من الأجانب، بل كانت موجهة ضد الأجانب)[434].

لقد كانت استراتيجية تشرشل – الذي أصبح وزيرا لشئون المستعمرات في مطلع سنة **1921**م – تقوم على أساس(قمع ثورة أهل البلاد، وأن تحكم رعاياها العرب بالإكراه، لا بالإقناع، وكانت هذه الإستراتيجية صدى لتجاربه في حملة

[432]ولادة الشرق **559** ، تأمل فيما تقوم به اليوم قوات الحلفاء الصليبية والطيران والجيش الأمريكي ضد الشعب العراقي والمدن التي ترفض وجوده حتى بلغ عدد القتلى من المدنيين أكثر من مليون قتيل، وأربعة ملايين مهجر، كل ذلك تحت شعار تحرير العراق وإقامة الديمقراطية!

[433]مذكرات هنري جلوب المشهور بغلوب باشا ص **103**.

[434]ولادة الشرق **526** ، وانظر كيف يوصف العراقيون ومن يقاومون الاحتلال الأمريكي في العراق – وعلى لسان الحكومة العميلة – بأنهم أجانب إرهابيون بينما يوصف الغزاة المحتلون الصليبيون بالقوات الحليفة والصديقة!

كيتشنر في السودان، ولسهولة إخضاع الأسلحة الأوربية الحديثة سكانا محليين مسلحين فقط بأسلحة تقليدية)[435].

لقد انسحبت الولايات المتحدة من ائتلاف الحلفاء فيما بين عام **1919**و **1920**م ورفضت الولايات المتحدة اتفاقيات الصلح بين الحلفاء وتركيا، ورفضت معاهدة فرساي، وكذا رفضت الدخول في عصبة الأمم بعد الحرب، وأصرت على مراعاة مصالحها في المنطقة، وأهم المصالح التي شددت عليها - بالإضافة إلى حماية الكليات والأنشطة الإرسالية التبشيرية المسيحية البروتستانتية - (مصالح شركات النفط الأمريكية، تلك المصالح التي قادت الولايات المتحدة إلى التصادم مع بريطانيا، لقد كانت مختلف الترتيبات التي جرى التفاوض بشأنها بين بريطانيا وفرنسا في زمن الحرب، لاقتسام ثروة النفط في الشرق الأوسط بعد الحرب قد ظلت سرية، وفي مؤتمر سان ريمو في إبريل سنة **1920**م، عقدت بريطانيا وفرنسا صفقة نفط سرية نهائية اتفقتا بموجبها على احتكار كامل الإنتاج المستقبلي من نفط الشرق الأوسط فيما بينهما، وقد اعتبرت الولايات المتحدة اتفاق سان ريمو ليس مؤذيا فقط لشركة أو شركات، بل مؤذيا لمصالح الولايات المتحدة كدولة، وبدأ ينبثق حل للنزاع بين بريطانيا وأمريكا في صيف **1920** عندما أشار مهندسون جيولوجيون على الحكومة البريطانية بأن إمكانات النفط في العراق أغنى مما هو معتقد، وهي ضخمة إلى حد أن بريطانيا تفتقر إلى رأس المال اللازم لتطويرها بنفسها، ولذلك لا بد من الاستعانة بالمشاركة الأمريكية)[436].

---

[435] ولادة الشرق **564** ، وهذا الذي يفسر الإصرار الغربي الصليبي على حرمان العالم الإسلامي من أي مصدر قوة، ومن القدرة على التصنيع العسكري، ومحاصرته ومنعه من أن يمتلك تكلونوجيا المعلومات والصناعات العسكرية والطاقة النووية ليظل تحت السيطرة الصليبية.

[436] ولادة الشرق **598-601** .وهو ما يفسر عودة التحالف الأمريكي البريطاني لاحتلال العراق مؤخرا للسيطرة على ثرواته النفطية بعد أن ثبت بأن العالم سيحتاج إلى نفط الخليج العربي بشكل كامل بعد ربع قرن!

لقد كتب بعض المهندسين الجيولوجيين الأمريكيين عن النفط في العراق (إنه أكبر إمكانيات نفط متبقية في العالم، وإن الفطيرة كبيرة جدا، إلى حد أنه ينبغي عمل أي شيء، من أجل أن تنال الحقوق التي هي قطعا حقوق المواطنين الأمريكيين)[437].

لقد نكث الإنجليز بوعودهم التي قطعوها للعرب وللشريف حسين أمير مكة بإقامة (الولايات العربية المتحدة)، التي كان يطمح الشريف إلى تأسيسها ورئاستها، والتي تضم الجزيرة العربية والعراق والشام، أي القسم العربي الأسيوي من الدولة العثمانية بعد سقوطها وتقاسم الحلفاء أقاليمها، وقد أدرك البريطانيون خطورة تنفيذ مثل هذا المشروع الذي ثار الشريف حسين على الدولة العثمانية من أجل تحقيقه، إذ لم يكن هدف الحلفاء تحرير العرب من الأتراك، بل تحطيم الخلافة والدولة الإسلامية التي تمثل الوحدة لشعوب العالم الإسلامي، والسيطرة على أقاليمها الغنية بالثروات الطبيعية، وبالنفط الذي تم اكتشافه مطلع القرن العشرين، وقبل قيام الحرب العالمية الأولى.

وقد رأت بريطانيا أن تستعيض عن مشروع الوحدة (المملكة العربية المتحدة) الذي وعدت الشريف حسين به، بمشروع التجزئة (المملكة العربية السعودية)، وبمشرعها الجديد للشرق الأوسط الذي أقام دويلات الطوائف على النحو الحالي بعد مؤتمر القاهرة سنة **1920**م، بعد أن أدركت خطورة قيام دولة عربية موحدة في الجزيرة والشام والعراق!

[437] ولادة الشرق **599**.

مؤتمر القاهرة سنة 1920 وتأسيس دويلات الطوائف العربية:

ما إن سقطت الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بعد انتهاء الحرب الصليبية العالمية عليها سنة 1918م، وما إن انفرط عقد سلطانها عن أقاليمها التابعة لها، حتى انتشرت بترتيبات بريطانية كيانات سياسية كثيرة على أرض الجزيرة العربية، بعضها يمثل ميناء، وبعضها مدينة، وبعضها جزيرة، وبعضها إقليما، فظهر في وسطها إمارة نجد ويحكمها ابن سعود، وفي شمالها إمارة حائل ويحكمها ابن رشيد، وإمارة الجوف ويحكمها ابن شعلان، وفي جنوبها إمارة عسير ويحكمها الإدريسي، وإمارة أبها ويحكمها آل عائض، وفي غربها مملكة الحجاز ويحكمها الشريف، وفي شرقها إمارة الكويت ويحكمها ابن صباح، والبحرين ويحكمها آل خليفة، وقطر ويحكمها ابن ثاني، وشيوخ ساحل عمان المهادن الستة، ومسقط ويحكمها آل سعيد، واليمن في الجنوب ويحكمها آل حميد الدين، كما كانت هناك مشيخات المكلا والشحر وظفار وعمان، وكان أكثرها قد ارتبط قبل الحرب العالمية أو أثنائها أو بعدها بمعاهدات حماية مع بريطانيا[438].

وقد جعلت بريطانيا من هذه الكيانات السياسية دولا، مع أنها لا تمتلك مقومات الدول، ولا الأسس التي تقوم عليها الدول، إذ لا تعبر عن كيانات قومية، فكل سكانها عرب أقحاح من قومية واحدة، كما لا تمثل كيانات دينية إذ كل سكانها مسلمون، كما لا توجد حدود طبيعية تفصل بينها، فكلها منطقة جغرافية واحدة، فقامت بريطانيا بتقسيمها وفق مخطط صليبي يخدم مصالحها فكانت ولادة دويلات الطوائف الصليبية بعد مؤتمر القاهرة ولادة قهرية قسرية تجاوزت كل الشروط الموضوعية الجغرافية والسياسية والتاريخية لقيام الدول!

1- ظهور دولة العراق والمملكة الأردنية الهاشمية:

لقد عقد تشرشل مؤتمرا في القاهرة بتاريخ 1921/3/12م، وتم عقد خمسين جلسة في المؤتمر، الذي حضره خمسون مسئولا بريطانيا، لمناقشة وضع المستعمرات، وقد رشحت حكومة الهند البريطانية ابن سعود أو أحد أبنائه

---

[438] عبد العزيز وبريطانيا ص119.

ليحكم العراق، وقد اعترض تشرشل على هذا الاختياروقرر المؤتمر تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق (مع بذل كل جهد لجعل العرض يبدوا وكأنه جاء من السكان أهل البلاد، وليس من بريطانيا، ومن أجل المحافظة على وجود بريطاني في البلاد)[439].[440]

وتم تقسيم أرض فلسطين إلى شرقية وغربية، وذلك بأن يكون غربي النهر وطنا قوميا لليهود، كما تم اختيار عبد الله بن الحسين ملكا على منطقة شرق نهر الأردن، بشرط أن لا يساعد الشعب السوري على مواجهة الفرنسيين الذين يحتلون سوريا، وأن(يساعد على ضبط الحركات المعادية لفرنسا والصهيونية)، كما يرى تشرشل، كما أنه(يصلح وكيلا مثاليا لبريطانيا في المنطقة، لأنه شخص لا يتمتع بسلطة كبيرة، وليس من أهل شرق الأردن، ولكنه يعتمد على حكومة بريطانيا في الاحتفاظ بمنصبه) على حد قول توماس لورنس.[441]

كما تم في هذا المؤتمر رفع الدعم المالي لحليف بريطانيا في نجد ابن سعود إلى مائة ألف جنيه سنويا، من أجل إرضائه حيث تم تنصيب خصومه الهاشميين في

---

[439] ولادة الشرق 565- 572.

[440] تماما كما بدت الانتخابات العراقية على الدستور ثم على الجمعية الوطنية سنة 2006م فلا تحتاج لإضفاء الشرعية على الحملة الصليبية إلا إلى انتخابات برلمانية صورية مزورة، وفتوى دينية من المرجع، فإذا الاحتلال قد صار تحريرا، والعبودية حرية، والتبعية استقلالا، وإذا الأشراف والسادة الهاشميون الجدد من السنة والشيعة قد صاروا زعماء وقادة للعراق الجديد، تحت حراب قوات الاحتلال، وشعارات يا لثارات الحسين، لا من الاحتلال بل الثأر من الشعب العراقي نفسه! في مشهد ساخر يبرأ منه الحسين وآل بيته الأطهار، بعد أن صارت الخيانة سياسة، والعمالة كياسة، وإذا قوات حكومة آل البيت الديمقراطية تحاصر مدن العراق المقاومة للاحتلال مدينة مدينة من الفلوجة إلى كربلاء لتدكها على رؤوس أهلها مع قوات التحالف الصليبي بدعوى مكافحة الإرهاب، فقتل مليون نسمة، وتهجير خمسة ملايين عراقي، ثمن بخس ليعود الحكم والحق إلى آل البيت ليملؤا الأرض عدلا بعد خراب البصرة وبعد تدمير العراق كله، ثم يكون كل هذا الخزي والعار باسم آل البيت الأطهار في عصر غيبة العقل!

[441] ولادة الشرق 565- 572.

العراقوالأردن، وقد اختتم مؤتمر القاهرة أعماله بتاريخ 3/23 وزار تشرشل عبد الله، وكتب في تقريره لمجلس الوزراء البريطاني عنه بأنه كان (معتدلا ووديا، وموقفه من المتظاهرين العرب ضد الصهيونية، موقف صحيح، فهو يؤنب المتظاهرين، ويقول إن البريطانيين أصدقاؤه، وأن بريطانيا ستفي بوعودها للعرب واليهود على حد سواء، وقد وافق عبد الله أن يحكم الأردن ستة أشهر، وأن يتلقى النصح من ضابط بريطاني، مع دعم مالي بريطاني، مع قواعد جوية)، كما كتب تشرشل إلى كورزون (لقد تبين لي أن عبد الله انحاز كليا إلى أسلوبنا في معالجة المشكلة العربية، آمل أن لا يجز أنصاره عنقه)، كما كانت الآمال على فيصل لا تقل عنها في عبد الله، الذي سيتم اختياره ملكا على العراق المولود حديثا(على أن يبدو الأمر وكأن فيصل قد اختير اختيارا حرا وعفويا، من قبل الشعب العراقي، وقد تلقى المسئولون البريطانيون ما يطمئنهم إلى أن فيصل مستعد للتعاون)، وقد طلب لورنس بعد مؤتمر القاهرة، من فيصل أن يتوجه من لندن إلى مكة، ومن هناك يراسل الشخصيات العراقية الكبيرة، ويتظاهر بأن هناك من أصدقائه من يحثه على الذهاب للعراق، وأنه بناء على ذلك سيتوجه للعراق لتقديم خدماته للشعب هناك، وقد تم استقبال فيصل بالنشيد الملكي البريطاني، وتم إجراء انتخابات بريطانية حصل فيها فيصل على 96% من الأصوات، ليصبح أول ملك للعراق بناء على ترشيح لورنس، ضابط الاستخبارات، وتزكية كرزون وزير الخارجية، وقرار تشرشل وزير المستعمرات، ورعاية كوكس المندوب السامي البريطاني في المنطقة، ودعم من ولسون ممثل شركة النفط الإنجلو- فارسية![442]

ولاحظ تكرر المشهد نفسه بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وإجراء الانتخابات تحت حراسة الجيش المحتل، ليفوز بالانتخابات من جاءوا على ظهر الدبابات الصليبية!

وبعد تتويجه ملكا رفض فيصل صيغة الانتداب البريطاني على العراق، تحت ضغط العراقيين الرافضين للانتداب، ووافق على معاهدة بينه وبين بريطانيا، وقد قرر

---

[442] ولادة الشرق 565- 572.

مجلس الوزراء البريطاني الاجتماع للنظر في موضوع فيصل فإما أن يتم عزله، أو تنسحب بريطانيا من العراق، بسبب ضغط الرأي العام البريطاني، وارتفاع تكاليف الوجود البريطاني في المنطقة، غير أن رئيس الوزراء أكد أنه (ضد سياسة الهروب من العراق أو من أي مكان آخر) وقد أشار إلى احتمال اكتشاف احتياطي كبير من النفط في المنطقة(وإذا تركنا البلد، فقد نجد بعد عام أو عامين، أننا سلمنا الفرنسيين والأمريكيين حقلا من أغنى حقول النفط في العالم)[443].

ولاحظ تكرر المشهد نفسه، والجدل الدائر في العراق اليوم حول رحيل أو بقاء قوات الاحتلال، وكيف سينتهي الأمر وفق صيغة جديدة يرتضيها بل يفرضه المحتل، ويصدرها البرلمان، وتنفذها حكومة الاحتلال باسم الشعب العراقي!

وقد رأت بريطانيا بعد ذلك ضرورة الحيلولة دون وحدة العرب في العراق والشام والجزيرة العربية، وضرورة تحديد الحدود بين هذه الكيانات الجديدة المصطنعة في العراق، والأردن، والسعودية، والكويت، حيث تم عقد مؤتمر العقير سنة**1922**م، الذي فرض كوكس فيه على المجتمعين اتفاقية تحديد الحدود بين العراق، والمملكة السعودية، والكويت[444].

وكما نجحت بريطانيا في توظيف بعض الزعماء السياسيين لخدمة مشروعها الاستعماري، فقد نجحت أيضا في توظيف رجال الدين، كما فعلت مع نقيب الأشراف ببغداد السيد عبد الرحمن الكيلاني، ومرجع الشيعة الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي، فقد كان المرجع اليزدي كما تقول مس بيل (يحمل أفكارا تشابه أفكار نقيب بغداد، حيث أنه بالرغم من الضغط الذي تعرض له، إلا أنه رفض أن يدلي بشيء يكون في غير صالح التدخل الأجنبي في العراق، وهذا أقصى ما يؤمل

---

[443] ولادة الشرق **565-572**.

[444] ولادة الشرق **565-572**، وقصة السيطرة البريطانية **403-406**، وعبد العزيز وبريطانيا **148-151**.

من رجل متفرغ للشئون الدينية تمام التفرغ، ولو تخطى هذا الحد لتعرض تأثيره كرئيس ديني للخطر، فتقل بذلك قيمة تأييده الضمني لنا)[445].

هذا في الوقت الذي تصدى علماء آخرون للاحتلال ومخططاته كالسيد يوسف السويدي من علماء السنة، و المرجع الشيعي محمد تقي الحائري الشيرازي حيث أصدر فتواه بتحريم العمل في الوظائف في الإدارة البريطانية، كما أفتى بكفر من يريد تأسيس حكومة غير إسلامية، ودعا إلى خروج المظاهرات السلمية لنيل الاستقلال[446].

[445]فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص **463** ، وانظر إلى ما كتبه بول بريمر حاكم العراق الأمريكي في مذكراته عن تعاون المراجع الدينية معه لتعرف سر مأساة الأمة في زعمائها وعلمائها!

[446]فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص **388** و **441** و**463** .

(عبيد بلا أغلال)

(18)

(الترتيبات البريطانية لإقامة دولة الكويت وتحديد حدودها مع الرياض)

كانت الكويت كميناء، والرياض كمدينة، بلدتين تابعتين لدولة واحدة هي الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى سنة **1914**م - **1918**م، تلك الدولة التي ورثت العالم العربي والإسلامي، وقامت بحمايته، وحافظت على وحدته نحو خمسة قرون تقريبا، حتى جاء المشروع البريطاني والحملة الصليبية على العالم الإسلامي، التي احتلته ثم قسمته إلى دويلات طوائف، وفق مصالحها الاستعمارية، ليبدأ الصراع بين هذه الدويلات على الحدود المصطنعة، التي سيكون لبريطانيا الدور الرئيس في رسمها وتحديدها، بعد أن أخلفت وعدها للشريف حسين بإقامة مشروع الوحدة (المملكة العربية المتحدة) التي تضم الجزيرة العربية والعراق والشام تحت حكم الشريف حسين، وسيكون البديل مشروع التجزئة (العراق، سوريا، الأردن، فلسطين، لبنان، السعودية، اليمن، عمان، الكويت، البحرين، قطر، ساحل عمان)!

وبعد أن فرغت بريطانيا من ترتيب وضع العراق والأردن وفلسطين، وتركت سوريا لفرنسا، بدأت بريطانيا بترتيب إقامة كيانات في الجزيرة العربية تحت حمايتها، ومنفصلة عن بعضها، بما يخدم الوجود الاستعماري البريطاني في المنطقة!

بداية ظهور كيان الكويت :

في أثناء الحرب العالمية الأولى في شهر فبراير **1917**م توفي جابر بن مبارك الصباح، وجاء بعده سالم بن مبارك الذي كان أكثر منه ميلا للدولة العثمانية، وأكثر تدينا، على خلاف حال أبيه مبارك، فقد (كان سالم متعصبا للإسلام، وكان يعتقد أن سياسة والده الموالية لبريطانيا موجهة ضد بلد إسلاميهو تركيا، في سبيل تأييد إنجلترا البلد الكافر، وفي تأييده للعثمانيين سمح الشيخ سالم للإمدادات أن تمر من الكويت عبر الصحراء إلى الأتراك في دمشق، وقد تلقى تحذيرا من الحكومة البريطانية بأنها ستسحب اعترافها بالكويت كمشيخة مستقلة تحت الحماية البريطانية، كما قامت بخطوة أخرى، وهي محاصرة الكويت اعتبارا من فبراير سنة **1918** إلى أن انتهت الحرب في ذلك العام)[447].

لقد كان سالم الصباح أكثر تساهلا مع قبيلة العجمان، التي كانت تشن غاراتها من جنوب العراق على قبائل ابن سعود عابرة أرضي الكويت، وبتواطئ مع قبيلة العوازم، التي بدأ ابن سعود يأخذ منها الزكاة مدعيا أنها من قبائله، مع وجودها في المنطقة الممتدة ما بين الكويت والإحساء – إذ لم تكن هناك آنذاك حدود، ولم تقم دول أصلا في المنطقة – وهو ما أجج حالة التوتر بين سالم وابن سعود – المشغول في المهمة البريطانية لتحييد حائل والهجوم عليها – وقد دفع ذلك سالم للتحالف مع العجمان، ليستعين بهم على حماية الكويت من جهة الجنوب، بعد تفاقم الأزمة بينه وبين ابن سعود، مما جعل بريطانيا تتدخل لحسم الموضوع[448].

وقد أرسلت الحكومة البريطانية في نوفمبر **1917/11**الكابتن هاملتون الوكيل السياسي في الكويت إلى ابن سعود، ثم بعثت بعده جون فيلبي الذي اقترح لحل المشكلة ضم الكويت إلى ابن سعود الحليف الأقوى لبريطانيا في المنطقة – بعد أن كان مبارك هو حليف بريطانيا، الذي كان يسيطر على حركة ابن سعود ويوجهها وفق المشروع البريطاني – فقد قلبت بريطانيا ظهر المجن للكويت، بعد أن تضاءل دورها وأثرها في خدمة المشروع البريطاني، أمام أثر ابن سعود ودوره

---

[447]الكويت رؤية سياسية لحسن الإبراهيم **66**.

[448]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **197**. وقد تحولت هذه القبائل اليوم من سكان أصليين تلجأ إليهم مشيخات المدن لحماية مدنها وتوسيع نفوذها من خلال تحالفها مع تلك القبائل، إلى عنصر دخيل على أرضه في ظل الدولة الحديثة!

الذي بات يستحق أن تكون الكويت تحت سيطرته، وميناء من موانئ دولته، كما اقترح ذلك جون فلبي في رسالة رسمية لحكومته، التي أجلت النظر في الموضوع[449].

وقد أدرك سالم خطورة الوقوف أمام المشروع البريطاني الذي قد يفضي بضم الكويت إلى عدوه، وقبل سالم التفاهم مع ابن سعود، الحليف الرئيسي لبريطانيا بعد مبارك الصباح، وبدأ سالم بالتفاوض في شأن العجمان الذين أصر ابن سعود على جلائهم من الكويت، فقررت بريطانيا وضعهم تحت حمايتها إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية لمدة سنة، بشرط أن يخرجوا من الكويت، وأن لا يدخلوها في المستقبل، ولا يتزودون بالمؤن منها، وأن يستقروا في جنوب الزبير، على أن تقوم بريطانيا بإجراء مرتبات لشيوخهم بعد توقيعهم اتفاقية معاهدة مع بريطانيا بهذا الخصوص، ولا تشمل الاتفاقية العجمان الذين يشتغلون في الغوص في الكويت، ومن كان منهم من أهل مدينة الكويت أصلا[450].

المخطط البريطاني للسيطرة على القبائل وإخضاعها لحلفائها:

ولم تحل تلك الاتفاقية بين العجمان واستمرار هجماتهم على أراضي ابن سعود الذي ما زال يحاول فتح حائل، ففي شهر **1917/7**م تحالفت قبائل من شمر مع العجمان على شن الغارات، وكانت بتواطئ من قبيلة العوازم، لتنفيذ هذه الهجمات عبر أراضي الكويت، مما أثار الأزمة مجددا بين سالم وابن سعود، وقد اقترح جون فيلبي ممثل بريطانيا في الرياض على رؤسائه في بغداد – بعد احتلال بريطانيا لها – أن يتم محاصرة قبيلة أسلم الشمرية وقبيلة العجمان، وأن يتم منعهم من التزود بالمؤن من الأسواق التي تحت سلطة بريطانيا، كما اقترح توجيه إنذارا لسالم الصباح بخلعه من الإمارة إذا لم يلتزم بأوامر بريطانيا بهذا الخصوص[451].

---

[449]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **200** .

[450]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **202**، وتاريخ الكويت للرشيد **238**، وخزعل **207/4**.

[451]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **204** .

وقد قامت بريطانيا بأخذ تعهد على قبيلة العجمان وقبيلة شمر، وأخذت منهم رهائن للالتزام بالتعهد، واعتبرت أن كل من يخالف التعهد عدوا لبريطانيا وابن سعود، كما أمرت بريطانيا الكويت باحتلال آبار الجهراء والآبار الأخرى قربمدينة الكويت، وأمرت ابن سعود باحتلال آبار الحفر، والقوات البريطانية باحتلال آبار صفوان[452].

وهذا دليل على عدم تبعية تلك الأراضي آنذاك للكويت أو للرياض، وأنها كانت خاضعة للقبائل التي تتبع تلك الآبار مناطق نفوذها، ولهذا طلبت بريطانيا من حلفائها احتلال تلك الآبار!

وكان الهدف هو محاصرة هذه القبائل ومنعها من الوصول إلى موارد المياه، وهي الآبار التي طالما تزودت منها هذه القبائل منذ مئات السنين!

وكانت هذه إحدى الخطوات التي اتبعتها بريطانيا لتدجين القبائل العربية وترويضها لسلطة حلفائها في المنطقة، ليسهل لها السيطرة عليها بعد ذلك وهو ما تحقق بالفعل.

كما استخدمت بريطانيا أسلوبا آخر في ترويض القبائل حيث قامت باقتراح من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت هاملتن بعد محادثات أجراه مع ابن سعود في الرياض في نوفمبر **1917**م من أجل تعزيز نفوذ ابن سعود بتحويل صرف(كل المخصصات المالية التي تقدمها بريطانيا – بعد سقوط الدولة العثمانية – لقبائل وسط الجزيرة العربية ومن ضمنها قبائل عنزة وعتيبة ومطير وسبيع وبني هاجر وقحطان والدواسر والمناصير والمرة وبني عبد الله من مطير والسهول والعجمان وشمر والظفير، ودفعها من خلال ابن سعود، واعتماد مقيم سياسي بريطاني لديه)[453].

---

[452] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **206**، وهذا يؤكد أنه لم تكن الجهراء من الكويت آنذاك، ولا تحت سيطرة سالم، إلا بعد أن أمرت بريطانيا سالما باحتلال آبارها والسيطرة عليها، لمنع ابن رشيد من العودة إليها بعد أن سيطر عليها عدة أشهر وحاصر الكويت منها قبيل ذلك.

[453] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية **670/3** .

فقد أصبحت القبائل – التي كانت تستلم مخصصاتها من الدولة العثمانية مباشرة سابقا، ثم من بريطانيا بعد احتلالها للمنطقة – تحت رحمة ابن سعود بعد أن صار دفع مخصصاتها المالية عن طريقه لاخضاعها لنفوذه وسلطته.

وقد نجحت الخطة البريطانية في محاصرة هذه القبائل حيث وافق العجمان على الرجوع إلى أراضيهم ودخولهم تحت سلطة ابن سعود، كما انخرط العوازم في حركة الإخوان الوهابية، وهو ما دفع سالم إلى البحث عن حلفاء آخرين فاستمال بعض قبائل مطير للوقوف في صفه[454].

وقد نصت الاتفاقية العثمانية البريطانية لسنة **1913**م التي بموجبها تم تحديد مناطق النفوذ بينهما في مادتها السابعة على أن حدود الكويت مع نجد تبدأ من حفر الباطن مرورا بآبار اللصافة واللهابة والقرعة شرقا، والتي هي أراضي لقبيلة مطير، فكانت تمثل حاجزا قبليا بين سالم وابن سعود، مما حدا سالم إلى التحالف معها ضد خطر ابن سعود.

ولم يتم توقيع تلك الاتفاقية بين بريطانيا والدولة العثمانية بشكل نهائي، حيث قامت الحرب العالمية الأولى بينهما مما أبطل مفعول الاتفاقية، وقد وقعت بريطانيا مع ابن سعود معاهدة في ديسمبر **1915**م – بعد أن ضمنت دخوله تحت حمايتها – نصت في المادة السادسة منها على أن حدود أراضيه سيتم تحديدها مع جيرانه فيما بعد، مما يؤكد أن بريطانيا لم تعترف بالحدود التي أشارت إليها اتفاقية سنة **1913**م غير الموقعة[455].

خاصة أن تلك الحدود التي تضم الصمان إلى الكويت تم ادعاؤها من طرف مبارك بإيعاز من بريطانيا، لتحصل بريطانيا بموجبها على أكبر مساحة من الصحراء لحميتها الكويت من الدولة العثمانية التي كانت تعيش أضعف مراحل تاريخها في تلك الفترة، إذ لم تكن سلطة شيخ الكويت قبل ذلك تتجاوز حدود أسوار

[454] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **207** .

[455] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **214** .

المدينة، حتى بدأ المشروع الاستعماري البريطاني في المنطقة، والذي اتخذ مبارك وسيلة لتحقيق أهدافه، فكان أول شيخ يتطلع إلى الصحراء غربا.

وقد تزوج مبارك الصباح لتعزيز نفوذه غربا ابنة فهد الأصقه الدويش وأسكنها الجهراء[456].

وكما يقول لوريمرفقد جعل مبارك الصباح(من نفسه حليفا لقبيلة مطير وذلك بالزواج منهم، ومطير لهم شأنهم في نجد، ويعسكرون في الصمان، أو عند رأس خليج الكويت في الصيف)[457]، وحيث (يقطن جزء من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم)[458].

فقد كان هدف مبارك واضحا من توطيد علاقته بقبيلة مطير عن طريق التحالف والمصاهرة، إذ تسيطر القبيلة على الصحراء غربا، حيث تمتد الصمان العاصمة الصحراوية للقبيلة، لتشكل بذلك حاجزا قبليا بين كل من الكويت وحائل والرياض، وقد حاول كل من أرد توسيع نفوذ مدينته من شيوخ وأمراء هذه المدن الثلاث كسب القبيلة إلى صفه كما يقول لوريمر(ففي عام **1878**م كانت علاقة قبيلة مطير مع ابن رشيد ودية، ولم يكونوا تابعين له في يوم من الأيام، وفي الصراع الطويل الذي نشب بين الأمراء الشمريين والوهابيين انضم رجال مطير إلى الدولة الجنوبية وشاطروها النصر النهائي، وقد أدى التحالف بين ابن سعود وشيخ الكويت أثناء الحرب إلى قيام علاقات أوثق، وكان شيخ الكويت يقوم بترتيب مع ابن سعود وبالنيابة عن ابن سعود بجمع الزكاة من القبيلة التي تعيش ضمن أراضيه، وبعد جمع الزكاة يقوم المزكي بدفع جزء منها للشيوخ الرئيسيين للقبيلة، ويحمل الباقي لشيخ الكويت، وهناك علاقة مصاهرة بين الكويت وقبيلة مطير، ورجال القبيلة مسلحون جيدا بالبنادق كما يليق بحليف للكويت)[459].

---

[456] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي **4/1633**و**3/1108** .

[457] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي **4/1343** .

[458] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي **4/1341** .

[459] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي **4/1627** .

وقد أدى تنافس المدن الثلاث على كسب ود قبيلة مطير إلى انقسام القبيلة بين حلفائها كما قال لوريمر (وأثناء الصراع الأخير للسيطرة على أواسط الجزيرة العربية، أيد بنوعبد الله – من مطير – ابن رشيد، بينما وقفت أغلب القبيلة مع ابن سعود، حتى تمت هزيمة ابن رشيد نهائيا فعاد بنوعبد الله إلى هيكل القبيلة العام)[460].

لقد أراد سالم الصباح أن يقوم من خلال تحالفه مع بعض قبائل مطير بتأمين حدوده غربا، كما فعل والده من قبل، غير أن بريطانيا – وبعد أن وصلت إلى وسط الجزيرة العربية عن طريق ابن سعود الذي أصبح تحت حمايتها رسميا – لم تعد في حاجة خدمات شيخ الكويت، الذي لا يستطيع منافسة حليفها الجديد، فأصبحت بريطانيا تراهن على ابن سعود في ترسيخ أقدامها في الجزيرة العربية، بعد أن أثبت لها مدى إخلاصه وتعاطفه معها في الحرب العالمية الأولى.

الحصار البريطاني للكويت:

وقد ازدادت علاقة سالم الصباح سوء ببريطانيا بعدما ثبت لها عجزه عن قطع طرق الإمداد إلى الجيش العثماني في الشام التي تصل من طريق الكويت، وحيث يبدي سالم تعاطفا مع الدولة العثمانية التي تتعرض جيوشها في دمشق وفلسطين للحصار الاقتصادي البريطاني، وقد فرضت بريطانيا حصارا اقتصاديا على الكويت، وفرضت مراقبة صارمة على كل ما يرد على الكويت أو يخرج منها، وحددت في أواخر سنة **1917**م للقبائل أسواقا خاصة هي الزبير والكويت والخميسية للتزود منها بالمؤن، وجعلت عليها مراقبين بريطانيين مهمتهم فرز القبائل المؤيدة لبريطانيا من المعادية لها، ويتم تزويد القبائل المؤيدة بالرخصة للشراء من هذه الأسواق، وتحرم القبائل المعادية من هذا الحق، خشية أن تهرب

[460] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي **1633/4**و**1108/3** . والهزيمة النهائية التي يعنيها لوريمر هي معركة الرويضة بين ابن سعود وعبد العزيز بن متعب الرشيد في **1906/4/11**م، والتي قتل فيها ابن رشيد وخلفه ابنه متعب على إمارة حائل، كما يقول لوريمر في دليل الخليج القسم التاريخي **1738/3** .

هذه القبائل المؤن لحائل أو الشام، والتي ما زالت تحت الحصار البريطاني من أجل احتلالها في المستقبل[461].

وقد حرص ابن سعود بريطانيا على محاصرة الكويت ومراقبتـــها للحيلولـــة دون خروج أي قافلة للدولة العثمانية ومن يقف معها، وأنه على بريطانيا أن تقضـــي على المشكلة في مهدها في الكويت، وقد فرضت بريطانيا حصارا بحريا وبريا على الكويت وهددت سالم المبارك باحتلال الكويـــت عســـكريا، ومنعـــت أن يصـــل الكويت من الهند شيء من المؤن أكثر من حاجة المدينة وحاجة قبائلها المجـــاورة لها، والموالية لبريطانيا، واستمر الحصار على الكويت إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر **1918**م[462].

الاتفاق البريطاني مع قبيلة عنزة:

وفي الوقت الذي تم فيه فرض الحصار البريطاني على الأسواق الرئيســـة – الـــتي ترتادها القبائل في الجزيرة العربية والعراق والشام – لقطع الطريق على القوافل التي تزود الجيش العثماني والمناطق العربية التي لا تزال موالية للدولة العثمانيـــة بالمؤون، قامت بريطانيا بدفع الأموال والمؤن لشيوخ القبائل الذين تعاونوا معها، كما فعلت مع شيخ شيوخ قبيلة عنزة فهد الهذال الذي خصصت لـــه بريطانيـــا منحة مالية وتعهد بالمحافظة على السلم ومنع مرور البضائع عبر البادية، ومع أن خطر المجاعة لم تستثن منه البادية، غير أن عشيرة فهد تسلمت كميات كبيرة مـــن الحبوب والتمور بشكل منتظم، فكانت الجموع الجائعة تعبر البادية ملتجئـــة إلى فهد، وكما قالت المس بيل :

(وما حل كانون الثاني حتى كان مائة ألف بدوي – من قبيلة عـــنزة وحـــدها – يخيمون على مقربة من فهد، وادعين سهلي الانقيـــاد، مثـــل ســـلالات كلابهـــم،

---

[461] العلاقات بين الكويت ونجد **208**، وتاريخ الكويت للرشيد **238**، وخزعل **107/4** .

[462] العلاقات بين الكويت ونجد **210**، وتاريخ الكويت للرشيد **239**، وخزعل **135/4** .

وخيلهم المشهورة، ولم يحدثوا أي اضطراب، بل قبلوا بمنة المؤونة التي زودوا بها، وعندما ملأ العشب ضروع نياقهم في الربيع أخذوا يرجعون إلى ديارهم)[463] .

وبذلك نجحت بريطانيا في ترويض القبائل العربية والسيطرة عليها لصالح مشروعها الاستعماري في المنطقة، ومن أجل إقامة(دويلات الطوائف) على أنقاض الخلافة العثمانية!

معركة حمض بين سالم الصباح وقبيلة مطير:

وفي إبريل سنة **1920**م قام تراحيب بن شقير الدويش وبعض قبيلة مطير ببناء هجرة(قرية) على آبار قرية، التي كانت موطنا منذ القدم لقبيلة مطير[464] .

وقد رأى سالم أن ذلك اعتداء على حدود أراضيه الجنوبية بحسب الاتفاقية الانجلو عثمانية التي لم توقع، فاشتكى إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، كما أمر بمنع قبيلة مطير من دخول مدينة الكويت للتزود بالمؤن ليخضعها لسلطته، وقد عدت قبيلة مطير ذلك المنع بمثابة إعلان حرب عليها، إذ مدينة الكويت هي مصدر تزود القبيلة بالمؤن منذ قديم الزمان – وهو ما أقرت به الحكومة البريطانية التي حملت سالم تبعات مثل هذا المنع[465]– مما حدا القبيلة إلى قطع الطريق بين الكويت ونجد، والإغارة على أطرافها، فأرسل سالم جيشا بقيادة دعيج الصباح وعبد الله الجابر الصباح إلى (قرية)، مما حدا بابن شقير الدويش إلى طلب النجدة من فيصل الدويش القائد الأعلى للأخوان آنذاك الذي بادر – على رأس ألفين من قواته– لمواجهة دعيج الصباح، فاشتبك الجيشان في معركة حمض، وقتل أكثر جيش دعيج الصباح، بعد أن تعرض لهزيمة شنيعة، وكان عدد القتلى في صفوف قوات دعيج كبيرا، ولم ينج دعيج وعبد الله الجابر الصباح من الموت

---

[463]فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص **131**.

[464]العلاقات بين الكويت ونجد **218** .

[465]الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية **319/5** .

والأسر إلا بأعجوبة، وغنمت قبيلة مطير أموله التي تقدر بـــثلاثين ألـــف جنيـــه إسترليني[466].

وقد توجه الدويش بقواته بعد ذلك مباشرة إلى الكويت مما أثار الرعب والهلع في قلوب الناس في القرى المجاورة الذين فروا إلى المدينة، بعد أن بلغتهم أخبار هزيمة دعيج الصباح في حمض، وخبر تقدم الدويش نحو الكويت، وقد أمر سالم بتشـــييد سور الكويت لحمايتها من الهجوم القادم الذي لم يمنع من وقوعه ســـوى حـــرارة الصيف الحارقة، ولم يتحمل سالم نفقات السور، بل بناه أهل المدينة من أمـــوالهم، حيث بنى أهل كل حارة ما يليهم من جوانب السور الذي بلغ طوله نحو خمســـة أميال على شكل نصف دائرة من البحر إلى البحر[467].

اللجنة البريطانية لتحديد الحدود بين الكويت والرياض:

وقد طالب سالم الصباح وابن سعود من بريطانيا التدخل لحل المشكلة، والفصـــل في موضوع الحدود، فأمرت الطرفين بعدم إثارة المشاكل حتى تفرغ من تشـــكيل لجنة بهذا الخصوص، فقد كانت بريطانيا سنة **1920**م تواجه في العـــراق ثـــورة العشرين للشعب العراقي مما أشغلها عن مشاكل محمياتها الخلفية.

وقد نبهت بريطانيا سالم الصباح إلى عدم الاحتجاج في موضوع الحدود بالاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة **1913**م لكونها لم توقع، ولأنه حل محلها المادة السادسة من معاهدة الحماية البريطانية مع ابن سعود لسنة **1915**م، التي أجلت تحديد حدوده مع الكويت إلى المستقبل[468].

---

[466] الكويت وجاراتها لدكسون **256/1**، والعلاقات بين الكويت ونجد **218-222**، وتاريخ الكويـــت للرشيد **248**، وتاريخ الكويت لخزعل **225/4** .

[467] العلاقات بين الكويت ونجد **223**، وتاريخ الكويت للرشيد**250**، وخزعل **226/4** .

[468] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للمسعدون **232** .

وقد أثار سالم الصباح سخط بريطانيا بسبب تعنته في حل مشاكله مع ابن سعود بالطريقة التي تقترحها عليه، حتى بلغ الأمر بأن فكر المسئولون البريطـانيون في بغداد بإمكانية عزل سالم ونصب خليفة له أكثر مرونة منه[469].

الخلاف بين سالم وابن سعود على تبعية قبيلة العوازم:

وقد أرسل ابن سعود رسالة إلى سالم الصباح في يوليو سنة **1920**م جاء فيها:

(لم يكن في الماضي قضية حدود بين أراضينا، فأرضك باقية في الكويت، وأراضي تحت سيطرة القبائل، لقد بدأ مبارك أولا باستيفاء الزكاة من العوازم حين كنـا ضعفاء، وحينما أخضع الإحساء، كان والدك يدفع للدولـة العثمانيـة سـتمائة دولار عن زكاة العوازم)[470].

وقد رضي الطرفان بتوقيع تعهد يلتزمان فيه بقبول التحكيم البريطاني في موضوع الحدود، وقد طالب سالم أن يشمل التحكيم جميع القضايا المختلف عليها ومنـها زكاة قبيلة العوازم التي بدأ ابن سعود بأخذها منهم، والغـزوات الـتي تشـنها القبائل على الكويت، فرد عليه المقيم السياسي في الخليج بقوله :

(إن الزكاة اعتادت القبائل أن تدفعها لمن يوفر لها الحماية، أو لمن يكرهها على الدفع، أو لمن تتوفر له هيبة كافية لجعل القبائل تدفعها لـه دون إكـراه، وأمـا الغزوات والغزوات المضادة فإنها من متطلبات الحياة اليومية في بلاد العرب فليس التحكيم قادرا على إيقافها).[471]

وقد أرسل سالم بتعهد بتاريخ **1920/9/7**م حدد فيه الحدود التي يدعيها كمـا جاءت في اتفاقية سنة **1913**م، ومنها آبار اللهابة واللصافةوالقرعة – وهي تقع في الصمان التابع لقبيلة مطير – وانطاع، حيث العشائر التي تشرب منها وتـرد عليها تختاره هو لا ابن سعود، كما طالب في الملحق الرابع من شروط تعهده أن

---

[469] انظر تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون حاشية ص **233** .

[470] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **358** .

[471] العلاقات بين الكويت ونجد **235-237**، وتاريخ الكويت للرشيد **253**، وخزعل **241/4** .

تعطى قبائل البادية حرية الاختيار في أداء زكاقم لمن يشاءون من الطرفين، علـى أن يتحمل الطرف الذي يستوفي زكاقم مسئولية أعمالهم إلى أن يفارقوه ويؤدوا الزكاة لغيره، وفي حال الاعتداء بين قبائل الطرفين، وفي حال الإخفاق في حلـها، يحال الأمر لبريطانيا ويلتزمان بحكمها، وأن تظل التجارة حرة بين الطرفين[472].

وقد كان هدف سالم – من منح القبائل حرية الاختيار المشـروط في المعاهـدة – فتح المجال له في المستقبل حين تتغير موازين القوى بانضمامها إليه متى ما شاءت، إذ أدرك بأن حدوده هي حدود قبلية لا جغرافية، وأنها تمتـد بامتـداد أراضـي القبائل الراغبة بالانضمام له بدفع زكاقا إليه، وهو ما نجح ابن سعود في تحقيقـه في تلك الفترة.

وقد أكد ابن سعود – في تعهده بالتزام نتائج التحكيم – أن حدود سـالم هـي أسوار مدينة الكويت طبقا لما كان عليه الحال أيام أسلافه، حين كانـت سـلطة شيخ الكويت قاصرة على مدينة الكويت ذاقا فقط على حد ما جاء في رسـالته للمقيم السياسي البريطاني[473].

تحالف سالم الصباح وشمر والعجمان :

ولم تباشر بريطانيا بالفصل بين سالم وابن سعود، بعد تعهد الطرفين خطيا بقبـول نتائج التحكيم البريطاني، فبادر سالم – كما تؤكـد الوثـائق البريطانيـة – إلى تشكيل تحالف ضم قبيلة الأسلم من شمر بقيادة ابن طوالة، التي كانت تسـتوطن شمال الكويت على آبار صفوان، فانتقلت بناء على طلـب سـالم إلى الجهـراء، لتشكل قوة مشتركة بقيادة دعيج الصباح وابن طوالة لحماية الكويت، كما نجح سالم في التحالف مع بعض قبائل العجمان، وكذا نجح في جذب قسم مـن قبيلـة مطير إلى صفه ممن كانوا ضد الدويش، فاستجابوا لطلب سالم وانحازوا إليه ونزلوا الجهراء، كما ضم إلى تحالفه ابن سويط وقبيلة الظفير[474].

---

[472] العلاقات بين الكويت ونجد **235–237**، وتاريخ الكويت للرشيد **253**، وخزعل **241/4** .

[473] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **237** .

[474] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **238** .

الحل البريطاني لمشكلة الكويت وحدودها:

وقد اجتمع برسي كوكس في العقير مع ابن سعود وطرح عليه ابن سعود فكـرة فلبي، التي اقترح فيها ضم الكويت إلى ابن سعود، فلم يرد كوكس عليه جوابـا واضحا، كما اجتمع بعدها كوكس بسالم بتاريخ 9/29/ 1920م، واستطلع رأيه في المشكلة، وقد أصبح كوكس بعد هذه اللقاءات أكثر إدراكـا لمعرفـة أبعـاد الأزمة وكيفية حلها، وقد رأى ضرورة أن يكون لمدينة الكويت مساحة صحراوية خلفية تحميها من الأخطار الخارجية، كما رأى أنه ليس لسالم أن يتشبث باتفاقية سنة 1913م، بين بريطانيا والدولة العثمانية، إذ لم يكن الهدف منها تحديد حدود الكويت، بل مد النفوذ البريطاني على حساب النفوذ العثماني، وتحديـد منطقـة نفوذ كل منهما، وبما أن الدولة العثمانية قد خرجت من المنطقة فلا معنى لتشبث سالم بمثل هذه الاتفاقية، كما توصلت التقارير البريطانيـة إلى ضـرورة وجـود الكويت بمساحة واسعة لتكون حاجزا بين العراق ونجد، كما توصلت إلى أن ابن سعود أقدر من سالم على السيطرة على القبائل الصحراوية، فمن الأفضـل ضـم القبائل في جنوب الكويت إلى ابن سعود، وكذلك أكد المقيم السياسي في الخليج العربي أن بريطانيا وإن كانت تعترف بالحدود التي يدعيها مبارك، إلا أنهـا غـير ملزمة بالاعتراف بتلك الحدود لخلفائه، كما أثار الوكيل السياسي البريطـاني في البحرين موضوع أن بريطانيا غير ملزمة بنص معاهدة الحماية أن تحمي الكويـت من جهة الصحراء، بل توفر لها الحماية البحرية فقط، وهو ما استقر عليـه رأي السلطات البريطانية، إلا أن بريطانيا لن تسمح بالهجوم البري على المدينة من أي طرف ليكتسحها، كما رأى الوكيل السياسي في البحرين بأن وجود ابن سعود – الذي قدم خدمات ومساعدات قيمة لبريطانيا في الحرب ضد الدولة العثمانيـة – على رأس حكومة قوية في نجد سيكون مناسبا لبريطانيا، حيث يصبح جيرانـه في خوف دائم منه، يدفعهم إلى الخضوع لرغبات بريطانيا التي تمليها عليهم، غير أنها لن تسمح له في المقابل بضمها وتوحيدها[475].

---

[475] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للمسعدون 240– 244 .

معركة الجهراء بين سالم الصباح وفيصل الدويش:

وفي **1920/10/7**م تحركت قوات فيصل الدويش زعيم الأخوان التي تقدر بأربعة آلف مقاتل من آبار الوفرة إلى آبار الصبيحية، فتحرك سالم الصباح إلى الجهراء ومعه نحو ثلاثة آلف مقاتل، لمواجهة الهجوم المتوقع، وكان قد استنجد بضاري بن طوله شيخ قبيلة الأسلم من شمر الذي كان معسكرا قرب صفوان شمال الكويت، وطلب منه سالم النزول هو وقبيلته على الجهراء فنزل ضاري عليها، وفي تاريخ **10/10** اشتبك الجيشان في معركة الجهراء، وقد لجأ سالم ومن معه إلى القصر الأحمر بعد تعرضه لهزيمة ساحقة، ودبت الفوضى في القصر وفي القرية، وقد تم التفاوض بين الطرفين، بعد أن علم فيصل ما كان عليه حال أهل القصر(من الضيق والقلق فرق فيصل الدويش لحالهم، وعزم على أن يقترح عليهم شروط الهدنة التي تتلخص بالعودة إلى حظيرة الدين الإسلامي الصحيح، فلم يعارض الشيخ سالم بفتح باب المفاوضة)، وقد جاء في شروطهم أيضا طرد القنصل البريطاني في الكويت[476].

وقد دار حديث في القصر بين سالم الصباح ومبعوث الدويش الشيخ عثمان بن سليمان قال سالم فيه :

(لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون وأمامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعا؟ – يقصد بريطانيا – هيا لنرم الضغائن والأحقاد ونكون يدا واحدة عليه، وهذه فكرة جميلة تدل – كما يقول المؤرخ الرشيد الذي كان مع سالم في القصر وأثناء المفاوضات – على صدق سالم وإخلاصه، ولكن التصريح بها أمام مثل هذا الرجل يدل على السذاجة والبساطة، وقد أكثر سالم القول هناك بما لا أحب ذكره هنا) كما يقول مؤرخ الكويت الرشيد[477].

وهذا يؤكد أن سالم المبارك كان يضمر العداوة لبريطانيا ويرى أنها كانت وراء كل ما كان يتعرض له من حصار وتضييق وحروب بسبب موقفه من الدولة

---

[476] تاريخ الكويت لخزعل **268/4** ، وتاريخ الخليج العربي لزكريا **71/3** .

[477] تاريخ الكويت للرشيد **259** .

العثمانية، كما دعا سالم الدويش إلى الوقوف جميعا صفا واحدا في وجه بريطانيا، التي طالب الدويش في شروطه طرد قنصلها من الكويت، واعتذر سـالم بأنـه لا يستطيع تنفيذ مثل هذا الطلب، وفي الوقت الذي يشترط زعيم الأخوان فيصـل الدويش على سالم الصباح التخلص من النفوذ والوجود البريطاني في الكويت، لم يكنالدويش ومن معه يعلمون بأن ابن سعود هو أيضا كان قد وقع اتفاقية سـرية منذ خمس سنوات في سنة **1915**م أصبح بموجبها تحت الحماية البريطانية بشـكل رسمي!

وبعد الصلح وموافقة سالم على الالتزام بتنفيذ ما اتفق عليه من الشروط ومـن ذلك إزالة المنكرات، رفع الدويش الحصار عن القصر، ورحـل إلى الصـبيحية، وأقام عليها أياما ينتظر مدى التزام سالم بالصلح، وقد أرسل سالم إلى الـدويش برسالة مختصرة عندما وصل الكويت جاء فيها(أعداؤكم أعـدائي وأصـدقاؤكم أصدقائي)، وقد أرسل الدويش برسالة إلى ابن سعود يخبره فيهـا بالصـلح، وأن هدفه من الهجوم على الجهراء كان لمنع سالم من تكرار الاعتداء عليهم كما حدث في حمض[478].

وفي **10/14** أرسل الدويش وفدا – وكان ما يزال على آبـار الصـبيحية – إلى سالم في الكويتليتأكد من الوفاء بما التزمه من الشروط في عهد الصلح، ويـدعوه إلى الانضمام إلى حركة الأخوان، وقد تعلل سالم بالمرض عدة أيام لعله يجد حـلا لهذه المشكلة إذ ما زالت جيوش الدويش قريبة تهدد الكويت، فاضطر إلى طلـب التدخل البريطاني لحمايته، فبادرت إلى إرسال سفينتين حربيتين للمرابطـة أمـام ساحل الكويت، كما أمرت بإرسال بعض الطائرات البريطانية الحربيـة لقصـف مخيمات الدويش ومن معه على الصبيحية، وقد ألقت الطائرات منشورات جـاء فيها على لسان المندوب البريطاني في العراق ما يلي:

(طالما ظلت النزاعات محصورة في الصحراء أو في الجهراء فإننا لسنا مدعوين لفعل أكثر من بذل مساعينا الحميدة من أجل السلام، لكننا حين نجد التهديـد ضـد مدينة الكويت فلن نظل والحال هذه مراقبين، إنهم إذا بذلوا أية محاولة للـهجوم

---

[478] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **260** .

على مدينة الكويت فسيعاملون من قبل السلطات البريطانية على أنهم مجرمي حرب).

وقد قامت السلطة البريطانية بنصب بعض المدافع الرشاشة وإقامة مجموعة من الجنود على السور، وقد عقد سالم وبحضور الوكيل السياسي البريطاني لقاء مع وفد الدويش الذي قرر الرحيل عن الصبيحية في **10/28** بعد أن حملوا سالم مسئولية الإخلال بتنفيذ المعاهدة، كما أرسل المندوب البريطاني في بغداد إلى ابن سعود يأمره بأن تبقى آبار الصبيحية غير محتلة من قبل أي من الطرفين إلى أن يتم حل النزاع، وكذلك اعترف بأن المنطقة المحاطة بالدائرة الحمراء حسب الاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة **1913**م والتي تمتد على شكل نصف دائرة من الخور شمالا إلى ضلع القرين جنوبا أراضي كويتية غير قابلة للنزاع، وأما الدائرة التي بعدها باللون الأخضر، فتعد أرض محايدة لا يحق لأحد احتلال آبارها، وهي التي نصت الاتفاقية على أن تكون قبائلها تابعة لشيخ الكويت لكونهقائمقاما عثمانيا[479].

لقد كان واضحا أن بريطانيا لا تعد الصحراء وقرية الجهراء جزءا من الكويت بحسب المعاهدة التي أبرمتها مع مبارك، وأنه لا يلزمها بناء على ذلك حمايتها والدفاع عنها، وأنها ملزمة فقط بحماية الكويت المدينة فإذا (تعدى الأمر وشملت التهديدات مدينة الكويت والرعايا البريطانيين القاطنين فيها، وتعرضت تأكيدات بريطانيا لشيخ الكويت للخطر، فإن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تبقى مكتوفة الأيدي)[480].

ومما يؤكد ذلك ما جاء في خطاب مبارك الصباح إلى صديقه خزعل شيخ عربستان سنة **1904**وقد ورد فيه(نحن الآن في الجهراء وسنحدر إلى بلدك الكويت).[481]

[479]انظر تفاصيل معركة الجهراء في الكويت وجاراتها لدكسون **1/256-261**، والعلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **260-266و247**، وتاريخ الكويت للرشيد **261**، وتحفة المشتاق ص **418**، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل **276/4**، وتاريخ الخليج العربي**3/71-76** .

[480]الكويت وجاراتها لدكسون **261/1** .

[481]تاريخ الكويت السياسي لخزعل **250/2** .

وهو ما يؤكد أن الكويت هي المدينة فقط، ولم يكن يطلق على صحرائها اسم الكويت إلا بعد سنة **1913** حين كادت بريطانيا أن توقع اتفاقية مع الدولة العثمانية لتحديد حدود برية للكويت، بعد أن اتسع نفوذ مبارك الصباح خلال تنفيذه المشروع البريطاني في المنطقة.

وفي شهر **1920/12**م أغار فيصل الدويش على أطراف الكويت فأغار على ابن عمه ابن ماجد الدويش ومعه قبائل من مطير ظلوا حلفاء لسالم الصباح وبطش بهم، وكانوا على الجهراء، كما أغار أيضا على الظفير حلفاء سالم الصباح وأخذهم، ثم توجه إلى الزبير فهددته السلطات البريطانية بطائراتها، فرجع فيصل الدويش ومر بالجهراء مهددا لها ثانية[482].

وقد أراد الشيخ خزعل شيخ المحمرة في عربستان التوسط بين سالم وابن سعود، فاقترح الأمر على برسي كوكس في العراق، فاقترح عليه كوكس أن يضم الكويت إلى بلده، أو يوافق على ضمها إلى ابن سعود، فرفض خزعل الضم ووافق على السعي في الصلح[483].

---

[482]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **268**، وتاريخ الكويت لخزعل **289/4**.

[483]تاريخ الكويت لخزعل **296/4** .

(عبيد بلا أغلال)

(19)

(بيرسي كوكس وفرض الحدود بين الكويت والسعودية 1921م)

ولم ير كوكس بعد وفاة سالم الصباح في فبراير 1921م ما يدعو إلى حل عاجل لقضية الحدود بين الكويت والرياض، غير أن القتال المتكرر بين قبائل المنطقة بدأت تثير القلاقل خاصة بين نجد والحكومة الهاشمية الوليدة في بغداد على يد بريطانيا، مما دفع بريطانيا إلى طرح قضية تحديد الحدود بين الدول التي اخترعتها بريطانيا وحمتهاوحددت حدودها!

وقد واجهت بريطانيا مشكلة في غاية التعقيد إذ كما يقول الأستاذ السعدون :

(لم تكن عملية رسم الحدود عملية هينة، إذ لم تعرف هذه المنطقة منذ وجودها شيئا اسمه الحدود، فأغلب مساحاتها صحار شاسعة، تقطنها قبائل بادية، السمة الأساسية لحياتها التنقل الحر طلبا للكلأ والمياه، أو الغزو في ديرة قبيلة معادية، إذ لكل قبيلة مراع وآبار خاصة يمكن تمييزها بالخبرة والعرف المتوارث، ولذلك لم يكن معروفا لدى تلك القبائل مفهوم الوطن الذي نعرفه الآن، فانتماؤها إلى هذا الكيان السياسي أو ذاك يتحدد من خلال علاقات الرهبة والرغبة التي تربط مشايخها برئيس الكيان وهي عرضة للتغيير والتبديل بسرعة كبيرة بحيث لا يمكن القول إلا نادرا بأن هذه القبيلة تنتمي إلى هذا الحاكم أو ذاك بصورة مطلقة وفي

كل وقت، وكان من الصعب تقبل أفراد القبيلة فكـرة وضـع حـدود تفصـل الكيانات السياسية عن بعضها دون أن تراعي الواقع القبلي المـوروث، وسـيما وأن تلك الكيانات لم يكن يفصلها عن بعضها معالم طبيعية يمكن تمييزها بسـهولة مثل الجبال أو الأنهار، وقد فطن لذلك الأمر دكسون الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الذي كتب إلى المندوب السامي البريطاني في العراق مقترحا أن يـتم تحديد الحدود بين نجد والكويت على أساس التعرف على القبائل التابعـة لكـل طرف، وتمييز الآبار الخاصة بكل قبيلة، ثم تضم بعد ذلك القبيلة والأراضي الـتي تستخدمها مخيما صيفيا إلى الطرف الذي تدين له بالولاء، وحذر من أن أي محاولة لحل المشكلة على أساس رسم خط للحدود على النمط الأوربي سوف تقـود إلى معارك قبلية متصلة، إذ لن تطيع القبائل أبـدا قـرارا يحرمهـا مـن حقوقهـا القديمة)[484].

لقد كانت حقيقة المشكلة تتمثل في أن المنطقة تمثل إقليما جغرافيا واحدا، تعيش عليه قبائل تعود إلى أصل قومي واحد، وتتحدث لغة واحدة، وتدين بدين واحد، ولها ثقافة وقيم واحدة، وظلت منذ أن وحدها الإسلام تمثل جزء من دولة وكيان سياسي واحد على مر العصور، ولم يجرؤ أي حاكم أو سلطان أن يحـدد حـدودا يفصل فيها بين الشعب العربي المسلم الواحد، على هذه الجزيرة الواحدة، حيـث تنتقل القبائل شمالا وجنوبا طلبا للكلأ منذ ما قبل الإسلام حتى جاء الاسـتعمار البريطاني وخلق هذه الكيانات المصطنعة، لقد كان اقتـراح دكسـون في رسـم

---

[484] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 279- 280 .

ولاحظ كيف أدرك البريطانيون خطورة وأثر تحديد الحدود على وضع القبائل الـذين هـم السـكان الأصليون للصحراء، والتي لم تعرف في تاريخها الجاهلي والإسلامي كله مثل هذه الحدود التي تحرمها من حقوقها الطبيعية والتاريخية حتى قامت دويلات الطوائف البريطانية، التي اسـتعانت ببريطانيـا علـى ترويض القبائل لسلطتها لتستولي على أراضيها باسم الدولة الحديثة، بينما الواقـع هـو أن القبائـل أرغمت على التخلي عن أرضها لا لشعب تصبح هي جزء منه، بل للأسر الحاكمة الحليفة للاسـتعمار التي صارت تتصرف في أراضي القبائل الشاسعة كما يتصرف الإقطـاعي في أرضـه بعـد أن كـان لا يستطيع أحد المرور فيها والعبور إليها ولا الشرب من مياهها إلا بإذن من قبائلها، لتصـبح القبائـل العربية غريبة على أرضها دخيلة عليها في ظل دويلات الطوائف في ظل الحملة الصليبية!

الحدود بحسب الانتماء والامتداد القبلي هو الحل الوحيد، إذ لا يمكن الحل بحسب عامل الجغرافيا، إذ تمثل المنطقة وحدة جغرافية واحدة، ولا بحسب عامل العــرق القومي، إذ كل سكانها عرب أقحاح، ولا بحسب العامل التاريخي، إذ لم يسبق أن قامت كيانات سياسية مستقلة تماما، لها حدودها الخاصة، إلا أن المشــكلة الــتي تواجه اقتراح دكسون هو أن الامتدادات القبلية شاسعة جدا، فقبائل العجمــان والعوازم والهواجر والخوالد تمتد من الكويت إلى الإحساء جنوبا، كما تمتد قبيلة مطير من الكويت والخليج العربي شرقا إلى الصمان، ثم الدهناء، ثم القصــيم، ثم الحجاز، ثم البحر الأحمر غربا، كما تمتد قبيلة المنتفقوالظفير من الكويت جنوبــا، إلى العراق شمالا، وكذا تمتد قبيلة شمر من شمال الكويت إلى حايــل في الشــمال الغربي، مما يجعل تقسيم الحدود كما اقترحه دكسون مستحيلا مع أنه هو الخيــار الوحيد المتاح، إذ لا يمكن تقسيم المنطقة على هذا النحو إلا على حساب القبيلة الواحدة، ووحدة عشائرها، لتكون القبائل هي ضحية هذه المؤامرة الاســتعمارية التي راعت بريطانيا فيها مصالحها ومصالح حلفائها على حساب مصلحة شــعب وقبائل المنطقة الواحدة، كما أن اقتراح دكسونبأن يراعى في تحديد إقامة القبيلة مكان استقرارها صيفا لا يحل المشكلة، إذ أن قبيلة مطير التي يستوطن قسم مــن عشائرها صيفا ومنذ قديم الزمان رأس خليج الكويــت والجهــراء والــوفرة وأم الهيمان وأبو دوارة والطوال قريبا من واره – وهي كلها آبار أصبحت جزء من حدود الكويت الدولة – تستوطن أيضا أقسام آخرى من عشائرها آبار الصمان والحفر والدهناء ....الخ.

وكذا حال باقي قبائل الكويت، وهو ما يجعل الاعتداد بالاستقرار الصيفي للقبيلة غير ذي جدوى، لانتشار عشائر القبيلة الواحدة في مخيمــات اســتيطانية شــبه مستقرة في الصيف قرب الآبار التي تشرب منها.

كما تتمثل الإشكالية الثانية في أن أبناء القبائل لم يتعودوا طاعة أي حكومة، بل ويرفضون وجودها، ويقاومون خضوعهم لمثل تلك الحكومة[485].

---

[485]ولادة الشرق لديفيد فرومكين 505.

فلم يكن ابن صباح في نظر القبائل آنذاك سوى شيخ مدينة، لا يتجاوز نفوذه أسوارها، بل ولا يعادل في نفوذه وسلطته نفوذ شيوخ القبائل على قبائلهم، كما لا تعادل مساحة الأرض التي له عليها سلطة فعلية، مساحة الأرض التي تسيطر عليها تلك القبائل كمراعي لها منذ قديم الزمان.

كما إن الانتماء هو للقبيلة ذاتها، ولا يوجد أي انتماء آخر بالنسبة للقبائل، وعلاقتها بشيوخ المدن، كعلاقتها بشيوخ القبائل الآخرين على حد سواء، وهذا الذي أدى إلى نشوب الحرب بين الكويت كمدينة، ومطير كقبيلة، كما حدث في معركة حمض حيث اعتبرت القبيلة آبار قرية لها، فنزلت عليها، ورفض سالم ذلك، فنشبت الحرب بينهما، كما تنشب بين قبيلتين، لا بين دولة وقبيلة كما يشيع في الثقافة المعاصرة الزائفة، إذ كان الجميع شعبا واحدا، في وطن واحد، ضمن سيادة الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى!

مؤتمر العقير ومسرحية التقسيم:

وقد تم عقد مؤتمر العقير في شهر **11/ 1922**م بحضور ابن سعود، والوكيل السياسي البريطاني في الكويت الميجر مور نائبا عن أحمد الجابر، وصبيح نشأت وزير المواصلات العراقي نائبا عن ملك العراق فيصل بن الحسين، وبيرسي كوكس الذي كان الحكم بينهم، وقد ادعى ابن سعود تبعية قبيلتي الظفير والعمارات العنزية له واللتين تمتد ديارهما من نجد إلى نهر الفرات، وبعد جدل طويل بين الأطراف، أخذ كوكس القلم وخريطة الجزيرة العربية(وخط عليها بقلم أحمر خطا فولد بذلك لأول مرة في التاريخ خط حدود فصل نجدا عن كل من العراق والكويت)[486].

وقد أقر كوكس بحرية قبائل كل طرف بدخول أراضي الطرف الآخر من أجل الوصول إلى الآبار والمراعي، وحرم على الطرفين لذلك بناء القلاع والمراكز الثابتة على طول خط الحدود الفاصل بين البلدين أو على جانبي المنطقة المحايدة، كحل وسط بين مبدأي الحدود على نمط الحدود الأوروبية، والحدود القبلية، وقد وهب كوكس بجرة قلم ثلثي مساحة الكويت كما جاء في الاتفاقية الأنجلو عثمانية

[486] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **284** .

لسنة **1913**م إلى ابن سعود، كما اقتطع مساحات شاسعة من نجد ووهبها للعراق، مما دفع ابن سعود للبكاء أمام كوكس من هذا الإجحاف الذي لحق بأراضي قبائله التي يدعي تبعيتها له[487].

وقد كان دكسون حاضرا ذلك المؤتمر وأبدى ملاحظاته على ما قام به كوكس حيث قال :

(لقد أخطأ السير بيرسي كوكس في إحضاره فهد بك الهذال، لأن فهد بك ونوري الشعلان يعتبران أنفسهما زعيمي اتحاد قبائل عنزة كلها، ويدعيان أنهما أعلى منزلة من آل صباح في الكويت وابن سعود نفسه، إنه أمر طبيعي أن يمتعض ابن سعود من وجود أحد أفراد القبيلة في المؤتمر ينظر إليه أنه وكأنه أوضع منه نسبا.... ومع أن ابن سعود كان يعتبر نفسه حليفا وصديقا لبريطانيا إلا إنه يشعر بأنه مطوق من جميع الجهات بعدد من الدويلات الدمى التي خلقتها حليفته! وفي اجتماع خاص ضم بيرسي كوكس وابن سعود وأنا فقط حيث فقد كوكس صبره واتهم ابن سعود بأنه تصرف تصرفا صبيانيا في اقتراح فكرة الحدود العشائرية، ولم يكن كوكس يجيد اللغة العربية فقمت أنا بالترجمة ولقد أدهشني أن أرى كوكس يوبخ سيد نجد كتلميذ وقح ويبلغه بلهجة قاطعة أنه سيخطط الحدود بنفسه بصرف النظر عن كل اعتبار! وهكذا انتهى هذا الفصل من المسرحية فانهار ابن سعود وأخذ يتودد ويتوسل معلنا أن السير كوكس هو أبوه وأمه وأنه هو الذي صنعه ورفعه من لا شيء إلى المكانة التي يحتلها[488]، وأنه على استعداد أن يتخلى عن نصف مملكته بل كلها إذا أمره كوكس بذلك! وفي اجتماع عام للمؤتمر أخذ كوكس قلما أحمر ورسم على الخريطة خطا وأعطى العراق مساحة كبيرة من الأراضي التي تدعي نجد ملكيتها، وإرضاء لابن سعود حرم الكويت بدون شفقة من ثلثي أراضيها تقريبا وأعطاها لنجد بحجة أن سلطة

---

[487] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون **288**، وتاريخ الكويت لخزعل **241/5** .

[488] وتأمل في عبارة دكسون ووصفه لما جرى في المؤتمر بالمسرحية التي ما تزال فصولها تعرض على خشبة المسرح على أرض الخليج والجزيرة العربية منذ ذلك الحين إلى اليوم!

ابن صباح في الصحراء أصبحت أقل مما كانت عليه يوم أن وضعت الاتفاقية البريطانية العثمانية.وفي الساعة التاسعة مساء حدثت مقابلة مدهشة فقد طلب ابن سعود مواجهة بيرسي كوكس على حدة، واصطحبني كوكس معه، فوجدنا ابن سعود واقفا وحده وسط خيمة الاستقبال بادي الاضطراب وبادر مخاطبا كوكس: يا صديقي لقد حرمتني نصف مملكتي الأفضل أن تأخذها كلها وتدعني أذهب للمنفى، وانفجر باكيا وتأثر كوكس وأمسك بيد ابن سعود وأخذ يبكي هو الآخر وقال له: يا صديقي إني أعرف شعورك ولهذا السبب أعطيتك ثلثي الكويت، ولست أعرف كيف سيتلقى ابن صباح الصدمة؟وظل خط الحدود الذي رسمه بيرسي قائما لم يتغير إلى الآن)[489].

لقد تحولت القبائل التي كانت توالي الكويت في عهد مبارك وسالم إلى ابن سعود بعد أن تجاهلها أحمد الجابر، وتجاهل أهمية كسبها إلى جانبه، فقد كانت سلطة أي شيخ على أية أرض إنما يستمدها من نفوذه على القبائل التي تستوطنها، والتي لا توالي إلا من يدعمها ماديا ومعنويا، فالولاء القبلي ليس للإمارة والمدينة بل للأشخاص والزعماء الذين يستميلون هذه القبائل[490].

لقد كانت القبائل وتبعيتها وامتداد ديارها هي الأساس الذي تم بناء عليه تحديد الحدود الزائفة لمنطقة واحدة، وشعب واحد، لم تفصل بين مدنه الحدود والحواجز منذ أن كان هناك عرب في جزيرة العرب، حتى جاء الاستعمار البريطاني بدويلات الطوائف الحديثة التي لا تعبر عن هوية شعب هذه الجزيرة، ولا تمثل إرادته، بل تعبر عن هوية الأسر العشائرية التي تحكمها فقط، وتمثل إرادة الاستعمار التي أوجدها لتحقيق مشروعه بالسيطرة على الخليج والجزيرة العربية.

لقد كان شأن تلك الحدود كما قال دكسون عنها :

(إن الحدود الاعتباطية التحكمية بين العراق ونجد كانت في رأيي خطأ كبيرا، إذ أن ابن سعود حصر تنقلات قبائل نجد السنوية ربما ولأول مرة في التاريخ باتجاه

---

[489] الكويت وجاراتها لدكسون 1/278-283 .

[490] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 288.

الشمال، إن المشكلة قد حلت حسب المقاييس الأوربيـــة ولـــيس حســـب تلـــك المقاييس المفهومة في العالم العـــربي ولـــذلك لم يـــنجم عـــن تلـــك السياســـة إلا المشاكل)[491].

إن تسوية العقير – بشهادة الغربيين أنفسهم – ما هي إلا أفكار أوربية بعيدة عن طبيعة الواقع العربي، حيث الحياة البدوية، والصحاري الواسعة بلا حدود، ففكرة الحدود الثابتة لا يمكن أن تطبق على المساحات الواسعة من البوادي والصحاري في شبه الجزيرة العربية التي لا يعترف بها المجتمع البدوي ولا يقرها بتاتا[492].

وقد رأى دكسون نفسه كيف تتم الرحلة السنوية للقبائل النجدية إلى العـــراق وقد وصفها فقال عنها:

(وصلنا الشق – منطقة تقع جنوب غرب الكويت – وكانت الجمال سارحة ترعى بعشرات الآلاف، وكانت تأتي من الجنوب الشرقي باتجاه الشق جمال ثقيلة الأحمال تنقل الخيام والأمتعة، إنها الهجرة الشمالية الغربية الكبرى لقبيلة مطير الخارجـــة من الصمان بعد أن وصلت لها أخبار المراعي الجيدة وبرك الماء الكثيرة)[493].

لقد كان تحديد الحدود ذاته، والتحكم في سير هجرة القبائل العربية السنوية شمالا وجنوبا للبحث عن الكلأ، الوسيلة الرئيسة التي استخدمها البريطانيون للسيطرة عليها، كما فطنت لذلك (مس بيل) المسئولة البريطانية عـــن الإدارة الملكيـــة في العراق بعد الاحتلال البريطاني له، حيث رأت أن السيطرة على قبائل شمر مرهون بقطع طريق هجرتها، حيث قالت:

(لكن سيطرتنا عليهم على كل حال ستتوقف خلال السنوات القلائـــل القادمـــة على قدرتنا على قطع طريق هجرتهم شمالا وجنوبا)[494].

---

[491] الكويت وجاراتها 1/284 .

[492] عبد العزيز وبريطانيا 203.

[493] الكويت وجاراتها 2/182 .

[494] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 166 .

وكذا فطنت إلى ضرورة ضم القبائل قسرا إلى المدن والموانئ والمشيخات فيها التي ترتاد القبائل مدنهم للسيطرة عليها، حيث تقول :

(إن من الأمور الأساسية أن يجري تفاهم تام مع الأمراء العرب الذين ترتاد قبائلهم الجوالة أطراف البلاد المعمورة، وليس هذا شيئا صعبا أيام السلم، لأنهم يعتمدون في احتياجاتهم المعيشية الضرورية على الأسواق التي يقصدونها لهذا الغرض، ومن الممكن أن يجعل السماح لهم بالاتصال بهذه الأسواق منوطا بمسلكهم الحسن، على أنهم طالما كانوا يحترمون حدود المدينة التي يتصلون بها وحدها فإن التزاماتهم يمكن أن يقال عنها أنها تحققت، فليست هناك أي حكومة يمكنها أن تتوقع السيطرة على ما يفعلونه ضمن ديرتهم)[495].

وبهذه الطريقة تمكن البريطانيون من السيطرة على القبائل الرئيسة في الجزيرة العربية التي يمكن أن تهدد وجودهم واستقرارهم في المنطقة، كقبيلة عنزة وشمر ومطير التي ترتحل شمالا وجنوبا، وقد قدرت المس بيل عدد أفراد قبيلة عنزة وحدها بربع مليون نسمة على أقل تقدير[496]، في الوقت الذي كان مجموع سكان مدينة الكويت آنذاك لا يتجاوز عشرين ألف نسمة!

---

[495] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 85 .

[496] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 129.

(عبيد بلا أغلال)

(20)

(المشروع البريطاني لتأسيس المملكة العربية السعودية)

نجحت بريطانيا في إقامة المملكة العربية السعودية كمشروع تجزئة على أنقـاض مشروع الشريف حسين وثورته العربية في مكة التي وعدته بريطانيا أن تقيم لـه مقابل وقوفه معها ضد الخلافة العثمانية (المملكة العربية المتحدة)التي تضم جزيرة العرب والعراق والشام، وهو ما رأت بريطانيا خطورة تحقيقه بعد سقوط الخلافة العثمانية، فكان مشروع (المملكة العربية السعودية) البديل البريطـاني لمشـروع (المملكة العربية المتحدة) لتقسيم المنطقة وتسهيل مهمة السيطرة عليها والتحكم بها!

لقد دعمت بريطانيا ابن سعود – الذي خرج من الكويت بعد أن أصبحت تحـت الحماية البريطانية المباشرة، وبدعم كامل من بريطانيا ماديا وعسكريا عن طريـق مبارك الصباح الذي التزم بموجب معاهدة الحماية أن يلتزم في شئونه الخارجيـة بالسياسة البريطانية –وقد كان عبد العزيز (ينظر إلى شـبه الجزيـرة بكاملـها باعتبارها من الممتلكات السابقة لعائلته، وأنه يتحتم عليه اسـتعادة كـل هـذه الأملاك، وقد أوضح ابن سعود هذه الحقيقة للريحاني عندما قال:لا نطلب غير ما

كان لآبائنا وأجدادنا قبلنا، ليعلم ذلك أصحابنا الإنجليز وليعلم ذلك الشريف وأولاده)[497].

وفي الوقت الذي يؤمن ابن سعود بأن نجدا ملك له فقد(كان البدو – كما يقول جون س – لا ينتمون إلا إلى أنفسهم، كما كانت الصحراء بكاملها موطنا لهم ... فلم يكن لهم موطن أو أرض)[498].

لقد كانت بريطانيا(تراقب تلك القوة الجديدة، وفي الوقت ذاته تساعدها سرا عن طريق الكويت، لكونها الحليف غير المباشر لبريطانيا ضد الأتراك، وكان ابن سعود بدوره يخطب ود الإنجليز ويرسل لهم في نفس الفترة – سنة **1906** – مبعوثا من قبله للتفاوض مع الكابتن بريد وكس المعتمد السياسي في البحرين، طالبا مساعدة بريطانيا للتخلص من الأتراك في الإحساء، ومؤكدا رغبته في عقد معاهدة معهم، وعلى تواجد معتمد إنجليزي في الإحساء والقطيف)، وقد توقعت بريطانيا بأن ابن سعود سيواجه القراصنة في الخليج العربي، وسيساعد بريطانيا على التخلص منهم[499].

ولهذا لجأ ابن سعود بعد قيام حركة الأخوان النجدية الجديدة إلى تقدمها وقيادتها (بصفته زعيما دينيا(إماما) وبصفته أيضا سلطانا)[500].

ولا يمكن التوفيق بين هاتين النظريتين بل العقيدتين –عقيدة ابن سعود من جهة، حيث يؤمن بأن الأرض ملك له ورثها عن آبائه وأجداده، وعقيدة عرب الصحراء من جهة أخرى الذين يؤمنون بأن الصحراء كلها وطن لهم لا يمنعهم منها أحد – إلا بإعادة طرح مفهوم الإمامة الدينية التي تسمح بتحقيق هدف ابن

---

[497] الأخوان السعوديون لجون س **52** .

[498] الأخوان السعوديون لجون س **46** .

[499] قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة ص **357** .والقراصنة اصطلاح بريطاني يطلق آنذاك على كل من كان يقاوم الوجود الاستعماري في المنطقة، وهو كمصطلح إرهابيين الذي يطلق اليوم على كل من يقاوم الحملة الصليبية على العالم الإسلامي أو ويرفض الاحتلال الأجنبي!

[500] الأخوان السعوديون لجون س **53** .

سعود باستعادة ملك آبائه من خلال عرب الصحراء أنفسهم الذين يؤمنون بـــأن الأرض لهم!

ظهور حركة الأخوانفي نجد:

لقد انبعثت الحركة الدينية الجديدة في نجد على يد الشيخ عبد الكـــريم المغـــربي الذي كان من كبار علماء البصرة في حضرة شيخ المنتفق فالح السعدون، وبعـــده صار مع الشيخ مزعل السعدون، ثم رحل إلى نجد وكان متأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بإحيائها من جديد بعد أن اســـتقر بالأرطاويـــة- قبـــل أن تصبح هجرة رئيسية من هجر الأخوان بعد ذلك – ونشر دعوته في حدود ســـنة **1899**م، وبالتأكيد – كما يقول دكسون – لم يكن لابن سعود – ولا لعلمـــاء نجد – أي يد في ظهور هذه الحركة، ولم يلتفت إليها ابن سعود إلا بعد أن احتل الإحساء سنة **1913**م[501].

أي أن ظهور حركة الأخوان وانبعاثها من جديد كان قبل خروج ابن سعود مـــن الكويت واحتلال الرياض، فلم يكن له ولا للوهابيين في نجد دور في إحيائها، بل كان مجددها هو الشيخ عبد الكريم المغربي الأصل البصري البلد!

ولا يبعد أن يكون السلطان عبد الحميد قد أوعز للســـعدون بـــذلك، إذ كـــان مشروعه للجامعة الإسلامية، وحركة الإحياء الديني، قد بـــدأ في هـــذه الفتـــرة تقريبا، وكان يولي عناية بإحياء الدعوة الدينية في كل إقليم بحسب مذهب كـــل بلد، وهو ما أشارت له بعض التقارير البريطانية كما سيأتي!

لقد قدر لحركة الأخوان هذه كما يقول فرومكين(أن تغير طبيعة الأمور السياسية في شبه الجزيرة العربية لمصلحة ابن سعود، فقد بدأ رجال القبـــائليييعون جمـــالهم وممتلكاهم، كي يستقروا في تجمعات زراعية وتعاونية، ويعيشـــوا حيـــاة دينيـــة وهابية، وعلى الفور وضع ابن سعود نفسه على رأس هذه الحركة، التي وفرت له جيشا من البدو، أعظم المحاربين في شبه الجزيرة العربية، وأخذت تتقلص ســـلطة

---

[501] الكويت وجاراهما لدكسون **143/1** .

شيوخ كل قبيلة ضمن حركة الأخوان، ويتقلص معها الانفصال بين القبائل، بينما أخذت تنموا سلطة ابن سعود)[502].

لقد حاولت بريطانيا بعد ذلك معرفة كـل تفاصـيل حيـاة الأخـوان الجـدد، وأفكارهم، وغاياتهم(وفي الوقت الذي بدأت تتسرب فيه الأخبـار عـن حركـة الأخوان، كانت هذه الأخبار قد تشوهت، إما عن طريق المبالغة في روايـة هـذه الأخبار، أو عن طريق تحريفها عن قصد، أو عن طريق التضليل)[503].

وقد قال عنهم دكسون نفسه:

(برغم ما كتب عن قسوة الأخوان ورعبهم لا بد أن أسجل الرأي الذي يقول إن كل ذلك كانت تجري المبالغة فيه بحذق وعناية خدمة لأهداف سياسـية في ذلـك الوقت، كنت أكن للأخوان دائما إعجابا حاقدا، ويحتمل أن يكـون السـبب في ذلك هو أن هناك سحرا عجيبا يحيط بهؤلاء الرجال الصادقين، المؤمنين بالله حقا، وأنا أعترف بأني ما تعرفت على أحد هؤلاء الأخوان حتى اكتشـفت أن الفـرق بينهم وبين الأنواع الطيبة من العرب البدو في الأماكن الأخرى يسير جدا)[504].

وهذا ما أكده الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في تقريـر رسمـي بتـاريخ **1920/6/7**م عن الشائعات حول قتل الدويش للنساء والأطفال بعـد معركـة حمض بين مطير وابن صباح:

(أما فيما يتعلق بالروايات الواردة بشأن مقتل النساء والأطفال على يد مطـير، فقد ظهر أنها كما كان متوقعا قصة لا أساس لها من الصحة مطلقا، والواقـع أن امرأة وطفلين قتلا مصادفة برصاصة طائشة، وأنا شخصيا لم أصدق ما قيل عـن وقوع مذبحة للنساء، فهذا أمر لا يفعله العرب مطلقا، وحـتى في عمليـة نهـب

---

[502] ولادة الشرق لديفيد فرومكين ص **474** .

[503] الأخوان السعوديون لجون س **61** .

[504] الكويت وجاراتها **142/1**، والأخوان السعوديون لجون **61** .

كربلاء سنة **1801**م التي قام بها سعود الكبير، لم تمس امرأة واحدة وهـذا أمـر موثق رسميا)[505].

لقد بدأت حركة الأخوان في سنة **1898**م تقريبا، وفي سنة **1912**م ، وكما يقول جون س(نشأت أول هجرة في الأرطاوية، وبعدها بوقت قصير أنشئت الهجرة الثانية في الغطغط، وقد أدى شيوع صيت هاتين الهجرتين اللتين كانتا تسكنهما أقوى قبيلتين في نجد مطير وعتيبة إلى بدأ سباق قامت به قبائل نجد الأخرى ليكون لكل منها هجرته)[506].

وقد تحولت الأرطاوية في وقت قصير إلى مدينة يقطنها نحو **35000** نسمة من الأخوان وأسرهم[507].

وبقيام الأرطاوية في شمال شرق الرياض، والغطغط في الجنوب الغربي لها، كمدن عسكرية جهادية تؤمن بفكرة الأخوان العقائدية والسياسية التي تقوم على التوحيد المطلق دينيا وسياسيا، بتوحيد الدين لله، وتوحيد الأمة في دولة واحدة، حدثت التحولات الكبرى المعاصرة في تاريخ نجد والحجاز (فمن وجهة النظر السياسية العسكرية – كما يقول جون – فإن ذلك الالتزام من قبل فيصل الدويش، العدو التقليدي لعائلة الرشيد، قلل من أهمية قدرات ابن رشيد في مواجهة ابن سعود، والسبب في ذلك أن قبيلة مطير بدأت تضع ثقلها في مواجهة عاصمة بن رشيد في حائل، وبنفس الطريقة فإن قبيلة عتيبة تحت قيادة سلطان بن بجاد في الغطغط راحت تحمي الجناح الغربي من الهجمات التي يحتمل أن تأتي من الحجاز، هذان المركزان بحكم موقعهما الاستراتيجي، كانا بمثابة منارتين تصدر عنهما إشارات الصحوة الإسلامية مصحوبة بكل حماس الحركة العسكرية الفتية الناجحة... وخلال عقد ونصف من تأسيس أول هجرتين تم إنشاء ما يزيد عن مائتي هجرة)[508].

[505] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية **320/5** .

[506] الأخوان السعوديون لجون س **95**.

[507] الأخوان السعوديون لجون س **99**.

[508] الأخوان السعوديون لجون س **108** .

وقد بلغ عدد سكان تلك الهجر أربعين ألفا في هجر قبيلة مطير، وثلاثين ألفا في هجر قبيلة حرب، واثنين وعشرين ألفا في هجر قبيلة عتيبة، وخمسة عشر ألفا في هجر قبيلة العجمان، وكذا مثله في هجر قبيلة العوازم، وكذا بلغ عدد سكان هجر قبيلة شمر خمسة عشر ألف نسمة أيضا، وعشرة آلاف في هجر قبيلة المرة[509].

وبلغ عدد المقاتلين في هذه الهجر التي استوطنها الأخوان من كل قبيلة كما في تقارير جون س كالآتي :

قبيلة مطير نحو(**13000**) مقاتل، وعتيبة نحو(**12000**)، وحرب نحو (**10000**)، وقحطان نحو(**8000**)، والعجمان نحو(**6000**)، وشمر نحو (**5000**)، والعوازم(**4000**)، ويام نحو(**4000**)، والدواسر نحو(**3000**)، والمرة والهواجر نحو(**3000**)[510].

وهذه أعداد المقاتلين من القبائل التي أمكن تقدير عدد مقاتليها، وهناك قبائل أخرى كان لها نشاط في هذه الحركة الفكرية ولها هجر خاصة بها كقبيلة السهول، وعنزة، والظفير، وسبيع، وبني خالد[511].

وقد قدرت قوات الأخوان في الجزيرة العربية في أوج قوتها بنحو ثلاثمائة ألف مقاتل[512].

وسيكون لهذه الحركة فيما بعد الدور الرئيسي في توحيد وسط الجزيرة العربية وضم المدن الرئيسية فيها، فقد نجح الدويش وقبيلة مطير في حصار حائل عاصمة ابن رشيد وضمها، وكذا نجح الدويش في محاصرة المدينة المنورة وانتزاعها من الشريف، كما نجح سلطان بن بجاد بقبيلة عتيبة في حصار مكة عاصمة الشريف وضمها.

---

[509] الأخوان السعوديون لجون س **132** .

[510] الأخوان السعوديون لجون س **295** الجدول التاسع .

[511] الأخوان السعوديون لجون س **283** الجدول الثامن .

[512] الأخوان السعوديون لجون س **133** .

وقد كان أول مشاركة للأخوان كقوة عسكرية مؤثرة في سنة 1914م في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد، وكان ذلك أول ظهور لهم بشكل عسكري (الذي أدى بعد ذلك إلى تغيير ميزان القوى في شبه الجزيرة بأكملها)[513].

وقد كان أبرز زعماء الأخوانهم فيصل الدويش – أبرز شيوخ قبيلة مطير الذي كان بمثابة القائد العسكري الأعلى لهذه الحركة – وسلطان بن بجاد وهو أبرز شيوخ قبيلة عتيبة، ومحسن الفرم وهو من أبرز شيوخ قبيلة حرب، وضيدان بن حثلين أبرز شيوخ العجمان[514].

وفي الوقت نفسه وفي 26 كانون الأول عام 1915م كما يقول جاك بيربي (وقع عبد العزيز مع بريطانيا معاهدة مشابهة لتلك التي تربط كلا من البحرين والكويت بإنجلترا، وهو الأمر الذي يجهله على العموم، أو يغفل عن ذكره كثير من المؤرخين، إذ أنه مقابل مساعدة مالية شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني، اعترف سلطان نجد للبريطانيين بحق الإشراف على علاقاته الخارجية، وتعهد عبد العزيز بألا يتنازل عن أي شبر من أراضيه وألا يقيم علاقات مع أي دولة إلا بعد الحصول على موافقة الحكومة البريطانية على ذلك، وتعهدت بريطانيا من جانبها بحماية ابن سعود من كل اعتداء خارجي مهما كانت الظروف)[515].

التخوف البريطاني من حركة الأخوان :

وقد أبدى المسئولون البريطانيون تخوفهم من هذه الحركة حيث كتب المندوب السامي البريطاني في مصر ريجينالدوينجات إلى آرثر جيمس ميلر في أكتوبر سنة 1918م تقريرا حول هذا الموضوع جاء فيه:

(ليست لدي معلومات كافية عن قوة الأخوان وأهدافهم، ولكني تعلمت من تجربتي في السودان مدى الخطر الذي يشكله تنظيم سري يعمل تحت عباءة الدين

---

[513] الأخوان السعوديون لجون س 117 .

[514] الأخوان السعوديون لجون س 128 .

[515] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 53 .

بين سكان غير متحضرين، ففي وقت الشدة يلجأ هذا المسلم إلى الدين مثلما يلجأ بعض أفراد النصرانية إلى الخمر، ويكون المسلم أكثر تعرضا لالتقاط الشرارة الأولى من شرور التشدد الذي يتحول إلى حريق إذا ما أذكاه زعيم غير حصيف أو مضلل أو يستحيل السيطرة عليه بأي حال من الأحوال)[516].

وقد كانت السلطات البريطانية تخشى أن تكون الدولة العثمانية وراء قيام هذه الحركة في نجد لمواجهة بريطانيا في المنطقة بإذكاء الروح الإسلامية التي ترفض الوجود الأجنبي، غير أن السلطات البريطانية رجحت أن تكون الحركة ردة فعل على الاضطراب السياسي الذي تعيشه الجزيرة العربية منذ عقود[517].

وقد كتب ريجينالد أيضا رسالة إلى جمس بلفور بناء على تقارير فلبي إليه جاء فيها:

(إن هناك اضطرابا دينيا كبيرا في بعض أجزاء وسط الجزيرة العربية يجري فيه تحريض الناس على إخوانهم الذين باعوا أنفسهم للنصارى، وبخاصة ضد الملك حسين– شريف مكة الذي قام بالثورة العربية ووقف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية –)[518]

وقد وصف الضابط السياسي البريطاني في بغداد في مايو سنة **1918**م حركة الأخوان بقوله:

(إنها حركة اشتراكية بمعنى أن الأغنياء يتعين عليهم أن يقتسموا بضاعتهم وسلعهم مع عامة الناس، وقد وردت حالات كثيرة لمشايخ تعين عليهم أن يسلموا ما لديهم من إبل إلى أتباعهم)[519].

---

[516] الأخوان السعوديون لجون س **62** .

[517] الأخوان السعوديون لجون س **63** .

[518] الأخوان السعوديون لجون س **65** .

[519] الأخوان السعوديون لجون س **64** .

لقد تحولت قوة الأخوان إلى شبح يخيف السلطات البريطانية التي كثرت تقــارير ضباطها السياسيين التي تؤكد أن ابن سعود ليست له أي سيطرة على هذه القوة (كما تزايد عدد الإنذارات – من الضباط البريطانيين – بالقياس إلى قوة الأخوان العسكرية)[520].

وبدأ القلق البريطاني يزداد من تلك القوة التي بدأت تتطلع إلى ما وراء الخطوط الحمراء البريطانية في العراق والشام، والتي كان ابــن ســعود لا يطمــح إليهــا وليست في رأيه من ملك آبائه وأجداده، كما أنها تحت سيطرة بريطانيا التي هــو تحت حمايتها، بينما كان الأخوان يرون توحيدها ضمن دولة واحدة هــو هــدف استراتيجي وأصل عقائدي يقوم على الإيمان بالتوحيد الذي جاء به النبي صــلى الله عليه وسلم ووحد به العرب دينيا وسياسيا في الجزيرة العربية!

هجوم الأخوان على الشريف وهزيمته في تربة:

لقد واجه الأخوان الشريف عبد الله بن حسين في تربة **25/ 5/1919**م (وكــان على رأس حملة قوامها خمسة آلاف رجل من الجيش الحجــازي المــدرب، ومعــه الأسلحة الحديثة التي زوده بها البريطانيون خلال الحرب العالمية الأولى، ووصلت قوة من الأخوان قوامها **1100** رجل، من الهجانة، انطلقت قبل تحرك قوات ابن سعود بعملية استكشافية، فهاجمت معسكر عبد الله بالسيوف، والرماح، والبنادق القديمة، وكانت هزيمة قوات الشريف حسين هزيمة كاملة، ممــا اســتدعى مجــيء بريطانيا لإنقاذه، فأرسلت طائرات بريطانية للحجاز، وأرسلت إنذارات إلى ابن سعود، الذي تفادى المجابهة، وتظاهر بالنزول على رغبات بريطانيا، مــدعيا أنــه يبذل قصارى جهده لضبط الأخوان، وتمكنت من عقد هدنة بينــهما في شــهر **8** سنة **1920**م).

[520] الأخوان السعوديون لجون س **115** .

وقد صرح مسئول في الخارجية البريطانية مدافعا عن سياسة الوقوف مع الشريف، في مواجهة ابن سعود الذي هو حليفهم أيضا، فقال:(سنبدو كلنا حمقى إذا ما هزم صنيعتنا بمثل هذه السهولة)[521].

لقد كان بوسع بريطانيا أن تضبط حركة حليفيها، لولا الصراع الخفي بين حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شرق الجزيرة العربية وتدعم ابن سعود، والمكتب العربي للمندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي يشرف على شئون غرب الجزيرة العربية ويدعم الشريف حسين!

إلا إن دخول الأخوان كحركة دينية للمسرح السياسي والعسكري، سيرجح كفة ابن سعود، بعد أن تخلت بريطانيا تماما بعد ذلك عن الشريف، الذي فشل في مواجهة جيوش الأخوان التي(جعلت قوات الملك حسين عاجزة عن حماية الطائف، ومكة، والمدينة، وجدة، لقد استعمل حسين الطائرات التي يقودها المرتزقة في مواجهة هؤلاء الأخوان ... كما جعلت القوات العراقية جيدة التدريب والتي كان يقودها ضباط بريطانيون عاجزة عن مسايرة أولئك الأخوان حتى في مرحلة ما بعد غارات الطائرات والمركبات المدرعة والحملات الميكانيكية على هؤلاء الأخوان ... إن القوات جيدة التدريب في الأردن عجزت هي الأخرى عن التعامل مع الأخوان، ورضيت بالتنسيق بين كل من ابن سعود والبريطانيين في كل من الأردن والعراق لإخضاع الأخوان)[522].

لقد نجحت تلك الحركة باعتراف الضباط والسياسيين البريطانيين بتحقيق الأمن والسلم في كل المناطق التي سيطرت عليها وعلى حد قول جون س: (إن الأخوان كانوا جنودا متشددين لا يخشون الموت ولا ينشدون متع الحياة وإنهم بقدر ما كانوا يدخلون الرعب في قلوب أعدائهم كانوا يعيدون السلام والأمن للمناطق المضطربة)[523].

---

[521] ولادة الشرق 475 .

[522] الأخوان السعوديون لجون س .ص138 .

[523] الأخوان السعوديون لجون س 140 .

وقد كتب فلبي في يناير سنة 1929م عن ذلك فقال:

(في كل أنحاء الجزيرة العربية الوهابية بطولها وعرضها يسود الآن جو من السلام والأمن لم تشهده البلاد في أية مرحلة من المراحل السابقة... فقد امتد ظلال الجيش الوهابي المخبأ في مستقرات الأخوان إلى كل أنحاء الصحراء، وأصبحت تغمر الجزيرة العربية كلها، كما أن الجيش هو الذي يزرع خضرواته وتموره وحبوبه في مستقراته وقت السلم)[524].

إلا أن ذلك كله لن يشفع لهذه الحركة عند بريطانيا، حيث قررت بعد ذلك ضرورة القضاء عليها، وعلى كل القوى المسلحة في الجزيرة العربية، ليبدأ فصل جديد من عصر العبودية في ظل دويلات الطوائف..

[524] الأخوان السعوديون لجون س 140.

(عبيد بلا أغلال)

(21)

(الدعم البريطاني للرياض لاحتلال حائل والحجاز)

بدأت قبضة بريطانيا على وسط جزيرة العرب تزداد بازدياد نفوذ ابن سـعود، لقد (بدت شبه الجزيرة العربية، منذ سنة 1919م، أنها من بـين كـل أراضـي الشرق الأوسط منطقة محظورة على غير البريطانيين، فسواحلها البحرية الطويلـة يسهل على الأسطول البريطاني أن يسيطر عليها، واثنان من سـادتها الرئيسـيين، الشريف حسين في الغرب، وابن سعود في الوسط والشرق، هما بحماية بريطانيـا، ويتلقيان دعما ماليا كبيرا منتظما من الحكومة البريطانية، لقد بقيـت السـاحة خالية لبريطانيا)[525].

لقد كانت السياسة البريطانية – كما يقول جون س- تقـوم في شـبه الجزيـرة العربية على عدة اعتبارات تغيرت مع تغير الأوضاع الدولية هي كالآتي :

---

[525] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 473 .

أولا: قبل الحرب العالمية كان مفروضا على السياسة البريطانية أن تعترف بسيطرة الدولة العثمانية على الجزيرة العربية، وألا تفعل ما يخالف هذه السياسة.

ثانيا: أثناء الحرب العالمية الأولى كان هناك تخطيط بريطاني لقيام ثورة عربية في الجزيرة العربية ضد الدولة العثمانية في الحجاز يقوم بها الشريف حسين، وحرب ضد حليف الدولة العثمانية ابن رشيد في حائل يقوم بها ابن سعود.

ثالثا: بعد انتهاء الحرب العالمية وسقوط الخلافة العثمانية تغير الموقف من ابن رشيد، إذ أصبح وجوده يعيد توازن القوى التي تحافظ بريطانيا على استمراره في المنطقة حتى لا تستفرد قوة واحدة عليها مما قد يهدد مصالح بريطانيا.

الخلاف بين حكومة الهند ولندن في دعم ابن سعود والشريف حسين:

وقد زاد من تعقيد الوضع أن الضباط والسياسيين البريطانيين في الجزيرة العربية انقسموا في مواقفهم إلى قسمين بحسب الجهات التي يتبعونها، فبينما كانت حكومة الهند البريطانية تدعم ابن سعود وتشرف على الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، حيث كان فلبي وولسن يؤيدان ابن سعود، كان المندوب السامي البريطاني في مصر ريجينالدوينغيت، ولورنس العرب في مكتب بغداد التابع للخارجية البريطانية في لندن، التي تشرف على شئون الحجاز، يقفان مع الشريف حسين[526].

وقد زادت حدة الصراع بين الشريف وابن سعود خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (حتى اضطر مجلس الوزراء البريطاني للاعتراف بأن سياسته في شبه جزيرة العرب قد اختلت، فالخصومة بين حليفي بريطانيا، الشريف حسين الذي يتلقى **12** ألف جنيه شهريا من الدعم البريطاني، وابن سعود الذي يتلقى بدوره خمسة آلاف جنيه، كانت على أشدها)[527].

وعلى حد قول جون س لقد(كانت الحكومة البريطانية تستغل كلا من الملك حسين وابن سعود لتحقيق أهدافها الحربية في شبه الجزيرة العربية، وخاصة

---

[526] الأخوان السعوديون لجون س **156** .

[527] ولادة الشرق **473** .

احتواء القوة التركية في المنطقة، وإشغال القوات التركية الموجودة على الجبهة في الجزيرة العربية حتى لا تتفرغ للعمل على الجبهتين الأوربية وجبهة الهلال الخصيب اللتين لهما طابع استراتيجي أكثر من الجزيرة العربية، وما إن تحقق هذا الهدف وبعد هزيمة الأتراك مباشرة، قررت الحكومة البريطانية السماح بانغماس الملك حسين وابن سعود في التطورات الداخلية، وذلك طبقا للتعليمات التي أرسلت للسير ريجينالدوينجات بعد استسلام المدينة - لقوات الشريف حسين التي كانت تحت إشراف الضباط البريطانيين ودعمهم العسكري حيث خرج الجيش العثماني الذي كان يدافع عن المدينة النبوية - وبناء على تغير الظروف واستسلام حامية المدينة فلن تجني الحكومة البريطانية شيئا من التدخل في النزاع الدائر بين ابن سعود والملك حسين - كما ورد في التعليمات - وقد ألغيت التعليمات الخاصة بتوجيه إنذار إلى ابن سعود)[528].

لقد احتل البريطانيون المدينة النبوية ونجحوا في إخراج الحامية العثمانية منها بواسطة قوات الشريف حسين، كما احتلت بريطانيا القدس بدعم قوات الشريف فيصل بن الحسين!

وقد كتب ابن سعود بتاريخ **2/8/ 1920**م رسالة إلى بريطانيا - التي كانت تمده بخمسة آلاف جنيه إسترليني شهريا، وبترسانة من الأسلحة والذخيرة - قال فيها:

(ساندوني وأنا أضمن ألا أسمح برواج المؤامرات المضادة لبريطانيا بين العرب، إنكم تسبغون على أصدقائكم الخونة الألقاب - يعني الملك حسين - وتمنحونهم الأراضي الخصبة - يعني الشام والعراق - وأنا صديقكم المخلص أظل أفقر مما كنت عليه من قبل! أرجوكم أن تطلبوا إلى حكومة صاحبة الجلالة زيادة إعانتي وأن تزيد من مساعداتها المالية لي، أنا لا أستطيع الاستمرار، ردوا علي، علموني كيف أقاوم وأتحمل)[529].

---

[528] الأخوان السعوديون لجون س **167** بتصرف.

[529] الأخوان السعوديون لجون س **150**.

لقد كانت المشكلة الرئيسية التي واجهها ابن سعود هي في إصرار الأخوان بقيادة فيصل الدويش على البدء بقتال الشريف حسين لكفره في نظرهم بتحالفه مع بريطانيا والنصارى، بينما كان ابن سعود بتوجيه بريطاني يحاول صرف أنظارهم عن الشريف حسين رجل بريطانيا في غرب الجزيرة العربية، وتوجيههم نحو حائل وابن رشيد الذي كان حليفا للدولة العثمانية وعدوا لبريطانيا، وقد عقد ابن سعود مؤتمرا عاما في مدينة شقراء، حضره الزعماء من البدو والحضر، وقد أعلن ابن سعود عن موقفه بضرورة قتال ابن رشيد بدعوى أنه أضعف عسكريا من الشريف حسين وكما يقول جون س من خلال الوثائق:

(طالبت المعارضة بزعامة فيصل الدويش شيخ قبائل مطير والناطق باسم الأخوان أن يقوم الأخوان بالهجوم على الإنجليز، والملك حسين، الذي سلحه الإنجليز والذي يهدد إخواننا في العقيدة في الخرمة)[530].

ولم يستطع ابن سعود الاعتراض على هذه الحجة - بإعلان أن المشكلة ليست مع الإنجليز ولا بتحالف حسين مع الإنجليز، إذ كان هو نفسه حليفا لهم، وتحت حمايتهم، ويستقبل دعمهم - بل برر تحفظه على مثل هذا الرأي الذي يطالبه به الأخوان والدويش بحجة أن الشريف أقوى عسكريا، وأن حائل أشد خطرا، وقد نجح في آخر المؤتمر في إقناع المعارضة(وأن يثبت ولاءه للبريطانيين مع تقوية أمن ممتلكاته في آن واحد)[531].

وفي الوقت الذي يدور النزاع بين ابن سعود والشريف في الحجاز تحت إشراف بريطاني في جهة الغربوقع صراع آخر شرقا وكما يقول جون س:

(نشب الخلاف ـ بين الأخوان وسالم الصباح ـ عندما أرسل سالم قوة من رجاله لإجبار الإخوان من قبيلة مطير في موقع اسمه قرية على تركها من منطلق أنها أراضي كويتية، وأعقب ذلك نشوب العديد من المعارك التي كان أشهرها معركة الجهراء في اكتوبر **1920**م، بقيادة فيصل الدويش الذي خرج منها منتصرا، وقد

[530] الأخوان السعوديون لجون س **151** .

[531] الأخوان السعوديون لجون س ص **152** .

أدت حشود الكويتيين وربما الهجوم الضاري الذي قام به الأخوان على مدينة الكويت نفسها إلى إرسال بعض سفن المدفعية البريطانية، إلى المياه الكويتية لوضع الطيران في موضع الاستعداد، في إشارة قوية من بريطانيا إلى التزامها بالدفاع عن محميتها والحفاظ عليها، وقد أدت عمليات الأخوان العسكرية هذه إلى إخلاء تلك المنطقة وإلى الأبد من الرعاة الكويتيين وقطعانهم، كما نتج عنها أن أصبحت تلك الأراضي جزء لا يتجزأ من نجد، ومعترفا به دوليا، بناء على اتفاقية الحدود النجدية الكويتية التي أبرمت في العقير في 12/7/ 1920م)[532].

سقوط حائل وضمها للمشروع البريطاني:

منذ بداية الحرب العالمية الأولى ووقوف حائل ضد الحملة الصليبية على الدولة الإسلامية العثمانية، قررت بريطانيا إسقاطها واحتلالها على يد عبد العزيز بن سعود، وقد خطط وليم شكسبير لهذا الهدف، وقد قتل في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد سنة 1915م، ثم واصل الكولونيل هاملتون مهمة شكسبير وزار الرياض سنة 1917م لتنفيذ هذا المخطط، ثم حل مكانه فيلبي الذي وصل قادما من بغداد إلى الرياض في 30 تشرين الثاني سنة 1917م لتحقيق هدفين الأول إسقاط حائل وضمها للرياض، والثاني توثيق التحالف بين ابن سعود والشريف حسين في مكة لمواجهة الدولة العثمانية التي ما تزال حاميتها العسكرية تسيطر على المدينة المنورة، وقد قدر فيلبي احتياجات ابن سعود لينفذ المهمة في حرب ابن رشيد بخمسة عشر ألف رجل مسلح، وعشرة آلاف رجل احتياطي، وخمسين ألف جنيه نفقات شهرية، وعشر آلاف بندقية، وأربعة مدافع ميدان، وعشرين ألف جنيه للمواد الغذائية، وكتب فليبي هذا التقرير لحكومته وأكد على ضرورة زيادة الدعم لضمان نجاح ابن سعود في مهمته[533].

وقد تحفظ المندوب السامي البريطاني في القاهرة ريجينالدوينغيت على زيادة الدعم خشية أن يستخدم الأخوان هذا الدعم في مهاجمة الشريف في الحجاز الذي كان

[532] الأخوان السعوديون لجون س 183 .

[533] عبد العزيز وبريطانيا ص 108- 109 .

يتبع في شئونه المندوب البريطاني في القاهرة، بينما أكد كوكس المقيم البريطاني في بغداد الذي يتبع حكومة الهند البريطانية ضرورة زيادة الدعم خاصة وأن ابن سعود قد أصبح تحت الحماية البريطانية بمعاهدة رسمية سنة 1915م في دارين، وأن الهدف الذي تسعى إليه بريطانيا(ينصب على رؤية نهاية سريعة لابن رشيد، والإبقاء على ابن سعود والشريف كقوتين سياسيتين في وسط وغربي الجزيرة العربية، لما يشكلانه من ثقل في السياسة البريطانية في تلك المنطقة)[534].

وبعد هزيمة الدولة العثمانية، وانتهاء الحرب العالمية سنة 1918م، خففت حكومة الهند من اندفاعها فكتب كوكس إلى مرؤوسيه في لندن (إننا لا نريد أن ندفع ابن سعود الذي لا يعتبر عبقريا عسكريا في عمليات خطيرة مثل محاصرة حائل)[535].

إلا إن فيلبي ظل متمسكا بضرورة دعم احتلال ابن سعود لحائل، إذ (سيساهم ذلك – كما جاء في تقرير فيلبي – في تعزيز سلطة ابن سعود في قلب الجزيرة العربية، ومن ثم يخلق توازنا بين حليفي بريطانيا الحسين وابن سعود)[536].

وقد أكد دكسون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في تقرير له عن رغبته في احتلال ابن سعود لحائل بالوسائل الدبلوماسية حيث كتب في تقريره:

(إن حكومته تحبذ رؤية ابن سعود سيدا على قلب الجزيرة العربية، وأن قوة ابن سعود ستزيد من هيمنة بريطانيا على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، مما يجعل المشيخات هناك في ذعر دائم من ابن سعود، وسترنو دائما نحو بريطانيا لحمايتها)[537].

وقد توجه فيصل الدويش ومعه 2000 مقاتل من قبيلة مطير من الأخوان نحو حائل، وجرت بينه وبين قوات محمد بن طلال ابن رشيد معركة عنيفة في الجثامية

---

[534] عبد العزيز وبريطانيا ص 109– 110، نقلا عن الوثائق البريطانية .

[535] عبد العزيز وبريطانيا ص210 .

[536] عبد العزيز وبريطانيا ص210 .

[537] عبد العزيز وبريطانيا ص211 نقلا عن الوثائق البريطانية.

على بعد خمسة أميال من حائل كان النصر فيها حليف الأخوان، وتراجع بعدها ابن رشيد إلى عاصمته، وتمت محاصرته، وطلب الصلح من ابن سعود الذي اشترط عليه الدخول في حلف مع بريطانيا[538].

لقد أصبحت حايل بعد سقوط الخلافة العثمانية محصورة بين فكي الكماشة ففرنسا في الشام وبريطانيا في العراق والرياض والحجاز وكما يقول المستشرق النمساوي المسلم محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود وعاصر تلك الأحداث:

(وإذ فقد ابن رشيد مؤازرة الأتراك وأصبح محصورا في الشمال بالأراضي التي كانت تديرها بريطانيا وفرنسا، فإنه لم يعد يستطيع أن يبدي أي مقاومة فعالة ضد ابن سعود، واستطاعت قوى الملك بقيادة فيصل الدويش الذي كان في ذلك الحين أعظم قواد ابن سعود أن تستولي على حايل في عام **1921**م)[539].

وكما يقول جوس س :

(في **20/ 11/1921**م سقطت حائل في يد ابن سعود بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما، وكان لفيصل الدويش وقبيلة مطير اليد الطولى في حصارها وفتحها، وبذلك سقطت عاصمة نجد الشمالية أمام جيوش الأخوان التي سيطرت على المنطقة الشمالية إلى حدود الشام وعمان، وهي الخطوط الحمراء، حيث يرابط البريطانيون والفرنسيون، وقد قام البريطانيون بمواجهة قوة منهم تقدر بألف وخمسمائة مقاتل وقصفتهم بالطيران، وقتلت أكثرهم، وحينها أيقن الأخوان كما يقول جون س (أن المسيحيين موجودون في كل مكان، فهم يحمون سالم الصباح، وهم الذين أنقذوه من العقاب العادل على أيديهم، وهم الآن على أعتاب شرق الأردن حماة عسكريين للأمير عبد الله الذي أنزلوا به الهزيمة بالأمس في تربة)[540].

مشروع المملكة العربية تحت النفوذ البريطاني:

---

[538]عبد العزيز وبريطانيا ص **212** .

[539]الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص **180** .

[540]الأخوان السعوديون لجون س **186** .

لقد كان المشروع البريطاني كما رسمه كيتشنر في مذكرته التي رفعهـا إلى مجلـس الوزراء البريطاني بتاريخ 14/ 3/ 1915م يقوم على النحو التالي:

(خلق مملكة مستقلة في شبه الجزيرة العربية تشتمل على مكة والمدينة، علـى أن تكون تحت رعاية بريطانيا، فقد كان أمرا جوهريا أن تكـون كـذلك لتتحقـق لبريطانيا السيطرة على القيادة الروحية للعالم الإسلامي)[541].

وفي ربيع سنة 1917م تم (تخلي مسئولين بريطانيين عن حماستهم زمـن الحـرب لحاكم مكة، مقابل وضع منافسه عبد العزيز بن سعود، الذي دعمته حكومة الهند البريطانية طوال الوقت)[542].

كما تراجع المسئولون البريطانيون في مطلع سنة 1918م، عن تشجيعهم للشريف حسين بإعلان نفسه خليفة للمسلمين، بل وحذروه من خطورة هذه الخطوة، تلك الخطوة التي شجعوه عليها سابقا، إيمانا منهم بأن (القوة في الشرق لا تعني شيئا، وإن الدين هو كل شيء)[543].

لقد قرر البريطانيون التخلص من الشريف حسين كزعيم للقضية العربية، لصالح ابنه فيصل الذي صار يدور في الفلك البريطاني، والذي انقطع عن والده وأسرته في الحجاز، طمعا في حكم الشام، مما جعل والده يتهمه بالخيانـة لـه، ولأمتـه، وشرفه[544].

لقد حضرت بريطانيا مؤتمر الصلح في باريس سنة 1919م، بعد توقف الحـرب العالمية، وهي تسيطر(على مشيخات الخليج العربي، التي جرى تنظيمهـا خـلال الحرب، ولها وضع متميز في الجزيرة العربية، الذي ضمنه تحالف بريطانيـا مـع

[541] ولادة الشرق 155 .

[542] ولادة الشرق 363 .

[543] ولادة الشرق 364 .

[544] ولادة الشرق 366 .

الحسين وابن سعود، وقد جعل منهما هذا التحالف حاكمين مشمولين بحمايتها)[545].

لقد قررت بريطانيا التخلص من الشريف حسين وإنهاء نفوذه بالحجاز بعد إلحاحه على بريطانيا تنفيذ وعودها لها بإقامة (المملكة العربية المتحده) في الجزيرة والشام والعراق ليكون خليفة عليها، وبدأ التوجه البريطاني لحسم الموقف لصالح ابن سعود خاصة بعد تحرك فيصل بن الحسين للإعلان عن الجهاد لمواجهة فرنسا في الشام وهو الخط الأحمر الذي لن تقبل به بريطانيا نفسها، إذ إسقاط الخلافة ومنع عودة فكرة الجهاد أهم أسباب القضاء على الخلافة العثمانية!

وفي سنة **1920**م بعد أن أدرك الشريف فيصل بن الحسين أبعاد اتفاقية سايكس بيكو وأن سوريا قد أصبحت تحت الاحتلال الفرنسي قام بالدعوة إلى الثورة وإعلان الجهاد، وكتب إلى ابن سعود بذلك، وقد أخبر ابن سعود دكسون في لقاء تم بينهما في الأحساء بتاريخ **15** فبراير بما يلي :

عن توجيه دعوة له لإعلان الجهاد ضد المسيحيين، وأن شعبه يؤيد هذه الدعوة، وأن أفضل حل لمواجهة هذه الدعوة التي يقودها فيصل ووالده في الحجاز يكون بدعم بريطانيا له هو، وأنه سيقف أمام علماء بلده بكل قوة إذا ما قرروا الوقوف مع الجهاد ضد الحلفاء[546].

تخلي بريطانيا عن الشريف وضم الأخوان للحجاز:

وبعد إعلان شريف مكة نفسه خليفة للمسلمين – وهو ما سبق أن حذرته منه بريطانيا التي دعمته ضد الدولة العثمانية – قامت بريطانيا التي كانت وراء فكرة القضاء على الخلافة بإسقاط الشريف، وكما قال دكسون:

---

[545] ولادة الشرق **442** .

[546] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية **5/119-123** تقرير دكسون حول المقابلة.

(كان الملك حسين ملك الحجاز بعناده ورعونته يكتب نهايته بيـــده فعنـــدما زار شرق الأردن وأعلن نفسه هناك خليفة في العالم الإسلامي أعلن ابن سعود عليـــه الحرب)[547].

وإنما كانت تلك الحرب بتوجيه بريطاني بعد أن تجاوز الشريف حسين الخط الأحمر المحظور على العالم الإسلامي كله وهو إعادة الخلافة فكان يخط نهايته ونهاية حكمه ووجوده بيده بمثل ذلك الإعلان!

لقد تم بعد ذلك الإعلان الذي قام به الشريف حسين في شـــرق الأردن بإعـــادة الخلافة عقد مؤتمر في الرياض في **1924/6/5**م جمع كبار رؤســـاء القبائـــل مـــن الأخوان، وعلماء الدين، وترأسه عبد الرحمن بن فيصل والد عبـــد العزيـــز بـــن سعود، وقد أصدر المؤتمر بيانا أشار فيه إلى (الاستفزاز الذي تمثل في تعيين الملك حسين نفسه خليفة)، وتحركت قوات الأخوان نحو الحجاز، واحتلت الطـــائف في شهر **1924/9**م، وتقدم الأخوان الذين كان جلهم من قبيلة عتيبة بقيادة سلطان بن بجاد نحو مكة، ودخلوها بلا كبير مقاومة، ودون إطلاق طلقة واحدة، حيـــث انسحب الشريف من مكة إلى جدة (وكان يخوض حربا خاسرة فقد اســـتطاع أن يصمد لحصار جدة ولكن سقوط المدينة المنورة بأيدي قوات الأخوان بقيادة فيصل الدويش في سنة **1925** أدى إلى تنازله عن العرش)[548].

كما نجح الأخوان بعد حصار جدة سنة كاملة من السيطرة عليهـــا، وقـــد بـــدأ الأخوانيين سيطروا على الحجاز يفاوضون القنصل البريطاني والإيطالي والهولندي والإيراني في جدة ويتعهدون لهم بضمان الأمن لهم ولرعاياهم، وكما يقول جـــون س :

لقد(كان الأخوان يسيطرون على الموقف تماما، فقد كـــان هـــؤلاء البـــدو غـــير المتحضرين يتعاملون بالفعل مع أعيان الحجاز وممثلي الدول الكبرى قبل وصـــول

---

[547] الكويت وجاراتها **1/293** .

[548] الكويت وجاراتها **1/294** .

زعيمهم إلى المدينة)، في الوقت الذي كان ابن سعود في الرياض لم يتصور سـرعة سقوط مكة على هذا النحو، وقد جاء من الرياض ليدخلها دخـول الفـاتحين في نصر كان(الأخوان هم الذين مكنوه من تحقيقه، ولكنهم لم يأخذوا مقابل ذلـك سوى القليل، إن لم يكن شيئا على الإطلاق، ومع ذلك لو فشل الأخوان لكان من السهل على ابن سعود الذي كان لا يزال في الرياض، أن يزعم أنهم هجموا على الطائف ومكة دون إذن منه أو علم له بذلك، وما داموا قد فعلوا ذلك فإن الله لم ينصرهم، وربما كان ذلك العذر مقبولا أيضا لدى أصدقائه البريطـانيين، وقـد استشعر الأخوان- كما يقول جون - فيما بعد أن ابن سعود لم يعترف على الملأ قط بالدور الذي لعبه الأخوان في الاستيلاء على الحجاز، وقد غضب الأخوان من المزاعم التي تقول إن ابن سعود وأسرته والقرويين من غير الأخوان هـم الـذين استولوا على الحجاز، مع أن هاتين المعركتين - الطائف ومكة - لم يشارك فيهما قروي واحد من القرويين المستقرين، والتسجيلات المدونة تؤكد ذلك)[549].

---

[549] الأخوان السعوديون لجون س ص194- 195 .

(عبيد بلا أغلال)

(22)

(الترتيبات البريطانية للقضاء على حركة الأخوان النجدية)

الخلاف بين الأخوان وابن سعود:

بدأت الفجوة تتسع – بعد ضم حائل والحجاز – بين الأخوان وابن سعود أكثر فأكثر (لقد بدءوا يشعرون بالضيق منه لزيادة اتصالاته بالإنجليز)[550].

ولم يكن الأخوان يعلمون أنه كان تحت الحماية البريطانية وفق معاهدة رسمية منذ سنة **1915**م، واتفاقية سرية منذ سنة **1911**م مع حكومة الهند البريطانية، كما كان تحت إشرافهم منذ خرج من الكويت إلى الرياض سنة **1900**م، وقد بدأ شكهم في علاقاته مع الإنجليز يزداد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة، حيث كتب النقيب نورمان – الذي كان يتابع الوضع عن قرب إلى حكومة الهند البريطانية سنة **1919**م – يقول:

---

[550] الأخوان السعوديون لجون س **144** .

(ابن سعود غير متأكد من وضعه الخاص وهو خائف من النتائج، لقد أعاد تأسيس الأخوان ليوفر لنفسه وسيلة للدفاع عن النفس ضد الهجوم).

وبعد سنوات كتب ألويس ميوسيل تقريرا جاء فيه:

(إن الأخوان وقائدهم –فيصل الدويش – سيكونون أول من يرفض ابن سعود إذا ما أخفق في إتباع مبادئ المذهب الذي يتبعونه، إنهم الآن يتهمونه باعتداله الشديد، وبطاعته المفرطة للأوربيين)[551].

الإجراءات البريطانية السعودية للسيطرة على حركة الأخوان:

1- المواجهة الفكرية والثقافية:

لقد كانت الإجراءات والترتيبات التي اتبعتها بريطانيا لمواجهة حركة الأخوانبالتنسيق مع ابن سعود في سنة 1919م تتمثل في إيفاده جماعة من العلماء والدعاة ليقولوا للإخوان:

(إن الزراعة والحرف والتجارة والصناعة لا تتعارض مع الإسلام، وأن المسلم القوي خير من المسلم الضعيف، وأن الإسلام يشجع على جمع الثروة والممتلكات عن طريق العمل، وفي النهاية سلم الأخوان بهذا التفسير، وقد فاقت مستقرات الأخوان من حيث الزراعة والصناعة المدن والقرى المستقرة القديمة صاحبة الخبرة الأكبر)[552].

---

[551] الأخوان السعوديون لجون س ص 144-145 .

[552] الأخوان السعوديون لجون س 145 .فبريطانيا كقوة استعمارية ترفض وجود قوة عسكرية قد تقف ضدها، فعملت على تجريدها من قوتها العسكرية، تماما كما تفعل في العراق اليوم حيث تم حل الجيش العراقي وتفكيكه، وكما تم إلغاء التجنيد الإجباري في الكويت، وتهميش درع الجزيرة في نفس الفترة، إذ يرفض الاستعمار الأجنبي أن يتدرب الشعب الذي يقع تحت سيطرته على حمل السلاح! ولهذا بدأت الترتيبات من جديد لعودة التجنيد الإلزامي في الكويت، والاهتمام من جديد بدرع الجزيرة لتحل محل القوات الأمريكية التي ستنسحب من العراق، لتقوم الشعوب الخليجية نفسها لا بحماية أوطانها وحريتها وكرامتها، بل بحماية الأنظمة الاستبدادية التي أقامها الاحتلال لتكريس وجوده ومشروعه في السيطرة على المنطقة بيد شعوبها!

كما عقد العلماء في الرياض بأمر من ابن سعود مؤتمرا توصلوا فيه إلى أن الهجرة ليست واجبة على البدو الذين لم يستقروا بعد كالإخوان، وأعيد تفسير كلام محمد بن عبد الوهاب حول وجوب الهجرة من أرض الشرك إلى أرض الإسلام – بما يتناسب مع تطور الأحداث الجديدة في المنطقة بوحي من الإنجليز – وقد تم طباعة فتاوى علماء المؤتمر ونشرها على الإخوان في كل مكان[553].

وطباعة الفتاوى ونشرها أسلوب بريطاني لا عهد للمنطقة به قبل ذلك، فقد حدث في نفس الفترة سنة **1921** – كما ذكر دكسون في كتابه الكويت وجاراتها – أن قام الطيران البريطاني بقصف مسجد الإمام علي وضريحه بالكوفة، فانتشر الخبر، وثار الشيعة في كل مكان في العالم الإسلامي، فتوجه دكسون بأمر كوكس إلى المرجع الشيعي الأعلى كاظم اليزدي الذي كان دكسون يستشيره كثيرا، وطلب منه المساعدة على تهدئة ثورة الشيعة، واعتذر دكسون عن وقوع الحادث وأنه تم بالخطأ غير المقصود، وفاجأه كاظم اليزدي حين قال له: ومن قال إن المسجد قد قصف؟ هذه كذبة يراد منها تشويه سمعة بريطانيا!

فطلب دكسون منه إصدار فتوى بذلك لطباعتها ونشرها على الشيعة في كل مكان في الهند وإيران، وتم له ذلك وهدأت ثورة الشيعة بحيلة كاظم اليزدي وفتواه وطباعة بريطانيا لها ونشرها![554]

لقد أشكل على الأخوان– الذين كانوا يحسنون الظن بالعلماء – كيف وجبت عليهم الهجرة ابتداء من البدو إلى الهجر حيث يتعلمون الدين والتوحيد، بينما لا تجب على البدو الذين ما زالوا كذلك في نجدوالعراق والشام وأطراف الجزيرة العربية؟!

وما الذي يجعل محاولات فتح حائل وغيرها من المدن واجبا وجهادا في سبيل الله وطريقا إلى الجنة، بينما يحرم عليهم فتحالعراق والشام وضمها إلى بلد التوحيد؟!

---

[553] الأخوان السعوديون لجون س **147** .

[554] الكويت وجاراتها **268/1** .

لقد كان الأخوان يستلهمون أهدافهم من مبادئهم التي اعتنقوها، والأصول العقائدية التي حفظوها، دون أن يعلموا بأن السلطة في الرياض تتبع للتاج البريطاني، وتحت الحماية البريطانية رسميا،وملتزمة بمعاهدة سرية مع بريطانيا، تقضي بأن تكون شئونها الخارجية تحت إشرافها!

وقد اطلع بعض المؤرخين النجديين على بعض تفاصيل تلك المعاهدة مبكرا حيث ذكرها ابن بسام في تاريخه، في حوادث سنة 1329هـ - 1911م فقال:

(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الإحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحارب بدون إذنهم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).[555]

وهذه الاتفاقية هي قطعا قبل معاهدة سنة 1915م، فهي تتحدث عن احتلال الإحساء الذي تم سنة 1913م، والاتفاقية كانت قبل ذلك بسنتين وقد أرخها ابن بسام في سنة 1911م، بينما الاتفاقية الرسمية كانت سنة 1915م وهي اتفاقية دارين التي جعلت بريطانيا بعدها من ابن سعود (واحدا من الشيوخ الخاضعين لحمايتها والمرتبطين معها بمعاهدات مانعة، وكانت المعاهدة تشمل معظم المواد التي ذكرت في المعاهدات المانعة التي عقدتها بريطانيا مع شيوخ الخليج مثل عدم التنازل وعدم التأجير أو الرهن لأي قسم من أراضيه إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وكذلك عدم الاتصال بالحكومات الأجنبية، وحماية ابن سعود من أي اعتداء يقع عليه من أي دولة أخرى)[556].

وما ذكره ابن بسام هو المعاهدة السرية التي على أساسها احتل ابن سعود الإحساء سنة 1913م، ثم تم توقيع الاتفاقية الرسمية سنة 1915م.

2- المواجهة البريطانية المسلحة لقوات الأخوان:

---

[555] تحفة المشتاق ص 410 .

[556] تاريخ الخليج العربي لزكريا 3/34 .

وقد واصل الأخوان سنة **1923**م إرسال دعاتهم الدينيين قبل وصول مجاهديهم- كما هي عادتهم – إلى دمشق وسيناء، مما أثار تشرشل الذي كان حينـــها وزيـــرا للمستعمرات، فطلب من اللنبي ووزارة الخارجية تقريرا حول الموضـــوع وعـــن حجم انتشار حركة الأخوان وأفكارهم في المنطقة، وقد أمـــر اللـــنبي القـــوات البريطانية والمصرية باستخدام القوة ضد الأخوان وقواتهم التي تتقدم نحو الشمال، مما أسفر عن اتفاق بريطاني نجدي بشأن تحديد الحدود بشكل رسمي في العقير، ثم تم بشكل نهائي في اجتماع الهدا بتاريخ **11/8/ 1925**م[557].

وقد عبر الأخوان إلى شرق الأردن، لمهاجمة عبد الله في سنة **1922**م، وقد تصدت لهم الطائرات والمصفحات البريطانية[558].

وبعد رسم الحدود مع الكويت، والعراق، والشام – وفق الإرادة البريطانية، وما تقتضيه مصالحها في المنطقة، ودون أن يكون لشعب المنطقـــة العـــربي أي دور في ذلك التقسيم لجزيرتهم العربية، الذي هو الأول من نوعه في تاريخها كلـــه، ودون رضاالأخوان الذين ما يزالون يؤمنون بضرورة وإمكانية توحيد الجزيرة العربيـــة والشام والعراق –لم يبق أمام ابن سعود إلا الحجاز(باعتباره إرثا شـــرعيا وقـــد أوضح عن ذلك في الكثير من تصريحاته العامة والخاصة، وكان كل ما يحتاجه هو مجرد سبب من الأسباب الداعية للحرب).[559]

وقد ساعد ابن سعود على تحقيق ذلك تحول السياسة البريطانية بحسب ما تقتضيه مصالحها (من سياسة موالية للشريف حسين، إلى موقف محايد من النزاع بين ابـــن سعود والملك حسين الذي كان كل منهما صديقا للتاج البريطاني)[560].

وهو ما لم يكن يعلم عنه الأخوان الذين كانوا يخوضون حرب تحرير وتوحيد ضد الإنجليز، وضد الشريف وابن صباح اللذين تحالفا مع بريطانيا، ولم يدركوا أنهـــم

---

[557]الأخوان السعوديون لجون س **186** .

[558]ولادة الشرق **577** .

[559]الأخوان السعوديون لجون س **187** .

[560]الأخوان السعوديون لجون س **187** .

هم أنفسهم يتبعون سلطة تقع تحت حماية بريطانية ودعم عسكري ومالي منها! وهو الخلل الخطير الذي ستكون نتائجه دموية ومأساوية على النحو الذي سيحصل بعد سنوات قريبة من استكمال بريطانيا وابن سعود لمشروعيهما من جهة، وتطلع الأخوان لاستكمال مشروعهم بتوحيد الجزيرة والشام والعراق وتحريرها من الإنجليز من جهة أخرى!

المخطط البريطاني السعودي للقضاء على الأخوان:

لقد رأت بريطانيا ضرورة القضاء على حركة الأخوان، فلم تعد هناك مبررات لوجودها كقوة عسكرية قد تهدد الوجود البريطاني في المنطقة، وكما يقول جون س:

(وبعد وصول الأخوان إلى البحر الأحمر انتهت قصتهم البطولية عنده، لقد وصلوا الذروة وانتهى مبرر وجودهم، ولم يبق لهم إلا أن يستعرضوا أنفسهم على مسرح التاريخ، فقد بدءوا يتسببون في إحراج ابن سعود، وبعد أن حقق ابن سعود حلمه، أراد إعادة الأخوان إلى نجد اعترافا بجميلهم، ومعهم مكافآت مجزية من المعاشات والأراضي، وكل هذه الغنائم لم يكن الأخوان يريدونها، بل كانوا يريدون ويتطلعون إلى ما لم يكن بوسع ابن سعود أن يأذن لهم به، لقد كانوا يريدون استمرار المسيرة الدينية، ولكن المسيرة إلى أينبعد أن وصلوا فعلا إلى حدود التوسع المسموح لهم به؟ وكان إمامهم قد وضع توقيعه على ترسيم الحدود الذي يتعين عليه أن يحترمه، أو أن تفرض عليه القوة العسكرية التابعة للتاج البريطاني هذا الاحترام، وسرعان ما أدرك الأخوان أنهم غير مرغوب فيهم في الحجاز، وبعد أن حرموا من ثمار انتصارهم الأخير في دخول المدينة وجدة، اكتشفوا أن علماء نجد الوهابيين قد حلوا محلهم، وأصبحوا ذراع ابن سعود اليمنى).[561]

إعلان الأخوان الجهاد على بريطانيا وابن سعود :

---

[561] الأخوان السعوديون لجون س 196 .

لقد أدرك قادة الأخوان بذكائهم الفطري بأن بريطانيا وراء كل هذه الترتيبات، وكما يقول جون س أيضا(لقد كان من بين أكثر الأخوان استياء فيصل الدويش قائد الحملة على المدينة، الشيخ الأعلى في قبيلة مطير القوية، وقد حث فيصل الدويش سلطان بن حميد الشيخ الأعلى لقبيلة عتيبة، وضيدان بن حثلين الشيخ الأعلى لقبيلة العجمان على قسم اليمين لمساندة بعضهم بعض، وقد قام فيصل الدويش بحملة دعائية واسعة النطاق ضد ابن سعود مشيرا إلى أن وجود المراكز على الحدود مع العراق دليل على أن ابن سعود قد باع حقوق بلاده إلى البريطانيين، وقد فعلت حملة فيصل فعلها، فبدأت القبائل تستحث بعضها على الجهاد)[562].

ولم يكن الأخوان في نجد يعرفون أبعاد الصراع بين ابن سعود والشريف حسين، وأنه صراع بين حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شئون نجد والعراق وشرق الجزيرة من جهة، والخارجية البريطانية التي تشرف على شئون الحجاز وغرب الجزيرة العربية من جهة أخرى، وكما يقول فرومكين:

(وقد بدا واضحا أكثر فأكثر أن في لندن قوتين متنافستين، تصارع إحداهما الأخرى، من أجل حصة من الإمبراطورية العثمانية، وهاتان القوتان هما المندوب السامي البريطاني في القاهرة، ونائب الملك البريطاني في الهند)[563].

وكما عبر عن تلك الأزمة بين حكومة الهند البريطانية وحكومة لندن الضابط البريطاني في العراق برترام توماس في مذكراته حيث يقول عن أثر الصراع بين الجهتين (جاءت النتيجة بأن مسرحي الفعاليات الحربية أصبح من مسئولية دائرتين أجنبيتين مختلفتين.. وعندما انتهت الحرب كانتا هناك وجهتا نظر حول السياسة التي يجب أن تتبع في البلاد العربية).[564]

إقامة دولة دينية في الحجاز تحت التاج البريطاني:

---

[562] الكويت وجاراتها لدكسون 1/295.

[563] ولادة الشرق 155. وهذا يذكر بالصراع بين وزارة الخارجية الأمريكية بقيادة كولن باول ووزارة الدفاع بقيادة رامسفلد حول من يدير شئون العراق بعد احتلاله سنة 2003؟!

[564] مخاطر ورحلات في الجزيرة العربية ص 73 .

كما لم يكن الأخوان يعلمون بأن بريطانيا قد قررت تعويض المسلمين – بعد إسقاط الخلافة الإسلامية، التي تمثل وحدة العالم الإسلامي – بإقامة دويلة إسلامية مستقلة تحافظ على مكة والمدينة تحت سيطرة بريطانيا، لا سيطرة أي جهة أخرى حتى وإن كانوا الأخوان الذين قاموا بالاستيلاء عليهما وحمايتهما!

لقد كانت بنود الاتفاقية السرية البريطانية الروسية في **12** مارس سنة **1915**م تجعل لروسيا حق السيطرة على اسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية، وهو ما سيؤدي إلى ثورة المسلمين في الهند ضد بريطانيا إذا عرفوا بالاتفاقية السرية، وعلموا أن بريطانيا شاركت في تدمير آخر دولة إسلامية مستقلة ذات أهمية وقد كان رئيس الوزراء البريطاني قد كتب عند بدأ الحرب العثمانية يقول :

(قليلة هي الأشياء التي تمنحني سرورا أكبر من سروري برؤية الإمبراطورية العثمانية وهي تختفي نهائيا من أوربا، ورؤية القسطنطينية وقد أصبحت روسية، وهذا ما أظن أنه قدرها المناسب)، وفي مارس **1915**م أكد موافقته على طلب روسيا ضم القسطنطينية (أسطنبول) إلى روسيا مقابل دخولها في الحرب بصف بريطانيا وفرنسا، ضد ألمانيا والدولة العثمانية[565].

ذلك الاتفاق الذي طال نقاشه في مجلس الوزراء البريطاني حين بحثوا مستقبل أقاليم الدولة العثمانية بعد سقوطها حتى وصف رئيس الوزراء البريطاني نفسه تلك المناقشات بأنها (أشبه بما يدور بين عصبة من القراصنة)[566].

لقد حرص المسئولون البريطانيون على أن يبقى الاتفاق سرا(وعلى بريطانيا أن تعوض المسلمين عن تدمير الإمبراطورية العثمانية بإقامة دولة إسلامية في مكان آخر، وأنه من وجهة نظر دينية، ولوجود مكة والمدينة، لا يمكن التفكير في إقامة هذه الدولة سوى في شبه الجزيرة العربية)[567].

---

[565] ولادة الشرق **152** .

[566] ولادة الشرق **156** .

[567] ولادة الشرق **154** .

لقد كانت بريطانيا تعالج آثار كارثة إسقاط الخلافة على العالم الإسلامي نفسيا وروحيا بإيجاد دويلة في الجزيرة العربية ذات طبيعة دينية تحت الحماية البريطانية شبيهة بدولة الفاتكان تحت السيادة الإيطالية!

لقد قام اللورد كتشنر القائد العام في الهند بعد نشوب الحرب العالمية الأولى (بالاتصال بذوي النفوذ في تراث الخلافة الإسلامية ومن خلال المسلمين الهنود، وفي مصر من خلال حركة القومية العربية، ورأى إمكانية إعادة الخلافة، وسيسمح ذوو النفوذ في المنطقة لبريطانيا أن تفد إليهم بعد أن يعلنوا الجهاد)![568]

وقد انتهى كل ذلك بعد سيطرة بريطانيا على المنطقة، وإنهاء وجود الشريف حسين نفسه، بعد تمرده على بريطانيا، وجاء الدور على الأخوان ليتم التخلص منهم بعد أن أدوا المهمة التي كان يطمح ابن سعود إلى تحقيقها منذ ربع قرن وكما يقول جون س:

(ها هم يعودون إلى نجد يحملون معهم استياءهم من ابن سعود والبريطانيين ... وليس من الغرابة أن تتفجر تلك القوة الديناميكية على شكل تمرد بعد أن أعيدت إلى نجد وهي في ذروة قوتها ونجاحها)[569].

لقد انتهى الدور الذي أرادت بريطانيا مع ابن سعود أن يقوم به الأخوان من حيث لا يشعرون، كما يجري اليوم في أفغانستان حين رأت الولايات المتحدة وباكستان أن حركة طالبان الدينية قد قامت بالمهمة، حتى إذا نجحت في السيطرة على أفغانستان وقضت على منافسيها تم القضاء عليها من قبل الولايات المتحدة وباكستان وحلفائها العرب لترسم فصول مشهد جديد يتكرر في العالم الإسلامي منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم!

بداية ثورة الأخوانفي نجد:

لقد كان الأخوان وقادتهم يعيشون حالة من الزهو بانتصاراتهم التي حققوها باسم الإسلام وكان فيصل الدويش كما يقول أسد (استولى على حايل سنة **1921**م

---

[568] مخاطر ورحلات في الجزيرة العربية ص **73** .

[569] الأخوان السعوديون لجون س **198**.

وفي عام 1925م أخذ المدينة المنورة ولعب دورا حاسما في فتح جـــدة، والآن في صيف 1927م كان يجلس على أكاليل مجده في هجرته الأرطاوية غير بعيد عـــن حدود العراق).[570]

إلا أن هذا الابتهاج بالنصر لن يدوم، كما يقول جون س: (لقد شعر الأخوان- بعد عودهم إلى نجد سنة 1925م - بقيادة فيصل الدويش وابن بجاد أنهـــم هـــم المسئولون عن الانتصارات العسكرية الكبيرة التي أوصلت ابن سعود إلى مركـــز السلطة، ولولاهم لما احتفظ بسلطته وسيطرته على الجزيرة العربية ... وعنـــدما عاد الدويش إلى نجد مرة ثانية معززا بالسلطة والنفوذ اللذين كان يحظى بهما في قبيلة مطير، وبروز الأرطاوية، والمركز المرموق الذي يحتله باعتباره الذراع اليمنى لابن سعود، ومما لا شك فيه أن فيصل الدويش قد أصبح أسطورة بين الأخـــوان، والقبائل الرعوية المرتحلة (البدو) والمستقرة (الحضر)، وعاد ســـلطان بـــن بجـــاد العتيبي عودة الأبطال أيضا فقد خلص الأخوان التابعين له الكـــثير مـــن منـــاطق الحجاز من أيدي الملك حسين، وسرعان ما بدأ ضيدان بن حـــثلين شـــيخ قبيلـــة العجمان المضطربة يشعر بالسخط بتحريض من الدويش وابن بجاد، وكان يتحين الفرصة ليثأر من ابن سعود للقمع الـــذي مارســـه علـــى قبيلـــة العجمـــان في الإحساء)[571].

مؤتمر الأخوان في الأرطاوية سنة 1926م:

وفي سنة 1926م عقد الأخوان مؤتمرهم في الأرطاوية وحضره شيوخ قبيلة مطير وعتيبة والعجمان وكانت أبرز اعتراضاقم على ابن سعود :

أولا :علاقته مع الإنجليز وإرسال ولده فيصل إلى لندن .

ثانيا:الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد.

ثالثا:المنع الذي فرضه ابن سعود على التجارة مع الكويت.

---

[570] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 214.

[571] الأخوان السعوديون لجون س 202 .

هجوم الأخوان على القوات البريطانية في العراق :

لقد قرر الأخوان مواجهة بريطانيا، ورأوا بأن أقرب قاعدة لها هي قاعدة الشعيبة الجوية في البصرة، فقرروا مهاجمتها دون علم ابن سعود الموجود في الحجاز، وقد عاد ابن سعود من الحجاز وكان الوضع السياسي قد تغير كما يقول غلوب باشا(وقد تحقق لدى الأخوان بأنهم هم الذين اقتحموا الحجاز، وليس ابن سعود الذي لم يكن له جيش نظامي، وفي شتاء سنة 1926 - 1927 قام الأخوان بغارات مكثفة وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى نقطة لا تبعد سوى خمسة وعشرين ميلا عن محطة القوة الجوية البريطانية في الشعيبة خارج البصرة، والحقيقة أن الأخوان لو واصلوا غزوهم لاستطاعوا أن يدمروا تلك المحطة برمتها، لقد فشلت القوة الجوية البريطانية فشلا ذريعا في معالجة هذه المشكلة)[572].

مؤتمر الأخوان في الرياض سنة 1927م:

وفي مطلع سنة 1927م تم عقد اجتماع في الرياض حضره ثلاثة آلاف شيخ وقائد من شيوخ الأخوان وقادتهم من قبيلة مطير، وعتيبة، والعجمان، وقحطان، وشمر، وحرب، وعنزة، والهواجر، والمرة، والدواسر، وسبيع، والسهول[573].

وقد تم مناقشة الاعتراضات، وتم توجيه الأسئلة للعلماء النجديين، الذين أجابوا عن كل الأسئلة المطروحة، إلا قضية العلاقة بالإنجليز، التي لم يجب عنهاالعلماء النجديين، ولم يكن العلماء ولا الأخوان يعلمون عن أساس هذه العلاقة التي تتمثل في معاهدة الحماية التي تجعل من نجد محمية ومستعمرة بريطانية!

وقد انتهى المؤتمر بتجديد ابن سعود تعهداته للجميع بالعمل بالشريعة المطهرة والحكم بها، وتم تجديد البيعة له.

كما تم الاتفاق ثانية بين ابن سعود وزعماء المعارضة الثلاثة (الدويش – ابن حميد – ابن حثلين) لعقد مؤتمر في مدينة بريدة، وعندما حان موعد اللقاء تم (تأجيل

---

[572] مذكرات غلوب باشا 159 .

[573] الأخوان السعوديون لجون س 204 .

الاجتماع حتى يتمكن ابن سعود من التباحث مع البريطانيين في خلافاته مع الأخوان)[574].

فقد كثرت التقارير البريطانية عن خطورة الوضع وقد كان جون جلوب (غلوب باشا) (لا يتردد في التعبير عن كراهيته الشديدة للإخوان فقد كان متعاطفا مع ابن سعود)[575].

إعلان فيصل الدويش للجهاد ضد الإنجليز وابن سعود :

وقد بدأت حركة التمرد الفعلي على سلطة ابن سعود، وكانت هذه الحركة بقيادة فيصل الدويش، وكانت تستهدف استكمال مهمة الجهاد – ولو أدى إلى المواجهة مع الوجود البريطاني في الكويت والعراق والأردن – والذي التزم ابن سعود في معاهداته مع بريطانيا بإيقافه، وقد امتد نطاق التمرد حيث هاجم تراحيب بن شقير الدويش وابن لامي الكويت، وتقدم فيصل الدويش بقواته وعبر الحدود العراقية وكما يقول دكسون(إن المعلومات الموثوقة المتوفرة حتى نهاية سنة **1927** تشير إلى أن قبيلة مطير وحدها كانت خارجة عن السيطرة)[576].

الطيران البريطاني في مواجهة حركة المعارضة :

وفي يناير سنة **1928**م وقعت معركة الرقعي – وهي ثالث معركة تقع بين مدينة الكويت وقبيلة مطير بعد حمض والجهراء – حيث هاجم الكويت بقواته علي بن عشوان من شيوخ العبيات من قبيلة مطير ومعه نحو أربعمائة من الأخوان، وقد طاردتهم السيارات المسلحة وخرجت من الكويت في أثرهم، وقد قتل في تلك المواجهات علي السالم الصباح، وأصيب قائد القوة علي الخليفة الصباح بجراح خطيرة، وقد نجح الطيران البريطاني في تتبع قوات ابن عشوان وقصفها، وبعد مدة تصدى الطيران البريطاني عدة مرات لعدد من مجموعات الأخوان القتالية وقصفها على الحدود العراقية السعودية الكويتية، وقد نجح الأخوان في إسقاط طائرة

---

[574] الأخوان السعوديون لجون س **212** .

[575] الأخوان السعوديون لجون س **210** .

[576] الكويت وجاراتها لدكسون **300/1** .

بريطانية وقتل قائدها، وقد أسقط الطيران البريطاني قنابله أحيانا على مخيمات البدو[577].

لقد تم التصدي لهجوم ابن عشوان وأتباعه (وتعرضت قواتهم لهجوم قاس من سلاح الطيران الجوي البريطاني الذي اتخذ من الكويت قاعدة له مؤقتة، كما وضعت ثلاثة طرادات حربية على سواحل الكويت، ومع ذلك فقد أوضحت الحكومة البريطانية أنه على الرغم من اتخاذها جميع وسائل الحماية إلا إنها مع ذلك ليست ملزمة بمسئولية الدفاع عن الكويت أكثر مما كان قد تقرر لها سنة **1914**م)[578].

أي لا تتجاوز الحماية حدود أسوار المدينة، إذ لم يكن يطلق آنذاك على ما وراء الأسوار اسم الكويت، بينما المعاهدة قد تمت سنة **1899**م قبل أن يمتد نفوذ مبارك خارج مدينة الكويت، وقبل أن يطلق على صحرائها اسم الكويت، إذ لم يتقرر ذلك إلا بعد المعاهدة البريطانية العثمانية سنة **1913**م.

المجاز البريطانية الوحشية ضد القبائل العربية :

لقد مارس الطيران البريطاني وحشية مفرطة في قصفه وضربه خيام البدو دون تمييز ودون إدراك للأزمة التي تعيشها القبائل العربية وهي تتعرض لخطر يهدد صميم وجودهم جراء الوضع الجديد وتحديد الحدود على أرض آبائهم وأجدادهم لخدمة المشروع الاستعماري البريطاني للمنطقة وعلى حد قول محمد أسد (لقد كانت تلك الحدود مسرحا لغارات البدو المستمرة الناشئة عن هجرات العشائر طلبا للعشب والماء، وفي سلسلة من الاتفاقات بين ابن سعود والبريطانيين كمسئولين عن العراق تقرر عدم إقامة أية عراقيل في وجه تلك الهجرات إلا أن الحكومة العراقية في صيف سنة **1927**م قامت ببناء القلاع على طول الحدود

---

[577] الكويت وجاراتها لدكسون **1/300-302** ، ومازال بعض كبار السن يذكرون تلك الحوادث التي تعرضت لها القبائل لقصف من الطيران البريطاني العشوائي لترويضها للمشروع البريطاني!

[578] تاريخ الخليج العربي لزكريا **3/88** .

وسرت موجة من القلق بين القبائل في شمال نجد إذ وجدوا أنفسهم مهـــددين في صميم وجودهم معزولين عن الآبار التي كانوا يعتمدون عليها الاعتماد كله).[579]

لقد كانت بريطانيا تعد العدة لمحاصرة القبائل وقطع طرق تحركها والسيطرة على آبار المياه التي ترد عليها بهدف إخضاعها كلية للحكومات الجديدة، وهــو مــا رفضته القبائل وقامت بالهجوم على القلاع الحدودية مما حدا ببريطانيا للتــدخل وكما يقول محمد أسد (فقد أعلم المندوب السامي البريطاني ابــن ســعود بأنــه سيرسل فرقة جوية حيوية لمعاقبة الأخوان من قبيلة الدويش لإجبارهم على طاعة ملكهم.. واجتازت فرقة جوية بريطانية الحدود وألقت قنابلها علــى الأراضــي النجدية فأنزلت الدمار بمضارب خيام مطير وقتلت دون تمييز الرجال والنســاء والأطفال والمواشي).[580]

وفي هذه الفترة من التاريخ في سنة **1928 – 1930**م الذي تحاول بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى إخضاع حركة الأخوان الدينية والقبائل في الجزيرة العربية لمشروعها بقوة الطيران البريطاني، كانت إيطاليا هي أيضا تمارس الحرب الإجرامية نفسها ضد الحركة السنوسية الدينية والقبائل العربية في ليبيا، وكما يقول محمد أسد وهو شاهد عيان على تلك الأحداث وقد ذهب في مهمــة لمســاعدة عمــر المختار سنة **1930**م :

(كان الموقف في برقة كما يلي كانت جميع المدن الساحلية في قبضة الإيطــاليين، وكانوا يسيّرون بين هذه النقاط المحصنة دوريات مستمرة من السيارات المصفحة وعددا كبيرا من المشاة تدعمها أسراب جوية، كانت تقوم بغارات متكررة علــى الأرياف، وكان البدو الذين يشكلون نواة المقاومة السنوسية غير قادرين على أن يتحركوا دون أن يكتشفوا حالا، وتفتح عليهم النار من الجو، وكــثيرا مــا أن طائرة استطلاعية أبرقت إلى أقرب مركز إليها بوجود مخيم للبدو بينمــا كانــت مدافع الطائرة الرشاشة تمنع الناس من التفرق كانت السيارات المصفحة تنــدفع جارفة في طريقها بيوت الشعر والجمال والناس، فتقتل دون تمييز كل ما يعترض

---

[579] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص **214** .

[580] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص **215**.

طريقها من النساء والأطفال والمواشي، وما تبقى من الناس والمواشي كان يساق نحو المعسكرات).[581]

ونجحت إيطاليا من محاصرة الثوار في ليبيا عن طريق قطع الإمداد عنهم من طريق مصر، وهو ما سهل لها القضاء على عمر المختار وقواته المجاهدة حيث سيتم إعدامه كخارج على القانون، وهو ما سيحدث مثله وفي السنة نفسها لحركة الأخوان في نجد وللقبائل العربية فيها على يد الجيش البريطاني، غير أن الثورة الليبية والجرائم الإيطالية وجدت من يفضحها ويكشف للعالم كله مدى بشاعة جرائمها بحق الشعب الليبي، بينما ظلت جرائم بريطانيا الوحشية بحق القبائل العربية في الجزيرة طي الكتمان إلى اليوم!

[581] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص **281**.

(عبيد بلا أغلال)

(23)

(مؤتمر جدة للقضاء على حركة الأخوان ومعركة السبلة)

المؤتمر البريطاني السعودي في جدة للقضاء على حركة الأخوان:

وقد قررت بريطانيا القضاء على حركة الأخوان النجدية، وتم في **7/5/ 1928**م عقد مؤتمر في جدة بين وفد ابن سعود برئاسة حافظ وهبة، ووفد بريطاني برئاسة جلبرت كلايتون والنقيب جون جلوب للتباحث حول مشكلة الحدود العراقية النجدية، والقتال بين القبائل التي ترتحل بين الحدين، وقد طالب وفد ابن سعود بمعاهدة لتسليم اللاجئين السياسيين، وقد تعهدت بريطانيا في هذا المؤتمر بعدم السماح لفيصل الدويش باللجوء السياسي في حال ما إذا قرر ابن سعود مقاتلته، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أسفرت عنه المفاوضات التي دامت عشرة أيام؟![582]

لقد كان مناقشة موضوع فيصل الدويش هو الهدف الرئيسي لهذا المؤتمر، وكل ذلك بعد مؤتمر الرياض الذي تم فيه الاتفاق بين المعارضة وابن سعود، والذي أزال أسباب التوتر بين الطرفين، كما تم الاتفاق بين قادة المعارضة على لقاء ابن

---

[582] الأخوان السعوديون لجون س **209** .

سعود في مدينة بريدة، وفجأة وقبل عقد الاجتماع طلب ابـــن ســـعود تأجيلـــه ليتمكن من معرفة وجهة النظر البريطانية،حيث تم الاتفاق في جدة بين ابن سعود والبريطانيين على حرمان فيصل الدويش حق اللجوء السياسي، فيما لو أراد ابن سعود القضاء عليه كزعيم للمعارضة السياسية في نجد، في الوقت الذي رفضـــت بريطانيا تسليم أي لاجئ سياسي آخر، وفي الوقت الذي لم ترفض المعارضة لقـــاء بريدة ؟!

لقد كان الهدف البريطاني من المؤتمر هو القضاء على حركة المعارضـــة، لكونهـــا كانت ترفض وجود الإنجليز والارتباط بهم!

وبعد ذلك المؤتمر في جدة، تدهورت العلاقات بين المعارضة وابن ســـعود حيـــث كانوا كما يقول جون س (يتهمونه بأنه قد باع نفسه للنصارى والإنجليز، وأنـــه تحالف معهم، على حساب التزامه من قبل بنشر الإسلام، ومحاربة الكفار)[583].

وكما يقول دكسون (ومهما كان الأمر فمشاعر قبائل الأخوان في نجـــد كانـــت تغلي، وكانت مطير تمقت سياسة ابن سعود بمنع الغزوات – أي الجهاد – وأثـــار حنقهم قصف الطائرات البريطانية لهم، وادعوا أن إمامهم أصبح أداة في أيـــدي الإنجليز، وكان هناك خطر حقيقي من ثورة تقوم بها قبائل نجـــد بقيـــادة فيصـــل الدويش وسلطان بن حميد، لأن كلا القائدين يطالب ابن سعود بأن يثبت إيمانـــه بالله عن طريق إعلان الجهاد)[584].

لقد كان من أكبر أسباب السخط والعداوة التي أبداها الأخوان لشريف مكة هي تحالفه مع بريطانيا، فاكتشفوا فجأة بأن ابن سعود نفسه تحت حمايـــة الإنجليـــز، وحليف لهم، في الوقت الذي كانوا هم – أي الأخوان– الـــذين وحـــدوا نجـــد والحجاز، نصرة للإسلام، وحماية للحرمين من الإنجليز والنصارى الذين جاء بهـــم الشريف؟!

[583] الأخوان السعوديون لجون س 212 .

[584] الكويت وجاراتها لدكسون 307/1 .

وعلى حد جون س (لقد كان الأخوان يتمتعون بشعبية بين كثير من رعايا ابن سعود نظرا لنجاح فيصل الدويش وسلطان ابن بجاد في الحملة التي قاما بها بين القبائل والتي مفادها أنهما يمثلان مصالح الإسلام الشرعية، وأنهما كانا يدافعان عن قضية الدين، في حين أن ابن سعود بعد أن استولى بفضل شجاعتهم على الحجاز باع نفسه للإنجليز وللنصارى)[585].

لقد نجحتدعاية ابن سعود وإعلامه الديني في إخفاء أسباب الخلاف الرئيسية بينه وبين المعارضة واخترع فكرة أن الأسباب الكامنة وراء تصرفات قادة المعارضة الثلاثة (لم يكن غيرتهم على الدين وإنما تطلعاتهم الشخصية نحو السلطة، وأنهم اتفقوا فيما بينهم على الإطاحة به، وأن يصبح فيصل الدويش حاكما لنجد، ويتولى سلطان بن بجاد حكم الحجاز، ويصبح ضيدان بن حثلين حاكما للأحساء، وهذا التوزيع كان منطقيا من وجهة نظر توزيع القبائل ونفوذ كل شيخ من الشيوخ في المنطقة التي تخصه من تلك المناطق)[586].

كما أمكن بالدعاية حصر أسباب الخلاف بين ابن سعود والأخوان برفضهم لدخول البرقية والسيارة دون الحديث عن الأسباب الحقيقية للخلاف والصراع!

مؤتمر الرياض الثاني بين علماء نجد وشيوخ الأخوان:

وقد قام ابن سعود بعقد مؤتمر عام في الرياض باسم الجمعية العمومية ومؤتمر أعيان الرياض بتاريخ 5/ 11/ 1928م حيث حضره أكثر من عشرة آلاف من أعيان نجد من شيوخ الأخوان، وشيوخ العشائر، وأمراء الهجر، والقرى، والمدن، والعلماء، وقد كتب النقيب جلوب تقريرا عن المؤتمر - الذي كانت وراءه بريطانيا الذي سبق أن رتبت جمعية عمومية في العراق- وقد تم إسكان أعيان البدو من الأخوان وغيرهم في خيام خارج مدينة الرياض، بينما تم إسكان أعيان الحضر القادمين من القرى والمدن داخل الرياض، وتم إغلاق أسوار المدينة، وتوزيع السلاح والذخيرة على من بداخلها، كما تم احتجاز أعيان الأخوان

[585] الأخوان السعوديون لجون س 213 .

[586] الأخوان السعوديون لجون س 212 .

والبدو خارج الرياض وعدم السماح لهم بالرجوع إلى بلدانهم، حتى تمت المراسلة بين ابن سعود وقادة المعارضة، وهم الدويش وابن حميد وابن حثلين الذين لم يحضروا هذا المؤتمر، ولم تتمدعوهم إليه! إلا إن الدويش أرسل ابنه عبد العزيز مندوبا عنه لحضور المؤتمر[587].

إقصاء الدين عن الصراع وإثارة الروح الفئوية :

لقد أدرك ابن سعود أهمية إقصاء الروح الدينية جانبا في هذه المرحلة، إذ لن يكون الموقف في صالحه، وقد أذكى في مقابل ذلك الروح الفئوية بين البدو والحضر، ليستثمره في مواجهة المعارضة الشعبية الكبيرة ضد ارتباطه بالإنجليز وعلى حد قول جون س فقد(استضاف ابن سعود الحضر الذين يؤيدونه داخل المدينة، واحتفظ بقيادات الأخوان رهائن تحت ستار الضيافة والكرم، كما يتناسب مع التقاليد القبلية، وقد أدى ذلك الإجراء العملي إلى إبعاد رؤساء الأخوان عن التآمر مع كل من فيصل الدويش وسلطان بن حميد، ومن تنسيق جهودهم معهم)[588].

وقد تم انتخاب ثمانمائة من مجموع الحضور لعقد المؤتمر، وتم جمع أعيان الحضر في قاعة خاصة، والأخوان البدو في قاعة خاصة، ورجال الدين في قاعة ثالثة، وبعد بدء المؤتمر – الذي جلس فيه ابن سعود وأسرته في الصدر، والعلماء في الصف الأول، وخلفهم الحضر، وأمامه الأخوان– طلب ابن سعود من المجتمعين أن يختاروا حاكما لهم غيره ممن شاءوا، وقام العلماء وأقسموا(أنهم لم يكتشفوا قط أي فتور في غيرة ابن سعود على الدين، أو في إخلاصه لنشر الإسلام، وإن وقع منه خطأ فلأنه لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم..... ثم تكلم شيوخ الأخوان الذين يمثلون قبيلة مطير، وتكلم المندوبون عن فيصل الدويش، كما تكلم نيابة عن قبيلة حرب الفرم والذويبي وابن نحيت، كما تحدث ابن ربيعان نيابة عن قبيلة عتيبة، وابن حشر نيابة عن قحطان .... وقد ذكّروا ابن سعود بأنهم تركوا حياة البدو، وهجروا قبائلهم، وتركوا ثرواتهم، تلبية لنداء الجهاد في

---

[587] الأخوان السعوديون لجون س **213**، والكويت وجاراتها **307/1** .

[588] الأخوان السعوديون لجون س **214** .

سبيل الله، ونصرة للدين الصحيح، وأن سيوفهم ودماءهم هي التي جلبت له النصر، وأنهم لن يتبعوه بلا قيد أو شرط، لأنهم يخشون غضب الله أكثر من ابن سعود، وأنهم يريدون أن يستوضحوا عن بعض الأمور من العلماء، حيث أنه سبق أن طرحوا أسئلة من قبل اقتنع بعض الأخوان بالإجابة عنها، وبعضهم لم يقتنع، وأقسموا أنهم سيتبعون ما يحكم به العلماء)[589].

لقد رفض فيصل الدويش وابن بجاد وهما زعيما المعارضة حضور المؤتمر فقد أعلنا – كما يقول المستشرق النمساوي محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود – (أن ابن سعود ضال في الدين أولم يعقد المعاهدات مع الكفار؟ وأعلن العلماء المجتمعون في الرياض وبالإجماع بأن المعاهدات مع غير المسلمين مستحسنة إذا جلبت للمسلمين السلم والحرية)[590].

لقد كان من أهم الأسئلة التي وجهها الأخوان في هذا المؤتمر:

1- قضية المراكز الحدودية التي أقامها البريطانيون بين نجد والعراق، وهل يجوز شرعا ترسيم مثل هذه الحدود في أرض آبائهم وأجدادهم التي عاشوا عليها على مر الأجيال؟
2- وبعد تعهد ابن سعود للنصارى على عمل مثل هذه الحدود، كيف يسمح لهم بإقامة المراكز فيها مع أن المعاهدة تمنع من إقامة مثل هذه المراكز في مناطق رعي القبائل وآبارها بين الحدود؟
3- وإذا سكت الأخوان عن مثل هذا، وترتب عليه ضرر بالدين، أو ضرر بالمسلمين، هل يكونون آثمين عند الله؟وقد أقسموا أنهم لن يسمحوا بمثل هذا الأمر إذا كان فيه تهديد لدينهم أو أرضهم.
4- ولماذا تم وقف الجهاد، ومنع الأخوان من إكمال فتوحاتهم، لنشر الدين الصحيح، ولماذا أوقف ابن سعود نشر كلمة التوحيد؟

وقد وجهوا حديثهم إلى ابن سعود بقولهم :إن البريطانيين يعززون مراكزهم على الحدود، وإن ديننا وحياتنا في خطر، وإن البريطانيين هم الذين بدءوا بالشر.

---

[589]الأخوان السعوديون لجون س 215 .

[590]الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 216 .

وقد أجاب العلماء عن الأسئلة، وأيدوا موقف الأخوان بالنسبة لخطر البريطانيين ومراكزهم الحدودية.

وقد تعهد ابن سعود بالعمل بما قاله العلماء، أما بالنسبة للجهاد فقد قال إنه لن يستطيع التحدث في هذا الموضوع علانية، وطلب عقد جلسة سرية حضرها خمسون رجلا من المؤتمرين وعلماء الدين، لم تنشر تفاصيل ما دار فيها، غير أن الجميع خرج وقد اتفقوا على مواجهة فيصل الدويش وسلطان بن بجاد[591].

لقد خرج المؤتمرون – كما يقول جون س – وقد أعلنوا وقوفهم مع ابن سعود (إلا أنهم كانوا مقتنعين تماما بأن المتمردين كانت لديهم مظالم شرعية لم يحلها ابن سعود حلا مناسبا، وقد أدركت عناصر الرياض غير الأخوانية تلك المظالم أيضا)[592].

وقد أرسل فيصل الدويش رسالة إلى ابن سعود يسأله فيها عن سبب منعه من الجهاد في سبيل الله الذي طالما أيده ابن سعود من قبل، وعن الحدود والمراكز التي ستقضي على حياة القبيلة، التي ظلت تنتقل على مر العصور طلبا للمرعى والكلأ بين نجد والعراق دون أن يمنعها أحد، وعن السبب في مهادنة النصارى ودينهم ومراكزهم الحدودية، في الوقت الذي تجرد السيوف على الأخوان وشيوخهم؟[593]

مؤتمر الزلفي بين ابن سعود والأخوان :

لقد اضطربت الأوضاع في نجد كلها، مما حدا ابن سعود إلى عقد مؤتمر آخر في الزلفي، وكما يقول دكسون(لقد طالب قادة الأخوان بحسم خلافهم مع ابن سعود وفق حكم الشريعة وبتحكيم علماء الدين، وكانت حجتهم هي أنك يا ابن سعود طالما كنت تدعو إلى الجهاد وقتال الكفار، ولطالما رددت الآيات القرآنية التي تحث عليه، وتحل الغنائم التي تؤخذ بهذا الجهاد، والآن وبأمر من الإنجليز

---

[591] الأخوان السعوديون لجون س 218-222 .

[592] الأخوان السعوديون لجون س 52 .

[593] الأخوان السعوديون لجون س 223 .

الكفار أنفسهم تدعونا إلى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ، فإمـــا أن تكون قد خدعتنا، أو يكون القرآن باطلا، وليحكم علماء نجد بيننا، وقرر الملك أن يقابلهم في عقر دارهم، فدعا إلى مؤتمر خارج مدينة الزلفي، ومما لا شك فيـــه أن الرعب دب في قلبه بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أي هيئة مـــن علماء الدين الوهابيين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطـــانيين، قـــرر ضـــرب الأخوان بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد، وأقام ابن ســـعود معســـكرا لجيشـــه في الزلفي، ثم جاء فيصل الدويش من الأرطاوية ومعه فرقة صغيرة وخـــيم في ســـهل السبلة المكشوف قرب الزلفي، حيث انضم إليه بعد ثلاثة أيام ابن حميـــد الـــذي حضر ومعه قوة كبيرة، وخيم بالقرب من الدويش، وبموجب ترتيب ســـابق ظـــل ضيدان بن حثلين يحرس ميسرة الأخوان من أي هجوم طارئ يشنه فهد بن جلوي آل سعود ابن أمير الأحساء، وقد خيم ابن حثلين مع ابن شقير الـــدويش وابـــن لامي قرب (قرية) على بعد **130** ميلا إلى الجنوب من الكويت، وقد استخدم ابن سعود كل مهاراته الدبلوماسية لمنع ابن حثلين من أن يرمي بثقله مع الـــزعيمين الثائرين، وظلت قبيلة العوازم القوية في الأحساء موالية للملك)[594].

معركة السبلة بين ابن سعود والأخوان :

ولم تنفع الرسائل التي بعثها شيوخ المعارضة، ولا طلب عقد لقاء للصلح، في تخيف حدة التوتر بين المعارضة وابن سعود، حيث كانت الخطة البريطانية تقضي بوجوب القضاء على الأخوان، وتقابل الجيشان في منطقة السبلة، بين الأرطاوية والزلفي، وقد نجح ابن سعود في كسب أكثر شيوخ القبائل من الأخوان من قبيلـــة مطـــير، وحرب، وعتيبة، إلى صفه، بعد أن أقنعهم العلماء بحرمة الخروج عن طاعة الإمام، وكان من أبرزهم ابن ربيعان من شيوخ عتيبة، الذي أيد ابن سعود وعلى حـــد قول جون س(جاء ذلك التأييد بمثابة انتصار حاسم رجح كفة الميزان ناحية ابـــن سعود، ولو انضم إلى ابن بجاد شيخ قبيلة عتيبة لجاءت النتيجة الأخـــيرة لمعركـــة السبلة مختلفة تماما)[595].

---

[594] الكويت وجاراتها لدكسون **1/314-316** .

[595] الأخوان السعوديون لجون س **226** .

وفي **30/ 3 /1929**م، فاجأ ابن سعود قوات الأخوان في السبلة، الذين انسحب أكثرهم قبل المعركة بأيام، ظنا منهم أن الطرفين قد توصلا إلى صلح - خاصة بعد أن زار فيصل الدويش ابن سعود في مخيمه داعيا إلى المصالحة، بل وراغبا في إقناع ابن بجاد في ذلك - ودارت الحرب التي أراد الضباط السياسيون البريطانيون لها أن تدور، لتحطيم القوة العسكرية التي طالما رصدوها، وحذروا من خطر تركها بلا مواجهة فكان على ابن سعود - الذي مازال تحت الحماية البريطانية وتحت إشراف وتوجيه المندوبين البريطانيين لديه - أن يقضي عليها بالدعم المالي والعسكري البريطاني؟!

وكان الأمر كما يقول دكسون (هاجم ابن سعود بجيشه قائدي الأخوان دون سابق إنذار، وقد أُخذ الدويش مع فرقته الصغيرة على حين غرة وهم يهيئون طعام الإفطار، وأصيب الدويش بجراح خطيرة في معدته دون قتال، كما تمكن ابن حميد أن ينسحب وأن يشق طريقه إلى الوراء بمهارة فائقة في القتال، ومن المؤكد أن ابن سعود قبل أن يشن الهجوم المفاجئ أعطى تأكيدات جازمة بأنه سيجتمع مع الدويش مرة ثانية لبحث الأمور بموجب الشريعة، وقد تم نقل الدويش إلى الأرطاوية، وعاد ابن حميد إلى الغطغط حيث تبعه عبد الله بن عبد الرحمن شقيق الملك، فاستسلم دون قتال، ونقل إلى الرياض سجينا، وتم تدمير الغطغط، وبعد أن اطمأن ابن سعود إلى أن الثورة قد سحقت، وأن الدويش يحتضر متأثرا بجراحه، ذهب إلى مكة ليؤدي فريضة الحج، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت الملك كثيرا إلى هذه الحيلة غير الملكية لأن العربي لا ينسى)[596].

السياسة البريطانية السعودية الجديدة بعد معركة السبلة:

وبعد معركة السبلة جمع ابن سعود العلماء ورؤساء القبائل الذين وقفوا معه، ليعلن عليهم خطابا جديدالم يعهده الأخوان من قبل وجاء فيه:

1- يجب أن لا يسمحوا لرجالهم أن يعقدوا اجتماعا لمناقشة مسائل الدين أو الدنيا إلا بإذن من الملك وموافقته.

---

[596] الكويت وجاراتها لدكسون **1/314- 316** .

2- ويجب احترام المسلمين، ومن يحميهم المسلمون كما هدد وتوعد الحضور بأنهم سيلاقون ما لقيه الأخوان المعارضون إذا قاموا بمثل ما قاموا به[597].

لقد كان المقصود بحماية من يحميه المسلمون، أي البريطانيين الذين كان ابن سعود نفسه تحت حمايتهم!

[597] الأخوان السعوديون لجون س 230 .

(عبيد بلا أغلال)

(24)

(ثورة الأخوان الثانية وقضاء بريطانيا عليها)

أسباب ثورة الأخوان الثانية سنة 1929م:

ولم تكن معركة السبلة – كما يقول دكسون[598] – قد فلت من قوة الأخوان، إذ سرعان ما عادت لفيصل الدويش قوته ونفوذه، كما تمرد العجمان في الإحساء بعد أن غدر فهد بن عبد الله بن جلوي آل سعود – ابن أمير الإحساء– بشيخهم ضيدان بن حثلين، بعدما دعاه للمحادثة، فألقى القبض عليه، ثم أمر بحبسه ثم بقتله، وثارت قبيلة العجمان فقتلت فهد بن جلوي آل سعود، ثم خرجت شمالا لتنضم إلى الأخوان من قبيلة مطير بقيادة فيصل الدويش، لقد أدى اغتيال ابن حثلين إلى انتفاضة عارمة، وكما يرى دكسون أن الانتفاضة كانت(بسبب تصرفات فهد بن جلوي الحمقاء الذي اشتهر بالغدر والقسوة، والذي دعا ابن حثلين ليتباحث معه رسالة تلقاها من ابن سعود، وأرسل له كتاب أمان بخط يده، وعقد ضيدان مجلسا لقبيلته وعرض عليهم الرسالة فنصحوه بعدم الذهاب لأن رائحة الغدر كانت تفوح من الرسالة كما قالوا، وذهب ضيدان ومعه اثنا عشر رجلا، فاستقبله فهد بحفاوة ولكنه عندما قام ليغادر المكان، ألقى القبض عليه وكبله بالأصفاد، وتمكن أحد مرافقيه من الفرار لينذر قبيلة العجمان، فتحركت قوة من العجمان قوامها ألف وخمسمائة رجل بقيادة حزام بن حثلين نحو معسكر

[598] الكويت وجاراتها لدكسون 1/316– 327 .

فهد بن جلوي آل سعود، ولما شعر فهد أنه سيخسر المعركة أمر عبده بقطع رأس ضيدان، وعندما أراد فهد بن جلوي الفرار على فرسه قام شاب من العجمان وهو عبد الله بن عيد المخيال بإطلاق النار عليه، وكان في معيته ممسكا له عنان فرسه، وقتله انتقاما لمقتل ضيدان، وكانت خسارة ابن جلوي جسيمة إذ أبادت قبيلة العجمان كل أفراد القوة لتي كانت مع ابن جلوي، وانتشرت أنباء الاغتيال المخجل كالنار وحركت المشاعر في شمال شرق الجزيرة العربية، وانقلب الكثيرون على ابن سعود مع أن المسئولية تقع على عبد الله بن جلوي الذي كان ابنه فهد ينفذ أوامره، وقد وصل فرحان بن مشهور من شيوخ قبيلة الرولة من عنزة وأحد زعماء الأخوان البارزين، ومؤيد سابق لعبد العزيز بن سعود، إلى آبار الصبيحية في الجهة الجنوبية من الكويت، ومعه عدد كبير من الجمال اغتصبها من ابن مساعد بن جلوي آل سعود أمير حايل، ثم تحرك ابن مشهور إلى الجهراء، حيث قابل أحمد الجابر، وصرح بأنه تلقى كتاب أمان من ابن سعود، وأنه أرسل رسولا لمعرفة شروط الصلح، وبموجب تعليمات الحكومة البريطانية أمر الشيخ أحمد الجابر فرحان بن مشهور أن يغادر الجهراء، بعد أن تزود هو ورجاله بمؤن تكفيهم حتى الوصول إلى الرياض، وقد عبر الحدود ولكنه بدل أن يتوجه إلى الرياض - كما يقول دكسون - انضم إلى قبيلة العجمان في وسط الأحساء، وكان فيصل الدويش يتماثل للشفاء في الأرطاوية - من إصابته بمعركة السبلة - ومازال ابن حميد أسيرا في الرياض، حين رفعت قبيلة العجمان القوية مستوى الثورة يدعمها ابن مشهور وغيره من زعماء الأخوان، ولم يمض زمن طويل حتى كان شمال نجد كله من جبل شمر إلى الخليج العربي في أيديهم، وتحركت قبيلة العجمان بقيادة نايف بن حثلين وخيمت في الوفرة، في منطقة الكويت المحايدة، ومعها فرحان بن مشهور، وتلقى الشيخ أحمد الجابر تعليمات من الحكومة البريطانية أن لا يسمح للعجمان ولا لغيرهم من الثوار بالحصول على المؤن من الكويت، أو أن يأتي أحد إليها، وأبلغ ابن سعود بذلك، وفي هذه الفترة عُيّنت - أي دكسون - وكيلا سياسيا في الكويت، وفي الثاني من حزيران أرسل ابن سعود احتجاجا شديد اللهجة اتهم فيه الكويت بتزويد قوات العجمان وابن مشهور بالمؤن والذخائر خلافا لتعليمات الحكومة البريطانية، وبعد تحقيقات دقيقة قمت بها بنفسي تبين لي أن اتهامات ابن سعود لا أساس لها من الصحة، بالرغم من أن

بعض التهريبات كانت تتم سرا عن طريق الأقرباء والمؤيدين المقيمين في الكويت، وقد أثبت بالدليل القاطع أن الشيخ أحمد الجابر كان ينفذ تعليمات الحكومة البريطانية بهذا الصدد بكل أمانة، وفي **14** حزيران غادرت قوة كبيرة من ثوار العجمان معسكرها في الوفرة إلى جهة مجهولة في الجنوب، وبعد خمسة أيام كشف فيصل الدويش القناع عن وجهه مستغلا غياب ابن سعود في مكة، وانضم إلى العجمان، فبعد أن جمع حوالي خمسة آلاف رجل ومائة ألف جمل من مطير والعجمان وعتيبة، وصل إلى قرية العليا على بعد ثمانين ميلا من حدود الكويت في التاسع عشر من حزيران، وقد رفعت عودة الفارس الجريح معنويات الثوار وزادت في قوتهم، ولما علم ابن سعود بذلك جمع السيارات الموجودة في مكة وأسرع بالعودة إلى الرياض، وجمع قوة قوامها ثمانية آلف رجل، وحرص على أن يحصل على تأكيدات من الحكومة البريطانية للتعاون في منع الثوار من الفرار إلى العراق أو الكويت في حال هجومه عليهم، وكان أول عمل قام به فيصل الدويش لدى وصوله إلى شمال الإحساء هو دعوة الشيخ أحمد الجابر للانضمام إلى الثوار واعدا إياه بإعادة الأراضي التي اقتطعت من الكويت، وأرسل برسالة يطلب فيها السماح له بالقدوم إلى الكويت لشرح خططه والتزود بالمؤن، وأبلغت الحكومة البريطانية أحمد الجابر فورا أن يضع مطير في نفس منزلة العجمان، وأن يمنع الدويش وأياً من أتباعه من عبور الحدود، وأنهم سيتعرضون للقصف إذا ما حاولوا ذلك، وحاول الدويش مرة أخرى في **28** حزيران أن يحمل الشيخ أحمد على الانضمام إلى الثوار، وبعث له برسائل مع عدد من كبار زعماء الأخوان بمن فيهم ابنه عبد العزيز الدويش وذلك لإقناع الشيخ أحمد باتخاذ نهج قوي، وقد صيغت تلك الرسائل – كما يقول دكسون – بلغة فصيحة وبيان بليغ تركت أثرا عميقا في نفس حاكم الكويت، لقد حفز الشيخ أحمد لكي يلعب دور رجل الموقف ويتصرف كما كان مبارك يمكن أن يتصرف، وقال الدويش إن كل ما يطلبه الثوار هو المؤن والذخائر، وإذا ما اشتركت الكويت معهم فهو يتعهد بالباقي، ومن حسن حظ جميع المعنيين بالأمر – على حد قول دكسون – بقي الشيخ أحمد أمينا لوعوده التي قطعها لي بصفتي وكيلا سياسيا لحكومة صاحب الجلالة – ملك انجلترا – بالرغم من أن الإغراء للهجوم ضد العائلة السعودية، واستعادة المناطق الجنوبية وخاصة القبائل التي عليها كالعوازم والعجمان ومطير

كان شديدا لا يقاوم، فلو أنه انضم إلى الثوار واتخذت الحكومة البريطانية موقفا محايدا لكان من المحتمل جدا خلع ابن سعود لأن القوات المقاتلة في نجد كانت إلى جانب الثائرين، وقد نقلت قطاعات العجمان ومطير وابن مشهور عائلاتها وجمالها إلى الجنوب من البصرة في 15 تموز، وقطعت فرق من العجمان خط الرياض الهفوف وتوغلت قريبا من الرياض، وفي تلك الفترة أخذ اللاجئون النجديون البارزون المقيمون في بغداد يتدفقون إلى الكويت في طريقهم للانضمام إلى الثوار، وحصلنا على أذن من الحكومة البريطانية باعتقال وإرجاع كل من يصل من العراق ويشك في أنه يرغب في الانضمام للثوار، وكان من بين أولئك الأشخاص البارزين علي أبو شويربات أحد زعماء بريه من مطير، والذي يشك أنه كان يحمل معه دعما ماديا ومعنويا من بغداد للثوار، وعبيد بن حميد العتيبي الذي كان يقوم بدور الرسول بين فيصل الدويش ونايف بن هندي بن حميد زعيم عتيبة السابق الذي فر من نجد قبل ثلاث سنوات وأقام في بغداد، وكان فيصل الدويش في ذلك الوقت يعسكر مع قوات الثوار الرئيسية في الطوال الجنوبي وهو مكان مستطيل في الوسط تشكله آبار الصفا ووبرة والقرعا وحبة ومن ذلك المكان كان بإمكانه أن يضرب نجد والإحساء متى شاء، وقد شن من هناك هجوما على قوات ابن سعود في القاعية قرب الأرطاوية ودمرها، وقد شاعت أخبار هذه الغزوة فأثارت الرعب في كل مكان مما حمل قوات ابن سعود المتقدمة على الانسحاب من حفر العتش إلى الرياض، وقد عامل الثوار الأسرى معاملة طيبة ورحبوا بهم، وفي 10 آب تلقى الشيخ أحمد وتلقيت معه رسائل من ابن سعود يشكرنا فيها على جهودنا في قطع المؤن عن الثوار، وقطع جماعة من الثوار بقيادة محمد بن خالد بن حثلين الطريق على قافلة قادمة من الهفوف تحمل أمتعة خاصة بسعود الابن الأكبر للملك، مما أدى لتدمير 16 سيارة شاحنة، وشهد شهر آب انتصارات للثوار في كل مكان بينما كان ابن سعود في موقف المدافع وكانت سياسته في تلك الفترة تقوم على الاحتفاظ بالمدن إلى أن يأتي فصل البرد وكانت استراتيجية صحيحة غير أنها تعني أنه سيخسر أكثر فأكثر من أتباعه البدو، وكان سيد الموقف في ذلك الوقت فرع الروقة من قبيلة عتيبة الكبيرة بقيادة الشيخ ابن ربيعان، الذي كان الملك والثوار يتنافسان على خطب وده وكسب رضاه، وقد وقف فرع برقا بقيادة ابن حميد مع الثوار، وأصبح واضحا أن الغلبة ستكون للجانب الذي تنضم

إليه الروقة، حيث يشكل تحالف برقا وروق أقوى اتحاد في وسط الجزيرة العربية، وفي **22** آب انتقل فيصل الدويش إلى حفر الباطن واستطاع أن يستميل إلى جانبه فرع ابريه الكبير من قبيلة مطير، الذين حملوا خيامهم البالغ عددها ثمانمائة خيمة وساروا نحو الإحساء وانضموا إلى الثوار، وبعد عدة أسابيع دخل قسم من بريه أراضي الكويت وخيموا في الجهراء، وقد تسببت أنا في طردهم من هناك، وقد اجتمعت بفيصل الدويش الذي يعتبر أكبر مخطط عسكري بدوي بعد ابن سعود شهدته الجزيرة العربية، بعد أن دفعت ضرورة إيجاد مراع جديدة للأعداد الضخمة من الجمال والأغنام فيصل الدويش وأتباعه إلى غزو أراضي الكويت من الجنوب بصورة مفاجئة في **30** آب ، وأقاموا لأنفسهم معسكرا ضخما حول الصبيحية والآبار الملاصقة لها، ولقد قدرت قوهم بخمسة آلاف مقاتل، وألفي خيمة، ومائة ألف جمل، وكان ذلك منظرا رائعا، وطلب مني أن أحذر فيصل الدويش من أنه إذا لم ينسحب عبر الحدود خلال يومين فإن طائرات السلاح الجوي البريطاني المقيمة بالبصرة ستقصفه مع رجاله وممتلكاته، وقد استقبل الرسول الأول الذي أرسلته إلى الصبيحية باستهزاء، ولكي أتجنب وقوع كارثة مقيتة هناك لاسيما وهناك عدة آلاف من الأطفال والنساء مختلطون بالرجال المقاتلين، دعوت فيصل الدويش ليقابلني في ملح في اليوم التالي على بعد خمسة عشر ميلا جنوب مدينة الكويت، وعلى بعد ثلاثة أميال جنوب المقوع، وتبعني الشيخ أحمد الجابر وقابلنا فيصل الدويش على رأس تلة تشرف على الآبار الواقعة إلى الشرق من المكان الذي يترلون فيه، ومعه أربعون من أبرز زعماء الأخوان من الرجال المتعصبين الأشداء، ذلك الرجل الذي فعل أكثر من أي عربي آخر ليساعد ابن سعود على الارتقاء إلى أعلى مراتب الشهرة والسلطة، كان قصير القامة عريض المنكبين، له رأس وأنف كبيران، كان يسير بعزم وثقة، وكأنه محدودب الظهر قليلا، عبوسا صامتا بطبيعته، وقلت له ما جئت من أجله، وأضفت بأنني أستطيع إرجاء عملية القصف لمدة يومين ضنا مني بأرواح النساء والأطفال، ورجوت فيصل من أجلهم أن يعدني بالتراجع عبر الحدود ضمن المهلة المحددة، وتردد أن يفعل ذلك لمدة ساعة كاملة، قال خلالها إنه ليس على خصام مع البريطانيين، وأنه وقبيلته كان ولاؤهم في السابق لشيخ الكويت، وأهم يعانون نقصا رهيبا في الأغذية والمؤن، وكان يأمل بالسماح له أن يشتري الطعام من

الكويت، ومع أنني تأثرت كثيرا بكلامه إلا إنني تصرفت بقسوة قلب، وأقنعته أخيرا بأن يعطيني كلمته ففعل، وعندما غابت الشمس قال بأنه يريد أن يصلي، فدعا إلى الصلاة بنفسه، وأم رجاله ومرافقيه في صلاة المغرب، واضعين بنادقهم أمامهم على طريقة الأخوان، وبعد أن انتهت تلك الصلاة الهادئة استدار الزعيم الصحراوي الكبير نحو مرافقيه وهو لا يزال على ركبتيه وأدى السلام، وقبل أن ينهض واجهني وقال أعدك بأنني سأفعل ما طلبته مني اذهب بسلام، وحافظ فيصل على كلمته)[599].

وقد طلب فيصل الدويش من أحمد الجابر (إذا لم يوافق على طلبه – بالوقوف مع الأخوان ضد ابن سعود – فهو يرجو منه أن يجري اتصالا مع الوكيل البريطاني في الكويت على أساس ألا تتدخل الحكومة البريطانية في حركته ضد ابن سعود)[600].

لقد كان (من المؤكد أن الشيخ أحمد الجابر حاول استغلال هذه الحركة لاسترداد مقاطعاته التي انتزعت منه خلال مؤتمر العقير، ففي تقرير من دكسون الوكيل البريطاني في لكويت ذكر فيه أن أحمد الجابر أكد له أنه سيبتهج لو هزم ابن سعود، إذ يشعر أن قبائل مطير والعوازم والعجمان ستعود إلى ولائها القديم للكويت، وأن ابن سعود تمادى في أعمال ضد الكويت من شأنها تجريدها من كثير من قبائلها وأراضيها واستحوذ على المراعي الرئيسية لمطير والعجمان بناء على قرارات مؤتمر العقير)[601].

المواجهة البريطانية السعودية لحركة الأخوان :

وقد قررت بريطانيا القضاء على الأخوان عسكريا، وقام ابن سعود – كما يقول جون س – بمواجهة الأخوان من قبائل مطير والعجمان بعد أن ضمن وقوف بريطانيا معه للقضاء عليهم وإخضاعهم (ودفع كل جهوده وإمكانياته العسكرية إلى المعركة، مستفيدا من تنسيق خططه العامة وعملياته مع البريطانيين ... وقرر

---

599 الكويت وجاراتها لدكسون 1/316-327 .

600 تاريخ الخليج العربي 3/92.

601 المصدر السابق 3/93 .

ابن سعود وضع حد فاصل لتمرد الأخوان، باستعمال كل ما لديه من قوة عسكرية، وتأييد دبلوماسي، والوسائل الآلية الحديثة المتاحة لديه، ولا يمكن لأي حملة من الحملات التي يشنها على الأخوان أن تنجح بدون التعاون مع البريطانيين، ومن ثم استطاع قبل مغادرته الحجاز - بعد الحج - أن يحصل من البريطانيين على وعود بأنهم لن يسمحوا لأي من البلدان الثلاثة التي يحكمونها وهي الكويت والأردن والعراق أن تعاون الأخوان، أو تساندهمأو تؤويهم)[602].

وقد كان الهاشميون في العراق والأردن، وكذا شيخ الكويت، يميلون للوقوف مع قوات الأخوان بقيادة فيصل الدويش لمواجهة خطر ابن سعود، وكانوا يطمحون إلى قيام إمارة تحت حكم الدويش في المثلث الواقع بين الكويت والعراق ونجد، وقد وصل بعض الدعم للأخوان ولفيصل الدويش من بعض تلك الجهات، غير أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت الوقوف بكل قوتها إلى ابن سعود، حيث جهزت قواته العسكرية بثلاثة آلاف بندقية متطورة، وألف صندوق ذخيرة، وأمدته بسفن عسكرية لنقل قواته من جدة إلى العقير، وقد قام ابن سعود - بتوجيه بريطاني - باتخاذ إجراءات داخلية حيث قرر :

1- ضرب قبيلة عتيبة، وبني عبد الله من مطير.
2- وتجريد القبائل غير الموالية له من أسلحتها، وكذا تجريدها من خيولها وجمالها.
3- وإخلاء وتهجير أهل الهجر والقرى المعارضة لسياسته، ومنعهم من التجمع في مكان واحد.
4- كما قرر تجنيد الجميع وحشدهم كرها، لمواجهة فيصل الدويش ومن معه من قبيلة مطير، وابن حثلين ومن معه من العجمان، في الشمال الشرقي من نجد.
5- ورفع شعار(من يحارب معنا ينتمي إلينا، ومن يتخلف عن القتال معنا فسيقتل، وتسحب أسلحته وحصانه)، وقد أرسل الدويش رسالة يطلب فيها من ابن سعود المصالحة وحل الخلاف، لكونه يرفض اللجوء للعراق

[602] الأخوان السعوديون لجون س 231-233 .

أو الكويت، حيث يحكمهما الإنجليز والنصارى، وهو ما لا يجوز له - أي الدويش - شرعا عمله، أو الوقوع فيه.[603]

الترتيبات البريطانية لمحاصرة الثورة وتسليم قادتها:

وعندما تحرك ابن سعود بقواته لمواجهة الدويش وابن حثلين ومن معهما، طلبا من الحكومة البريطانية السماح بتوفير الحماية من أجل إرسال النساء والأطفال للكويت، حتى يستطيع الأخوان مواجهة ابن سعود وجها لوجه، وقد رفض البريطانيون هذا الطلب، وبدأ الطيران البريطاني قصف عشائر قبيلة مطير والعجمان، التي ظلت تؤيد الدويش وابن حثلين، عندما حاولت اللجوء إلى الكويت فرارا بالنساء والأطفال من الحرب الوشيكة الوقوع بين الطرفين، لقد توجه الدويش - كما يقول دكسون - ومن معه إلى المنطقة الشرقية ونجح في السيطرة على ثلاثة أرباع مقاطعة الأحساء، بعد أن أحرز نصرا كاملا على أتباع ابن سعود، وبعد أن فر قائد قوات ابن سعود، وقد زجت بريطانيا بثقلها مع ابن سعود، حيث(وضعت في جزيرة تاروت بمحاذاة القطيف بجنوب الأحساء عدة طائرات مقاتلة حصل عليها ابن سعود من الحكومة البريطانية وكان يقودها طيارون سابقون في سلاح الجو الملكي البريطاني ... لقد أعطت معركة نقير الثوار ثلاثة أرباع مقاطعة الإحساء، لكن هذا النصر طغت عليه الأنباء القائلة إن ابن سعود قد أحرز نصرا ساحقا على عتيبة في غرب نجد، وفي **30** تشرين أول أرسل الدويش يطلب مقابلة الشيخ أحمد الجابر ومقابلتي، وعبر الحدود بنفسه مع عدد من مرافقيه، وخيموا بالقرب من الجهراء، وعملا بتعليمات الحكومة البريطانية أبلغته أن ينسحب فورا، واتضح أنه كان يرغب في توجيه الأسئلة الثلاثة التالية التي عاد فأرسلها برسالة خطية وهي:

1- إذا تحرك جنوبا إلى نجد وترك نساءه وجماله في شمال الإحساء، فهل تعد الحكومة البريطانية بأن لا تقصفهم، وأن لا تسمح للقبائل العراقية بمهاجمتهم؟

---

[603] الأخوان السعوديون لجون س **233- 239** .

2- وإذا هاجم ابن مساعد نساءه في الغرب أثناء غيابه فهل تسمح الحكومة البريطانية لهن باللجوء إلى الكويت والبقاء هناك بحماية الشيخ أحمد الجابر؟

3- إذا ما أسقط رجاله طائرة من طائرات ابن سعود التي يقودها بريطانيون فهل تعتبر الحكومة البريطانية الثوار مسئولين عن ذلك؟

وبعد أن أحلت الأسئلة إلى الحكومة البريطانية أبلغت أن أعطي جوابا غامضا بالنفي عن السؤالين الأولين، وجوابا قاطعا بالإيجاب عن السؤال الأخير، وأصيب الدويش تبعا لذلك بخيبة أمل مريرة، وبعث الدويش برسالة جوابية يقول فيها طالما أن الحكومة لبريطانية تقف إلى جانب ابن سعود، وطالما أنه لا يستطيع الهجوم على نجد لحسم الموقف مع الملك في الوقت الذي تكون فيه نساؤه ومؤنه وجماله تحت رحمة القبائل العراقية بموافقة الحكومة البريطانية، فلا خيار لديه إلا أن يتوصل إلى شروط مرضية مع ابن سعود.

إن مما لا شك فيه أن أجوبة الحكومة البريطانية على الأسئلة الثلاثة كانت تعني نهاية الثورة، فمنذ ذلك اليوم لم يعد فيصل الدويش يبذل أي جهد لمقاتلة ابن سعود، بل كان ينصح علنا كل من يرغب في القتال في الانفصال عنه، وعقد صلح منفصل مع الملك، لقد كان جواب الحكومة البريطانية بأن لا تأخذ على عاتقها منع القبائل العراقية من مهاجمة النساء والاستيلاء على المؤن في غياب الدويش يعني أن الحكومة البريطانية ستشجع على مثل تلك الأعمال، ولذلك وجد الدويش أنه من المستحيل أن يقوم بأي عمل ضد نجد)[604].

ولما رأى الدويش أن بريطانيا قد حاصرته بطيرانها من جهة الكويت والعراق، وأخذت بقصف القبائل التي تبحث عن ملجأ، سمح لمن معه من أتباعه بالانصراف كل في سبيله، وطلب كثير منهم العفو من ابن سعود، وفي مطلع شهر 11/ 1929م طردت بريطانيا - كما يقول جون س - البقية الباقية من الأخوان الذين لجأوا إلى الكويت إلى ابن سعود ليستسلموا إليه(في حين غادر آخرون منهم الكويت على شكل خليط من البشر بلا زعامة، ونظرا لنقص إمدادات الماء

---

[604] الكويت وجاراتها لدكسون 1/328 .

والغذاء لدى الأخوان أنفسهم، فإنهم لم يتمكنوا من رعاية إبلهم ودوابهم التي نفقت بالمئات بسبب العطش، وعندما اقترب جيش ابن سعود، كان البريطانيون قد أرسلوا طائراتهم، وعرباتهم المدرعة لاستطلاع الإخوان، ووضعهم تحت المراقبة المستمرة، لعرقلة هروبهم نحو العراق أو الأردن، اللذين كانا تحت الإدارة البريطانية)[605].

[605] الأخوان السعوديون لجون س 239 .

(عبيد بلا أغلال)

(25)

(إلقاء بريطانيا القبض على زعماء الأخوان وتسليمهم للرياض)

لقد نجحت بريطانيا في محاصرة الثوار في نجد، وقطع طرق الإمداد عنهم وعن قبائلهم سواء من طريق الكويت أو العراق أو الأردن، وبدأت الحلقة تضيق على قادة المعارضة، حيث أدركوا بعد فوات الأوان أن كل ما يتعرضون له ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، هو بترتيب بريطاني لفرض مشروعها الاستعماري في المنطقة!

الحرب الدعائية والإعلامية ضد الأخوان:

وقد بدأت الحرب الدعائية والإعلامية ضد الثوار لتشويه سمعتهم، وكما يقول دكسون:(وفي **19** تشرين لثاني وصل الشيخ حافظ وهبة ممثل ابن سعود في لندن إلى الكويت، وبدأت حملة دعاية مضادة واسعة النطاق ضد الثوار).[606]

قصف الطيران البريطاني للثوار :

وقد بدأت بريطانيا تقصف بطيرانها مخيمات الأخوان بما فيها من نساء وأطفال بكل وحشية، وكما يقول دكسون (وفي **23** تشرين الثاني وبعد أن بدأت مستنقعات الماء تجف في الصحراء أخذت جمال الثوار تصل إلى الجهراء في الأراضي الكويتية للحصول على الماء، ولكن خطوات حاسمة – من طرف بريطانيا – اتخذت لمنع ذلك في المستقبل – أي قصفهم بالطيران حتى لا يصلوا للجهراء واستقاء الماء – وكانت قوات الثوار تنتقل على طول شعيب الباطن، وتقيم على جانبي الباطن إلى الرقعي حيث تلتقي الحدود الكويتية العراقية في أقصى الجنوب، وبدأ الدويش مفاوضات رسمية مع ابن سعود، وفي الثامن والعشرين من كانون

---

[606] الكويت وجاراتها لدكسون **330/1** .

الأول وعند الغروب تقدم محسن الفرم شيخ قبيلة حرب والتي تشكل القوة الغربية والجناح الأيسر لقوات ابن سعود من شعيب فليج بقوة كبيرة من حرب وشمر والظفير وهاجم الثوار عند الفجر، وأخذوا فيصل الدويش على حين غرة، فيما كان ينتظر شروط الصلح مع ابن سعود، ولم تحدث خسائر كبيرة، فقد تجمع الثوار بسرعة وصدوا المهاجمين، لقد شن الفرم هجومه - كما يقول دكسون - دون أوامر من الملك ورد على أعقابه، ومع ذلك صور مؤرخو مكة الحادث بأنه معركة عظيمة ونصر حاسم للحملة وذلك ليس صحيحا على الإطلاق! وتجمعت القوات الأرضية لسلاح الجو الملكي البريطاني والسيارات المسلحة من العراق بالقرب من الرقعي لتمنع عبور الثوار إلى الكويت أو العراق، وفي **30** كانون أول انضمت مطير إلى العجمان في أم عمارة حيث قابلهم قائد القوة الجوية الملكية البريطانية في العراق تشارلز ستوارت الذي خيرهم بين الاستسلام أو العودة عبر الحدود، وبعد محادثات طويلة رفض الثوار شروط تشارلز للاستسلام، وعادوا جنوبا عبر الحدود دون أن يعرفوا مدى قرب جيش ابن سعود، وقمت - أي دكسون - بزيارة معسكر العجمان في وادي الباطن في الأراضي الكويتية وألححت على نايف بن حثلين أن يرمي بنفسه تحت رحمة ابن سعود، وقلت له:إذا كانت لديك القوة الكافية للقتال فقاتل، وإلا دع القتال من أجل نسائك وأطفالك، ولم يصغ إلى كلامي! ووصلت قوات ابن سعود إلى الرقعي في الخامس من كانون الثاني فعاد الثوار وغيروا اتجاههم ثانية نحو الشمال الشرقي، وشقوا طريقهم بصورة اضطرارية إلى واحة الجهراء تاركين آلاف الأغنام والجمال تموت في الطريق، وتخفيت أنا وعدد من رجال الشيخ أحمد الجابر بثياب البدو وسرنا معهم في الليل، وكنت أبلغ سلاح الجو الملكي البريطاني باتجاه سيرهم، وفي اليوم التالي فاجأهم قوة مشتركة من الطائرات والسيارات المسلحة قرب الأطراف على بعد عشرة أميال إلى الغرب من الجهراء، فوجدتهم في حالة من الفوضى يهربون في كل اتجاه، وخشي الثوار وهم في هذه الحال من هجوم جيش ابن سعود عليهم، وفي السابع من كانون الثاني انتقلوا إلى الجهراء حيث قامت الطائرات بإلقاء قنابلها حول القرية في فترات منتظمة لتجميعهم![607] وهناك توجهت لزيارة فيصل

[607]يحاول دكسون هنا أن يخفي جرائم الطيران البريطاني ولا يعترف بها صراحة فيقول (اجراءات اتخذت) دون أن يصرح بأنه قصفهم بالقنابل وقتل النساء والأطفال في خيامهم، ويزعم بأن قصفهم في الجهراء كان بهدف تجميعهم في مكان واحد لا بهدف

الدويش، معرضا سيارتي لنيران الطائرات البريطانية، وتوسلت إلى الدويش مـدة ساعتين كاملتين أن يستسلم لسلاح الجو الملكي وأن لا يحاول شق طريقه كما يريد أن يفعل لئلا يدخل في معركة حاسمة مع قوات ابن سعود التي تنتظره عند حدود الكويت الجنوبية، وتركته دون أن أستطيع إقناعه، وبعد عدة مراسلات سرية مع نايف بن حثلين أقنعته أن يستسلم في التاسع من كانون الثاني، إلى فرقة السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي، الأمر الذي دفع فيصل الدويش إلى تغيير رأيه في شق طريقه عبر قوات ابن سعود للاستيلاء على نجد، واستسلم الدويش ومعـه صاهود بن لامي – شيخ قبيلة الجبلان من مطير – في العاشر من كانون الثاني 10 يناير، وركب معي فيصل الدويش بصورة احتفالية مؤثرة إلى معسـكر القيـادة الجوية البريطانية حيث سلم سيفه، وأُرسل الزعماء الثلاثة إلى البصـرة بطريـق الجو، وهناك نقلوا إلى سفينة حربية بريطانية في شط العرب، وأبلغ فلول الثـوار من مطير ومعظمهم من الدوشان والدياحين، والقسم الأكـبر مـن العجمـان أن ينتقلوا شمالا إلى منطقة الروضتين في دولة الكويت على بعد خمسة عشـر مـيلا جنوب صفوان حيث بقوا بحراسة السيارات المسلحة البريطانية التابعـة لسـلاح الجو الملكي إلى أن يصبح بالإمكان تسليمهم إلى ابن سعود! وبدأت بالعمل لتأمين الطعام والملابس لنساء وأطفال الثوار الذين تركوا في حالة بائسة مـن الجـوع والحرمان بين بساتين النخيل في الجهراء، وكان بين أولئك نساء فيصل الـدويش زوجته عمشا وشقيقاته الثلاث وابنتان صغيرتان وسبع وعشـرون مـن قريباتـه وكلهن من الدوشان ومن ذوات المولد الرفيع، وقبل أن ينقل من البصرة تـرك الدويش نساءه في عهدتي وكانت كلماته الأخيرة لي: أسلم حريمي لك يا دكسون من ذمتي إلى ذمتك! ونقل أولئك النسوة إلى القصر الأحمر في الجهـراء، حيـث اعتنت بهن زوجتي)[608].

نهاية الثورة وتسليم بريطانيا قادتها إلى ابن سعود:

لقد نجحت بريطانيا في القضاء على الثورة وتم حسم المعركة بسلاح الجو البريطاني وكما يقول المستشرق النمساوي محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود(وهكـذا

القضاء عليهم!

[608] الكويت وجاراتها لدكسون 1/330- 334 .

أرسلت الطائرات والمصفحات البريطانية لمنع الدويش من التراجع مرة أخرى إلى الكويت وأدرك الثائر أنه خسر قضيته وبعد معركة حارب فيها الثوار إلى آخــر نفس دحروا نهائيا).[609]

وكما يقول جون س وفي ظل(غياب الزعامة الاسمية انتهت ثورة الأخوان، وبدأ البريطانيون يواجهون مشكلة إعادة جماعات الأخــوان، وطــي قيــد الزعمــاء الرسميين، وقد كان البريطانيون قد عاهدوا ابن سعود من قبل على أنهم سيسلمون له قادة الأخوان بشرط أن يبقي على حياتهم ويعاملهم معاملة إنسانية، وبعــد أن أصبح الأخوان في قبضة البريطانيين فعــلا حــاولوا أن يحنثــوا في عهــدهم، وفي **1930/1/17**م صدرت التعليمات من وزارة الخارجية البريطانية للعقيد بســكو المندوب المقيم في الخليج أن يصحب كل من دكسونوبيرنت لمقابلة ابــن ســعود، ومناقشته في مصير الثوار، الذين أصبحوا في أيدي البريطــانيين، وقــد ناقشــوا إمكانية نفي زعماء الأخوان إلى قبرص، أو إلى أي مستعمرة بريطانية أخرى، وتم نقل كل من الدويش وابن حثلين وابن لامي بالطائرة إلى البصرة، ومنها تم نقلهم إلى البارجة لوبن التابعة للبحرية البريطانية والتي كانت في شط العرب، وأما بقية الأخوان من مطير والعجمان فقد صدرت إليهم التعليمات بــالتجمع في منطقــة صفوان على مسافة خمسة عشر ميلا من حدود الكويت، حيث قامت بحراســتهم العربات المدرعة للقوات الملكية البريطانية، إلى أن يتم تسليمهم إلى ابن ســعود، وبعد وصول الزعماء الثلاثة إلى البارجة، طار العقيد بسكو من الكويت إلى ابن سعود لمناقشة موضوع تسليم الزعماء وعدم الحاجة إلى نفيهم وبرر بسكو هــذا الموقف بما يلي:

1- أن بريطانيا زودت ابن سعود بالأسلحة والــذخيرة والطــائرات بــل وبالأفراد مساعدة منها له على إخضاع الأخوان.
2- أن بريطانيا قد اتخذت إجراءات صارمة لضــمان عــدم تقــديم أيــة تسهيلات للقبائل الثائرة على ابن سعود.
3- أن موقف بريطانيا هو موقف الاستعداد للمساعدة في مقاومة الثوار.

---

[609] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص **238** .

وفي 1930/1/28م تم نقل الزعماء الثلاثة من البارجة إلى أحد المهابط الجوية بالقرب من خباري وضحا في إحدى الطائرات البريطانية، وبصحبتهم دكسون، وقد أودع الزعماء الثلاثة ابن بجاد، وفيصل الدويش، وابن حثلين، في سجن الرياض ... وبالإضافة إلى مساعدة البريطانيين ابن سعود بتسليمه الزعماء الثلاثة الرئيسيين، فقد ساعدوه أيضا في مطاردة معظم المتمردين الثمانية عشر الآخرين الذين كانوا على قائمة المطلوبين ...)[610].

وقد روى دكسون الذي كان في تلك البعثة البريطانية تفاصيل تسليم قادة الثورة بقوله (وتقرر إيفاد بعثة إلى ابن سعود الذي كان مخيما في خباري وضحا على بعد 93 ميلا إلى الجنوب الغربي من الكويت وتتألف من بيسكو المقيم السياسي في الخليج منذ سنة 1929م ونائب مرشال الجو بيرنيت وأنا لبحث وسائل وطرق تسليم الزعماء الثائرين وأتباعهم، وبعد أن وقع ابن سعود والسير بيسكو على شروط الاستسلام عادت البعثة إلى الكويت في 27 كانون الثاني، وفي اليوم الثاني أنزل الزعماء الثائرين الثلاثة من السفينة البريطانية لوبين ونقلوا إلى مخيم ابن سعود بطريق الجو تحت إشرافي، وتعرضت قوات الثوار أثناء إبعادها في شمال الكويت لغزوات ليلية قاسية سلبتهم جمالهم وأغنامهم على مرأى من سلاح الجو الملكي، وقد اقتادهم السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو البريطاني عبر طريق معين باتجاه المناقيش على الحدود حيث تم تسليمهم إلى مبعوثي ابن سعود، وتم نقل الزعماء الثلاثة إلى الرياض ومصادرة مواشي الثوار وتقديرا لحياده ورفضه مساعدة الثوار تلقى الشيخ أحمد الجابر سنة 1930 وساما رفيعا مع تقدير الحكومة البريطانية، وتوفي فيصل الدويش في الرياض في الثالث من تشرين الأول سنة 1931، وقد ظل يشكو لمدة شهر من ألم بسبب تورم في حنجرته، وفيما كان يمشي مع ابن حثلين في باحة السجن سقط على الأرض والدم ينزف من فمه بسبب انفجار الورم، وظل فاقد الوعي حتى المساء، وعندما استعاد وعيه لمدة قصيرة طلب أن يرى الملك ولكن ابن سعود رفض أن يأتي إليه، وأرسل إليه الدويش تحية الوداع غافرا له الأخطاء التي ارتكبها ابن سعود في حقه قائلا

[610] الأخوان السعوديون لجون س 239- 244 بتصرف واختصار.

إن الحكم الأخير لن يصدر قبل أن يقفا كلاهما أمام الله، ثم فارق الحياة وغسل ودفن في تلك الليلة، وقد نقلت أخبار الوفاة بالتفصيل بحيث لم يبق شك بأنه قد توفي، لقد أحس جميع البدو – كما يقول دكسون – بأسى عميق لوفاة ذلك الزعيم الصحراوي الكبير الذي كان ملكا بين شيوخ العرب، فهو وشيوخ الدوشان في مطير من قبله يمكن مقارنتهم بصانعي الملوك في انجلترا في القرون الوسطى، وخلال تاريخهم تجرؤا وحاولوا أن يصنعوا وأن يكسروا وأحيانا بنجاح الحكام السعوديين في نجد، إن مساعدة مطير وحدها بقيادة جد فيصل الذي كان يحمل نفس الاسم هي التي مكنت القائد لمصري إبراهيم باشا من مهاجمة واحتلال المملكة الوهابية في أوائل القرن الماضي، إن الجزيرة العربية لم تنجب فارسا أو مقاتلا أعظم من فيصل الدويش الذي لم يكن لابن سعود من أتباعه واحدا أكثر إخلاصا منه، إلى أن دفعت السياسة فيصل إلى الثورة، وظل زعماء الثورة الآخرون في السجن في الرياض حتى سنة **1934** حين اتهموا بمحاولة الفرار عندما كان ابن سعود يقاتل يحيى إمام اليمن، ونقلوا إلى الهفوف حيث سجنوا في الدياجير التركية المظلمة تحت الأرض، وانقطعت أخبارهم منذ ذلك الوقت)[611].

لقد كانت آثار تلك الحرب التي رتبت بريطانيا لها للقضاء على الثوار أعمق في الوجدان الاجتماعي والثقافي، وكما يقول جون س:(لم تنته مشاكل ابن سعود بانتهاء قمع الأخوان، فقد أحس كثير من الأخوان الذين لم يشاركوا في الثورة بأن ابن سعود قد خانهم، وخان دينهم، وتأكد لهم أن ابن سعود استخدمهم كأداة لتحقيق أهدافه الشخصية وتحقيق طموحه)[612].

وكما يقولدكسون (لقد أخمدت الثورة ويعود الفضل في انتشال ابن سعود من الوضع السيء الذي كان فيه إلى الحكومة البريطانية، فلولا جهودها في إبقاء الكويت والعراق على الحياد، ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبية أجبرت الثوار على الاستسلام لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة، ولكان تعرض هو والبيت السعودي إلى أخطر النتائج، وبانهيار الثورة ووفاة فيصل الدويش

---

[611] الكويت وجاراتها لدكسون **1/337- 342** .

[612] الأخوان السعوديون لجون س **246** .

يمكن القول إن مذهب الإخوان الحماسي قد ولى إلى غير رجعة، وفهم عامة الإخوان الآن أن ابن سعود أطلق صرخة الدين سنة **1914** لأغراضه الخاصة، ولذلك شعروا بالندم والألم لأنهم استخدموا كمطية، فلم تعد لديهم رغبة في الولاء والاندفاع، ولم يعد الملك بالنسبة لهم بطلا ولا أبا لشعبه، كان المرء – كما يقول دكسون – يجد شعورا أشبه بخيبة أمل مريرة حتى بين القبائل الموالية له كشمر والسهول وسبيع والعوازم فضلا عن القبائل الثائرة عليه، ويرجع السبب إلى واحد أو أكثر من الأسباب التالية:

1- كان الشعور السائد أن ابن سعود لم يقف مع الأخوان كما كان مفروضا، فهم الذين رفعوه إلى المكانة التي احتلها وكانوا مسلمين صالحين.

2- أنه طلب مساعدة البريطانيين وبمساعدتهم تمكن من سحق رعاياه المسلمين.

3- أنه عامل فيصل الدويش ونايف بن حثلين وسلطان بن حميد وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية بقساوة لا داعي لها في الوقت الذي كانت طرق الشهامة كافية لمواجهة القضية.

ومع مرور الزمن لم يعد البدو يطلقون على ابن سعود لقب الإمام، ولست أعتقد أن مذهب الأخوان سينتعش ويعود للحياة مرة أخرى، مع أنه ليس من الحكمة التنبؤ في بلاد أعاد التاريخ فيها نفسه مرات ومرات)[613].

لقد قامت بريطانيا بالقضاء على القوة الوحيدة التي نجحت في توحيد نجد والحجاز بعد ثورة الشريف حسين وسقوط الخلافة العثمانية وتقسيم أقاليمها، تلك القوة التي قامت في نجد قبل مجيء ابن سعود من الكويت، كما اعترف بذلك جون س بقوله(إن توحيد ابن سعود لشبه الجزيرة العربية كان أمرا مستحيلا في غياب الأخوان، وأعمال الأخوان العسكرية الفذة غير العادية، هي أبرز ما في الأمر، إن عددا صغيرا منهم فقط هم الذين شاركوا في المعارك والغزوات مشاركة فعلية، كان هناك حزب من قبيلة عتيبة بزعامة ابن بجاد يتمركز في

---

[613] الكويت وجاراتها لدكسون **1/342- 344** .

الغطغط، وعناصر من قبيلة مطير بقيادة الدويش في الأرطاوية، يعاونها مشايخ مستقلين، هذه العناصر هي التي تحملت الدور الرئيسي في مسئوليات الأخوان العسكرية، أما بقية الأخوان فقد كانوا يعيشون في هجر صغيرة، وأسهموا بنصيب قليل في نشاط الأخوان)، كما لم تكلف قوات الأخوان ابن سعود شيئا بعد مبايعتها له إماما، فقد كان الأخوان البدو المجاهدون (يتسلحون في معظم الأحيان ببنادق عتيقة، أو برماح بدائية محلية الصنع، ويقتاتون على حفنة من التمر، وصاع من الدقيق، وقاموا بحملات عسكرية لم تكلف الخزانة العامة شيئا)، بل إن ما كانوا يغنمونه في فتوحاتهم لا يأخذون منه شيئا، بل كانوا يأتون به إلى الخزينة العامة بكل أمانة وإخلاص، فلم تكن الغنائم (هدفا رئيسيا لمحاولتهم الخاصة التي كانوا يرمون من ورائها إلى استعادة الإسلام الصحيح، ونشره بين أولئك الناس الذين كانوا يعدونهم مسلمين مارقين وغير حقيقيين، إن حياة الأخوان شخصيا بعد الغزوات التي قاموا بها، لم تتغير عن تلك التي كانوا يحيونها قبل القيام بالغزوات، ولم يستغلوا موارد الأرض التي فتحوها لصالحهم، ولم يخرب الأخوان أي منطقة تخريبا اقتصاديا، ولم يتلفوا المحاصيل كيدا وحقدا، ولم يحرقوا أو يدمروا أي مدينة من المدن..)[614].

لقد تم القضاء على تلك القوة لسببين رئيسيين :

الأول: رفضهم للوجود البريطاني في الجزيرة العربية ومحيطها، سواء في الرياض، أو الكويت، أو الخليج، أو العراق، أو الشام.

الثاني: رفض الاستعمار البريطاني لوجود أي قوة وطنية في أي بلد تحت حمايته تشكل خطرا على وجوده في المستقبل.

وكما يقول جون س(فقد بات الأخوان يشكلون تهديدا للمصالح البريطانية على ساحل الخليج العربي والعراق وشرقي الأردن...وروج فيصل الدويش ضد ابن سعود بأنه قد باع نفسه لبريطانيا بلد الكفر، خصوصا بعد أن استقبل كلايتون في المدينة المنورة عام 1927م، وعدوا الأخير قد نجس الأراضي المقدسة للمسلمين...كما اعترض الأخوان على إرسال ابن سعود نجله فيصل إلى بريطانيا

[614] الأخوان السعوديون لجون س 252- 254.

عام **1926** وجولاته هناك، وعلى علاقة ابن سعود مع مصر التي كانت تخضع للإنجليز آنذاك)[615].

(لقد وقفت بريطانيا إلى جانب ابن سعود في تصديه للأخوان لاعتقادها بأنه لو فقد السيطرة عليهم فإن جميع القبائل في الصحراء سوف تعلن تمردها كذلك، مما يؤدي تهديد كيان حكومتي العراق والأردن وقد يصل إلى الكويت، لذا أمدت ابن سعود بالأسلحة والتأييد السياسي، وألقت القبض على زعيم الأخوان فيصل الدويش، وسلمته لابن سعود، وساهمت في القضاء على هذه الحركة)[616].

كما كان من أسباب ثورة الأخوان اتفاقية جدة بين ابن سعود وبريطانيا سنة **1927**م الذي اعترف ابن سعود فيها لبريطانيا بمركزها ونفوذها في الخليج العربي[617].

وقد واكب مخطط القضاء على الأخوان- كقوة توحيد وتحرير في بداية أمرها، وكقوة معارضة سياسية ضد ابن سعود في نهايتها – حرب إعلامية شرسة صورتهم في أبشع صورة، سواء من قبل حلفاء بريطانيا وأعداء ابن سعود في البداية كالشريف حسين، وابن صباح، أو من ابن سعود في النهاية، وكما يقول دكسون (وبالرغم مما كتب عن قسوة الأخوان وفظاظتهم ولكن رأيي هو أن ذلك مبالغ فيه بقصد لكي يتلاءم مع الغايات السياسية في ذلك الوقت)[618].

لقد أثبتت الوثائق والتقارير أن الأخوان لم يرتكبوا أي جرائم حرب في كل معاركهم التي خاضوها وكانت تحت قيادتهم، وقد دخلوا الحجاز دون أن يقع منهم أي تجاوزات تذكر، وذلك بخلاف المعارك التي كانت بقيادة الملك عبد

---

[615] عبد العزيز وبريطانيا **302** .

[616] عبد العزيز وبريطانيا **304** .

[617] عبد العزيز وبريطانيا **321**، وجزيرة العرب لجان بيربي **58** .

[618] الكويت وجاراتها لدكسون **142/1** .

العزيز أو أحد أفراد أسرته كما جرى في حربه مع العجمان أو معركة السبلة أو ما جرى في حروب السيطرة على عسير ونجران بعد القضاء على الأخوان!

تخلي علماء الأخوان عنهم ووقوفهم مع ابن سعود :

لقد نجحت بريطانيا وابن سعود بضرب حركة الأخوان بالدعاية الإعلامية حينتم تصوير معارضتهم السياسية له على أنها حولإدخال البرقية والسيارة، لإظهار مدى تخلفهم، مع أن هذه القضايا لم تكن هي السبب الرئيسي في الموضوع، وقد تم تجاوزها بعد فتوى العلماء في إباحتها، ولم تؤد إلى القتال بين الطرفين، غير أن السبب الرئيسي في الخلاف السياسي بين الأخوان وابن سعود هو علاقته بالإنجليز، التي بدأ الأخوان يشعرون بها، وبمدى تأثيرها على مواقف ابن سعود وسياسته، دون أن يعلموا بأنه قد عقد معهم معاهدة حماية كتلك التي عقده معهم مبارك الصباح، وشيوخ ساحل الخليج العربي، حيث أصبح تحت الاحتلال البريطاني باسم معاهدات الحماية!

وهي القضية التي لم يجب عنها علماء نجد في كل مؤتمراتهم، والتي كان الأخوان يخشون عواقبها المستقبلية[619]، حتى انبرى علماء الرياض ضدهم مؤكدين أنهم لم يروا ما يريبهم، ولا حرج في توقيع معاهدات الحماية مع الإنجليز، – بعد أن كان علماء نجد يفتون بكفر أهل الخليج لدخولهم تحت حماية الإنجليز حيث أفتى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ فتوى في أهل الخليج جاء فيها(وانتقل الحال بهم حتى دخلوا في طاعتهم، واطمئنوا إليهم، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم، وهو بلا شك أعظم أنواع الردة .. وقد قال تعالى{ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}، وقال سبحانه{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم}...فكل من دخل في طاعتهم،

---

[619] وانظر رسالة عبد العزيز بن فيصل الدويش لعبد العزيز بن سعود بخصوص إرسال أبنائه لبريطانيا، في كتاب (لسراة الليل ..الملك عبد العزيز دراسة وثائقية) لعبد العزيز التويجري ط1 ص 361

وأظهر موالاهم، فقد حارب الله ورسوله، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته).[620]

وكذا كان يفتي عبد الله بن عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان بأن الدخول تحت الحماية البريطانية ردة عن الإسلام[621]– فكان الأخوانبفطرقم أصدق إيمانا، وأبعد نظرا، وأقدر على إدراك الخطر المحدق بهم، وبدولتهم التي أقاموها بسيوفهم ودمائهم، من بعض علماء نجد الذين تحالفوا مع السلطة ليجنوا – من تضحيات الأخوان وجهادهم – ثروة وجاها ونفوذا لم يكن لهم يد في صناعته، مقابل توظيف الدين والفتوى في خدمة السلطة وأهوائها وخدمة الاحتلال من ورائها!

لقد كشفت الرسائل التي بين علماء نجد وابن سعود بخصوص الخلاف بينه وبين الأخوان أن الأزمة أعمق من خلاف فقهي أو سياسي، بل هي أزمة أخلاقية واجتماعية كانت تفتك بالمجتمع، حيث كانت تتحكم وتؤثر فيه الفئوية والعصبية الجاهلية، أكثر من تأثير الدين وقيمه، فقد تنصل بعض علماء نجد الذين كانوا يحرضون الأخوان على مواجهة ابن سعود والتصدي له وتخلوا عنهم، وكان الأخوان يعظمونهم ويرجعون إلى أقوالهم، ولم يكتف العلماء بالتخلي عن الأخوان فقط، بل حرضوا على قمعهم، وتبرءوا منهم، وكان أشد ذلك خطرا هو نظرة الاحتقار والازدراء القائمة على أساس فئوي وعنصري، تلك النظرة التي كان ينظر بها هؤلاء العلماء لأتباعهم من الأخوان كما كشفته الوثائق والرسائل!

فقد جاء في رسالة الشيخ عبد الله العنقري مفتي الأخوان إلى ابن سعود، وكان العنقري من كبار علماء الأخوان الذي يرجع الأخوان إلى قوله خاصة زعمائهم كفيصل الدويش وابن حميد، وكان قاضيا في الأرطاوية، وكان عبد العزيز قد اطلع على دوره في تهييج الأخوان ضده، فأرسل العنقري رسالة سنة **1925**م يتنصل فيها من ذلك ويقول (من قبل كتابنا لابن حميد فأنت تعلم أدام الله وجودك أني صاد في جلاجل ولا أدري عن كثير من الأخبار...أما الدين فالفضل

[620]الدرر السنية **11/8** .

[621]الدرر السنية **435/10** .

لله ثم لكم علينا وعلى أهل نجد، وأما الدنيا فأنا بالخصوص معروفكم علي كبير، ولا أنا بشيء إلا بالله ثم بكم، وأما البدو فلا عندي أبغض منهم ومخالطتـــهم... ومن طرف مجيء الدويش إلي فوالله إن أروع الروعات يوم جاءني ولكن أنا رجل أستحي.. ونحن لسنا في شك من طرفكم حتى نطاوع خفخاف بدو لا معهم علـــم ولا دين ولا أدب، ويوم جاءنا ابن الدويش وبخناه وأبوه كذلك.. وعلـــى كـــل فالمرجو المسامحة من جنابكم إن كان هنـــاك شـــيء غارنـــا، لأن الإنســـان محـــل الزلل)![622]

لقد دفع الأخوان ثمن صدقهم وإخلاصهم دماءهم وأموالهم ظنا منهم أنهم يقيمون مجتمع الإيمان والأخوة والإسلام الذي كانوا يتطلعون إلى إقامته في جزيرة العرب، فكانت المفاجأة أن تحالف علماؤهم والسلطة وبريطانيا على القضاء عليهم باسم الإسلام والتوحيد والسنة!

الإعلان عن قيام المملكة العربية السعودية:

وبعد القضاء على الأخوان وعلى مشروعهم السياسي، تم الإعلان مباشـــرة عـــن قيام مشروع (المملكة العربية السعودية)، فلم يعد ابن سعود إماما كما كان قبل القضاء على الأخوان سنة **1930**م، بل صار ملكا، بعد أن طلب مـــن بريطانيـــا تسميته بذلك، ووافقت بريطانيا عليه، كما في الوثـــائق البريطانيـــة[623]، أســـوة بالملكية الصورية التي سمحت بها بريطانيا قبل ذلك للشريف فيصـــل في العـــراق، وللشريف عبد الله في الأردن، مع كونهم تحت الاحتلال البريطاني، وتم الاستعاضة عن مشروع الشريف حسين الوحدوي(المملكة العربية المتحدة)، بمشروع التجزئة (المملكة العربية السعودية) ليقوم المجتمع السعودي بعد ذلك على أساس طبقـــي وفئوي يقوم على التمييز العنصري في كل شئون الدولة والمجتمع، بمـــا في ذلـــك شئون الدين نفسه، التي سيقتصر الأمر في الإشراف عليها وإدارتهـــا علـــى فئـــة اجتماعية محددة، حيث أصبحت مهمة فهم الدين وتفسيره شأنا خاصا بأسر دينية

[622] انظر الرسالة في كتاب (لسراة الليل ..الملك عبد العزيز دراسة وثائقية) لعبد العزيز التويجري ط**1** ص **325** .

[623] ستجد تفاصيل ذلك في الكتاب الوثائقي الموسوعي للمؤلف (الدويلات الصليبية في الخليج والجزيرة العربية).

نجدية محددة بصورة كهنوتية، يتحالف فيها السياسي بالديني بشكل غير مسبوق في تاريخ الإسلام!

لقد انتهى بالقضاء على حركة الأخوان في نجد كل خطر يمكن أن يهدد الوجود الاستعماري البريطاني في الخليج والجزيرة العربية، وستظل المنطقة تحت الاحتلال البريطاني حتى الحرب العالمية الثانية وضعف الإمبراطورية البريطانية، حيث سيحل الاحتلال الأمريكي شيئا فشيئا مكانها في المنطقة وسيرث مستعمراتها، وبتحالف أيضا بين الاحتلال الأجنبي والسلطة ورجال الدين، وستدفع شعوب الخليج العربي والجزيرة العربية حريتها واستقلالها ثمنا لهذا التحالف المشؤوم وإلى اليوم!

(عبيد بلا أغلال)

(26)

(إقامة بريطاني لدويلات الخليج العربي وقمع الثورات الشعبية فيها)

بقلم د0 حاكم المطيري

Ommah2000@yahoo.com

ظهور البحرين وقطر:

كانت مدن ساحل الخليج العربي كالقطيف، وقطر، وجزيرة البحرين، تتبع هجـــر والإحساء منذ دخولها في الإسلام، ثم مدة عهد الخلافة الراشدة، فالخلافة الأموية، فالخلافة العباسية في بغداد، ثم الخلافة العباسية في مصر المملوكية.

وفي عام **922**هـــ استولى البرتغاليون على البحرين، والقطيف، وقطر.

وفي عام **943**هـــ جهز السلطان سليمان بن ســليم القـــانوني أســطولا بقيـــادة سليمان باشا وزير مصر، لمحاربة البرتغاليين، فســـار في ســبعين ســفينة مســلحة بالمدافع الضخمة، ومعه عشرون ألف جندي، فطـــرد البرتغـــاليين مـــن عـــدن، ومسقط، والبحرين، وقطر، والقطيف.

وفي سنة **963**هـــ جهز السلطان سليمان القانوني جيشا لفتح الإحســـاء بقيـــادة محمد باشا فروخ ففتحها، فتم للدولة العثمانية السيادة على جميع جزيرة العرب، التي كانت تتبع للخلافة العباسية في عهدها المملوكي بمصر.

وفي سنة **1080**هـــــ استولى بنو خالد على الإحساء، والقطيف، وما جاورهـــا، برئاسة آل مسلم، وقامت إمارة ابن عريعر التي امتدت من عمان إلى البصرة مدة قرن تقريبا.

وفي سنة **1208**هـ استولى عبد العزيز بن محمد بن سعود على قطر، بعد سيطرته على الإحساء.

وبعد سقوط الدرعية، صارت قطر تحت نفوذ آل خليفة شيوخ البحرين.

وفي سنة **1267**هـ استولى فيصل بن تركي على قطر، وجعل فيها حامية، وفر ابن الخليفة إلى البحرين، ولما استعادت الدولة العثمانية سلطتها على الإحساء ثانية سنة **1288**هـ استولت على قطر، وجعلت فيها حامية، وصارت قائمقامية عثمانية، تابعة لمتصرفية الإحساء، يتم إرسال حاكم شرعي لها كل سنتين ونصف، واستمر الوجود العثماني في قطر إلى سنة **1310**هـ، وقد جعلت الدولة العثمانية قاسم بن محمد آل ثاني قائمقاما، وكان يدين بالطاعة للخلافة في اسطنبول[624].

وكما يقول لوريمر (فيما بين سنة **1872 – 1876** على طول الساحل الغربي للخليج العربي ظلت الأمور هادئة، وظل الأتراك مسيطرين على الإحساء، بينما لم يكن لبريطانيا سوى اتصالات قليلة، كما لم تنشأ أي علاقات بأي سلطة محلية في المنطقة إلا بشيخ البحرين، فقد بلغ وقوع البحرين تحت النفوذ البريطاني حدا جعل شيخها يتعود تنفيذ نصائح الحكومة البريطانية في الشئون الخارجية، كما كان يعتمد عليها في توفير الحماية له ضد أي هجوم من الخارج، وفي سنة **1874** هددت البحرين بغزو البدو من ناحية قطر، لكن البحرية البريطانية قامت بمناورة رادعة صدت الهجوم، وفي السنة التالية استجاب شيخ البحرين لنصح بريطانيا، وفصل مصالحه عن مصالح سكان البر القطري، وكان ما يزال يزعم لنفسه حق السيادة عليه، وفي سلطنة عمان كما في البحرين ازداد نفوذ بريطانيا، وأصبحت علاقة ممثليها بالسلطة المحلية هناك وثيقة، وقد كان وصول المدد البحري البريطاني للسلطان متأخرا فلم يحل دون إذعانه لمطالب قوة متمردة من البدو هددت

[624] تحفة المستفيد للأنصاري **25** .

مسقط سنة 1874، ولكن بعدها بشهر قامت السفن البريطانية بقمع ثورة حدثت في إقليم الباطنة، وأرغمت المتمردين على التراجع)[625].

التدخل البريطاني لتنصيب عيسى بن خليفة على البحرين :

وقد كانت بريطانيا قد فعلت في البحرين ما فعلته بعد ذلك في الكويت حين رفض محمد الصباح توقيع معاهدة حماية معها لكونه قائمقاما عثمانيا، فقامت بتحريض أخيه مبارك عليه وترتيب الانقلاب الذي أودى بقتل مبارك لأخويه، ثم توليه مشيخة الكويت وتوقيعه مباشرة معاهدة حماية مع بريطانيا، وكذا ما فعلته مع شيخ المحمرة في الأحواز العربي الشيخ خزعل الذي اغتال أخيه مزعل، ووقع معاهدة حماية مع بريطانيا، وكما يقول دكسون (إن الشيخ عيسى بن خليفة مدين للبريطانيين بتوليه الحكم، لأنهم نصروه ضد فرع آخر من العائلة أعلى مقاما ظلوا يحاولون الاستيلاء على الحكم، ولم يوقع البريطانيون معاهدة ملزمة مع البحرين إلا سنة 1867م زمن الشيخ عيسى الذي ظل يحكم إلى سنة 1924م، حين عزله الوكيل البريطاني الميجر دالي الذي كان يأتمر بأمر حكومة الهند، وعين ابنه حمد خلفا له الذي ظل في الحكم إلى سنة 1942م)[626].

وقد قام كوكس في فبراير سنة 1905م بمحاصرة البحرين بثلاث سفن حربية، ووجه مدافعه نحو الجزيرة، وهدد بقصفها إذا لم يستجب الشيخ عيسى بن علي للشروط المفروضة من قبل المقيم السياسي وحكومة الهند، والتي تتضمن نفي الشيخ علي بن أحمد، ومعاقبة بعض رجال الدين المؤيدين للشيخ في طلب استقلاله عن النفوذ البريطاني، لمنع أية معارضة قد تكون بداية لجهاد إسلامي ضد الإنجليز[627].

[625] دليل الخليج العربي للوريمر القسم التاريخي 429/1 . تأمل الدور البريطاني الاستعماري في التدخل المباشر لحماية حلفائها ضد إرادة شعوب المنطقة، ومازال التدخل منذ ذلك اليوم وإلى اليوم قائما على حساب مصالح الشعوب وحرياتها!

[626] الكويت وجاراتها لدكسون 78/1 .

[627] قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة 381- 387 .

وهو الجهاد الذي كان الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني يهدد أوربا بإعلانه في حال شنت الحرب على الدولة العثمانية.

فرض القوانين الوضعية في دويلات الخليج العربي :

وكما نجحت بريطانيا في خلق كيانات سياسية في الخليج العربي على غير أساس طبيعي، كذلك نجحت في فرض نظمها وقوانينها الوضعية، وإقصاء الشريعة لإسلامية التي كانت هي أساس القضاء في كل أقاليم الدولة العثمانية قبل دخول الاستعمار الأجنبي، وقد فرضت بريطانيا على البحرين سنة **1909** منح صلاحيات لمعتمدها السياسي في البحرين بتطبيق قانون المحاكم الخاصة بالأجانب، ثم تطور بإدخال النظام والقانون القضائي البريطاني المدني، والذي تم صياغته لتطبيقه على محميات بريطانيا في سواحل الخليج العربي، والذي تأخر تطبيقه بسبب الحرب العالمية الأولى إلى سنة **1919**، ولم تجد محاولات شيخ البحرين ورفضه هذا القانون شيئا، وقد حاول أن يجعل من صلاحياته اختيار القضاة تبعا لنظام المحاكم الشرعية، دون تدخل المعتمد أو المقيم البريطاني(وقد رفضت بريطانيا ذلك محتجة بأنها هي الذي عينتهم شيوخا على البحرين، وما كان ذلك ليحقق لهم لولا بريطانيا، ولأن الشيخ استغل موارد البحرين لمصلحة آل خليفة، ولمصلحة أسرة أو أسرتين من العائلات العربية فيها)[628].

وقد صدر أمر باسم ملك بريطانيا الملك جورج بتطبيق ذلك القانون، وتضمن بنودا مدونة في خمسين ورقة جاء في مقدمتها(بناء على الصلاحيات الملكية الناتجة عن المعاهدات والامتيازات التي تعطي صاحب الجلالة الملك حق إقامة النظام القضائي في البحرين، لذا وبناء عليه فإن صاحب الجلالة يعتمد في تطبيق هذا القانون على النظام الخاص بالقانون الأجنبي)[629].

---

[628] قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة **341- 349** .

وما زالت الأسر الحاكمة في المنطقة مع الأسر الحاشية حولها تستأثر بالسلطة والثروة في ظل الحماية الصليبية الاستعمارية على حساب حقوق شعوب المنطقة!

[629] قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة **339** .

وهذه الصلاحيات التي ثبتت لملك انجلترا جورج الخامس هي بناء على معاهدات الحماية التي تجعل المحميات مستعمرات تابعة للتاج البريطاني، والتي وقعتها كـل مشيخات الخليج العربي مع بريطانيا من عمان وإمارات الساحل جنوبا، مـرورا بالبحرين وقطر والرياض، وانتهاء بالكويت شمالا!

التغيير البريطاني لديمغرافيا الخليج العربي :

لقد وجدت بريطانيا أن وجودها في المنطقة وسـيطرتها عليهـا مرهـون بتغـيير تركيبتها السكانية بما يخدم مصالحها الاستعمارية، وقد وجـدت بـأن المشـكلة الرئيسة مع العالم الإسلامي الذي يؤمن بالخلافة العثمانيـة، ويـرفض الاحـتلال الأجنبي هو في شيوع مفهوم الجهاد، وبسببه واجهت بريطانيا أشرس الحـروب في الهند وأفغانستان تحت راية الجهاد من قبل المسلمين السنة، ولهذا دعمت بريطانيا الحركة القاديانية في الهند، لنبذها مفهوم الجهاد، ورفضها استخدام العنف ضـد الاحتلال الأجنبي، وقد وضعت بريطانيا سنة 1871م قانونـا جنائيـا لمواجهـة الثورة في الهند يخول للسلطات احتجاز القبائل الخارجة على القانون، أو حصارها في معسكرات خاصة وفرض الإقامة القسرية عليها، أو نفيها وتهجيرها.[630]

كما مارست التهجير للسكان كما فعلت في جزيرة (دييغو غارسـيا) لتتخـذها قاعدة عسكرية لها، وقد مارست كل هذه الجرائم مع القبائل العربية في الخلـيج والجزيرة العربية، كما فعلت مع قبيلة العجمان، ثم مع قبائل الأخوان، وقبيلة آل بوعلي..الخ.

وقد وجدت بريطانيا في الخليج العربي حسا إسلاميا طاغيا يقـف مـع الخلافـة العثمانية ضدها، وبعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة، وتقسـيم المنطقـة وخضوعها للاحتلال البريطاني، تنامى الحس الإسلامي والعربي الوطني ضـد هـذا

فإذا كانت بريطانيا الصليبية هي التي أقامت وتقيم تلك الحكومات، وهي التي تختار من يحكمها، وهي التي تضع النظم القضائية والتشريعية لها باسم ملك انجلترا، فكيف لا يصدق عليها بأنها دويلات الحملة صليبية، حيث كان للحملة الصليبية الاستعمارية البريطانية الدور الرئيسي بل الوحيد في إيجادها سياسيا، وتحديد حدودها، وتنصيب شيوخها، وحمايتها وإدارة شئونها ووضع قوانينها؟!

[630] انظر (الاستعمار .. الكتاب الأسود) لعدد من المؤلفين.

الوجود، وهو ما زاد خشية بريطانيا على نفوذها في ساحل الخليج العربي، فاتبعت أسلوب التغيير السكاني بما يخدم مصالحها كما جرى في جنوب أفريقيـــا، وكـــان المسئولون البريطانيون بعد احتلال العراق في الحرب العالمية الأولى قد اقترحـــوا استجلاب الهنود إلى العراق لاستصلاحه زراعيا، وتأمين وجودهم عســكريا، إلا أنهم نفذوا هذه السياسة في ساحل الخليج العربي الذي يعاني فقرا سكانيا، ففتحوا الهجرة أمام الهنود إلى ساحل عمان والإمارات العربية، وأمام الإيرانيين، خاصـــة الشيعة لعدم إيمان أكثرهم بمفهوم الجهاد حتى يخرج المهدي ويقيم الدولة، وهو ما شجع بريطانيا على فتح باب الهجرة لهم إلى الخليج، والتي زادت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الأولى خاصة بعد سنة **1920**م إلى الكويت والبحرين.

تهجير قبيلة الدواسر من البحرين :

وكان من نتائج فرض القوانين البريطانية على البحرين ظهور أزمة قبيلة الدواسر سنة **1923**م التي تم التضييق عليها وتهجيرها من البحرين مع أنها (أكبر القبائـــل في المنطقة ومن أكثر القبائل العربية المتنفذة جاها وثـــراء في البحـــرين، بـــرغم اعترافهم بسلطة شيخ البحرين، إلا أنهم كرهوا عدم المشاركة في إدارة الأمـــور الداخلية وسياسة البلاد الخارجية، ورفضوا أنظمة وقوانين حكومة الهند البريطانية التي تفرضها على البحرين في شئون القضـــاء والضـــرائب، وطـــالبوا بإدخـــال إصلاحات حديثة على أنظمة الغوص والمالية والشرطة والتعليم)[631].

وقد توجه الدواسر في هجرتهم إلى الدمام واستقروا فيهـــا قريبـــا مـــن بلـــدهم البحرين، ووجدوا دعما من ابن سعود في طلبهم للإصلاحات في البحرين والعودة إليها واسترجاع أراضيهم فيها، غير أن بريطانيا بتحريض مـــن شـــيخ البحـــرين أرسلت سفينة حربية مقابل الدمام، ورفضـــت عـــودة القبيلـــة إلى موطنـــها في البحرين، بل وطلبت من ابن سعود أن يقوم بإجلائهم من الدمام إلى مكان أبعد، حتى لا يهددوا البحرين، وقد طلب ابن سعود منهم الخروج من الدمام إلى منطقة الجبيل، وتحت الضغط البريطاني قرر بعض الدواســـر ســـنة **1927**م العـــودة إلى البحرين وفق معاهدة حضرها الوكيل السياسي البريطاني في البحـــرين وممثلـــون

---

[631] عبد العزيز وبريطانيا **215** .

سياسيون بريطانيون نصت على اعترافهم بالحكم في البحرين للخليفة، ومنح شيخ البحرين بتعيين رؤسائهم عليهم متى كان ذلك ضروريا، والقبول بوجود نقطة عسكرية في مناطقهم[632].

وهي شروط مجحفة حالت دون رجوع كثير منهم إلى البحرين.

لقد (كانت بريطانيا تسعى إلى فصل الدواسر عن البحرين وإبعادهم عنها إضعافا من بريطانيا للحركة الوطنية المناهضة لها).[633]

وفي مقابل تهجير القبائل والأسر العربية السنية التي رفضت الاستعمار البريطاني للبحرين، تم فتح الباب أمام هجرة الإيرانيين الشيعة، الذين ظلوا حلفاء للسلطة، وحاشية لشيخ البحرين الخاضع للبريطانيين، وهو ما سيخل في التركيبة السكانية للبحرين وإلى اليوم!

وفي الوقت ذاته استخدمت بريطانيا هذه السياسة في الكويت حيث كانت تواجه معارضة وطنية لوجودها الاستعماري، فأوعزت إلى أحمد الجابر الصباح بفتح باب الهجرة للإيرانيين الشيعة، لإحداث تغيير ديمغرافي للسكان تضمن له ولها من خلال هذه الجالية سيطرتها على المنطقة ومواجهة المعارضة الوطنية!

وهو ما سيكون له تداعياته على الواقع السياسي في الكويت، التي كانت قبل ذلك لا تعرف هذه الإشكالية، كما يقول جان جاك بيربي المؤرخ الفرنسي (الكويتيون الأصليون كلهم عرب ومسلمون سنيون).[634]

وقد تحدث خالد العدساني سكرتير المجلس التشريعي الأول سنة **1937 – 1938**م، عن الدور البريطاني في خلق هذه الأزمة السياسية الديمغرافية في الكويت حيث يقول في مذكراته:

---

[632] عبد العزيز وبريطانيا **217–218** .

[633] عبد العزيز وبريطانيا **218** .

[634] جزيرة العرب لجان جاك بيربي **254** .

(أما المجلسيون فقد كانت وجهة نظرهم ترمي إلى صيانة الشئون الداخلية للإمارة من التدخل الأجنبي الذي يؤول حتما في آخر الأمر إلى السيطرة التامة وحرمان الوطنيين من إدارة شئونهم الذاتية طبقا لميولهم ومنافع قومهم، فالتساهل مثلا في أمر المعارف واختيار المعلمين وإرسال البعثات إلى المدارس الخارجية بغير تدبير الكويتيين واختيار المعلمين وإرسال البعثات إلى المدارس الاستعمارية، كما حدث ذلك في مصر والبحرين وغيرهما، وانتخاب الرجال الفنيين من قبل السلطة الأجنبية فمعناه جلبهم من الانكليز والهنود الذين لا يتحركون إلا طبقا لما توحيه لهم السلطة التي جلبتهم فضلا عما تكلفه رواتبهم ومخصصاتهم الضخمة من تكاليف تنوء بها مرافق الإمارة الضئيلة.

تلك كانت وجهة نظر المجلسيين ومبلغ حرصهم على الأمانة التي اؤتمنوا، ولن نتعرض للإنكليز ولا لمصالحهم المكتسبة في حدود المكاتبات والاتفاقيات المبرمة، ولكننا لا نرى لزاما علينا الرجوع إلى رأي القنصل واستشارته في الشئون الخاصة التي تتصل بأمورنا وأحوالنا الداخلية خاصة وقد كان يكرر على الكويتيين القول حتى من جانب كبار المسئولين الانكليز "إن الكويتيين مستقلون تمام الاستقلال في أمورهم الذاتية".

وقد جاءني ذات يوم أحد الشباب المتحمسين وسألني وهو يرتجف غضب: "ما بالكم وكل هذا التردد والتخوف في مواجهة الأمير وقد بدا منه ما بدا في التمنع والتلكؤ في توقيع القوانين؟"، قلت: "إن أعضاء المجلس يا صاحبي بين أمرين، إما التفاهم مع الأمير ومداراته في الشئون التي لا تمس جوهر الإصلاح فيسلموا على بلادهم وكيانهم من تدخل الانكليز الذين لا سبيل لهم إليه ما دام الراعي والرعية على وفاق، أو التفاهم التام مع الانكليز ولو ضيعوا في ذلك استقلالكم وكيانكم، وعندها يسلمون على أنفسهم وكراسيهم إلى أبد الآبدين، وقد اختار المجلسيون التفاهم مع أميرهم فان وفقوا في ذلك وفقنا جميعا إلى ما فيه سعادة الكويت وأهلها أما إذا فشلوا فقد برءوا ضمائرهم وأدوا الأمانة التي في أعناقهم وحسبكم منهم ذلك".

ذلك هو المنهج الذي اختاره أعضاء مجلس الأمة في بداية أمرهم وقد عملوا كل جهد من جانبهم للتفاهم مع الأمير على تقدم شئون بلادهم والسير بها حثيثا في مضمار الإصلاح والرقي ولكن سموه جاملهم في بداية الأمر مسايرة للظروف ...

وبينما كانت الأمور تجري على هذا المنوال شجرت فتنة بين شاب (هو منصور موسى المزيدي) من مناصري المجلس وشاب آخر إحسائيا جعفريا اشتهر بدسائسه الكثيرة ضد المجلسيين لأنه كان

شريكا لعبدالله الملا في بعض المصالح المادية العديدة فاتخذ هذا الشاب الجعفري من المشاجرة الشخصية التي وقعت بينه وبين الشاب السني وسيلة لتحريض بني مذهبه ضد المجلسيين وجعل يتباكى على عادته المعروفة عند الجعفرية من الإيرانيين والاحسائيين المستوطنين قديما في الكويت، مدعيا أن اعتداءا وقع عليه بسبب مذهبه، وقد صادف هذا التحريض الباطل هوى في نفوس الإيرانيين الذين طغت عليهم نفحة القومية العربية في عهد المجلس، وحمسهم المهيجون فتوافدوا إلى الحسينية كيما يجمعوا أمرهم على رأي ويطالبوا بحقوقهم المهضومة حسب زعمهم، أما الاحسائيون وهم الجماعة الذين ينتمي إليهم الشاب الجعفري فقد تبينوا حقيقة المشاجرة التي حصلت ولم يجدوا فيها وجهاً للتعصب المذهبي المزعوم كما إنهم كانوا يعلمون حقيقة الشاب المذكور وصلاته بعبدالله الملا صالح فتبرءوا من تلك الحركة الانتهازية التي أريد لهم التورط فيها لا سيما وقد كانوا يدركون مكانتهم المحمودة عند باقي إخوانهم الكويتيين إذ كانوا من العرب الأقحاح.

أما الإيرانيون فركبوا شيطان العنصرية وعلت أصواتهم بالهتافات والتصفيق داخل الحسينية لخطبائهم الذين كانوا يحرضونهم على المظاهرات والإضراب، وأخيرا حرر أحد علمائهم المعروف كتابا إلى المجلس التشريعي يتضمن مطالبة هؤلاء بتخصيص بعض المقاعد لهم في مجلسي البلدية والمجلس التشريعي، كما طالبوا مساواتهم بالوظائف الحكومية جميعها، **وكانت هذه أول بادرة من بوادر الحذر التي يخشاها الكويتيون من استفحال أمر الهجرة الإيرانية إلى الكويت، وقد عرف من نية هؤلاء أنهم يبيتون القيام بمظاهرة كبيرة وإضراب شامل ما لم ينالوا كافة مطالبهم.**

لكن المجلسيون غضبوا لهذا الاستغلال الشائن بدافع النعرة العنصرية وتناسي هؤلاء عاطفة الأخوة الإسلامية وحقوق البلاد التي آوتهم فآمنتهم من خوف وأطعمتهم بعد جوع وأدركوا أن التساهل مع هؤلاء وأكثرهم من الحمالين والغوغاء قد يؤدي إلى نشوب فتنةعنصرية تكون لها نتائجها البعيدة في تاريخ الكويت، لذلك أجمعوا أمرهم إلى إهمال الكتاب المذكور وأصدروا أمرهم إلى بعض رجال القوة بالطوفان في الشوارع بالسيارات المسلحة لإرهاب من تحدثهم أنفسهم بالقيام بالمظاهرات والأعمال العدائية بينما ذهب فريق من أعضاء المجلس إلى العالم الديني الذي تطوع بعرض تلك المطالب يناقشونه في رأيه وأمر تلك المطالب التي عرضها، إذ كان يدرك أن الإيرانيين القدماء في الكويت قد دعوا كسائر الكويتيين إلى الانتخابات والتصويت فيها فلم يعترض أحد منهم في شيء لا قبل الانتخابات ولا بعدها، فماله اليوم يخرج من صفته الدينية للولوج في مثل هذه الأمور التي قد تجر إلى تفرقة وبلايا ليس من صفة أهل الدين التورط فيها؟

غير إن العالم المذكور وقد أدرك لهجة الجد اعتذر متنصلا من الحركة وقال إنه إنما طلب إليه أن يعبر بكتابه عن رغبة المجتمعين المحتشدين في الحسينية فقط، وليس له من رأي خاص في هذا الأمر. أما المهيجون فقد انكمشوا في أماكنهم لما شاهدوه من حزم سريع، واعتذر بعضهم بينما زعم آخرون أنهم إنما زج بهم في هذه الحركة بإيعازات خارجية معروفة.

وقد طاف بعد ذلك خدم القنصلية البريطانية وكانوا جميعا من الإيرانيين على جماعتهم يرغبونهم بالتجنس بالجنسية (الانكليزية الهندية) طالبين منهم رفع عرائض أجماعية إلى دار القنصلية في الكويت، وقد فهم الناس أن هؤلاء الخدم لا يمكن لهم القيام بمثل هذا العمل لو لم يكونوا بطبيعة الحال مدفوعين إلى ذلك من القنصل نفسه، وهو الذي كان يعتمد عليهم ويصغي إلى كثير من تقولاتهم ضد المجلسيين، وتهافتت العرائض بعد ذلك إلى دار القنصلية البريطانية بالمئات فالألوف من هؤلاء الإيرانيين طالبة التجنس بتلك الجنسية التي قيل لهم عنها إنها تمكنهم من نيل كثير من الامتيازات في المعاملات التجارية والحقوقية في الكويت.

ولما كان في تجنس هؤلاء جميعا وهم يبلغون ما يوازي ثلث سكان الكويت بجنسية واحدة (هي الجنسية الهندية الانكليزية) خطر عظيم على كيان الكويت والكويتيين خاصة وان تلك الجنسية تمثل الحكومة ذات النفوذ الفعلي في الكويت، فقد أثار ذلك اهتمام الكويتيين أجمع وجزعهم بما فيهم الفئة الغيورة من المعارضين أنفسهم.

لهذا تداول أعضاء المجلس طويلا في هذا الأمر ووجدوا أنهم لا يسعهم الجمود إثر هذا الخطر الداهم فقرروا علاج الأمر بوسيلتين:

الأولى أنهم أصدروا هذا القرار الجريء وأعلنوه في كل جانب من جوانب الكويت:

"كل من تثبت عليه محاولة التجنس بجنسية أجنبية يجب عليه الاستعداد لمغادرة الكويت خلال شهرين من تاريخ تلك المحاولة مع حرمانه كليا من حقوق امتهان أية مهنة أو تملك أي عقار داخل حدود إمارة الكويت"

والثانية : هو ذهاب فريق من أعضاء المجلس إلى دار القنصلية ومقابلتهم القنصل فيها حيث كشفوا له مبلغ جزع عموم الكويتيين من محاولة هذا الفريق الكبير التجنس بجنسية تمكنهم من الامتياز على الكويتيين الأصليين داخل بلادهم في كثير من الحقوق والمعاملات، وأن هذه المحاولات ربما أدت إلى نشوب فتن وحوادث ليس من صالح أحد إثارتها في مثل هذا اليوم، وأنهم

من جهتهم معتمدين عدم التساهل مع هؤلاء الذين يجب عليهم الرحيل عن البلد الذي لا يرون الانسجام مع أهله الأصليين وحسن التفاهم معهم.

وقد ناقش القنصل هؤلاء الأعضاء في المطالب التي تقدم بها الإيرانيون ولماذا لا يجابون إلى ما طالبوا في المساواة؟

فلما قيل له: "إن الكويتيين لا يعترفون بحق الذين نزحوا إلى الكويت بعد الحرب العالمية في اكتساب الجنسية الكويتية أما أولئك القدامى فلهم ما لنا وعليهم ما علينا من حقوق وواجبات".

قال: "إنه لم يشجع أحدا على طلب التجنس بالجنسية الهندية ولكنه لا يسعه أن يرفض أي طلب أو عريضة أو كتاب يتقدم به صاحبه إلى دار القنصلية مهما كان موضوعه، أما الحصول على الجنسية الهندية فانه يعتقد أن ذلك ليس من السهل الحصول عليه إلا لمن تتوفر فيه الشروط الخاصة التي ينص عليها القانون الهندي". وانتهى الأمر عند هذا الحد ولكن هذا الحادث بل والتحدي زاد بطبيعة الحال من فتور العلاقات بين القنصل وأعضاء المجلس إذ انه كان الاحتكاك المباشر الأول بين الطرفين.

فلما جاء المقيم البريطاني عقيب هذه الحوادث إلى الكويت طلب أن يجتمع بلجنة تمثل المجلس بحضور سمو الأمير وسعادة رئيس مجلس الأمة فأنتدب المجلس كل من سليمان العدساني ومشاري الحسن والسيد علي السيد سليمان واجتمع الجميع بقصر الأمير الساحلي (قصر السيف) يوم **15** أكتوبر **1938** الموافق **21** شعبان **1357** وحضر الاجتماع الكابتن دكوري قنصل بريطانيا في الكويت وكان يتولى مهمة الترجمة بين المقيم البريطاني وباقي المجتمعين، وقد جرت عدة محادثات عامة كان أهمها البحث في أمر شركة الزيت إذ طلب المقيم أن يكون اتصال الشركة مع سمو الأمير مباشرة ولا صلة للمجلس بها، ولكن المجلسيين تشبثوا في حجتهم محاولين إقناع المقيم بصورة منطقية شذوذ هذه الخطة عن الأصول السليمة، ولما حاول المقيم إقناعهم أن يجربوا هذا الأمر لمدة شهرين فقط حتى إذا وجدت صعوبة يرجع إلى رأيهم، غير أنهم رجوا منه أن تكون التجربة الأولى على الوجه المستقيم الذي يرونه هم فإذا حدث ما يستوجب التغيير كان للجانب الأقوى وهم الانكليز أن يعدلوا في الخطة.. وسكت المقيم عند هذه النقطة وفهم أن سكوته كان سكوت الاقتناع.

ثم تحدث المقيم عن مقام سمو الأمير فأشار إلى ضرورة اعتباره الحاكم الأعلى الذي تجرى معه أو بواسطته جميع المخابرات السياسية وغيرها من الأمور الجوهرية في البلاد! فرد أعضاء المجلس قائلين: "إن ذلك هو الدعامة الأولى التي ترتكز عليها سياسة المجلس طبقا للأصول الملكية النيابية وليس فيهم من يتصور غير ذلك".

ثم جاء الكلام عن الإيرانيين المقيمين في الكويت وما هو تقدير عددهم والتدابير المتخذة من جانب المجلس معهم، فتكلم أعضاء المجلس قائلين: "إن هذه الهجرة التي استفحل أمرها ليس لها ما يماثلها في بلدان العالم بالنسبة إلى كثرتها وانطلاقها من غير شروط"!!

فقال المقيم إنه لا يعنيه الآن اتخاذ المجلس بعض التدابير لتسفير المهاجرين الجدد إلى خارج الكويت ولكنه ينصحهم أن يتم ذلك بصورة تدريجية وهادئة كيلا يؤدي هذا الأمر إلى تذمر الحكومة ذات الشأن فيضطر هو إلى التدخل، فأفهمه أعضاء المجلس إن التدابير التي اتخذت حديثا ليست إلا لتوقيف الهجرة الغير مشروعة أما تسفير المهاجرين فلم يتقرر شيء منه حتى الآن)![635]

قضاء بريطانيا على المعارضة في الكويت والبحرين :

وكما قضت بريطانيا على الثورة والمعارضة في نجد قبيل الحرب العالمية الثانية حين قمعت ثورة الأخوان سنة **1930**م، كذلك قامت بضربها في الكويت والبحرين مطلع الحرب العالمية الثانية سنة **1938** لضمان استقرار مستعمراتها في حال انشغالها في الحرب مع ألمانيا، حيث كان العرب يؤيدون ألمانيا في حربها ضد بريطانيا الاستعمارية، وقد كان الشعب الكويتي للتو بدأ تجربة المجلس التشريعي التي كانت تعزز إرادة الشعب، وهو ما يرفضه الاحتلال الذي يريد تعزيز أنظمة الحكم التي أقامها وتحالفت معه، ولهذا أوعزت بريطانيا للشيخ أحمد الجابر بالقضاء على هذه التجربة، كما قضت عليها في البحرين، وقد أشار إلى ذلك خالد العدساني في مذكراته، حين تحدث عن المفاوضات بين المعارضة والسلطة فقال:

(وعند هذا انتحى أعضاء المجلس وحدهم ناحية للتداول في أمر هذه الوعود، فأدركوا أنها وعود خاوية ولكنهم عرفوا من المتصلين بالجانب الآخر أن الحركة مبررة من أيد أجنبية.. فلا ترجى فائدة من المكابرة التي قد تؤدي بالكويتيين جميعا إلى الرزوح تحت نير الأجنبي المتربص لتركيز نفوذه الفعلي في الكويت، كما حدث ذلك في مسقط والبحرين وغيرهما من إمارات الساحل

[635] انظر مذكرات العدساني سكرتير المجلس التشريعي.

العربي ...وبمثل هذا التدبير قضي على حياة ذلك المجلس العتيد الذي سيبقى تاريخه المجيد غرة في تاريخ الكويت لما نهض به من إصلاحات ومشاريع كبرى هيهات أن ينسى أثرها المنصفون لا سيما في وقت كان الناس فيه لا يفقهون من الحياة والنظم البرلمانية ما يفهمونه منها اليوم).

لقد كانت بريطانيا وراء ضرب الحياة النيابية في الكويت لصالح الاستبداد حفاظا على مصالحها ولو على حساب شعوب المنطقة، وكما يقول العدساني (أما الأسباب الأصلية التي تسببت في سقوط المجلس، وربما خفي أمرها على الكويتيين، فهي قبل وبعد كل شيء تحول وجهة النظر الانكليزية، لتخوف الانكليز من الوطنيين الكويتيين على النفوذ والمصالح البريطانية، فضلا عن الذعر الذي أصابهم بعد ما شاهدوه من سرعة انتقال العدوى إلى جميع شعوب الإمارات العربية والهندية الخاضعة لنفوذهم كما أسلفنا)!!

استخدام بريطانيا وحلفاؤها للدين وشيوخه في مواجهة القوى الشعبية المعارضة :

لقد نجحت بريطانيا في ترسيخ مشروعها الاستعماري في المنطقة من خلال حلفائها وتوظيفها للدين في إضفاء المشروعية على وجودها ووجود حلفائها، وقد وظفت لذلك بشكل غير مباشر ومن خلال المشيخات شيوخ الدين سواء شيوخ الدين السنة في نجد والكويت، أو الإباضية في عمان!

ففي الكويت وقف الشيخ يوسف بن عيسى ضد أعضاء المجلس التشريعي كما يقول العدساني(وكان الشيخ يوسف بن عيسى زعيم القناعات من أشهر رجالات المجلس وأبرزهم لدى الرأي العام نظرا لمكانته الدينية الطيبة ومواقفه الإصلاحية التي لا تنكر، وهو شيخ دين درس في الإحساء وقضى الشطر الأكبر من حياته في خدمة معارف الكويت خدمة نزيهة متصلة لوجه الله والدين، كما ساهم في أكثر الشئون الإصلاحية والخيرية التي قامت في الكويت، وكان صاحب الفضل الكبير في رعاية المشاريع النافعة والإشراف عليها، بيد أنه وللأسف زج نفسه في السياسة وكان معتدا بآرائه عنيدا فيها في الوقت الذي اشتهر فيه بالخور تجاه السلطة والانكليز، فعرض نفسه لكثير من الشك والتجريح، وكان يكابر المجلسيين ويأبى الرضوخ لقرارات المجلس الجوهرية التي تخالف رأيه حتى لو اجمعوا جميعا عليها، لا سيما تلك التي تتسم بالتصلب في الحقوق العامة تجاه السلطة لأنه يعتقد أن الأصل في كافة الحقوق العامة هي ملك للحاكم وليس للشعب، فما تنازل عنه الحاكم فهو منة وكرما منه، وما منع أو امتنع عنه لا تصح مطالبته أو الإلحاح عليه فيه! وقاده هذا الرأي إلى أن يكون داخل المجلس ملكيا أكثر من الملك كما يقولون، فلا تعرض حادثة

أو ينشب أمر يحاول الأعضاء إقناع سمو الأمير بتعديله أو التساهل فيه لصالح الشعب حتى ينتصب فيهم مدافعا عن حق الحاكم ومثبطا العزائم في حجج وأقاويل يلمسون الوهن والخور فيها، أما تجاه الانكليز ففي رأيه لا يصح مطلقا المناقشة معهم فما على المجلس إذا أمر الانكليز إلا أن يطيعوا دون التشبث حتى في مراجعتهم وإقناعهم بالحسنى، وقد سبب هذه المواقف والآراء الخائرة من الشيخ يوسف وهو زعيم قومه وذو المكانة المرموقة لدى الجميع مصاعب جمة لأعضاء المجلس) وكان له دور بعد ذلك في التفاوض بين المعارضة والشيخ أحمد الجابر والتوسط بينهما، ثم وقوفه مع الشيخ أحمد والاصطفاف بجانبه بعد أن تم خديعة المعارضة حين سلموا أسلحتهم بتعهد من الشيخ يوسف بن عيسى، وتم قتل بعضهم والقضاء على المجلس فيما عرف بعد ذلك بثورة المجلس سنة!

التدخل البريطاني في عمان وقمع الثورة وتوظيف الدين وشيوخه :

وكما كانت بريطانيا تتدخل في كل شئون إمارات الخليج، كانت تخوض الحروب ضد شعوب المنطقة لصالح الحكومات التي تأتمر بأمرها، ففي عام **1915**(عندما ثارت القبائل في الداخل، لم يستطع سلطان مسقط إخماد ثورتها إلا بمساعدة القوات البريطانية الهندية، وبقيت الثورة تزمجر حتى توقيع معاهدة السيب في عام **1920** بين سلطان مسقط وإمام عمان التي احتفظت لقبائل الداخل بحقهم في نوع من الاستقلال الذاتي).[636]

لقد دعمت بريطانيا سلطان مسقط فيصل ثم ولده تيمور بن فيصل بن سعيد ضد الثوار وزعماء القبائل بقيادة الإمام الأباضي سالم الخروصي بعد أن ثار الشعب العماني ضد السلطان والبريطانيين، وقد كادوا يسقطون السلطان ويسيطرون على مسقط سنة **1913**م، لولا التدخل البريطاني الذي ضرب قوات الثورة، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، ودخول الدولة العثمانية فيها، أعلن الإمام الخروصي إمام الأباضية الجهاد ضد بريطانيا، ووقوفه مع الخلافة العثمانية، وبعد أن قمعت بريطانيا ثورة الشعب العماني بالمدافع والطيران، رأى زعماء الثوار عقد اتفاقية مع السلطان اشترطوا فيها أن تكون المحاكم في كل الشئون القضائية

---

[636] جزيرة العرب لجان جاك بيربي **213**.

والمدنية والجنائية وفق الشريعة الإسلامية، وتطبيق العدل على الجميع بلا تمييز بين السكان، وإلغاء الضرائب، ومنع الخمر والدخان، ورفع الحظر عن السلاح الذي تفرضه بريطانيا، وأن يدير الإمام أمور عمان بالشريعة، ويعترف بسلطة السلطان حاكما على مسقط وعمان، وأن يحل السلطان قواته، وأن ينسحب البريطـانيون من عمان ومسقط.

لقد أعلنوا بأن السلطان لم يعد يمثل الشعب العماني(لأنه خالف الطريقة الأباضية في الحكم..بالإضافة إلى اتهامه بالكفر والإلحاد، وبالفساد والمحسـوبية، وتبديـده للأموال التي ينفقها على أقاربه)، وقد رفض السلطان بعض هذه الشروط.

وقد استنجد الإمام الخروصي سنة **1916**م بالحامية العثمانية في اليمن، لمساعدته في ثورته ضد الإنجليز، وقد وعدوه بالمدد لولا أن بريطانيا كانـت قـد فرضـت حصارا على المنطقة، وقد استطاع الثوار سنة **1918**م السيطرة على المقاطعـات الداخلية ومدينة الرستاق الرئيسية، وبعد الحصار البريطـاني للثـورة، تم عقـد مفاوضات سنة **1919** م بين الإمام والسلطان، بتدخل بريطاني، وفجأة تم اغتيال الإمام الخروصي سنة **1920**م، واختير مكانه الخليلي الذي مال إلى الصلح[637].

وقد حاول السلطان(أن يجعل من نفسه حاكما وإماما على الرغم من أن المذهب الأباضي لا يقر توارث الحكم، وقد كان في نيته أن يسيطر على منصب الإمامـة ومن ثم تحويله إلى منصب وراثي، وقد استعان بمحاولاته هذه بالتأييد البريطـاني، كما حاول بعد ذلك الحصول على التأييد الأمريكي بعد أن نشب الصراع بـين الشركات البريطانية والأمريكية المستغلة للنفط في ممتلكاته)[638].

وكما نجحت بريطانيا في توظيف بعض رجال الدين ومراجعه الشيعة في النجـف، والعلماء السنة في نجد لخدمة مشـروعها في السـيطرة علـى المنطقـة وتعزيـز الحكومات التابعة لها، نجحت كذلك في توظيف بعض رجال الدين في عمان لذات الغرض!

---

[637] تاريخ الخليج العربي **3/350- 378** .

[638] المصدر السابق **3/396** .

فمن أجل مواجهة نفوذ الإمام الخليلي قام السلطان باتخاذ الشيخ سليمان الباروني مستشارا للشئون الدينية، وألف الكتب في المذهب الأباضي لسحب البساط من تحت أقدام الخليلي، وطلب من البريطانيين الموافقة على إقراره في هـذا المنصب بقوله(إن خبرته ومعرفته بمبادئ عقيدتنا الأباضية ستكون ذات فائدة لنا)[639].

لقد نجحت بريطانيا من خلال حلفائها في السلطة من إصدار الفتاوى ضد كل من يرفض الوجود البريطاني أو يقاومه، كما حصل في نجد في الفترة نفسها، حيث جمع ابن سعود علماءه ليصدروا الفتاوى ضد الثوار، ولم يقتصروا في فتاواهم على تجريمهم بل وصل بهم الحال إلى الحكم بكفرهم وردهم كما في كتاب تذكرة أولي النهى (وقد سئل أئمة علماء الدعوة – الوهابية – ما قولكم في الدويش والعجمان ومن تبعهم .. فكان الجواب : إن العجمان والدويش ومن تبعهم لا شك في كفرهم وردهم .. ومن أبى عن جهادهم فهذا حكمه حكمهم.. وأما الدهينة والخضري وولد فيصل بن حميد وأتباعهم – من قبيلة عتيبة – الذين قدموا من عند الشريف يدعون إلى ولايته فهؤلاء لا شك في ردهم، لأنهم دعاة إلى الدخول تحت ولاية المشركين، فيجب على جميع المسلمين قتالهم وجهادهم.. وأملاه محمد بن عبد اللطيف، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم، وعبد الملك بن إبراهيم، وعبد الرحمن بن سالم، وعبد العزيز الشثري، ومحمد بن عبد الله بن عبد اللطيف)![640]

فلم يتردد شيوخ الوهابية في تكفير قادة الأخوان بذريعة أنهم يدعون إلى الدخول تحت ولاية الشريف، بينما كانت بلدهم وإمامهم ابن سعود تحت حكم بريطانيا!

---

[639] المصدر السابق 397/3 .ويلاحظ هنا دور السلطة المحلية ومن ورائها الاستعمار في توظيف الدين ورجاله في خدمة الاستبداد والاستعمار من خلال نشر ثقافة دينية أكثر قبول لهما ولسياساتهما، وهو مشهد يتكرر في كل دويلات الطوائف إلى اليوم فقد صار الدين ورجاله الأداة التي تستخدمها حكومات المنطقة للسيطرة عليها!

[640] كتاب تذكرة أولي النهى والعرفان لإبراهيم بن عبد المحسن 231/3

ويلاحظ كيف تتكرر الحادثة كلما واجه الاحتلال الأجنبي أو حلفاءه في المنطقة أزمة سياسية أو حركة ثورية، وكيف يتم توظيف الدين ورجاله والفتوى في خدمة السلطة لمواجهتها!

وقد طلب سلطان عمان من بريطانيا دعمه عسكريا لضم عمان لمسقط، فأشاروا عليه بأن يفعل كما فعل ابن سعود(الذي استطاع أن يحرز نجاحا كبيرا في السيطرة على قبائل البادية بالأموال أكثر من السلاح)[641].

وقد أكد السلطان أنه لا يريد(استبقاء نظام الإمامة – الذي يقوم على الانتخاب كما هو المذهب الأباضي – وإنما سيعمل على إلغائه، وربط مقاطعات عمان بمسقط، تحت نظام الحكم الوراثي)، وهو ما تم فعلا، وفي سنة **1945**م، قامت بريطانيا بدعم عسكري كبير للسلطان وحملته العسكرية، وقام سلاح الجو البريطاني بمهمته، للسيطرة على مقاطعات عمان الداخلية[642].

لقد ظل النفوذ البريطاني مسيطرا على عمان ومسقط بعد ذلك، فقد وقفت بريطانيا مرة أخرى مع السلطان ضد الشعب العماني في ثورة **1957**م(عندما سارعت القوات البريطانية الجوية والبرية لنجدة السلطان ضد ثورة القبائل العمانية في الداخل، وهذه السلطنة التي لا تعرف لها حدودا ثابتة، كيان سياسي فريد، فهي تعتبر نظريا مستقلة، مع أن قواتها المسلحة تخضع لقيادة ضباط بريطانيين، ووزير خارجيتها يدعى السيد نيل إيتر ويساعده قنصل خاضع لسلطة المقيم السياسي البريطاني، والاسم نفسه الذي يطلق على الدولة مبهم، فهو يجمع بين اسم العاصمة التي يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف، وداخل البلاد التي تزيد مساحتها على مائتي ألف كيلو متر مربع، وقد احتاجت سلطة السلطان مرارا إلى مساندة البريطانيين كي تفرض نفسها في الداخل في جبال عمان، التي تسكنها قبائل بالغة القسوة)[643].

---

[641] المصدر السابق **3/402** .

[642] المصدر السابق **3/403** .

[643] جزيرة العرب لجان جاك بيربي **202**.

سيطرة بريطانيا على الإمارات العربية :

وقد ظلت مشيخات ساحل عمان المهادن – الإمارات العربية – تحت السيطرة البريطانية المطلقة، حتى في الشئون الداخلية، حيث تصدر إليهم التعليمات كنصائح يجب عليهم تنفيذها، (وفي المشيخات المهادنة – الإمارات العربية السبع – كانت تنظيماتها الداخلية تبدو كأنها صادرة من الشيوخ أنفسهم، إلا إنها كانت تفرض صراحة من الموظفين البريطانيين)[644].

لقد تم الإعلان عن استقلال دويلات الطوائف في الخليج العربي عن بريطانيا ظاهريا منذ ستينيات القرن الماضي، إلا إنها ظلت فعليا ترزح تحت الاحتلال، وكما يقول جان بيربي (عملت بريطانيا على تعزيز مركزها بالإبقاء على قواعد عسكرية وبحرية وجوية كبيرة، والتوسع في إنشائها، بقصد قمع الحركات الوطنية التحررية، وتأييد الأنظمة القائمة، والمحافظة على استقرارها .. وأخذت بريطانيا – للتغطية على وجودها الاستعماري – منذ عام 1961م تمنح إمارات الخليج مظهر الدول المستقلة، وتحت ستار ذلك تحاول الحفاظ على مصالحها في المنطقة بمساندة الولايات المتحدة..وقد قامت بالإطاحة ببعض الشيوخ الذين تجد منهم اتجاهات أو تطلعات تتعارض مع مصالحها، فقد بادرت بخلع شخبوط بن سلطان حاكم أبو ظبي، والشيخ صقر حاكم الشارقة حينما أبدى تجاوبا مع مصر والجامعة العربية)[645].

وهو ما حصل أيضا مع الملك سعود في المملكة العربية، وعبد الله المبارك في الكويت، بسبب ميلهما إلى مصر وجمال عبد الناصر!

ومازالت دويلات الخليج والجزيرة العربية تحت سيطرة النفوذ الاستعماري البريطاني الأمريكي منذ ذلك الحين إلى اليوم، وما زالت القواعد العسكرية خاصة الأمريكية تسيطر سيطرة عسكرية كاملة على المنطقة، كما لا يزال الخليجيون يعيشون تحت أنظمة حكم شمولية أسرية استبدادية، في ظل الاحتلال الأمريكي

---

[644] المصدر السابق 4/ 23 .

[645] المصدر السابق 4/26 .

وعصر الديمقراطية وحقوق الإنسان! ليكتشف الخليجيون أن الاستقلال الصوري الذي فرحوا به في النصف الثاني من القرن العشرين ما هـو إلا وهـم فضـحته الحوادث والأيام، فإذا القوى الاستعمارية هي التي تتصرف في المنطقة وبشـعوبها وثرواتها وحرياتها واستقلالها، لا تملك حكوماتها من أمرها شيئا، وقد كان وزيـر خارجية قطر أصدق الجميع لهجة – في التعبير عن واقع العلاقات بـين دويـلات الطوائف والولايات المتحدة القائمة على التبعية – حين اعتـرف بعـد احـتلال العراق بأن حكومات الخليج العربي تتعامل مع أمريكا كما يتعامل الفـداوي – الخادم – مع سيده المعزب[646]!

وما زلنا مع (الحرية وأزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية) وللحديث بقية!

(عبيد بلا أغلال)

(27)

(تجليات أزمة الهوية سياسيا)

---

[646] في مقابلة له في قناة الجزيرة بعد حرب احتلال العراق سنة 2003.

تجليات أزمة الهوية لشعوب الخليج والجزيرة العربية:

أولا : تجميد النخب الحاكمة :

أدرك المسئولون البريطانيون بعد تقسيم المنطقة العربية إلى دويلات، ليسهل السيطرة عليها، أنهم خلقوا مشكلة خطيرة، سيكون لها تداعياتها على المدى البعيد، حيث لم يراع الاستعمار الأجنبي مصالح شعب المنطقة الواحد، ولا الوحدة الجغرافية لأقاليمه، بل تم تقسيمها بشكل عبثي فوضوي، مما أدى إلى تفاقم أزمة الهوية، وكما يقول فرومكين:

(إن بريطانيا بحمايتها عبد الله بن الحسين، إنما جزأت في الواقع عالم عرب الصحراء بين أسرتينمالكتينمتخاصمتين، وجعلت من الحدود الأردنية خط التجزئة، والبلدان اللتان لا تزال تسميتهما تدل على أنهما ملك عائلي، هما المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والخط الدولي لا يزال هو خط التجزئة بين أسرتي شبه الجزيرة العربية المالكتين)[647].

وقد كان لهذا الواقع ــ الذي فرضه الاستعمار البريطاني الفرنسي للمنطقة العربية ولخريطة الشرق التياشترك البريطانيون والفرنسيون في تقسيمها وترسيمها على هذا النحو ــ تداعياته الخطيرة حيث لم تستطع كل هذه الدويلات المصطنعة أن تعبر عن هوية الشعب العربي في الجزيرة العربية، لا هويته القوميةالعربية، ولا

---

[647]ولادة الشرق **577** .

هويته الدينية الإسلامية، ولم تستطع إيجاد هوية بديلة، وكان الحـال كمـا قـال فرومكين:

(وهكذا فإن بريطانيا، شأنها شأن فرنسا في منطقة نفوذها في الشـرق الأوسـط، أنشأت دولا، وعينت أشخاصا يحكمونها، ورسمت حدودا فيما بينها، وقد عملت معظم ذلك في سنة 1922م، لقد تحقق للدول الأوربية ما أرادت أن تفعله منـذ زمن طويل، أي أن تأخذ بأيديها المصائر السياسية لشعوب الشرق الأوسـط ... وفي كل مكان من العالم أدى الاحتلال البريطاني إلى تدمير البنى السياسية لأهـالي السكان الأصليين، وإبدالها ببنى جديدة ذات أشكال أوربية، والإدارة الحكوميـة كانت على نمط أوربي، وبموجب قوانين أوربية، ووفقا لمفاهيم أوربية، ومع ذلـك ثمة تساؤل عما إذا كان الاحتلال الأوربي سيحدث في الشرق الأوسط ما أحدثـه في أمكنة أخرى من أثر عميق ودائم، وسبب هذا السؤال ليس فقط لأن الشـرق الأوسط منطقة حضارات عريقة، يفخر بها أصحابها، ومعتقدات عميقة الجذور في الماضي، بل لأن التغييرات التي تقترح أوربا إدخالها هي من العمق بمكـان بحيـث يجب أن تمر أجيال قبل أن تضرب هذه التغييرات جذورها في الأرض)[648].

---

[648] ولادة الشرق 629.

فديفيد فرومكين يدرك ــ أكثر من المسلمين أنفسهم ــ مدى خطورة التغييرات العميقة التي أحدثتـها الحملة الصليبية الاستعمارية التي أسقطت الخلافة والدولة الإسلامية، وأقامت مكانها دويلات الحملـة الصليبية التي تعبر عن إرادة الاستعمار وما يريده أكثر من تعبيرها عن إرادة الأمة وشعوبها، ويرى أن تلك التغيرات لن يكتب لها البقاء لأنها مصادمة لحقائق الدين والتاريخ والجغرافيا والديمغرافيا التي لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن الأمم والدول التي تعبر عن هويتها!

لقد تم تغييب شعوب المنطقة ـــ بل شعبها الواحدـــ عن تقرير مصيرها وتم تهميش إرادتها، وفرض الاستعمار عليها ليس فقط حكومات كان هـــو الـــذي أوجـــدها وأقامها ودعمها بكل إمكانياته المادية والعسكرية، بل وفرض هوية لم يكـــن لهـــا قبل ذلك أي وجود، لقد تم خلق هويات قطرية ووطنية زائفة – وتم نســـبتها إلى أسرة أو مدينةأو جزيرة أو أقليم–لشعب واحد لا يرى في هذه النسبة أي مدلول تاريخي أو ثقافي أو قومي يعبر عن هويته، وتم تقسيم القبيلة والأسرة الواحدة بين عدة دول، وكما يقول بشير نافع (لقد ترك هذا التطور أثرا بالغا علـــى أنمـــاط الاجتماع والهوية في العالمين العربي والإسلامي، ولأن هذا التطور قد فرض أصـــلا على المنطقة بفعل السيطرة الاستعمارية المباشرة، ولم يكـــن للشـــعوب العربيـــة والإسلامية دور ملموس في صياغته، فقد تسبب في ولادة نظام الدولة الحديثة في بلاد مثل العراق، وسوريا، والأردن، والسعودية، والكويت، في إيقاع اضطراب هائل في حياة شعوب هذه البلدان، أدخل نظام الدولة الحديثة مفهـــوم الجنســـية الحصرية، وجواز السفر، والقيود على التنقل عبر الحدود.... وفجـــأة وجـــدت عشائر كشمر وعنزة نفسها قد انقسمت بين دول كسوريا والعـــراق والكويـــت والسعودية، وأن هذا الانقسام يتطلب حمل جنسيات مختلفة ويفرض قيودا قاطعة على تحركها عبر الحدود .... إن النظام الجديد يتطلب منهم الولاء لدول لا تعبر بالضرورة عن هويتهم الثقافية ولا تشبع حاجات هـــذه الهويـــة، هـــذا التمـــايز

والافتراق ولد اضطرابا عميقا وعواقب إنسانية باهضة، في حياة أبناء العشائر العربية على جانبي خط الحدود)[649].

لقد دفعت القبيلة العربية، والأسر العربية، والشعب العربي الواحد، ثمنا باهضا جراء الخريطة الاستعمارية الصليبية، فصار الجميع يتطلع إلى قيام الدولة العربية الواحدة، وما يزال هذا الحلم قائما تعبيرا عن رفض هذا الواقع، وعدم الإيمان بمشروعيته!

لقد ترتب على هذا الواقع الذي فرضه الاستعمار أوضاعا كارثية تمثلت في:

1- أنه جمد - كما يقول خلدون النقيب - القيادات والحكم في أيدي من وقعوا على المعاهدات، ثم بيد ورثتهم من بعدهم، ومن دخل تحت الحماية البريطانية منهم، كما أدى إلى توسيع سلطة الحاكم نفسه ومن جاء بعده، فقد كانت سلطة الشيخ قبل ذلك محدودة، إذ الولاء السياسي لم يكن مرتبطا بالأرض بل بالبشر، ولذلك كانت البيئة والحالة الطبيعية تضع قيودا على سلطة الشيخ، تتمثل في القدرة على الارتحال من بلده والانتقال إلى مكان آخر عند نشوب نزاع مع الشيخ، وإمكانية التمرد عليه وخلعه عند الخلاف معه من قبل الفئات الاجتماعية القوية، فضمنت المعاهدات البريطانية للأسر الحليفة لها

[649]تاريخ العراق لبشير نافع فصل عروبة العراق ص 29 نسخة مصورة.

استمرار الحكم فيها لتعطل بذلك دورة وحركـــة التطـــور السياســـي الطبيعي في المجتمع من خلال التدخل المباشـــر لفـــرض ســـلطة هـــذه الأسر(إن أهم نتائج انهيار الحالة الطبيعية في مجتمع الخليج والجزيرة هي توقف دور النخبات القبلية، وتبلور نظام الحكم السلالي – الوراثي – في المنطقة، كنتيجة طبيعية للنفوذ الأجنبي، إذ لم يقتصر تأثير المعاهدات على حفظ السلام بين المشايخ والأمراء، وإنما أدت إلى تثبيت سلطتهم، والاعتراف بشرعية سيادتهم على مناطقهم وشعوبهم ـــ التي لم يكن لهم عليها أصلا أي نفوذ أو سلطة قبل تحالفهم مع الاســـتعمار – كأســـر حاكمة، فلم يعد ظهور واختفاء الأســـر الحاكمـــة مرتبطـــا بالـــدورة السلالية التي تكلم عنها ابن خلدون – التي قد تصل مـــن ثلاثـــة إلى أربعة أجيال – أو مرتبطـــا بانتعـــاش أو انحســـار التجـــارة والحالـــة الاقتصادية، بل بالمعاهدات التي وفرت لهم ولأسرهم الحاكمة الحمايـــة الكاملة من شعوبهم ومنافسيهم من الشيوخ الآخرين، وقـــد تـــدخلت بريطانيا أكثر من مرة لحماية الحكام في المنطقة، ففـــي عـــام **1861**م أعادت بريطانيا في مسقط السلطان المخلوع إلى عرشه، وقامت بتوفير الحماية له من جيوش الإمام الإباضي، كما قامت ثلاث مرات بإنقـــاذ حكم آل خليفة في البحرين..)[650]، وكذا بالتدخل بالدعم المالي حـــين تواجه هذه الأسر عجزا ماليا، كما حدث ما بين سنة **1940– 1942**م

---

[650] المجتمع والدولة لخلدون النقيب ص**95– 100** بتصرف يسير واختصار.

حين تحملت الولايات المتحدة دفع ميزانية المملكة السعودية، وأعلنت بأن الدفاع عنها يمثل مصلحة حيوية لها، مما سمح بالتحويلات المالية الرسمية من خزانة الولايات المتحدة إلى السعودية مباشرة[651].

لقد أصبح الواقع السياسي اليوم لشعوب الخليج والجزيرة العربية يرضخ للإرادة الاستعمارية التي تعهدت للحكومات التي أوجدها بضمان الحكم الوراثي لها ولمن جاء بعدها على حساب حقوق شعوبها، ولو أدى ذلك إلى شن الحروب ضد الشعوب نفسها لتظل تحت سيطرة تلك الحكومات، وكما يقول المؤرخ الفرنسي جان بيربي(ونتيجة لتعهداتها القديمة التي تفرض عليها حماية علاقاتها وامتيازاتها، ترى بريطانيا نفسها مضطرة لحماية استقلال إمارات ومشيخات رجعية التركيب، في الوقت الذي يتطور فيه رعاياها بسرعة مذهلة ويفتحون عيونهم على ما يجري حولهم، وأي ضعف أو تهاون في المساندة البريطانية معناه انهيار نظام قائم على بضعة أشخاص مخلصين للصداقة البريطانية، وللاحتفاظ ببترول الخليج والأرباح الطائلة التي يدرها، تجد بريطانيا نفسها ملزمة أكثر فأكثر في وجوب تقديم مساندة مسلحة لكل أصدقائها في الخليج، مهما كانت نوعية تلك الدواعي، لقد عزمت وقررت نهائيا أن تربط بها مصير جميع الإمارات والمشيخاتالعربية

[651]انظر المصدر السابق حاشية ص 99.

الواقعة على الخليج العربي، دون أن تأخذ بعين الاعتبار كبر هذه الكيانات أو صغرها، وإنتاجها النفطي، وإمكاناتها الحياتية، في هذه المنطقة التي لا حدود لها فاصلة)[652]، وكما يقول فرد هوليداي (لقد بقي سلطان عمان في السلطة بمساعدة أصدقائه ــ الغربيين ــ وكذا أقرانه الملكيون في الدول الخليجية لا سيما في العربية السعودية)[653].

وكما يقول الدكتور أحمد الخطيب وهو يتحدث عن دور بريطانيا في ترسيخ حكم أتباعها في المنطقة(فهم – أي الإنجليز – حكام المنطقة بلا منازع، ومشايخ المنطقة يعلمون أن بقاءهم في السلطة مرهون برضا المعازيب عنهم، وإلا فإنهم سيلاقون مصير سعيد بن تيمور، وشخبوط، وبعض حكام البحرين الذين تمت إزالتهم، فالحركة الإصلاحية في البحرين سنة **1956** قام النظام بضربها بشدة بمشاركة المستشار البريطاني، وهي التي قامت بنقل المساجين بسفنها الحربية إلى المنفى، كذلك تعرضت الحركة الإصلاحية في دبي لمجزرة بشعة أمام أنظار السلطة البريطانية الحاكمة دون أن يهتز لها ضمير، حيث قام حاكم دبي بدعوة أعضاء المجلس المنتخب لحفلة زواج ابنه ولما حضروا الحفل أمر قواته بإطلاق النار عليهم، فأرداهم قتلى برضا السلطات البريطانية

---

[652]جزيرة العرب لجان جاك بيربي **229**.

[653]دراسات في الشرق أوسطية ص **92** .

ومباركتها، والحركة الإصلاحية في الكويت عام **1938** ضربت بتشجيع من السلطات البريطانية، وسمحت بدخول قوات من السعودية لمساعدات السلطات في ذبح هذه الحركة، فبقاء هذه الأنظمة هو قرار بريطاني يضمن مصالح بريطانيا في المنطقة)[654].

(عبيد بلا أغلال)

(**28**)

(تجليات أزمة الهوية اجتماعيا)

بقلم د0 حاكم المطيري

Ommah2000@yahoo.com

[654] الكويت من الإمارة إلى الدولة للخطيب ص **204**.

1- ربط الولاء السياسي بالأرض والحدود الثابتة عليها ـ كما يقول خلدون النقيب ـ (وهو أحد أهداف السياسة الاستعمارية البريطانية التي وضعت موضع التنفيذ بعد الحرب العالمية الأولى، مما كان له نتائج مدمرة على مجتمع الخليج والجزيرة من زاويتين: الأول:الخلاف العبثي على الحدود التي ليس لها أساس تاريخي، والجدال الذي لا يمكن حسمه حول قضية المواطنة وشروطها، في كيانات لا يفصل بينها فاصل قومي أو عرقي أو حضاري، وفي الفترة ما بين **1853-1899**م وضعت الأسس المادية لتمزيق مجتمع الخليج والجزيرة، ليس بجيوش الاحتلال الأجنبي، وإنما بسلاح الاستقلال الوطني ...وقد جاءت اتفاقية العقير سنة **1922**م لتكمل نهائيا ما بدأته معاهدة السلام الأبدي عام **1853** ـ بين بريطانيا وشيوخ ساحل عمان ـ من تجميد لدور النخبات القبلية، فترسيم الحدود بين البلدان كان القصد منه أساسا منع القبائل ـ كالأخوان في نجد ـ أو بقية الأفراد من التنقل بحرية بين هذه البلدان، والمنع من الالتجاء إلى حاكم هربا من حاكم آخر، وكان العنصر الأشد في قوته التدميرية هو أن أيا من هذه البلدان لم يكن في يوم من الأيام طوال تاريخه سوى إقليم، ولم يمثل أي منها أمة مستقلة بحد ذاتها، حسب المفهوم الحديث للأمة والدولة الوطنية، كما أن حدود أي من هذه الأقاليم لم ترسم في أي من الأيام على الأرض، فلم تكن هناك أسس أثنية أو جغرافية، أو تاريخية، أو لغوية، لهذه الحدود،

ويأتي مؤتمر العقير ليفرض أساسا جديدا على هـذه البلـدان حسب مقتضيات السياسة الدولية وأهواء الدول الإمبريالية كما يقول جـون مارلو بكل اعتباطية واستهتار بتاريخ المنطقة وتطلعاتها القوميـة)[655]، وعلى حد تعبير هوليداي (تحول حكام الخليج تحت الوصاية البريطانية من أمراء في قرى ساحلية صغيرة إلى حكام دول)[656].

2- أنه فرض التجزئة على المنطقة وحال دون وحدتها واتحادهـا كهـدف استعماري لاستمرار السيطرة عليها والتحكم بها، من خلال الحلقـات الأساسية لاتفاقية سايكس بيكو وهي معاهدة دارين سنة **1915**م بين بريطانيا وابن سعود، التي جعلت نجد محمية بريطانية مماثلة تماما لمحمياتها في الخليج، ثم في اتفاقية العقير سنة **1922**م وهي الأشد خطرا، التي تم فيها ترسيم الحدود بين دول المنطقة، بشكل لم يسبق في التاريخ وكما يعلل خلدون النقيب ذلك بقوله (لأن اتفاقية العقير قد أدخلت ترسيم الحدود على الأرض، وربطته بمفهوم السيادة الوطنية، الـتي لم تكـن معروفة قبل ذلك في المشرق العربي والجزيرة العربية طـوال تاريخهـا،

[655] المجتمع والدولة لخلدون النقيب **99 - 100** و**110- 112** باختصار وتصرف يسير .

[656] دراسات في الشرق أوسطية ص **97** .

واحتوت بذرة العنصر المدمر الذي سيقوض الأساس الذي بنيت عليه كل المطالب القومية العربية منذ ذلك الحين إلى اليوم)[657].

3- كما ضمن للاستعمار الأجنبي وجوده بوجود حلفاء دائمين في المنطقة، مرتبطين به أشد الارتباط(من خلال محاور ارتكاز لأنظمة حكم مستبدة، ولكنها موالية للإدارة الاستعمارية الغربية، التي استطاعت أن تقيم محورا ثابت الولاء للغرب في الجزيرة العربية)[658].

4- كما أنه فرض على شعوب الخليج والجزيرة حالة من الاستبداد المطلق بالسلطة والاستئثار بالثروة، لا لأسر حاكمة كما هو الحال في بريطانيا، بل لعشائر حاكمة يبلغ عددها الآلاف من الأفراد الذين يسيطرون سيطرة شبه كاملة على مرافق الدولة الحساسة السياسية والاقتصادية والإعلامية، ولم يقبل شيوخ البحرين وقطر والإمارات تحت ضغط بريطانيا بأقل من ثلث دخل النفط لهم دون شعوبهم، بينما لا تزال السعودية وعمان لم تحسم هذه النسبة، وكما يقول هوليداي (ربما يذهب ثلثا عائدات النفط في المنطقة إلى شيوخ الخليج)[659]، لتقوم الدول في الخليج والجزيرة لا على أساس الأرض والشعب بل على أساس(الأسر الحاكمة كمؤسسات سياسية مركزية، وكل مؤسسات

[657] المجتمع والدولة ص 111- 112 .

[658] المصدر السابق ص 112 .

[659] دراسات في الشرق أوسطية ص 92 .

الدولة الأخرى هي امتداد وظيفي للأسر الحاكمة، بحيث يترجم الولاء للدولة في النهاية على أنه ولاء شخصي للأسرة الحاكمة).[660]

ولم تكتف العشائر الحاكمة بذلك بل امتد نفوذها(للاستئثار بالسلطة والثروة وإلى منع قيام قوى اجتماعية وسياسية مستقلة عن الدولة، ومعبرة عن مصالح وطموحات فئات السكان المختلفة، فمنعت قيام الأحزاب السياسية، وحرمت قيام الحركات الاجتماعية والسياسية غير الموالية لها، وامتدت هذه الجهود إلى اختراق جميع مؤسسات المجتمع المدني، وفرض القبضة الحديدية علـــى منـــاهج الدراسة في المدارس، وعلى وسائل الإعلام والتواصـــل الجمعـــي، واختـــراق المؤسسة الدينية واخضاعها للسلطة المباشرة لوزير الأوقاف)[661].

لقد تحولت الدويلات في الخليج والجزيرة إلى إقطاعيات، وسكانها رعايا وعبيـــد لـــدى حكوماتهـــا، وصـــارت الثـــروة ملكـــا خاصـــا لهـــم، كمـــا تقـــول اليزبيشستيفنز(والجانب المثير في اتفاقيات الامتياز هو أنه تم توقيعها باسم الشيوخ لا باسم الدول التي يحكمونها، ويرى بعض المحللين أن شركات الـــنفط بتوقيعهـــا تلك الاتفاقيات مع أولئك الشيوخ جعلت موارد النفط وكأنها ملـــك شخصـــي

---

[660] المجتمع والدولة ص 147 .

[661] المصدر السابق 149 .

هم)[662]، وكما يقول بيربي عن الوضع في الجزيرة العربية(مازال يدير البلاد سيد، ويتصرف بالممتلكات والسكان كأنه يتصرف بأملاكه الخاصة)[663].

5- خلق هوية زائفة لا تعبر عن كل مكونات المجتمع بقدر ما تعبر عن فئة محدودة صغيرة، هي العشائر الحاكمة ومن حولها من الأسر الحواشـــي، ليتم بعد ذلك فرض هويتها الخاصة بها بثقافتها وقيمهـــا وطموحاتهـــا العشائرية والأسرية الخاصة على كل مكونات المجتمع العربي بقوميتـــه، والمسلم بديانته، وذلك بنسبة جميع المكونات والفئـــات الاجتماعيـــة إليها، وفرض التبعية لها عليها، فالكويت نسبة إلى كوت وحصن صار ميناء صغيرا وقرية لا تتجاوز مساحتها ميل ونصف في ميل ونصف يوم أن صارت محمية بريطانية، والتي كما يقول حسن الإبراهيم(كانت حتى عام **1914** جزء غير متميز عـــن الإقلـــيم العـــربي في الإمبراطوريـــة العثمانية، ولم يكن الباب العالي مهتما ببلـــدة صـــغيرة فقـــيرة محاطـــة بصحاري شاسعة، وقد كانت الســـيادة مفقـــودة، نظـــرا لأن إقلـــيم الكويت - والصحيح أنه مدينة وليس إقليما -حـــتى بدايـــة القـــرن العشرين كان معترفا بهكإقليم خاضع للنفوذ المطلق للباب العالي، وفي عام **1914** أعلنت الكويت محمية من قبل الحكومة البريطانية، وظلت

[662]العلاقات العسكرية والاقتصادية بين دول مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوربي ص **14** .

[663]جزيرة العرب لجان جاك بيربي**61** .

حدودها غير واضحة حتى مؤتمر العقير عام 1922م بين السعودية والعراق والكويت، والذي آل إلى تقليص الإقليم المسكون سابقا بالقبائل الكويتية)[664]، إنها كما يقول بيربي(دولة المدينة التي حملت اسم الكويت)[665]، ولم يكن يطلق على ما وراء أسوار مدينة الكويت اسم الكويت، ولم تكن المعاهدة البريطانية ملتزمة بحماية ما وراء أسوار مدينة الكويت، لأنها أصلا ليست من الكويت كقرية الجهراء، ثم تحولت هذه النسبة إلى هوية، وصار أهلها الذي هم جزء من شعب الخليج والجزيرة العربية شعبا مستقلا وكيانا مختلقا، وتم ضم كل الصحراء بقبائلها وسكانها إليها، ونسب الجميع إلى المدينة لا إلى الهوية الأصلية التي تعبر عن كيانهم الاجتماعي قبل هذا الضم المصطنع، فمن صاروا كويتيين بعد الجنسية والهوية الجديدة لم يكونوا كويتيين قبلها، مع أنهم كانوا سكان الأرض التي تم ضمها للمدينة، ولم يكن آباؤهم ينتمون إلى هذه الهوية والجنسية، بل كانوا ينتمون إلى أسرهم وقبائلهم ومدنهم كباقي العرب، ولم تكن الكويت بالنسبة لهم إلا مدينة من مدن وطنهم الكبير(الجزيرة العربية)وأهلها جزء منهم، كحال أهل الأحساء، وأهل حائل، وأهل الزبير....الخ ومع ذلك لم تصبح هذه المدن ـــ قبل مؤتمر العقير البريطاني ـــ دولا ولا أهلها شعبا مستقلا، لأنها لا تملك

---

[664] الكويت لحسن الإبراهيم 26 .

[665] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 255.

مقومات الدولة، فصارت المدن والأقاليم في جزيرة العــرب دولا لأن الاستعمار أرادها أن تكون كذلك! وكما يقول الدكتور الإبراهيم (إن الكويت تفتقر إلى معظم العناصر اللازمة لبناء الدولــة، ومــع ذلــك برزت كدولة مستقلة)[666]، وهذا أيضا حال البحرين وقطر والسعودية والإمارات وعمان!

لقد فرض الاستعمار البريطاني خريطته على المنطقة دون مراعاة حقوق شــعبها ومصــالحه، ولقــد أصــبحت بريطانيــا بســبب مصــالحها وتعهداها (مضطرة أن تحافظ على زعماء هــذه الــدويلات الصــغيرة ومساندهم، لأن أجدادهم كانوا قد وضعوا مصيرهم بين يدي التــاج البريطاني)[667].

6- أنه فرض حالة من التبعية والرعوية على سكان الأرض وشعبها الواحد للعشائر التي تحالفت مع الاستعمار الصليبي للمنطقة، فلم تقم العلاقة بين الحكومات والسكان على أساس مبدأ المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، وما يترتب على المواطنــة من حق اختيار الشعب لمن يحكمه، بل قامت العلاقة على أساس التبعية المطلقة لتلك الأسر العشائرية بقوة النفوذ الاستعماري الصليبي، ومن

[666] الكويت لحسن الإبراهيم 20 .

[667] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 237 .

ثم صار الحكم والسلطة حقا مطلقا لتلك العشائر وحدها، لتغيب الدولة في العشيرة! لقد صار من يمنح الهوية في الدويلات الجديدة هو شيخ العشيرة أو شيخ المدينة الصغيرة، وصارت قبائل الصحراء ــ التي ضمت بالتبعية للأسرة أو للمدينة، تلك القبائل التي كان امتدادها أوسع جغرافيا، ووجودها أقدم تاريخيا، وسلطة شيوخهاونفوذهم أقوى سياسيا[668] ــ تحت رحمة هذه الهوية الجديدة، فلم يصبح أبناء القبائلولا عامة السكان في المدن والمناطق الحضرية مواطنين وفق مبدأ المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين سكان الوطن الواحد، بل صاروا رعية تابعة لمن يمنحهم هوية المدينة أو الأسرة أو الجزيرة التي صارت دولة!فلم يكن لهذه الهوية أي قدرة على خلق الانتماء الروحي لها، لأنها لا تعدو أن تكون مجرد اسم أسرة أو اسم مدينة لا تعبر بالضرورة عن الهوية الثقافية والتاريخية لسكان الأرض التي نسبت إليها، لتتجلى إشكالية أهل المدينة، ومواطنو الدولة، فإلى اليوم لم يتم في الكويت الاتفاق على من هو الكويتي الذي له كامل الحقوق وعليه جميع الواجبات نحو الوطن! إذ ما زال الواقع السياسي يؤكد بأن

---

[668] ولا أدل على ذلك من المقارنة بين نفوذ ابن هذال شيخ شيوخ قبيلة عنزة، وعدد أفراد قبيلته التي قدر عددها المسئولون البريطانيون أثناء الحرب العالمية الأولى على أقل تقدير بربع مليون نسمه، ولها نحو خمسين شيخا، وتسيطر على مساحات شاسعة من الأرض ما بين شمال نجد والعراق وسوريا تبلغ نحو ألف ميل طولا، ومدينة الكويت التي لا يتجاوز عدد سكانها في نفس الفترة عشرة آلاف نسمة، على مساحة ميل ونصف طولا في ميل ونصف عرضا!

الكويتي هوفقط من كان يسكن يوما ما داخل سور مدينة الكويت التي لا تتجاوز مساحتها الميل ونصف طـولا وعرضـا، دون إدراك بـأن الكويت(الدولة) تجاوزت حدود الكويت (المدينة)عشـرة آلاف مـرة لتشمل أراضي قبائل كانت تسكن على هذه الأرض منذ مئات السنين، وقبل بناء مدينة الكويت نفسها، وقبل الهجرات الوافدة إليها، ومـا زالت آبار تلك القبائل موجودة إلى اليوم شاهدة على ذلك، ووثـائق الخارجية البريطانية، وكتب تاريخ المنطقة تؤكد هذه الحقيقة، فصحراء الكويت لم تكن خالية من السكان قط، حتى هاجر البدو إليهـا بعـد النفط كما يشيع في الثقافة الزائفة، بل كانت تعج بعشرات القبائـل العربية التي كانت تجوب هذه الصحراء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إلى حدود السور كقبيلة الرشايدة ومطير والعوازم والعجمـان والظفـير ....الخ فهذه أرض آبائهم وأجدادهم منـذ أن وجـد العـرب علـى جزيرتهم العربية، حتى جاء الاستعمار البريطاني الذي فـرض خريطتـه الحالية ليسهل له السيطرة عليها، ولهذا لم يتم تحديد حدودها إلا على أساس امتداد القبائل التي نجح مبارك في كسب ولائها، وعندما خـرج مبارك الصباح لحرب ابن رشيد في معركة الصريف لم يجد سوى هـذه القبائل ليشكل منها جيشه، والتي كانت تقطن في الصحراء التي ضمت بعد ذلك إلى مدينة الكويت، ومع ذلك مازال الشعب الكويتي يعـيش أزمة هوية من هو الكويتي؟وما هي الكويت؟هل هي المدينة وسـورها؟

أم الدولة وحدودها؟ وقد كان لهذه الأزمة تداعياتها في جميع مجـــالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصـــادية، أدت إلى ظهـــور طبقيـــة خطيرة استأثرت فيها العشيرة الحاكمة وبعض الأسر حولهـــا بـــالقرار السياسي، والثروة الاقتصادية، والتوجيه الثقافي والإعلامي، والوظائف المهمة في الدولة، على حساب الأكثرية، بدعوى أنها أحـــق بالكويـــت المدينة، مع أن الأكثرية هي الأحق بالكويت الدولـــة! فصـــار هنـــاك مصطلح كويتي أصيل وكويتي دخيل، دون تحديد ما المقصود بالكويت فالمدينة بأسوارها لا تمثل **10000/1**من نسبة مساحة الكويت الدولة بحدودها الدولية، وكل ثرواتها وحقولها النفطية هي في الصحراء الـــتي كانت تقطنها القبائل العربية الأصيلة منذ مئات السنين، والتي صارت فجأة دخيلة في دويلات الطوائف! وهذه الإشكالية هي مـــا يواجهـــه اليوم الشعب السعودي أيضا، فهل السعودية هي الأسرة أو العشـــيرة الحاكمة التي تؤمن بأن لها وحدها الحق في الحكم والسيطرة والتمتـــع بكل الامتيازات والثروات بما في ذلك أراضي القبائـــل والمـــدن الـــتي توحدت على أساس الأخوة الإسلامية، أم الدولة والشـــعب الـــذي تم نسبته إليها والذي صار مرتبطا بالأســـرة الحاكمـــة بعلاقـــة التبعيـــة والرعوية، لا بعلاقة المواطنـــة الـــتي تقتضـــي المســـاواة في الحقـــوق والواجبات؟ وهل السعودي هو ابن الأسرة الحاكمة، أم ابن الشـــعب والدولة التي يطلق عليها السعودية؟ وهل يتمتع السعودي الثاني بمـــا

يتمتع به السعودي الأول من حقوق؟ وهل يشعر السعودي الثاني ــ ابن الدولة ــ بالانتماء لهذه الهوية وهذه النسبة كما يشعر الأول ــ ابن الأسرة ــ؟ وهل الأرض والثروة والسلطة في نجد والحجاز والأحساء وعسير ملك للسعودي الأول أم للسعودي الثاني؟ وكذا تتجلى هذه الإشكالية في قطر والبحرين وفي كل دويلات الوائف التي أقامتها الحملة الاستعمارية الغربية الصليبية في الخليج والجزيرة العربية!

(عبيد بلا أغلال)

(29)

(تجليات أزمة الهوية اقتصاديا)

1- تحجيم النشاط الاقتصادي وتعطيل نموه بسيطرة العشائر الحاكمة وأتباعها عليه بشكل شبه كامل واحتكاره لتظل لها السيطرة السياسية المطلقة على المجتمع، وكذلك استتراف ثروات المنطقة ونهبها حتى بلغ ما تم تسجيله بأسماء أفراد من العشائر الحاكمة ألف مليار دولار (ترليون) أي ما يعادل ميزانية بلد نامي مدة ألف سنة! وقد أصبحت تلك الأموال المنهوبة مكدسة في البنوك الغربية، لتظل المنطقة من أفقر دول العالم في النمو والتطور، والسبب في ذلك كما يقول خلدون النقيب يعود إلى(هيمنة البيروقراطية المركزية على الاقتصاد والمجتمع، بشكل يمنع أو يحد من إمكانات التنمية الحقيقية خوفا من زعزعة هذه التنمية للترتيبات التي تضمن للنخبة الحاكمة استمرار استئثارها بمصادر القوة والثروة في المجتمع، والرخاء والازدهار اللذان يولدهما الدخل من النفط هما رخاء وازدهار ظاهريان، حيث أن تجزئة الوطن العربي أدت إلى خلق كيانات مستقلة، وهذه الكيانات وبخاصة في الخليج والجزيرة العربية، تمثل أسواقا محدودة جدا من حيث ضيق القاعدة الإنتاجية، ومن حيث حجم الاستهلاك، ومن حيث مجالات الاستثمار، مما شجع على تصدير رؤوس الأموال العربية إلى أسواق أوربا الغربية وشمال أمريكا، مما حرم بلدان الجزيرة العربية والمشرق العربي من فرص واسعة للاستثمار المجدي في الموارد البشرية والطبيعية والتكلونوجية، وعمق التبعية للغرب..إن الرخاء والازدهار اللذين

شهدهما بلدان الخليج والجزيرة العربية كانا ظاهريين وسطحيين، لأنهما اعتمدا على الانفاق الحكومي، من دون أن يصحبه توسيع للقاعدة الإنتاجية للاقتصاد)[669]، لقد عجزت بل فشلت دول الخليج مع ثرواتها النفطية الهائلة أن تحقق ما حققته الحكومة الماليزية خلال ربع قرن من نمو وتطور جعل من ماليزيا دولة صناعية، وجعل تجربتها رائدة على المستوى العالمي، في الوقت الذي تعاني دول الخليج من أسوء صور التخلف، حيث تعتمد المنطقة اعتمادا شبه كامل على الخارج في كل ما تحتاجه، مما يجعلها عرضة للسقوط في أي لحظة، مع أن النفط الذي هو المصدر الرئيسي والوحيد للثروة قد ينضب خلال نصف قرن، لتكتشف شعوبها أنه تعرضت لأكبر سرقة في التاريخ الإنساني تعرضت لها أمة من الأمم، دون أن يوجد البديل الصناعي القادر على أن يكون بديلا للنفط بعد نضوبه! وعلى حد قول هوليداي(يتلقى الأمراء الجشعون ما يعرف بالخصوصية التي تبلغ نصف مليون دولار سنويا لكل واحد منهم، ولا يحظون بمحبة التجار الحجازيين، أو الجنود القبليين النجديين في القوات المسلحة، ، والتجار في الكويت والبحرين لا تروق لهم إدارة عائدات النفط التي يقوم عليها آل صباح وآل خليفة، ولا تسير الأمور في عمان على ما يرام بسبب ادعاءات

[669]المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية للنقيب169- 170 .

التبذير)[670]، وكما يقول الصنيتان عن الوضع في السعودية(لقد نشأ ما يعرف بالأحياء الشعبية وأحزمة الفقر من ذوي الدخل المحدود ...ولو أدير التدفق المالي إدارة حسنة وبمسئولية ووزع توزيعا عادلا لأصبحت المملكة قوة صناعية إقليمية، غير أن صرف المعظم منها على الهبات والأعطيات، ونفقات الأسرة الحاكمة وبعض العائلات المحدودة التي خصت برواتب ابتداء من الولادة إلى الوفاة، التي لا يوجد مبرر لتميزها من بقية قبائل وأسر المجتمع السعودي، وكذلك مخصصات ونفقات وسفريات وأثاث وقصور ومصاريف وشراء أمزجة كثير من الدول أهدر فرصا لتنمية شاملة عادلة تردم الفجوة بين الطبقات)[671].

2- خلق واقع طبقي فئوي خطير يجعل فئات المجتمع الواحد عرضة للاصطدام، وذلك من خلال سياسة الإقصاء والتهميش لفئات اجتماعية عريضة، وحكر المناصب الوزارية والوظيفية على فئات محدودة دون أي اعتبار لمبدأ الأكفأ والأجدر، وتكاد تتجلى هذه المشكلة في كل دويلات الطوائف في الخليج العربي، وكما يقول الدكتور الصنيتان في دراسته الاجتماعية(وعلى الرغم من التطورات النوعية ذات الصعد الاجتماعية والاقتصادية في بنى المجتمع السعودي

[670] دراسات في الشرق أوسطية ص 104 .

[671] النخب السعودية دراسة في التحولات ص 148 .

بشرائحه وبأسره، وبالذات القبائل التي يتكون معظم السكان منها، فإن مشاركتها في النخبة الوزارية تكاد تكون معدومة على الرغم من حصول بعض أبنائها على أعلى المؤهلات العلمية، وقد بدأوا يعون لما يتعرضون له من تهميش ...ومن المفارقة أن هذه الظاهرة غير الوطنية تلبس بإصرار وقصد على القبيلة بدافع تهميشها، إن الإحساس وإدراك الواقع شملا كل الأوساط المحرومة من التنمية ومن المشاركة في فرص التعليم العالي، والوظائف العليا، والحظوظ في دخول الكليات العسكرية)[672]، وقد شمل الحرمان والتهميش كما أثبتته الإحصائيات التي عرضها الصنيتان في كتابه بالإضافة إلى القبائل مناطق حائل والجوف والإحساء والجنوب...الخ، وهذه ظاهرة خطيرة في كل دويلات الطوائف الخليجية بدأ الجميع يدرك خطورتها على وحدة المجتمعات واستقرارها، وكما يقول خلدون النقيب(إن الاحتكار الفعال لمصادر القوة والثروة التي تمارسه النخب الحاكمة يخلق منغلقات للحراك الاجتماعي سيؤدي إلى زيادة الاحتكاك بين الطبقات والدرجات الاجتماعية، فإذا أخذنا تركيبة الحكومات والفئات العليا من البيروقراطية الحكومية، وجدنا أن التوظيف في هذه المناصب يتم من فئات معينة لا تتجاوز حدود الأسرة الحاكمة وكبار التجار، وبعض

[672] النخب السعودية دراسة في التحولات ص 58- 69.

أبناء الطبقة الوسطى الذين ينتمون إلى أسر عرفت بعلاقاتها الوطيدة إما بالأسر الحاكمة، أو بكبار التجار كزبائن للمعازيب، ويقابل هذا المنغلق منغلق آخر في القطاع الخاص والمشترك، إذ يحتكر فيه أبناء الأسر الحاكمة والنخبة التجارية عضوية مجالس الإدارات في الشركات المساهمة والكبيرة..وهي منغلقات تمنع أبناء الطبقة الوسطى والدنيا من تحقيق طموحها، لما يشهدونه من استئثار النخب الحاكمة بالسلطة والثروة بشكل مثير، مما يؤذن باندلاع صراع اجتماعي واسع النطاق بين النخب الحاكمة والسكان)[673].

لقد أدى التحول الخطير للسكان في الخليج والجزيرة العربية والفريد من نوعه في التاريخ الإنساني من حالة الارتحال والبداوة إلى الاستقرار والحضارة بشكل سريع وجماعي إلى عجز فاضح عن استيعاب المدن للسكان الأصليين للجزيرة العربية، حيث بدأ النظر إليهم على أنهم مهاجرين ودخلاء على المدن التي أصبحت فجأة دولا على أرضهم وأرض آبائهم وأجدادهم، وأصبحت الصحراء التي كانت مساكنهم منذ آلاف السنين مناطق لامتياز شركات النفط التي صارت تحاصرهم في كل مكان، لتستخرج النفط من أرضهم ومن تحت أقدامهم، غير أنهم مع كونهم يمثلون أكثر من ثمانين بالمئة من مجموع سكان دول المنطقة

---

[673] المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية **170 – 171** .

كلها إلا أنهم ينظر إليهم لا فقط كمهاجرين إلى المدن التي استوطنوها، بل صار يعاملون كمهاجرين في الدول التي قامت على أرضهم وصاروا يحملون جنسياتها! لقد فضحت الدراسات الاجتماعية مدى التمييز الخطير الذي تتعرض له الفئة الأكثر عددا والأقدم وجودا على أرض الجزيرة العربية، وعجزت الدولة المدينة، والحكومة الأسرة، في دويلات الطوائف، أن تحقق لهم العدل والمساواة في الوظائف العامة، والخدمات العامة في مناطقهم، والتمثيل العادل لهم في التشكيل الوزاري ومجالس الشورى، والبرلمانات، كما عجزت عن توزيع الثروة بشكل عادل بين السكان، حيث تم حرمان فئات عريضة منهم لصالح أسر محدودة تتمثل في الأسر الحاكمة ومن حولها، وهو ما ينذر بصراع طبقي خطير، وقد تنبأ له جان بيربي بقوله(ليس من المعقول أن يجري القفز عشرة قرون من الزمن دون ضرر، لدى بدو هم خلايا حيوية في جسم اجتماعي، إن البدوي لا بد سائر نحو خسران قوته وسبب الحياة نفسه، والشؤم يكمن في سرعة التطور نفسها، وقد كتب روبير مونتاي بجلاء ووضوح حيث يقول(لنسرع ونراقب اليوم وجود القبائل البدوية المتنقلة في الصحراء، إنها منذ اليوم مهددة، إن لم يكن بالزوال، فعلى الأقل بضعف مخيف)، أننا اليوم نجد كثيرا من المدافعين البسطاء يعلنون إعجابهم بنتائج اللقاء بين الحضارة الغربية والحياة البدوية في قلب الجزيرة العربية، وهؤلاء من الكتاب الأمريكيين الذين تربطهم علاقات

وثيقة بالشركات البترولية التي لا تخفى على أحـــد، أمـــا المراقبـــون الرصينون فقد فضلوا قرع نواقيس الخطر أمام هذه التطورات القسرية القاسية في التركيب الاجتماعي والاقتصـــادي للبـــدو، والانقلابـــات الحتمية الفائقة السرعة التي تقتلع جذور شعوب عشـــائرية العقليـــة، وهي الخميرة التي ستقوم بثورات المستقبل، والذي يقلق لـــيس تطـــور البدو وانتقالهم من البداوة إلى الحضارة، بل كون هذا التغير يقوم على ثروة مؤقتة مع العلم أن الحاجات التي ستنشأ عـــن التطـــور لا مجـــال للهرب منها، إن المشكلة الأساسية في الصـــحراء العربيـــة أن تطـــورا اجتماعيا سريعا يحدث ويستمر دون أن يكون لـــه أســـس اقتصـــادية متينة)[674].

3- خلق ثقافة وخطاب ديني وثقافي زائف يضفي الشرعية على كل مظاهر الانحراف المذكورة آنفا، فالمؤسسات الدينية، والمنابر الثقافية والفكرية والأدبية، والمؤسسات التعليمية كلها توظف في إضفاء المشروعية على استبداد الأنظمة، وعلى الاستئثار بالثروة، وعلى الوجود الاستعماري العسكري الذي يسيطر عليها، وعلى الظلم الاجتمـــاعي والتـــهميش المقصود لفئات واسعة من المجتمع، وعلى انتهاك حقوق الإنسان، وعلى الظلم الاقتصادي حتى صارت البنوك والمؤسسات الربويـــة الحكوميـــة

---

[674] جزيرة العرب لجان جاك بيربي **76- 78**.

أكثر المؤسسات تحكما في الاقتصاد حتى بات عامة الأفراد في المجتمعات الخليجية تحت وطأة المديونيات، ومع ذلك لا تجد من الخطاب الديني الرسمي الحكومي أو الشعبي اعتراضا أو رفضا حازما لكل تلك المظاهر الخطيرة! لقد تم توظيف الدين نفسه في خدمة الفساد والظلم والاستبداد، لقد أصبحت الأنظمة في المنطقة – كما يقول هوليداي – تدعي(حماية النظام الإسلامي، وأسهل الآيات استخداما هي تلك التي تأمر بالمعروف وترشد المؤمن إلى طاعة الله والرسول وأولي الأمر، والاحتجاج بأن كل أشكال الحكم الأخرى غير الملكية معادية للإسلام كالنظام الجمهوري والديمقراطي)[675].

إنها إشكالية في غاية التعقيد بسبب أزمة الهوية وما يترتب عليها من آثار وتداعيات، وما تشكله من ثقافة زائفة بسبب المصطلحات الخادعة التي كان للاستعمار البريطاني الصليبي اليد الطولى في اختلاقها وصياغتها وترسيخها على هذا النحو!

فإنه لم تنته الحرب العالمية الأولى حتى (خضع جميع رؤساء الخليج للسيطرة البريطانية وللنفوذ البريطاني فيما يتعلق بشئون علاقاتهم الخارجية بل إنهم مدينون

[675] دراسات في الشرق أوسطية ص 92 .

إلى حد كبير بوجودهم في الحكم بفضل اتحادهم مـــع الإنجليـــز) كمـــا جـــاء في منشورات الخارجية البريطانية سنة **1919**م[676].

لقد رسخت أزمة الهوية التي تعيشها شعوب الخليج اليوم الثقافة الزائفة الـــتي تم فرضها عليها منذ قيام الدول الحديثة، وتم خلالها طمس تاريخ ســـكانها وتـــاريخ قبائلها الأصلية التي كانت موجودة على هذه الأرض قبل قيام الـــدول الحديثـــة فيها، وقد تم ربط الشعوب بالحكومات لا العكس! وصار تاريخ المنطقة يبدأ فقط من سنة **1900**م أي منذ أن بدأ الاستعمار البريطاني مشروعه في المنطقة على يد حلفائه الذين جعل منهم بعد ذلك ملوكا وأمراء على دويلاته التي اختلقها، حتى نشأت أجيال جديدة لا تعرف تاريخها وجذورها والكارثة الـــتي تعرضـــت لهـــا، وأسباب المحنة وجذور الأزمة التي تعيشها، حتى بلغ الزيف وطمس الهوية بشـــكل رسمي حكومي وتعليمي وإعلامي أن يشاع ــ كما في الكويت ــ أنه لم يكن على أرض الكويتولا في صحرائها أحد حتى بـــدأت الهجـــرات إليهـــا، وأن القبائـــل الموجودة اليوممهاجرة جاءت إلى هذه الأرض بعد ظهور النفط!

لقد أقام الاستعمار البريطاني دويلاته في الجزيرة والخليج العربي لا علـــى أســـاس الدولة والشعب وعلاقة المواطنة، حيث يكون انتماء المواطن للدولة التي تتمثـــل بالأرض والشعب والسلطة، كما حدث في أوربا حيث قامـــت الـــدول القوميـــة الحديثة على أنقاض الإمبراطورية الرومانية وسلطة الكنيسة حـــين(حطـــم نظـــام

---

[676] تاريخ الخليج العربي **41/3** .

الدولة الحديثة في أوربا الإمارات الإقطاعية والطبقات حين توارت الكنيسة والولاءات الأسرية ليحل محلها الولاء للدولة ذاتها)[677].

ولا على أساس المشاركة السياسية للشعب في علاقته بالسلطة وحقه في اختيارها ومشاركتها في إدارة الدولة كما هو حال الأنظمة في الدول الحديثة حيث (تتصف الدولة الحديثةبعقلنة السلطة، وتعديل البنيان التنظيمي، والمشاركة العامة فيها)[678].

وإنما أقام الاستعمار دويلاته في المنطقة العربية على أساس الرعوية وتبعية الشعوب للمشيخات والأسر التي تحالفت معه، فأصبح سكان كل إقليم بقبائله ومدنه يخضع بقوة الاستعمار لهذه الأسرة أو تلك الأسرة، لتنشأ علاقة ممسوخة وهوية زائفة تتمثل في غياب مبدأ المواطنة ليحل محلها مبدأ التبعية والرعوية، حيث ما زالت الأسر الحاكمة في الخليج العربي ترى أن هذه الأرض التي أخضعها لها الاستعمار هي أرضها الخاصة بها لا أرض الشعب الذي كان موجودا عليها منذ آلاف السنين قبل وجود هذه الأسر!! وصارت الأسر الحاكمة تتصرف فيها وفي ثرواتها كما يتصرف الإقطاعي في أرضه، وصارت هذه الأسر هي التي تمنح من تشاء الجنسية وتسحبها ممن تشاء، فأصبح الارتباط بالأسر لا بالدول ولا بالأرض، وما زالت دويلات الخليج العربي إلى اليوم تتحكم في أخطر موضوع

---

[677] الكويت لحسن الإبراهيم 20 .

[678] الكويت لحسن الإبراهيم 21 .

على الإطلاق وهو موضوع المواطنة دون وجود أي ضمانات دستورية تصون حق المواطن في جنسيته وهويته، فليس للسلطات التشـريعية والقضـائية أي دور في التدخل في هذا الموضوع، بل الأمر كله منوط في يد الحكومات التي تمثل الأسـر الحاكمة، أكثر من تمثيلها للشعوب، وهو خلل دستوري خطير الهدف منه إخضاع شعوب المنطقة وسكانها لهذا الواقع الذي فرضه الاستعمار الغربي علـى شـعوب المنطقة، لقد بلغ الأمر أن يتم ابتزاز سكان الجزيرة والخليج العربي الأصليين، من خلال تهديد كل معارض بسحب الجنسية! ولم يحتج الموضوع أكثر من جرة قلـم لتتحول قبيلة كاملة من أعرق قبائل الجزيرة العربية إلى لاجـئين علـى أرضـهم وأرض آبائهم وأجدادهم، لتتجلى أزمة الهوية في الخليج العربي في أوضح صورها، وليتحول سكانها الأصليون إلى (هنود سمر) تحت رحمة الأسر التي دعمها الرجـل الأبيض! وهي الإشكالية التي أكدها ما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربيـة لعام **2004**م حيث ورد فيه(لعل أقصى أشكال الإقصاء خارج المواطنة هو إمكان سحب الجنسية من المواطن العربي الذي تتيحه بعض التشريعات العربية بمقتضـى قرار إداري من مسئول حكومي دون مستوى الوزير في بعض الحالات)[679]!

لقد ظل النظام العشائري الأسري هو الذي يسيطر على نظام الحكم في الخلـيج العربي كما هو الحال في الكويت إلى اليوم (ولعل أفضل وصف لنظـام الكويـت جاء على لسان السير روبرت هاي إذ قال:إن النظام الحكومي أسـروي، وفيـه

[679] التقرير ص **9** .

يشغل أعضاء الأسرة الحاكمة مراكز الدولة العالية، وفي الواقع كان كل واحد من هؤلاء لشيوخ كيانا قائما بحد ذاته)، وهكذا فلم يكن في الكويت، كما هو الحال في الخليج العربي، أي فرق بين الحاكم والدولة (في الكويت الحاكم هو الدولة، وله وحده الحق في تخصيص العائدات وفق ما يراه مناسبا، كما يقول روبرت هاي)[680].

وإذا كان هذا هو حال الكويت التي تعد من أكثر دويلات الخليج العربي تطورا فكيف بباقي دوله؟!

إن تاريخ سكان مدن الخليج العربي العريقة، وتاريخ سكان الصحراء تعرض للمسخ والطمس المتعمد، من أجل استمرار حالة التبعية للحكومات الحديثة، ولتهميش دور شعوب المنطقة خاصة القبائل التي كانت المؤثر الرئيس في تاريخ المنطقة كلها منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الخلافة العثمانية، كما أنها تمثل الأغلبية، في كل دولها، حتى نجح الاستعمار في إخضاعها لحلفائه، ومع أنها تحضرت واستقرت في المدن، إلا أنها مع ذلك تتعرض لما يتعرض له الهنود الحمر في أمريكا من تهميش، وأصبح السكان الأصليون غرباء على أرض أجدادهم، كل ذلك بتأثير الثقافة الزائفة التي تم فرضها على شعوب المنطقة منذ الاستعمار البريطاني، والتي ما زالت تأثر تأثيرا مباشرا على واقعنا السياسي؟!

---

[680] الكويت لحسن الإبراهيم **148** .

وكان الحال على حد فرومكين(فصانعوا السياسة البريطانية بعد أن قضوا علـــى النظام القديم في المنطقة، ونشروا الجنود والمصفحات والطائرات، في كل مكـــان، من مصر إلى العراق، فرضوا على الشرق الأوسط تسوية لم يعد أكثـــرهم مؤمنـــا بها)[681].

[681] ولادة الشرق 623 .

(30)

(الخليجيون والثورة العربية)

لقد أصبح العرب الخليجيون في جزيرة العرب اليوم أكثر إدراكا لأزمة الهوية التي يعيشونها، وأكثر شعورا بآثارها الخطيرة على واقعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحقوقي، فهي التي أدت إلى:

1- ترسيخ الواقع الطبقي حيث تستأثر الأسر الحاكمة وحاشيتها ومن حولها بكل شيء، بالقرار السياسي والنفوذ الاقتصادي والمالي والإعلامي والوظيفي!

2- ارتهان الخليج والجزيرة العربية وشعوبها وأرضها وثروتها لصالح الاحتلال الأجنبي وقواعده العسكرية ونفوذه الاستعماري، من خلال تحالفه ودعمه للأسر التي فرضها لتحكم شعوب المنطقة! ففرطت باستقلالها وأمنها، بدعوى أحقيتها المزعومة في الحكم دون إرادة شعوبها!

3- استلاب الحرية السياسية، وانتقاص الحقوق الإنسانية، وتهميش الإنسان الخليجي، ليظل رعية تحت حكم الراعي، لا مواطنا له كما لأفراد الأسر الحاكمة كل حقوق المواطنة!

4- تكريس تجزئة المنطقة الواحدة والشعب الواحد، ليسهل على القوى الخارجية التدخل في شئون كل بلد خليجي، وتعريض أمن المنطقة كلها للخطر، بعد أن فقدت حكوماتها أي قدرة على اتخاذ قرار سيادي تاريخي يعيد للمنطقة وحدتها وقوتها لمواجهة الخطر الخارجي، وتأمين شعوبها التي باتت في مهب الريح أمام الصراع الدولي والإقليمي (الغربي – الإيراني) على المنطقة!

لقد أصبح الخليجيون أشد رفضا لهذا الواقع وأشد إصرارا على تغييره نحو واقع أفضل يقوم على قيم إسلامية وإنسانية حيث يتساوى فيه الجميع في الأرض والسلطة والثروة والمواطنة والحقوق والواجبات، كما كان عليه واقعها قبل الاستعمار البريطاني حتى في عصور انحطاطها وتخلفها، حيث كانت العلاقة قائمة بين مكونات المجتمع الخليجي على أساس قبلي يتساوى فيه الجميع، تقوم فيه رابطة الدم بفرض قيم المساواة، ورابطة الانتماء والمدافعة عن القبيلة بفرض قيم الحرية والمشاركة بالرأي، إذ لا استبداد في ظل النظام القبلي الذي يستطيع الفرد فيه الارتحال حين تنتهك كرامته، فقد كانت القبيلة العربية تمارس حقها في اختيار من يرأسها إذا توافرت فيه صفات السيادة، كما قال الأعرابي (لا يسود فينا الرجل حتى يحل لنا عرضه، ويوطئنا فراشه، ويملكنا ماله)، فلا يسود فيهم بخيل بماله، ولا جبان لا يستطيع القتال دونهم وحمايتهم بنفسه، ولا جهول لا يصبر عليهم بحلمه وسعة صدره، ولا أناني لا يؤثرهم بمكانه ومجلسه!

كما لا تعرف القبيلة نظام التوارث في المشيخة، بل لا يشيخ فيهم إلا من اختاروه شيخا لهم لكفاءته، حتى إذا ضعف وعجز عن القيام بمسئولياته، وتصدى لها من هو أكفأ منه انتقلت المشيخة إليه، فتنتقل من بيت إلى بيت، ولهذا يتقدم لقيادة القبيلة العربية الأكفأ والأقدر حين ترضاه القبيلة!

لقد حطم الاستعمار البريطاني تلك العلاقة ليقيم علاقة طبقية يفرض فيها الاستعمار الأسر التي تتحالف معه –بقوة الطيران والمدافع– على المجتمع، ليخلق واقعا طبقيا خطيرا شبيها بالطبقية الهرمية الهندية، كما يؤكد الدكتور اليوسف (إن النظام القبلي أقرب إلى النظام الديمقراطي المعاصر من حيث المدافعة والمساءلة والحفاظ على حقوق الأفراد، فابن القبيلة كان يمارس دورا في قبيلته، وقبيلته كانت تمارس دورا في تجمع القبائل، فلم تكن هناك هيمنة لأحد،

حتى وإن تفاوتت موازين القوى بين القبائل، فالكل كان له صوت وحق، أما النظم الخليجية الحالية فهي عبارة عن اختزال للنظام القبلي في أسرة واحدة، تخلت مع ظهور النفط والوجود الأجنبي عن بقية القبائل ماليا وأمنيا، وأصبحت – بتحالفها مع الأجنبي – تستفرد بالثروة والقرار إلى يومنا هذا، وأصبحت شبيهة بالنظام الطبقي في الهند، هذا الاختلال الذي حصل في موازين القوى بين شعوب المنطقة والأسر الحاكمة يؤكده الباحث علي الكواري بقوله : أدت تلك التغيرات إلى انتقال نظام الحكم في دول المنطقة من التحالف القبلي التقليدي حيث يكون الشيخ هو الأول بين متساوين، إلى حكم أسر يقوم على الغلبة، بسبب المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع شيوخ المنطقة، وقد أدت إلى تراجع المشاركة السياسية بشكل عام، عندما ضعفت القبائل والعائلات، وقوي مركز الأسر الحاكمة).[682]

لقد أصبح الخليجيون اليوم يتطلعون إلى تتحرر أوطانهم وشعوبهم من الاحتلال الأجنبي والوجود العسكري الاستعماري، وهو ما تعبر عنه حركات الرفض والاحتجاج التي تشهدها المنطقة منذ أكثر من ثلاثة عقود، وكما يقول فرد هاليداي حين تحدث عن ضعف النظم السياسية في الخليج العربي خاصة(هشاشة ما تبقى من حلفاء للغرب في المنطقة، فكل حلفاء الغرب حول الخليج عبارة عن أنظمة ملكية تحكم دون موافقة شعوبها بفساد هائل وتوزيع للثروة غير متكافئ، وقد أوضحت أحداث إيران أن الأنظمة التي تبدو مضمونة في الظاهر قد يطاح بها بسرعة عندما تبدأ الحركة الشعبية في النمو).[683]

لقد صار المشروع الاستعماري البريطاني المتمثل في دويلات الطوائف كله عرضة للتغيير بعد أن ظهرت آثاره الكارثية، فلا هو حافظ على الوضع القائم لشعب الجزيرة والخليج العربي يوم أن خرجت الدولة العثمانية من المنطقة، حيث كان الجميع يمثلون شعبا واحدا، في منطقة جغرافية واحدة، وكانت كل

---

[682] انظر كتاب (مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية) للدكتور اليوسف ص **35– 36** .

[683] السياسة السوفيتية في قوس الأزمة **24** .

مدينة وكل قبيلة تمثل جزءا لا يتجزأ من هذا الشعب العربي الواحد في أصله ولغته وتاريخه ودينه وثقافته، لا تحول بينهم الحواجز والحدود، ولا تفرق بينهم الألقاب والرسوم، بل كانوا أحرارا في جزيرتهم كما كانوا منذ وجودهم عليها إلى أن وحدهم الإسلام، وجعل العلاقة بينهم علاقة قائمة على الأخوة والمساواة!

ولا هو بالذي أقام واقعا جديدا تكون العلاقة فيه قائمة على أساس المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات كما هو الحال في الدولة الحديثة المعاصرة!

ولا هو بالذي حررها من الاستعمار وحماها من الخطر الأمني الخارجي!

وقد أدى ذلك كله إلى تنامي حركة الرفض لهذا الواقع الطبقي الاستبدادي الاستعماري الممسوخ الذي لن يكتب له الدوام أبدا، لأن ما أقيم على باطل فهو باطل، وهذا ما تنبأ به فرومكين حيث يقول:(أصبح الشرق الأوسط على ما هو عليه الآن من اضطراب، لأن الدول الأوربية أخذت على عاتقها أن تعيد تشكيله من جهة، ولأن بريطانيا وفرنسا أخفقتا في ضمان استمرار الأسر الحاكمة، والدول، والنظم السياسية، التي أوجدتاها، بعد أن قضتا خلال الحرب العالمية الأولى قضاء مبرما على النظام القديم في المنطقة، وحطمتا الحكم العثماني للشرق الأوسط العربي تحطيما لا خلاص منه، ولكي تأخذ الدولتان مكان النظام القديم، أوجدتا بلدانا، وعينتا حكاما، ورسمتا حدودا، وأدخلتا نظام دول، ولكنهما لم تقضيا على كل معارضة محلية هامة لقرارالهما، ولا تزال إلى يومنا هذا قوى محلية ذات بأس في الشرق الأوسط غير موافقة على هذه الترتيبات، وقد تطيح بها، إن ثمة مطالب هي أكثر صلة بالجوهر، وهذه الخلافات لا تقتصر على الحدود فحسب، بل تطرح أيضا حق الوجود لبلدان انبثقت عن القرارات البريطانية الفرنسية في أوائل العشرينات من القرن العشرين، وهذه الخلافات تذهب إلى غور أعمق، وتبحث مسائل تبدو مستعصية على الحل وهي:هل يستطيع النظام الحديث الذي ابتكرته أوربا ونقلته إلى المنطقة، ومن مميزاته تقسيم الأرض إلى دول علمانية مستقلة أساسها مواطنية قومية؟ إن الأفكار السياسية الأوربية ومنها الحكومة المدنية العلمانية،

تعد عقيدة غريبة على منطقة أكد معظم سكانها، ولمدة تربو على ألف عام، إيمانهم بشريعة دينية تحكم كل جوانب الحياة، ومنها الحكومة والسياسة، لقد أقر فعلا رجال الدولة الأوربيون في زمن الحرب العالمية الأولى بوجود المشكلة وبأهميتها، فما إن بدأ قادة الحلفاء يخططون لضم الشرق الأوسط إلى دولهم، حتى أدركوا أن سلطة الإسلام على المنطقة هي الخاصية الرئيسية للخريطة السياسية، التي يتحتم عليهم أن يجابهوها، وقد شن كيتنشر عام **1914**م سياسة هدفها جعل الإسلام تحت سيطرة بريطانيا، فلما ظهر أن هذه السياسة لن تنجح، رأى معاونو كيتنشر البديل في رعاية ولاءات أخرى، لاتحاد شعوب عربية، أو لأسرة الشريف حسين، أو لبلدان كان عليها أن تخرج للوجود كالعراق، وأن تكون هذه الولاءات منافسة للوحدة الإسلامية، والحقيقة أنهم عندما صاغوا تسوية الشرق الأوسط لما بعد الحرب، كان هذا الهدف نصب أعينهم، بيد أن فهم المسئولين الأوربيين في ذلك الحين للإسلام كان ضئيلا....لا وجود في الشرق الأوسط للإحساس بالشرعية، وليس في المنطقة إيمان يشارك فيه الجميع بأن الكيانات التي تسمي نفسها بلدانا، والرجال الذين يدعون أنهم حكاما، لها أو لهم حق الاعتراف بهم كبلدان أو كحكام، ولا يمكن القول بأن الذين خلفوا السلاطين العثمانيين، قد نصبوا في مناصبهم بصفة دائمة، مع أن هذا ما اعتقد الحلفاء أنهم فاعلوه بين عامي **1919** و**1922**م).[684]

ويقول فرومكين أيضا وهو يتنبأ عن مستقبل المنطقة في ظل الأزمة التاريخية التي تعيشها سواء أزمة الهوية من جهة، أو أزمة الشرعية السياسية من جهة أخرى:(إذا استمر زخم التحديات، لتسوية **1922**م فإننا سنرى يوما ما الشرق الأوسط الذي عرفناه في القرن العشرين في وضع يشبه وضع أوربا في القرن الخامس الميلادي، عندما ألقى انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب، شعوب الإمبراطورية في خضم أزمة حضارة، لقد احتاجت أوربا إلى ألف وخمسمائة عام لتحل أزمة هويتها الاجتماعية والسياسية بعد زوال الإمبراطورية الرومانية، منها نحو ألف سنة لكي يستقر النظام السياسي على

---

[684] ولادة الشرق **632-633** .

شكل الدولة الأمة، ونحو خمسمائة سنة أخرى لتقرير من هي الأمم التي تملك الحق في أن تشكل دولا، وهل يكون الولاء للسلالات الأسرية، أو للدولة القومية، أو لدول المدن؟ لقد تبين أن موضوع أزمة الشرق الأوسط المستمرة في زمننا، هو مثيل موضوع أزمة أوربا الغربية، وإن لم يكن بنفس العمق وطول الزمن، فكيف تستطيع شعوب متنوعة أن تعيد تجميع نفسها لخلق هويات سياسية جديدة، بعد انهيار نظام إمبراطوري طويل العهد اعتادت عليه؟ لقد اقترحت دول الحلفاء في مطلع العشرينيات من القرن العشرين شكلا للمنطقة بعد زوال الدولة العثمانية، لكن السؤال الذي لا يزال قائما:هل تقبله شعوب المنطقة؟ولذلك فإن تسوية **1922**م لا تخص الماضي، بل هي في قلب الحروب والنزاعات والسياسات الراهنة في الشرق الأوسط)[685] .

وقد عبر عن هذه الأزمة السفير البريطاني في المملكة السعودية ألن مونرو سنة **1996**م في مقال حول أسباب عدم استقرار المنطقة فقال (تقع المملكة العربية السعودية في منطقة عدم استقرار ..إن العداوات القديمة والخلافات بقيت كما هي لارتباطها العميق بتاريخ قبائل المنطقة، وفي الحقيقة إن الوضع الحالي كان نتيجة مباشرة لما فعله الإنجليز في مؤتمر العقير، وما تلاه من تأسيس دويلات في العراق والأردن هي في الحقيقة واجهة للإنجليز لا غير)[686] .

لقد خسرت القبيلة العربية وهي المكون الرئيسي في الخليج والجزيرة أرضها وديارها الخاصة بها، ونفوذها ومكانتها الاجتماعية لا لوطن يحفظ كيانها، ويصون كرامتها، ولا دولة يتمتع أفرادها فيها بحريتهم وحقوقهم، بل خسرت كل ذلك لصالح حكم طبقي عشائري فاسد، ولصالح أسر أصغر شأنا منها، لتتقاسم أرضها، وتمزق كيانها، وتستأثر بثرواتها، وليتحول أفرادها إلى (عبيد بلا أغلال) و (فداوية) عند (المعازيب)!

لقد كان للقبائل في الجزيرة العربية ديارها، فكان لكل قبيلة أرضها، التي تمتد بامتداد نفوذ عشائرها على صحرائها، ولكل قبيلة آبارها ومراعيها الخاصة بها، التي لا أحد يستطيع الشرب منها ولا النزول فيها إلا بإذنها، أو بالحرب

---

[685] ولادة الشرق **643** .

[686] قصة السيطرة البريطانية **426** .

للسيطرة عليها، كما كان للقبائل المستقرة في المدن نفوذها أيضا حيث كانت كل مدينة تمثل تجمعا قبليا أو مجموعة قبائل وأسر مستقرة، كما في مدينة حائل ومدن القصيم والعارض والأحساء والزبير وغيرها من مدن الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ولم تكن الكويت والدوحة وأبو ظبي ومسقط والمنامة إلا موانئ ومدنا صغيرة بالمقارنة مع المدن الداخلية في الجزيرة العربية، كما لا مقارنة بين امتداد نفوذ القبائل وامتداد مساحة الأرض التي تسيطر عليها والمدن التي صارت دولا بعد ذلك، كما جاء في رسالة مبارك الصباح للمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بتاريخ **1902/1/30**م، حيث ذكر فيها وصول جيش ابن رشيد إلى(ديرة الظفير) التي تقع على مسافة خمسة أيام من الكويت[687].

وكما جاء في جواب ابن سعود على رسالة مبارك بخصوص حرب العجمان سنة **1915**م وفيه (نحن الآن في وقت القيظ ولا نتمكن فيه من أن نسير بجيش إلى ديرة العجمان)[688]

وكما تمتد كثير من القبائل كقبيلة مطير من البحر الأحمر إلى الخليج العربي مؤكدة وحدة الجزيرة العربية من الخليج إلى البحر الأحمر، كما يقول لوريمر في كتابه الموسوعي (دليل الخليج العربي) عن قبيلة مطير وحدود أراضيها(قبيلة عربية صرفة، في وسط الجزيرة العربية، حدودها أوسع من أي قبيلة أخرى، باستثناء عنزة، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم، وملكية الدهناء والصمان مقصورة عليهم، وتمتد أماكن تواجدهم في الشمال الشرقي، حتى تتوغل في الكويت، فيقيمون معسكراتهم (خيامهم)الصيفية في الجهراء، وفي الجنوب الغربي يوجدون في القصيم، وفي الوشم، ووادي السر، ويصلون إلى العارض، وعلى مسافة بعيدة في المنطقة البركانية بين مكة والمدينة، وحدودهم الشمالية القصوى على الخليج، ويوجدون جنوبا في الحسا، والصمان، ويتصلون في الشمال مع عنزة، وفي الشمال الغربي مع شمر، وفي الغرب مع حرب، وعتيبة، وقحطان، والدواسر، وسبيع، وفي الجنوب مع العجمان،

---

[687] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد **78** .

[688] تاريخ الكويت السياسي **216/2** .

والمرة، وبني هاجر، والمناصير).[689]

وهكذا كل القبائل العربية الممتدة في جزيرة العرب، والتي تؤكد بل تفرض وحدة المنطقة السياسية، وتجعل منها ضرورة اجتماعية قبل أن تكون ضرورة سياسية!

لقد كان الوضع الطبيعي بعد قيام الدويلات الخليجية وامتداد حدودها لتشمل أراضي القبائل الصحراوية وديارها أن تحافظ على وحدة القبيلة الثابتة من خلال وحدة الدولة الطارئة التي قامت على أرضها، لا أن تصبح القبيلة ووحدتها ضحية لقيام الدويلات الخليجية، لفرض ولاء مصطنع للوطن المجزوء على حساب وحدة الدم للقبيلة العربية، ليجد أبناء القبيلة الواحدة حين حدوث حرب أو نزاع بين دولتين خليجيتين أن الولاء الوطني سيكون على حساب الانتماء للقبيلة ووحدة الدم بين أبنائها، وهو ما عزز أزمة الهوية لدى المكون الرئيس للمجتمع الخليجي!

لقد كانت القبيلة وبعد أن خسرت كيانها الخاص بها تتطلع أن تقوم العلاقة في الدولة الطارئة على أساس المواطنة والمساواة في الحقوق مقابل تنازل تلك القبائل الثابتة عن أراضيها وآبارها وديارها ونفوذها، لتصبح ملكا عامة للدولة الجديدة الطارئة، ليشترك فيها الشعب كله بما فيهم أفرد القبيلة، غير أن ما حصل هو أن شيوخ المدن – التي صارت دولا في ظل المشروع البريطاني – صاروا يتصرفون في أراضي هذه القبائل والمدن التي ضمها لهم الاستعمار البريطاني على أنها ملك خاص لهم لا ملك للدولة والمال العام فيها! فصاروا يحمون الحمى لهم ولحاشيتهم وأتباعهم، ويقطعون الأراضي لمن شاءوا بعد أن كان لا يستطيع أحد المرور بها أو النزول فيها إلا بأمان من القبيلة التي تسيطر عليها إلى أن أخضعها الاستعمار البريطاني بعد سنة **1922**م؟!

لقد خسرت القبيلة أرضها فآلت ملكيتها لا إلى دولة وطنية، بل إلى أفراد وإلى أسر إقطاعية لا لشيء إلا لتحالفها مع الاحتلال الأجنبي الذي فرض بقوته العسكرية واقعا طبقيا جديدا!

[689]لوريمر دليل الخليج الجغرافي **1626/4** .

لقد تم بفضل بريطانيا قلب الوضع رأسا على عقب كما يقول جون غلوب (إن الوضع الداخلي للشرق الأوسط كان قد تحول تحولا جذريا خلال حقبة العشرينات ففي ذلك الوقت كانت كثير من البلدان العربية تضم قبائل مسلحة، وكانت الاضطرابات التي تثيرها تلك القبائل تشكل تهديدا مباشرا للنظام والقانون - أي تهدد وجود الاستعمار - ونتيجة لذلك كان سكان المدن موالين للحكومات دوما، لأنهم كانوا ينتظرون منها دوما حمايتهم من تلك القبائل، وقد استمر ذلك الوضع طيلة الوقت الذي كان باستطاعة القبائل التسلح بنفس الأسلحة التي تتسلح بها قوات الحكومة، وما إن أصبحت الحكومات العربية قادرة على أن تسلح قواتها بالأسلحة الحديثة، من الطائرات والسيارات المصفحة حتى أصبح أفراد العشائر عاجزين، ومن ثم أصبحوا موالين).[690]

لقد كان هدف بريطانيا من ذلك التقسيم بالأمس هو فرض سيطرتها على المنطقة من خلال حلفائها، فكانت تحكم المنطقة وتدير شئونها من خلالهم، تحت شعار حماية المنطقة، ونشر الديمقراطية، وتحديث الشرق الأوسط!

لقد حطمت بريطانيا الاستعمارية الشرق الذي كان الإنسان فيه أكثر تحررا قبل قدومها، لتقيم أنظمة استبدادية تخضع الشعوب للاستعمار ومشروعه، وقد كان الجنرال البريطاني في الهند جاكوب - وهو أستاذ بيللي - يؤمن بأن من مسئولية الرجل الأوربي الأبيض تحديث الشعوب الآسيوية، والسيطرة عليها، والتحكم بها، لأنها في نظره شعوب لا تستحق الحرية، حيث يؤمن (بأن حق أن يحكم الإنسان نفسه هو حق أنجلو ساكسوني، فإذا أرغمنا هؤلاء الشرقيين كي يأخذوا نصيبهم في حكم أنفسهم، فلن يثمر هذا إلا الفوضى وسوء الحكم، فالرجل الأبيض يعتبر التدخل في حقه في أن يحكم نفسه بنفسه، وتقييد حريته، أمرا بالغ الخطأ، في حين أن الآخر الشرقي حين يجبر على أن يحكم نفسه بنفسه يرى أن حيفا قد وقع عليه، وأن الطغيان قد فاض حتى بلغ مداه، إن نظرية أن للجميع حقوقا متساوية، التي يؤمن بها الأنجلو ساكسوني أمر خاطئ هنا، فالشرقي يتوقع أن يكون محكوما، وأن تحسن سياسته الحكومة التي تحكمه، وإلا

[690] مذكرات هنري غلوب باشا 138 .

ربما تمرد على هذه الحكومة وانقلب على حكامه بغية أن يغيرهم، ولكن لا يبتغي أبدا تحقيق حريته، إن مواطني الهند رغم أنهم غير مؤهلين للحكم الذاتي، وغير جديرين به، إلا إنهم يشعرون بالامتنان والولاء لمن يعمل على الارتقاء بوضعهم الاجتماعي، إنهم لا يثقون في نظرائهم كي يرتقوا سدة الحكم، ولا يرضخون لبني جلدتهم، ولكنهم يرضخون للسيد الإنجليزي الذي يشعرون بأنه الأرقى عنصرا، إننا نحكم الهند لأننا جنس أرقى من الآسيويين، وإنه لولا هذا الارتقاء الطبيعي لما استطعنا أن نحكم الهند حتى لأسبوع واحد، استبعدوا ما يشاع عن المساواة بين العنصرين، دعونا نواجه قدرنا الحقيقي كعنصر قدره السيطرة لكي نضرب لهم المثل الأعلى، وسيصبح حكمنا أكثر رسوخا).[691]

وهي النظرية التي أثبت الشعب الهندي بطلانها بل وكل شعوب الشرق الأسيوية التي حكمت نفسها بنفسها وتحررت إرادتها من الاستعمار والاستبداد إلا العرب وحدهم!

لقد حاول الاستعمار وحلفائه إشاعة ثقافة زائفة تبرر هذا الواقع الاستبدادي الطبقي بدعوى أن شعوب الخليج مجتمعات قبيلة لا تصلح لها الحرية، وهو ما أثبت بطلانه المستشرق برنارد لويس حيث يقول في كتابه (الحرية والعدالة في الشرق الأوسط الجديد) (جوهر الحكم في الإسلام يتمثل في العدل، فالحاكم الذي يتصف بالعدل لا بد أن يتوفر له شرطان أساسيان : الأول أن يحصل على السلطة بالحق، والثاني يجب أن يمارس هذه السلطة على أساس عادل، أي أن لا يكون غاصبا للسلطة، وأن لا يستبد بها، ولا يوجد أدنى شك من أن المساواة بين المسلمين هي من المبادئ الأساسية في الإسلام منذ نشأته في القرن السابع الميلادي، وهذا ما يميزه عن النظام الطبقي في الهند، وعن النظام الأرستقراطي في الغرب المسيحي، بل إن حقائق الواقع والسجل التاريخي يشهد حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت فرصة رجل فقير ذي مكانة اجتماعية متواضعة في الوصول إلى قمة الهرم الوظيفي والاجتماعي في الدولة الإسلامية أكبر بكثير من إمكانية حصول ذلك في كل الغرب المسيحي، بما في ذلك الولايات المتحدة وفرنسا ما بعد الثورة)، ويقول أيضا في

---

[691] سياسة الأمن لحكومة الهند **114** .

كتابه (الإيمان والقوة)نافيا عن العرب المسلمين الطبيعة الاستبدادية (إن أبرز ما يجده المحلل في الفكر السياسي الإسلامي الغني هو أن الحكم في الإسلام له ثلاثة ضوابط رئيسية شبيهة بالديمقراطية وهي (البيعة) التي تمنح الحاكم الشرعية، و(الإجماع) الذي يحتم المشاركة في القرار، وأخيرا (القيود) على سلطة الحاكم المتمثلة بالشريعة).[692]

وما ذكره هذا المستشرق لا يحتاج إلى أكثر من استحضار التاريخ العربي الإسلامي، واستذكار أبرز قياداته التي شاركت في صناعة تاريخه، والتي جاءت من كل مكونات المجتمع الإسلامي وعلى اختلاف قومياته، خاصة العصر المملوكي الذي تولى فيه المماليك السلطة السياسية في مصر والشام والجزيرة العربية مع أنهم في الأصل من الرقيق!

عودة الاستعمارالغربي للجزيرة والخليج العربي:

لقد عاد الاستعمار الغربي العسكري للخليج والجزيرة العربية بشكل مباشر من جديد بعد احتلال العراق، وكان من آثاره الخطيرة استنفار دول الخليج ضد شعوبها على نحو غير مسبوق حتى تحولت جزيرة العرب إلى (قاعدة للجيش الأمريكي) و(سجن كبير لشعوبها)، وبلغ عدد المعتقلين في الخليج العربي جراء الاحتياط الأمني نحو ثلاثين ألف معتقل، خاصة في المملكة العربية السعودية، حيث تم زج آلاف العلماء والمفكرين والكتاب والسياسيين ورجال الأعمال في السجون بلا تهم ولا محاكمات، لا لشيء إلا لكونهم يرفضون الاحتلال الأمريكي في العراق، أو دعموا المقاومة الفلسطينية، أو يرفضون الاستبداد السياسي في المملكة، ويتطلعون كبقية شعوب العالم إلى الحرية والاستقلال!

كما تم منع الآلاف من المواطنين الخليجيين من السفر بين دول الخليج أو السفر إلى الخارج لذات الأسباب، كنتيجة طبيعة لغياب مفهوم المواطنة، ورسوخ مفهوم الرعوية التي تتصرف حكومات الخليج مع شعوبها على أساسه دون وجه حق وبدعم غربي استعماري مطلق!

[692] باختصار وتصرف نقلا عن كتاب (مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية) للدكتور اليوسف ص33 – 34

لقد ظن كثير من الخليجيين بأن الغرب قد يساهم في تعزيز الحريات العامة في المنطقة، دون أن يدركوا بأن السبب وراء سجن عشرات الآلاف من الأبرياء بذريعة الاحتياط الأمني هو الاحتلال الأجنبي، الذي سيطرت قواعده العسكرية على المنطقة سيطرة كاملة بعد احتلال العراق، وبدل أن تستخدم الولايات المتحدة الأسلوب الاستعماري القديم في نفي المعارضين للجزر في البحار، اكتفت بقيام حكوماتهم بسجنهم دون تهمة ودون محاكمة ولسنوات طويلة، أو بفرض إقامة جبرية عليهم، أو بمنعهم من السفر والتنقل، حتى لا يكاد يوجد في الخليج عالم حر أو سياسي حر أو كاتب حر إلا وتعرض لشيء من ذلك في كل دول الخليج العربي!

لقد كانوا جميعا ضحايا المشروع الاستعماري الأمريكي للمنطقة، والحكومات الخليجية ليست سوى واجهة لتنفيذ ما يمليه سفراء أمريكا في الخليج بما في ذلك انتهاك حقوق الإنسان، مقابل حماية مصالحها الإستراتيجية!

ولعل أشد الأخطار التي يواجهها العرب في الخليج والجزيرة اليوم عجز دويلات الطوائف عن حماية المنطقة بقدراتها الذاتية، مع أن عدد سكانها يبلغ نحو ثلاثين مليون نسمة، ومع اليمن نحو خمسين مليون، ويعيشون على أغنى أرض في العالم كله!

لقد فقدت المنطقة استقلالها وسيادتها بسبب ضعفها وتشرذمها، وبعد الحرب العالمية الثانية صار المشروع البريطاني الاستعماري للمنطقة غير قادر على الديمومة، وعاجزا عن خدمة مصالح الغرب الاستعمارية فجاءت أمريكا اليوم بمشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير لتبسط نفوذها على المنطقة بشكل مباشر مع استبقاء الحلفاء التقليديين الذين صنعهم الاستعمار البريطاني من قبل!

ومع تكريس وجود دويلات الطوائف العاجزة عن الدفاع عن نفسها وحماية شعوبها من جهة، ومنعها من الاتحاد والتحالف فيما بينها من جهة أخرى، سيبقى الاستعمار هو المؤثر الرئيس في إدارة شئون المنطقة كلها على نحو خطير على حساب الشعوب وحقوقها وحرياتها واستقلالها!

وسيبقى خمسون مليون عربي من ذرية عدنان وقحطان – وهم بقية العرب في جزيرهم مهبط الوحي ومهد العروبة – (عبيد بلا أغلال) وهم يرون جزيرهم العربية قد تحولت إلى أكبر قاعدة عسكرية للحملة الصليبية من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها يحتلها العدو ويوظف شعوبها وثرواتها لخدمة جيوشه وتأمين الطرق لها وتقديم كل دعم لوجستي يسهل من خلاله شن حروبه الصليبية على العالم العربي والإسلامي كله! وإذا دويلاتهم شاءوا أم أبوا تتحول إلى عضو في حلف النيتو ولتعقد مؤتمرات الحلف المشبوهة على أرض جزيرهم بعد أن كانت تخرج منها جيوش الفتح الإسلامي!

لقد جاءت الولايات المتحدة لا لتحرر المنطقة بل لتحتلها، وبشكل مباشر باسم الاتفاقيات الأمنية، والقوات المشتركة، وباسم الحلفاء الاستراتيجيين، وللحيلولة دون حدوث أي تغيير سياسي فيها لصالح الشعوب، حتى اعترف بوش الابن بأن الولايات المتحدة دعمت الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة مدة ستين سنة!

لقد بدأت رياح الثورة العربية المعاصرة تهب على العرب من المحيط إلى الخليج من أجل الحرية وحقوق الإنسان والحياة الكريمة، وستنجح الثورة في كل مكان، وستجد تعاطفا دوليا، إلا في الجزيرة والخليج العربي حيث ستمثل الثورة تهديدا مباشرا لا للحكومات الخليجية، بل للاحتلال الصليبي، الذي سيفرض ستارا حديدا، وطوقا على المنطقة كلها عسكريا وإعلاميا للقضاء على أي حركة إصلاح سياسي، وللحيلولة دون وصول إعصار الثورة والحرية، وسيتم إطلاق يد الأنظمة وبدعم أمريكي لتمارس كل أشكال القمع والإجرام ضد شعوبها، ولعل ما جرى في عمان والبحرين والسعودية والكويت والإمارات هو جزء يسير من المشهد – وهو ما جرى مثله تماما في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي على يد الاستعمار البريطاني كما سبق تفصيله – وقد جاء الإعلان عن ضم الأردن والمغرب لمجلس التعاون لاستكمال حلقات المؤامرة على شعب الخليج والجزيرة العربية، فالأنظمة تتهيأ للحرب على شعوبها التي تتطلع إلى الحرية وحقوق المواطنة والمشاركة ككل شعوب العالم في اختيار حكوماتها!

إن أمام حكومات الخليج فرصة للمصالحة مع شعوبها والمبادرة للاستجابة

لحقوقها المشروعة وتحقيق الإصلاح السياسي المنشود قبل أن تفوت الفرصة الأخيرة!

كما إن شعب الخليج والجزيرة العربية يواجه اليوم تحد تاريخي هو الأخطر منذ سنة **1922**م، وهو ما يجعل من الدعوة إلى الوحدة والحرية والاستقلال، وتحطيم قيود العبودية وكسر تلك الأغلال، الطريق نحو استعادة العرب في الخليج والجزيرة لهويتهم ودينهم ووحدهم وشرفهم الذي فرطوا فيه بعد عقود من الذل والخنوع والإذلال، وعقود من الاحتلال لبلدانهم، وتمزيق أوطانهم، ومسخ أديانهم، وليس أمامهم اليوم إلا الثورة السلمية أو الطوفان!

اللهم {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} اللهم آمين ..